

جامعة افريقيا العالمية
مركز البحوث والدراسات الافريقية

التنصير والتغلغل الاستعماري في افريقيا

تحرير :
حسن الناطق
تاج السر بشير



جامعة افريقيا العالمية
مركز البحوث والدراسات الافريقية

التنصير والتغلغل الاستعماري في افريقيا

مقدمة

نضع بين يدي القاريء الكريم أوراق ندوة التنصير التي عقدت بجامعة إفريقيا العالمية بمبادرة من جمعية الدعوة العالمية الإسلامية الليبية .

وقد تضمنت هذه الندوة عددا من الأوراق التي عالجت موضوع التنصير من جوانبه المختلفة وأثارت نقاشا ثرا ومستفيضا من عدد من العلماء والباحثين .

ولكن ثمة مانود أن نشير إليه :

أولا : قدم البروفيسور عبدالرحيم علي مدير جامعة إفريقيا العالمية ورقة عن زيارة البابا للسودان وآثارها ، وقد تناول الكثيرون هذه الورقة بالنقاش الجاد المثمر ، ولكن لم تظهر هذه الورقة بين دفتي هذا السفر وذلك لعدم تمكن القائمين علي أمر هذه الندوة من طباعتها وتسجيلها .

ثانيا : نعتذر لعدد من العلماء المشاركين عن عدم ، ورود أسمائهم رغم تسجيل كل ما شاركوا به من تعقيب ونقاش ، وذلك لخلل في جهازي التسجيل والتصوير .

والله من وراء القصد ،،

المحرران

حسن سيداحمد الناطق

تاج بشير صالح

تقـــديم :

يضم هذا الكتاب أوراق الندوة الفكرية عن التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا التي نظمتها إدارة مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية فرع الخرطوم في الفترة الممتدة مابين ١٩ - ٢١ سبتمبر ١٩٩٨م وعقدت الجلسة الافتتاحية في مركز الشهيد الزبير محمد صالح للمؤتمرات وبقية الجلســـات في قاعات مركز الدعوة بجامعة إفريقيا العالمية .

ويمكن القول بأن القضايا التي عالجتها الندوة تميزت بالحيوية والأهمية العلمية نسبة للآتي :

* لأن المراكز الأكاديمية والمنتديات العلمية ظلت تتحاشي الخوض في قضايا التنصير لحساسية الموضوع خصوصا في بلد مثل السودان ، مما جعل المادة العلمية المتاحة في هذا الموضوع ضعيفة وأصبح هذا الموضوع لايلامس ملامسة علمية رصينة بينما كثرت فيه المعالجات السطحية والعاطفية

* سعت الأوراق المنشورة لملامسة تعريفات التنصير وتاريخه واتجاهاته كما أعملت النظر في العلاقة بين المد التنصيري والتغلغل الاستعماري .

* حاولت الأوراق أن تتعرض لتأثيرات التنصير علي الوجود الإسلامي في إفريقيا وعلي مجمل مستقبل حركة الدعوة والثقافة الإسلامية كما أبرز بعضها تأثيرات التغلغل الاستعماري علي حركة الدعوة والثقافة الإسلامية الإفريقية .

ومع ذلك ، فإن الندوة لم تحط بكل الأسئلة والقضايا إذ يحتاج ذلك لعشرات الندوات ويحتاج كذلك للبحث العلمي العميق في قضايا محورية هامة مثل :

* هل مثّل التنصير والاستعمار حركة تقدمية في إفريقيا - ويمكن الاستفادة في محاولة الإجابة علي مثل هذا السؤال من أفكار الاستاذ مالك بن نبي عن شروط النهضة والقابلية للاستعمار ، لأنّ التنصير والاستعمار كانا وراء أسس النهضة الإفريقية بل إن الكنيسة كانت وراء ٩٥٪ من حركة التعليم الحديثة في إفريقيا حتي عام ١٩٦٠ ، كما أن الاستعمار هو الذي أنشأ الدولة الإفريقية القومية المعاصرة ومافيها من بنيات وحركات فكرية وسياسية ، ولكن لا يمكن قراءة ذلك بمعزل عن ما أحدثه الاستعمار من استرقاق وتجارة رقيق ونهب للموارد وتحطيم للثقافة الوطنية وزرع للغاته وثقافته ومردودات ذلك من تبعية واستلاب ومشاكل حدودية وحروب أهلية .

ولنبسط القضية أكثر ، كيف يمكن أن تكون مآلات الحياة والتطور الفكري والسياسي في السودان بدون كنيسة وبدون استعمار ؟ ربما امتدت حقبة المهدية وربما اشتدت الصراعات الداخلية والمهيجات من قبل مصر والحبشة وربما قل أثر التمدن والحضارة ولكن ربما ظل السودان أكثر

تجانسا ولربما أصبحت المناطق الاستوائية في درجة من درجات التعريب والإسلام وليس صحيحا أن صورة السودان كانت ستختلف كثيرا لولا مؤثرات الكنيسة والاستعمار ، فهاهي اليمن تشق طريقها في عالم النهضة ومن دون تقاليد استعمارية وكذلك اثيوبيا والسعودية .

ومايهم فإن هذا موضوع مركب ومعقد ولايمكن ملامسته دعك من معالجته في هذه المقدمة السريعة ، والاستعمار في حقيقته من ابتلاءات الله لعباده ومن أسرار مدافعته ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض . وفي الختام الشكر موصول للدكتور الأمين محمد عثمان والسيد حسن حاج علي لمساندتهم أمر طبع هذه الدراسة .

والســـــــلام

د. حسن مكي
عميد مركز البحوث والدراسات الإفريقية

كلمة الافتتاح :

كلمة الدكتور/ عبدالرحمن أحمد عثمان

بســـم الله والحمد لله والســـلام علي رســـول الله محمد بن عبدالله وعلـــي آله ومن ســـار علي نهجه واهتدي بهداه .

السيد / الدكتور إبراهيم أحمد عمر وزير التعليم العالي

السيد/ الدكتور عبدالرحيم علي مدير جامعة إفريقيا العالمية

السيد/ الاستاذ علي عزو الأمين العام لجمعية الدعوة العالمية الإسلامية

الإخوة العلماء الأفاضل .....

الإخوة الزملاء ....

السلام عليكم ورحمة الله

نلتقي اليوم في هذه القاعة لكي نتلمس أطراف موضوع طالما اشتقنا لتلمسه في جلسة علمية هذا الموضوع قد اهتمت به جامعة إفريقيا العالمية منذ تأسيسها ، وقد كان من بين همومها الأساسية أن تبسط قدرا من الضوء علي الخطط والاستراتيجيات المسيحـية وذلك في معركتها لاكتساب العقل المسلم في إفريقيا . والآن وقد تسني لنا بعد عدة سنوات من نشأة الجامعة أن نلتقي في هذا المحفل الذي نبسط فيه هذه القضايا العلمية والعملية في سبيل الحوار الإسلامي المسيحي والتعايش بين الأديان .

ونحن وفي هذا المنعطف من هذا الزمان وفي أخريات القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين يبدو لنا أن الاستراتيجيات قد تتغير وأن العالم يمر بمرحلة العولمة وأن هناك كثيرا من الفعاليات الإعلامية قد دخلت إلي أرض المعركة فحري بنا أن نلتقي وأن نتفاكر وأن نتحاور مع هذا الدين الذي يحاول جاهدا أن يأخذ العقل المسلم في إفريقيا ، بل والعقل الإفريقي بصورة عامة .

نحن الآن - إن شاء الله - في جلسة مدارسة نريد أن نلقي فيها قدرا من الضوء علي هذه الإشكالية ونخرج منها إن شاء الله ونحن أكثر قدرة علي الحوار وأكثر إلماما بفعاليات التبشير وآلياته وخططه وبرامجه ومن هذا رأت جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فرع السودان وجامعة إفريقيا العالمية إقامة هذه الحلقة الدراسية لنتدارس ونلم بأطراف هذا الموضوع . وبحمد الله تعالي فقد اجتمع لدينا أكثر من عشرين بحثا نأمل فيها أن تكون إثارة لموضوع التبشير ونأمل كذلك أن يحرص الناس علي حضور جميع جلسات هذه الندوة ويتداعوا إليها - متداخلين ومناقشين حتي تتضح الحقائق ونستطيع الخروج بخطط وبرامج نطرق بها أبواب القرن الحادي والعشرين .

إن هذا البرنامج الذي ترونه أمـاكم يحتـوي علي عشـر جلسات تبدأ بالجلسة الافتتاحية وتنتهي بجلسة ختامية هي جلسة التوصيات ومابين هـاتين الجلسـتين هناك جلسات تتوالي وتختلف في عدد مايقدم فيها من أوراق .

ونأمل في ختام هذه الحلقة أن تنشر كل فعالياتها إن شاء الله في كتاب ونوثقها توثيقا مرئيا وتوثيقا مسموعا حتي نكون أساسا لحلقات وندوات ومؤتمرات أكثر تخصصا وأكثر عمقا .

ونأمل كذلك أن يساهم العلماء جميعا في حضور جميع الجلسات ليثروها بمداخلاتهم وآرائهم وأفكارهم فنخرج ونحن أكثر استعدادا لما عسي أن يجد من حوار مثمر في مستقبل الأيام تكون فيه إن شاء الله الغلبة للمسلمين .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وأرجو أن تسير هذه الحلقة علي خير ماتتمنون .

كلمة الدكتور حسن مكي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله

استاذي البروفيسور إبراهيم أحمد عمر وزير التعليم العالي

الأ خ السيد أبورجائي سفير دولة فلسطين

الإخوة الدبلوماسيون

الإخوة الضيوف

السلام عليكم ورحمة الله

نرجو أن تكون هذه الحلقة حلقة مباركة لتتبعها حلقات ونرجو أن تكون خطوة في سبيل التعايش والتعرف علي بعض وما دمت سألتقى بكم في الجلسة القادمة فإنني اكتفي بذلك والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة السيد نوري علي عزو

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

الإخوة السادة السفراء

الإخوة الأساتذة العلماء الأجلاء

الاخوة الحضور الكرام : يسعدني باسم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية أن أرحب بكم كما يسعدني أن أتقدم بالشكر والتقدير للإخوة بجامعة إفريقيا العالمية علي تعاونهم وإسهامهم معنا لإقامة هذه الندوة وإنجاحها ، كما يشرفني أن أتقدم بالشكر والتقدير لكل باحث ساهم في إثرائها بوقته وفكره .

أيها الإخوة الكرام إننا في هذه الندوة نحاول أن نوضح حقيقة الإرساليات التنصيرية وأن نتعرف علي الأساليب التي تتبعها ، فليس الهدف من إعداد البحوث حول التنصير هو التهجم علي الدين المسيحي أو غيره من الأديان السماوية فنحن نؤمن بحرية الأديان ونطالب بالحوار ولكننا في نفس الوقت نرفض النهج

الذي تنتهجه الحركات التنصيرية التي اتخذت من محاربة الإسلام والتهجم عليه أسلوبا ومنهجا في دعوتها العنصرية إذ أنها قد سخرت كل إمكاناتها المادية والمعنوية لترسيخ المفاهيم الكاذبة والمشوهة عن الإسلام والمسلمين والصاق تهمة الإرهاب والتطرف بهم ، بل قد وصل بهم التطاول إلي حد القذف والذم في حق سيدنا محمد بن عبدالله صلي الله عليه وسلم وفي حق أمهات المؤمنين .

أيها الإخوة الكرام لاشك أن هناك تخطيطا صليبيا قد أعد بإحكام يستهدف القارة الإفريقية وقد أفصح عنه البابا أثناء زيارته المشئومة حيث قال إنه لن يأتي عام ألفين حتي تكون إفريقيا كلها مسيحية ولتحقيق هذه الأمنية سخرت كافة الإمكانات المادية والمعنوية وللأسف الشديد فإن جزءا من هذا المخطط يسهدف وحدة السودان بفصل جنوبه عن شماله ثم إقامة دولة مسيحية في الجنوب فالسودان لذلك مستهدف بالدرجة الأولي من قبل الحركات التنصيرية بوصفه العمق العربي والإسلامي في إفريقيا وماخلق دولة مسيحية قوية في الجنوب إلا للحد من المد الإسلامي عبر هذه البوابة المتعددة المنافذ بحكم الموقع الجغرافي في إفريقيا .

أيها الإخوة لقد كان فى زيارة الأخ القائد العقيد معمر القذافي قائد القيادة الشعبية الإسلامية العالمية لكل من النيجر ونيجيريا وتشاد وإمامته للآلاف المؤلفة من المسلمين في صلاة جامعة الرد الحاسم والعملي علي هذه المخطات الصليبية إذ أنها قد أعطت المسلمين الافارقة قوة وزادتهم إيمانا وثباتا .

أيها الإخوة نحن نعلم أن هناك حملة صليبية مسعورة تشن ضد الإسلام والمسلمين بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية وما التلويح بالحصار وإرهاب الشعوب المسلمة باستخدام القوة إلا أداة من أدوات تحقيق هذا المخطط فلنعمل إذن جميعا علي فضح هذه المخططات والتصدي لها وماهذه الندوة – أيها الإخوة – إلا خطوة علي هذا الدرب .

وشكراً لكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة الدكتور عبدالرحيم علي مدير جامعة إفريقيا العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله

أرحب بالإخوة الكرام ضيوف هذه الجلسة وبالعلماء المشاركين في هذه الندوة وأذكر شاكرا هذا التعاون الكريم الذي قامت بناء عليه هذه الندوة العلمية لتدارس هذا الموضوع في هذا الوقت المناسب لما لهذه القضية من ذيول ومعان ومغاز في حركة التاريخ الإفريقي في هذه المرحلة .

أيها الإخوة إن مركز البحوث والدراسات الإفريقية الذي دعا لهذه الندوة بالتعاون مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية كان من أوائل المراكز التي اهتمت بقضية التنصير والنشاط التبشيري في السودان فقد ألف الدكتور حسن مكي كتابا في ١٩٨١ في نفس هذا القسم عندما كان إدارة قبل أن يصبح مركزا للبحوث وكان ذلك البحث ميدانيا اشتمل علي معلومات كثيرة وقد اضطلع به كثير من الباحثين الطلاب

بقياد الدكتور حسن مكي ونشر ذلك الكتاب وهو عن محاولة إحاطة العاصمة السودانية بحزام من التبشير وكان لذلك الكتاب وفي ذلك الوقت وفي تلك المرحلة صدي بالغ في المنطقة وكان له دوره في الاهتمام بظاهرة التنصير في شمال السودان فضلا عن جنوبه ومنذ ذلك الوقت أصبح من اهتمامات المركز العمل علي الإصدارات والتنبيه لهذا الجانب من الحياة الاجتماعية والسياسية في السودان وفي المنطقة الإفريقية عامة .

وجمعية الدعوة العالمية التي تقام بالتعاون معها هذه الندوة صدرت لها تراجم ومؤلفات أصيلة وعديدة في هذا الموضوع وامتازت بكثير من الجدية في البحث معتمدة علي دقة المعلومات والإحصاءات والأراء القوية المنشورة التي استفدنا منها كثيرا وشكرنا لمدير هذه الجمعية في الخرطوم الاستاذ نوري علي عزو مبادرته وإبداءه الرغبة في التعاون مع المركز لإقامة هذه الندوة العلمية بوصفها خطوة إضافية لتوضيح الحقائق والمعلومات أمام جمهور المسلمين لا لأغراض بحثية علمية محضة فحسب ، ولكن أيضا لقيادة التفكير وحفز العاملين علي تلمس خطاهم في هذا المجال .

نحن الأن نشهد مرحلة من الحوار ومرحلة من الاحتكاك ومن المهم للجانبين المسيحي والاسلامي أن يتلمسا طريقا وسطا وسليما للتعاون في هذه القارة التي تشتمل علي مسلمين ومسيحيين باعداد متفاوتة في البلدان المختلفة ، فما من بلد إفريقي إلا وفيه أغلبية إما مسلمة وإما مسيحية وأقلية إما مسلمة وإما مسيحية وتأتي درجة العلاقة والعمل بين هذه البلدان بصور متفاوتة .

ولذلك فإن هذا الموضوع بالنسبة لجامعة إفريقيا العالمية موضوع ذو أهمية لأن طلبة هذه الجامعة يعيشون واقعا من الحوار بين هذين الدينين ومن التغلغل النصراني الذي أثر في تاريخ القارة الحديث والمعاصر ويؤثر أيضا علي مستقبلها . فلذلك فإن هذا الموضوع بالنسبة لجامعة إفريقيا العالمية موضوع ذو أهمية لان طلبة هذه الجامعة يعيشون واقعا من الحوار بين هذين الدينين ومن التغلغل النصراني الذي أثر في تاريخ القارة الحديث والمعاصر ، ويؤثر أيضا علي مستقبلها . فلذلك كله أتقدم بالشكر للإخوة في جمعية الدعوة العالمية مكتب السودان ولمركز البحوث كما وأذكر بالشكر والتقدير الأساتذة العلماء من الجامعات السودانية المختلفة الذين أسهموا في نجاح هذا العمل ، وهو علي كل حال تعاون بين جميع علماء الجامعات السودانية وإسهام مشترك فيما بينهم وكان لجامعة إفريقيا العالمية فضل وشرف المشاركة في تقديمه للجمهور ، مرة أخري لكم الشكر والسلام عليكم ورحمة الله .

كلمة البروفيسور إبراهيم أحمد عمر وزير التعليم العالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله

الإخـــوة المتدارســـون

السلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته

وشكرا لجامعة إفريقيا العالمية ولمنظمة الدعوة الإسلامية من الجماهيرية العظمي علي تنظيم هذه الحلقة الدراسية في عصر لانشك أبدا في أنه يحتاج إلي مثل هذه الدراسات المتعمقة ، ونحن نعلم أن إفريقيا بالذات تحتاج إلي الفهم العميق حتي إذا ما أردنا أن نتخذ سياسة أو موقفا كان ذلك علي بينة من الأمر ونعلم أيضا أن العالم من حولنا ينظر إلي هذه القارة وإلي القوي الاجتماعية والعلمية والثقافية والسياسية المتصارعة أحيانا والمتوافقة أحيانا أخري لتشكيل مستقبل هذه القارة التي لاتزال بكرا .

وعنوان هذه الدراسة اليوم يقرأ التنصير والاختراق الاستعماري في إفريقيا أو لإفريقيا وهذا الربط بين التنصير والاختراق الاستعماري ينبهنا إلي أن بعض دعاة النصرانية قد ارتبطوا بالاختراق الاستعماري لإفريقيا – ففيهم من هو واضح المقاصد الاستعمارية وأكثر مايسمع هذا الآن عن البارونة كوكس وفيهم من يبدو أنه يتمهل ويتعاون شيئا ما ولكن الأمر يحتاج إلي عميق نظر ويتبادر إلـي الذهـن في هذا المسـتر كارتر ومنهم من لانسـتطيع أن نصنفه حتـي الان ونحتاج إلي دراسة عميقة عنه . ولذلك فإن جامعة إفريقيا العالمية أو مركز البحوث فيها وجمعية الدعوة العالمية الليبية يقدمان خدمة جليلة لصـانعي السـياسة فـي عالمنـا الإسـلامي والعـربي والإفـريقي وهـما يقدمان هذه البحوث وهذه الدراسات .

نحن نصنف المؤسسات ونقوم الأشخاص والسياسات لفتح منافذ جديدة للتعرف علي الحركة التبشيرية النصرانية أو الحركة النصرانية نذكر أنها تبشيرية لنقارن ذلك بالتاريخ القديم لهذه القارة التي كانت كلها مستعمرة تقريبا ومثل هذه الدراسات أيضا تساعد علي قضايا ترفع الأن شعارات ويستغرب الأن كيف يحققونها ؟ كيف نحقق التعايش بين الأديان في القارة الإفريقية ؟ كيف نحقق التعايش بين الدول ؟ كيف نحقق التعايش بين الأعراق في إفريقيا وهي كثر .

هذه قضـايا ترفع الآن شـعارات ويدعي النـاس للانتظـام تحتها ولكـن الكيفية دائما ماتكون غائبة أو صعبة المنال .

نحن كما تفضل الأخ ممثل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية لم نكن في يوم من الأيام ناكرين للمسيحية لأن الإسلام جاء رسالة خاتمة لهذه الرسالة الإلهية التي انتظمت البشرية وإذا استقرأنا التاريخ.فإننا المسلمين – لم تكن بالظلمة ولا بالطغاة علي الفئات المسيحية التي عاشت في كنف الدولة الإسلامية في فترة من الفترات – وفي عصر من العصور .

ونحن – المسلمين – مانزال ندعو لأن نكون أهلا للتعايش مع غيرنا من الأديان ، ولكننا قد شهدنا خاصة في السودان – كيف أن بعض دعاة النصرانية يستهدفون السودان عقيدة ووطنا ورأينا كيف أن بعض دعاة النصرانية يؤلبون إفريقيا غير المسلمة ، وغير العربية ضد الأمة العربية وضد الأمة الإسلامية ولكننا رغم هذا نري أنه لابد من الدراسة المتأنية والعميقة التي تساعد في اتخاذ السياسات الحازمة القومية ولذلك فنحن نرحب بهذه الندوة وندعو الله سبحانه وتعالي أن يوفق الباحثين والدارسين والمفكرين ليقدموا لنا من المعلـومات والأفكـار مايعين السـودان والجماهيرية العظمي بل إفريقيا جمعـاء

علي السـير قدما لتحقيق الرسـالة التي تقوم بها الجماهيرية والتي يقوم بها السودان .

الأخ الكريم مدير الجامعة

الأخ الكريم أمين الجمعية

الإخوة الأساتذة الأجلاء

ضيوف هذا الحفل ......

نحن نرحب بكل فكر عميق جاد. وموضوعي ينبثق من أصولنا لينير لنا الطريق وإن شاء الله نكون سائرين علي هداه فمن الأصول تنبثق الفروع وتضاء الدروب ويسير السائرون حتي نصل إن شاء الله إلي ما نبتغي .

وفقكم الله والسلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته

الكنيسة السودانية في مفترق طرق خيارات التحالف والتعايش والمجابهة

د . حسن مكي محمد أحمد *

ماهو المقصود بالكنيسة السودانية ؟ المقصود الكنائس العاملة في السودان وأصبح لها أتباع مقدرون من السودانيين ، كما لها حضورها الديني بأبعاده الفكرية ، الثقافية ، الحضارية في السودان . وتتفاوت تقديرات الحضور المسيحي في السودان ، نسبة لأن هذه التقديرات لاتكاد ترتكز علي أساس علمي أو إحصائي علمي ، وورد في الموسوعة المسيحية (١) أن عدد سكان السودان بحلول عام ٢٠٠٠ م أي بعد نحو عامين سيصل إلي أكثر من ٣٨ مليون نسمة ، توزيعهم كالآتي :

* مسلمون في حدود ثلاثين مليون وبنسبة ٧٧٪ من إجمالي السكان .
* مسيحيون في حدود أربعة ملايين ونصف وبنسبة ٥ر١١٪ من إجمالي السكان
* أصحاب معتقدات قبلية في حدود ثلاثة ملايين وبنسبة ٩٪ من إجمالي السكان .

وأن عدد الكاثوليك يصل بحلول عام ٢٠٠٠ إلي ٠٠٠ر١٤٥ر٣ (ثلاثة ملايين ومائة وخمسة وأربعين الفا) ويليهم أتباع الكنيسة الأسقفية يصلون إلي ٠٠٠ر١٤٤ر٢ ثم البروتستانت ٧٥ الفا، ولكن تقديرات الموسوعة المسيحية لا تتفق تماما مع ماورد في مجلة نبض العالم (World Pulse) (٢) التي قدرت عدد البروتستانت في السودان عام ٩٤ في حدود أربعة ملايين ونصف و قدرت الكاثوليك في حدود ٠٠٠ر٨٦٨ر٢ (مليونين وثمانمائة ثمانية وستين ألفا) ، وطوائف والبروتستانت المختلفة في حدود ٣٨٧ر٦٧٣ر١ (مليون وستمائة ثلاثة وسبعين وثلثمائة وسبع وثمانين نسمة) .

وفي تقديري أن هذه الأرقام لاتخلو من مبالغات . وإن كان للكنيسة في جنوب السودان وجود مقدر وحسب تقديرات كتاب (CIA , The World Fact Book) فإن نسبة المسلمين ٧٠٪ والمعتقدات المحلية ٢٥٪ والمسيحية ٥٠٪ وهذا يضع المسيحيين في حدود المليون ونصف المليون من أصل ثلاثين ملايين نسمة .

وتتحدث الكنائس العالمية وبالصوت الجهير عن صحوة كنسية في السودان تتوافق مع خواتيم الألفية الثانية للميلاد ، حيث وجه كلف كالفير Clive Calver رئيس منظمة إغاثة العالم نداء ذكر فيه (الكنيسة في السودان من أكثر الكنائس نموا في العالم ولكنها مع ذلك مضطهدة – وهي تناضل وأهم من ذلك فإن كل ناسها يموتون من الجوع (٣)

---

* عميد مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية

أما رئيس أساقفة كنتربري د Carey والذي ألغي زيارته لشمال السودان في بداية عام ٩٤ وزار المناطق التي في أيدي حركة التمرد في جنوب السودان ، فقد عزي رفضه أن يكون ضيفا علي حكومة شمال السودان قائلا : إذا كان عليّ أن أذهب إلي هناك ضيفا علي حكومة السودان التي هي في حرب مع الجنوب المسيحي :– أي نوع من الإشارة سيكون هذا للخارج ؟ .. إن الغالبية الغالبة للجنوب مسيحية و الإيمان بها يتضاعف تدريجيا (٤)

وحسب قول نشرة نبض العالم (World Puls) تشهد الكنيسة الأنجلكانية صحوة في جنوب السودان حتي أن بعض المطرانيات تضاعفت كنائسها ومنسوبوها مئات المرات مما قد يفسر بتجل إلهي ، وبلغة البشر فإن مرد ذلك للحرب وإصرار حكومة الخرطوم علي تحطيم الثقافة الإفريقية السوداء ومافيها من مكون مسيحي)(٥) ومهما يكن ، فإن القراءة للحضور الكنسي علي الساحة السودانية تقول الآتي :

بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية ، تقديرات الحضو ر الكاثوليكي :

الكنائس الثابتة	الكنائس العشوائية	المدارس والمعاهد	المراكز الصحية والاجتماعية	المنظمات الطوعية	الخبراء الأجانب
٨٧	١٣٩	١٤٦	٨٧	٢٩	في حدود ثلاثمائة

تقديرات الحضور الانجلكاني والبروتستانتى من كنائس ثابتة إلي عشوائية وروابط

كنيسة السودان الإنجلكانية	١٤٣
الكنيسة المشيخية الأمريكية	٢٨٦
كنيسة إفريقيا الداخلية	١٣
كنيسة السودان الداخلية	٣٥

كنائس لم يتم حصر تقديرات حضورها – وكلها متأثرة بالعهد القديم :

* شهود يهوه – أساسا الخرطوم – جوبا ، معسكرات النازحين
* السبتية – الخرطوم جوبا معسكرات النازحين
* الكنيسة الرسولية الجديدة – الخرطوم جوبا معسكرات النازحين
* الكنيسة الخمسينية – الخرطوم جوبا معسكرات النازحين
* جماعة الإنجيل الكامل – الخرطوم جوبا

بالإضافة إلي أن هناك ١٦٠ منظمة إغاثة تقوم بجمع التبرعات في أمريكا وأوربا للعمل المتعلق بالإغاثة في السودان وبعضها فروع لكنائس أمريكية واوربية ولكن لها حضورها الخاص والمتعلق بالإغاثة .

وتستعد كثير من الكنائس السودانية للاحتفال بالذكري المئوية لتأسيسها ويتوافق ذلك مع احتفالات الكنائس بإطلالة الألفية الثالثة ، علي ميلاد المسيح عليه السلام ، والمعروف أن الكنيسة السودانية المعاصرة مرت بثلاث موجات :

* الموجة الأولي جاءت في ظروف مشروع دولة الصفوة التركية المتمصرة (١٨٢١/١٨٨٥) والتي انحسرت تماما لمصلحة المشروع المهدي ١٨٨٥/١٨٩٨ .

* الموجة الثانية ، جاءت في ركاب الحكم الانجليزي / المصري ابتداء من عام ١٨٩٩م – وتعرضت هذه الموجة لامتحان كبير حينما وافق مجلس الوزراء السوداني في ٢٧ فبراير ١٩٦٤م علي :

أ/ إبعاد كل المبشرين والقساوسة الأجانب بالمديريات الجنوبية ، وذلك لمساهمة القساوسة الكبيرة في نشر عدم الاستقرار ، وانغماسهم في السياسة .

ب/ اتخاذ الإجراءات اللازمة للمساعدة في سودنة الكنيسة وذلك بمنح المساعدات للقساوسة السودانيين لتأهيلهم لمختلف الوظائف الدينية .

صُدم الفاتيكان بهذه الإجراءات الحاسمة السريعة من قبل دولة حديثة عهد بالاستقلال ، إذ لم يك واردا في تقديرات إدارة الفاتيكان أن تتجرأ دولة لايتجاوز عمرها الثماني سنوات علي تحدي الفاتيكان الذي ينظر إليه بوصفه قوة روحية ومادية تعادل وزن القوي العظمي ، وعلي ضراوة الحملة إلسياسية التي قادتها الكنيسة العالمية ضد السودان ، إلا أنه يبدو أن سلوك السلطة السودانية أسهم في تغيير عميق في نظرة ورؤي الكنيسة تجاه المجتمعات المسلمة وتجاه المجتمع السوداني خاصة .

وبرز ذلك في إعلان مجلس الفاتيكان الثاني عام ١٩٦٤م علي أهمية العلاقة مع الأديان الأخري حيث إن العالم متعدد الديانات .

أصبحت الكنيسة السودانية مناصرة للنظام العسكري بقيادة الرئيس جعفر نميري (١٩٧٣ – ١٩٨٣م) وقام مجلس الكنائس العالمي والإفريقي بدور مميز في الوصول لاتفاقية أديس للسلام عام ١٩٧٢م – كما أقام السودان علاقات دبلوماسية لأول مرة مع الفاتيكان ، حيث قدم سفير السودان صلاح هاشم أوراق اعتماده للبابا بولس السادس في أغسطس ١٩٧٢م كما عين الفاتيكان رئيس الأساقفة أو بالدوكالازبري قاصدا رسوليا في السودان .

عادت علاقات الكنيسة السودانية للتوتر والتأزم مع السلطة الوطنية مع إعلان قرارات تطبيق الشريعة الإسلامية ابتداء من سبتمبر ١٩٨٣م، وأرسل مجلس الكنائس العالمي وفدا للسودان لمناقشة قضية تقسيم الجنوب والشريعة ، كما رفع قادة الكنائس الكاثوليكية والأسقفية ومجلس الكنائس السوداني مذكرة للدولة مستنكرين تطبيق الشريعة ، بينما امتنعت الكنيسة القبطية الارثوذكسية عن التوقيع ، وابتداء من عام ١٩٨٥م وبعد سقوط الرئيس نميري ومجيء الديمقراطية الثالثة أخذت قيادة الكنيسة الكاثوليكية في السودان تتوسل للولايات المتحدة والغرب للامتناع عن تزويد السودان بالسلاح كما اجتهدت الكنيسة في الضغط لإلغاء الشريعة وإلغاء قانون الهيئات التبشيرية لعام ١٩٦٢م .

وفي يونيو ١٩٨٨م ، صدرت ثلاث توصيات في حق السودان من أصل توصيات سبعة عن العالم الإسلامي من مؤتمر قادة الكنيسة الانجلكانية العالمي المعروف بمؤتمر لامبث والذي يعقد كل عشر سنوات في كنتربري برعاية رئيس أساقفة الكنيسة الانجلكانية الانجليزية ، وتعلقت التوصية الأولي بما أسماه المؤتمر بظاهرة بروز الأصولية الإسلامية وما أدت إليه من خرق فاضح لحقوق الإنسان الأساسية ، وأن هذا الإسلام الأصولي مسئول عن ظاهرة تدمير الكنائس في نيجيريا والسودان ، وحثت التوصية الثانية حكومة السودان علي التفاوض مع المتمردين بواسطة طرف ثالث كمجلس الكنائس العالمي أو الإفريقي ، كما أبدت التوصية الثالثة قلقها المتزايد بشأن اتجاه حكومة السودان لإعادة تطبيق الشريعة الإسلامية وفرضها علي شعب السودان ، وحثت التوصية الحكومة علي إعادة النظر في قرارها حتي تحل محل الشريعة قوانين أكثر إنسانية في معاقبة المجرمين (٨) .

تابع بعض قادة الكنيسة الكاثوليكية السودانية الحملة الإعلامية العالمية المضادة لحكومة الانقاذ ، ووصموها بمباركة انتهاكات حقوق الإنسان وكذلك مباركة ممارسات الرق ، كما قاموا بإنشاء مجلس الكنائس السوداني الجديد في المناطق التي تشغلها قيادة الحركة الشعبية لتحرير السودان بقيادة المطران بريدي تعبان مطران توريت ، وأصبح المجلس واجهة سياسية دينية ومصدر تمويل للحركة ، وقد أشاد رئيس أساقفة كنتربري في زيارته لجنوب السودان بالمطران تعبان ورئاسته لمجلس الكنائس الجديد (٩) . وقد تواكبت زيارة د. كيري لجنوب السودان مع زيارة أخري قام بها وفد منظمة التضامن المسيحي العالمي برئاسة السيدة كوكس وأسقف كنيسة الابيض ، والمعروف أن الأخير أدلي بشهادته أمام الكونجرس بخصوص السودان في عام ١٩٩٠م والتي أكد فيها انتهاكات السودان لحقوق الإنسان وقيامه بممارسة التعذيب والرق ودعي لفرض العقوبات السياسية والاقتصادية .

وفي ديسمبر ٩٢ ونتيجة لقرار مقدم من أمريكا أدانت اللجنة الثالثة بالجمعية العامة للأمم المتحدة السودان بحجة انتهاكات حقوق الإنسان ، وأكدت اللجنة الثالثة قرارها مرة أخري في ديسمبر ٩٣ (١٠) كما تم تعيين كاسبرو بيرو مقررا لقضية حقوق الإنسان في السودان .

وأصبحت قضية حقوق الإنسان واجهة لقضية أكبر وهي قضية جنوب السودان بتعقيداتها ، وهي أعقد مشكلة يواجهها العالم العربي والإسلامي بعد قضية فلسطين ، وانتقلت قضية جنوب السودان إلي ردهات الكونجرس والساسة الأمريكيين - حيث انعقدت في ٥ ١ - ١٧ يناير ١٩٩٢ تحت رعاية الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر وفي مركز كارتر ندوة حول الصراعات القومية بقصد تعزيز دور الجهات غير الحكومية وكان من أهم الأوراق ورقة (فرانسيس دينق - السودان - والتي أشار فيها لمشكلة الجنوب / شمال مدخلاً لقضية علاقة الدين بالدولة والهوية العسكرية السودانية والديمقراطية مما يتطلب رؤية كلية وأعقب ذلك عقد ندوة واشنطن في ٢٢ اكتوبر ١٩٩٣ م تحت رعاية لجنة الشئون الإفريقية التابعة للكونجرس وبحضور هاري جونستون رئيس لجنة الشئون الإفريقية بالإضافة إلي د. جون قرنق ود. ريك مشار قائدي الفصيلين الأساسيين للتمرد ، ومع إن الندوة فشلت في توحيد فصائل الحركة الشعبية لتحرير السودان

إلا أنها نجحت في تسويق شعار تقرير المصير للجنوب ، وعلي خطي ندوة واشنطن قام رئيس أساقفة كنتربري بمقابلة قائدي حركة التمرد وقتها في نيروبي في يناير ١٩٩٤م .

لم يكن الفاتيكان بعيدا عما يجري ويدبر للسودان ، زار الموفد البابوي اوليمينا ابوستلوريد ed-limine A postolorun عام ٩٢ السودان للتمهيد لدور للفاتيكان وحينما طرح أمر قبول السودان لزيارة من البابا ، أصبح ذلك من أصعب الخيارات أمام البابا ، علما بأن البابا كان يتوق لزيارة السودان منذ السبعينيات ، ولكن أن يزور البابا سودان الأصولية الإسلامية وفي ظروف حرب أهلية من مكوناتها الدين ، وتعتقد الكنيسة أن المسيحيين هم الوقود الأساسي لهذه الحرب ، وحينما أعلنت الزيارة في ٢٢ ديسمبر ١٩٩٢ عبر الأب الفونس إيبنيك Al fons Eppink في مجلة The Tablet عن مخاوفه وآماله قائلا (هل ستستخدم الزيـارة من قبـل النظام الإسلامي الأصـولي ، أم أنها ستسـاعد علـي الحـوار وترفـع مـن روح المسـيحيين المضطهدين (٩) .

وصل البابا للخرطوم في ١٠ فبراير١٩٩٣م وامتدت زيارته لتسع ساعات حيث كان حذرا في خطابه ودعي للسلام والعدالة وحقوق الإنسان وتكلم ضد التمييـز علـي أساس العرق واللون والدين كما دعي للمصالحـة بين أطـراف الحـرب كما تلقي وعدا من حكومـة السـودان بالغـاء قانون الهيئات التبشيرية لعام ١٩٦٢م .

أسهمت زيارة البابا في تلطيف الخطاب الديني في السودان وتم الغاء قانون الهيئات التبشيرية في ٤ اكتوبر ١٩٩٤م ليحل محله الأمر المؤقت المعدل بتاريخ ٤ اكتوبر ١٩٩٤م المتعلق بتنظيم العمل الطوعي كما نظم مجلس الصداقة الشعبية العالمية مؤتمرا عالميا حول حوار الأديان في ٧/١٠/ ١٩٩٤م أسفر عن قيام جمعية حوار الأديان رافداً من روافد مجلس الصداقة الشعبية في ٢٨ ديسمبر ١٩٩٥م عقد أول لقاء بين وزير التخطيط الاجتماعي ورئيس الأساقفة الكاثوليك بالسودان المطران قبريال زبير واكو - والذي ذكر بأن الكنيسة لم تكن ولن تكون عدوا أو منافسا للحكومة وسياساتها ولانطلب سوي السماح لنا بنشر كلمة المسيح - نحن مواطنون شرفاء وملتزمون وحلفاء للحكومة في البحث عن ماهو حسن وحق .. ثم عدد مشاكل الكنيسة في السودان والمضايقات التي يتعرض لها مشروعها التعليمي في مناطق النازحين وكذلك الصعوبات التي تواجهها في ميدان الإغاثة والحركة وطالب بأن يراعي في التخطيط العمراني وجود كنائس علي مستوي الأحياء والقري والمدن الجديدة - مما عني جزئيا أن الكنيسة الكاثوليكية أخذت تفكر في وضعيتها في إطار السودان وتعدل في خطابها .

وبرز ذلك أيضا في الورقة التحضيرية للجنة الفاتيكان التي تحضر لاحتفالات الكنيسة الكاثوليكية بإطلالة الألفية الثالثة .

حيث دار المحور في إفريقيا حول المصالحة الوطنية مما يقتضي عرض شخصية المسيح في إطار اثني عشر موضوعا تتعلق بالسلام والخلاص والمخلص من العنف والمعبودات الزائفة ، الريح ، حب الذات ، الخوف ، المرض ، النفاق ، التعاسة .

وفي السودان تم تخصيص عا م ١٩٩٧م للإيمان وتجديده وتم تكوين لجنة خاصة للألفية الثالثة في كل مطرانية . كما سيتم التركيز علي قضيتي الحوار والتأصيل في السنوات المتبقية علي إطلالة الألفية ، كما بدأت التحضيرات كذلك من خلال مؤتمر الشباب الكاثوليكي في عام ٩٦ تحت شعار ١٩٩٧م - عام الإيمان لنا (١١) .

ولكن هذه الروح الإيجابية ، تفسدها أحيانا المعلومات غير الصحيحة التي ترد في الصحافة الكاثوليكية الرسمية علي غرار ماورد في ذات المصدر (إلي هذا اليوم ، وفي سودان أصولية الشيخ الترابي ، فإن السودانيين المشكوك في قراءتهم للإنجيل يتم قتلهم بالصلب (١٢) .

إن الإسلام والمسيحية من عند الله ويستمدان نورهما من مشكاة الإبراهيمية ويؤمنان باله واحد رحيم غفور ، يؤمن الجميع بقدرته و إحاطته والآيات القرآنية الواردة في صالح التفاهم بين المجموعات الدينية المختلفة ليست بالقليلة ولكن كثيرا مايساء فهمها لاختلاف التفاسير أحيانا ولأنه لايوجد متحدث واحد باسم المجتمع الإسلامي ، علما بأن الإسلام وحده هو الذي يؤمن برسالة كل دعاة الديانات التوحيدية ابراهيم وموسي وعيسي ، وواقع الأمر أن المجتمعات الإسلامية بوصفها مجتمعات ضعيفة في قوتها المادية مقارنة بالمجتمعات المسيحية ومجتمعات أقليات لها مصلحة في إشاعة الحوار وحقوق الإنسان والتمسك بالمواثيق الدولية ، كما أن المسلمين يحتاجون لتعريف غيرهم بالإسلام كدين توحيد وحب ونهضة وإخاء ، لأنه كثيرا ما أسيء فهم الإسلام ، وكثيرا ما أعطت بعض الجماعات الإسلامية المتعصبة صورة لاتعكس واقع مزاج ورأي الشارع الإسلامي العريض ، الحوار تواصل عقدي و فكري وثقافي وسياسي ، بقصد الوصول إلي أهداف مشتركة وعلي الصعيد الشخصي للوصول إلي أعماق ذات الشخص المعني وهو تواصل يقوم علي الاحترام وربما الصداقة والثقة بالآخر .

والحوار لايعني إبطال الدعوة بالنسبة للمسلمين وبذلك لايعني إبطال التبشير - لأن تبليغ الدعوة ، يعني وضعها أمام الناس وجعلها حاضرة بمزاياها ومحاسنها ، والحوار لايأتي وحده بمجرد إقراره ولكنه مهارة يجب تطويرها والعناية بها حتي تصبح ملكة ، والحوار يعني الاعتراف بوضع الكنيسة ، ولكنه كذلك يضع المجتمع السوداني المسلم أمام تحدي تحديد قيمة الكنيسة ودورها في مشاكل السودان - وأيهما أفضل للمجتمع المسلم النصراني أم الوثني ؟ ماهو دور الكنيسة في تعزيز التفاهم والوحدة الوطنية .

وبالنسبة للمجتمع السوداني فالمقصود بالحوار كل المجهودات الأيجابية والخيرة التي يمكن أن تحسّن التفاهم المشترك وتثريه إعمالا للعقل والمصالح ، وطاعة لله وتاكيدا لحرية البشر في تحديد خياراتهم واحترامها - والحوار يعني الاعتراف بالآخر والتعايش مع الآخر ، والحوار لايبطل الحق ولايعني تجاوز القانون .

كيف تقوم علاقات انسجام وتواصل متجاوزة للعلاقات التاريخية ومافيها من شكوك وخصام ومجابهة واضطهاد ، إن التوتر في العلاقات المسيحية والإسلامية موجود في معظم مناطق إفريقيا ويبدو أنه علي المسيحيين مراعاة أن الإسلام في إفريقيا هو الأصل وأنّه تبلور عقيدة وثقافة وقوة في المجتمعات الإفريقية ،

كما علي المسلمين أن يعترفوا بأن الموجة الأخيرة من المسيحية جاءت وستبقي وأن الكنيسة أصبحت واقعا وقوة لايستهان بها ولايمكن تجاوزها محلياً وإقليميا ، وعالميا ويجب ألا نبالغ في دور الدين في التوترات الموجودة بين الشمال والجنوب إذ في بعض العوائل السوانية يوجد المسيحي والمسلم والوثني في ظل انسجام طبيعي .

إن مايحتاج إليه السودان هو التركيز علي مساهمات الأديان في السلام والإخاء ومانحتاج إليه التعرف علي الدينين وعلي المجتمعين (الاسلامي - والمسيحي) . إن إحياء المسلمين لشريعتهم وثقافتهم ليس بالضرورة خصما علي الثقافة المسيحية وإن كان خصما علي الثقافة الاستعمارية ، إن علي الكنيسة في السودان واجباً كبيراً في الالتفات لرصيدها التبشيري وكيفية إدارة علاقاتها مع الدولة السودانية من منطلق تعزيز الوحدة وروابط الإخاء .

يفتقر السودان إلي التماسك الوطني والأمة المتجانسة والثقافة الواحدة ، وإن غلبت عليه الثقافة العربية الإسلامية - ماهو دور الكنيسة السودانية في مراعاة وحدة السودان الجغرافية - ومراعاة وحدة جبهته الداخلية ، وإشاعة الأمن والسلام والحريات - مقارنة بموقف الكنيسة في مصر من قضية سلامة الجبهة الداخلية والوحدة الوطنية ؟ إن الصفوة الكنسية مطالبة بطرح تصورها في ممارسة السياسة والحكم استنادا علي فهم الصفوة السودانية المسلمة للدين ومحاولاتها في إعادة صياغة الواقع السوداني مؤسسيا واجتماعيا وفق ذلك المفهوم كما علي المجتمع السوداني بشقيه الإسلامي / والمسيحي البحث في علاقة الحرب الدائرة بالجنوب بالديمقراطية وبالدين وبالعرف - هل حقيقة أن الكنيسة تملك تصورا مخالفا لواقع السودان ومستقبله وماهو هذا التصور - وعلي أي مقدمات فكرية وعقدية قام .

يمثل السودان إفريقية مصغرة ويؤهل حجم وتكوين البلاد لأن تقوم بدور فريد بين كل أجزاء القارة كما يعطيهم ذلك أرضية مشتركة للحوار بين ثقافات القارة وإذا فشل التوافق الإفريقي/ الإسلامي في السودان فذلك نذير بفشله في كل إفريقيا . والكنيسة في ذلك ليست رابحة بكل المقاييس . ذكر الأمبراطور هيلاسلاسي (أن وحدة السودان وصيانة حدوده مسألة قوية مهمة جدا بالنسبة لاثيوبيا .. نحن نقول هذا لأنه كلما كان البلد قويا كان أكثر قدرة علي تعزيز مصالحه القومية وتأسيس علاقات أخوية مع الدول المجاورة له ، وأن يشارك بصورة فعالة في توطيد الأمن والسلام (١٣) (لايوجد في السودان عرب أو أفارقة - بل يوجد خليط متجانس من العرب الأفارقة والأفارقة السود - نحن عرب وأفارقة) (١٤)

المصادر :

1- David B. Bareth , World Christian Encyclopedia , Oxford Un , Press . 1982 P. 638

2- World Pulse , Evangchical Mission service , Jane 7 1994 Vol . 29 1

3- World service - Friday July 24 1998 - World Relif is International assistance arm of the National Assoition of Evangelicals .

4- The Universe 9.1.94

وكذلك Catholic Herald 7.1.94 وكلها من Church Times , London 7 Jan 1994 كذلك

ومجمل الصحافة الكنيسة العالمية التي غطت زيارة رئيس الأساقفة لمناطق التمرد في جنوب السودان

5- World Pulse , Jan 7. 1994

٦- حسن مكي محمد أحمد - المشروع التنصيري في السودان ١٨٤٣ - ١٩٨٦م ، إصدارات المركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، ص ٩٦ - ٩٨

٧- المصدر السابق ص ١٢٤ ١٢٥

٨- المصدر السابق ص ١٢٨ - ١٢٩

9- Catholic Herald 7.1.94

١٠- انظر النشرة الخاصة من إصدارات وكالة السودان للأنباء ، عدد ١٢٨٧ بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٩٣م

11- The Jubillee imn the World http: 11 WWW. Vatican , Va/ انظر وثيقة الفاتيكان Jubille 2000 Magazine /ju - mag - 0105 1997

12- Igor Man , Jesus Christ , The figure of the innocent amid the horrors of Wars .

١٣- بونا ملوال ، السودان رابطة بين إفريقيا العربية وإفريقيا غير العربية ، وزارة الثقافة والإعلام الخرطوم ، ص ٣ - ٤

١٤- ذات المصدر

WORLD PULSE®

Evangelical Missions Information Service — January 7, 1994 — Vol. 29, No. 1

Revival in southern Sudan

Thousands coming to Christ despite hunger, persecution

By Susan Bergman De Vries
Pulse correspondent

In one Anglican diocese of nine stagnant churches in southern Sudan, nothing much had happened for many years. There was no growth, and the pastors were depressed.



But in the 10 years since the civil war began, that same diocese has grown to over 300 congregations, many of them with more than 500 people. These are vibrant rural churches, 50 percent led by women, 50 percent by illiterate pastors. And the bishop is kept busy trekking from place to place on foot, baptizing the hundreds who have already declared themselves Christians. The pastors would tell you it is not their own doing—God has done it.

Among the hard-pressed people of southern Sudan, and particularly the Dinka tribes who had been so resistant until now, an immense new people movement perhaps equal in scope to the East African Revival of the '50s and '60s is occurring. The movement is not confined to the Anglicans. Presbyterians are growing as well; one pastor baptized 9,000 last year. According to Andrew Wheeler, Church Missionary Society missionary to Sudan, whole clans and communities are experiencing the power of God through faith in Jesus.

"God has come amongst them," says Wheeler, who is assigned to the New Sudan Council of Churches doing training of Bible school teachers, "and they seem to have a near tangible sense of the presence of God and his power to protect them."

Humanly speaking, the revival seems to be influenced by the horrific destruction and loss of life due to the war with Khartoum as well as the internecine fighting among the southern rebel forces. The avowed intention of the Khartoum government (Arabic and Muslim culturally) is to destroy the southern black African culture, and Christianity is part of that. In this hostility, the old gods, the old ways are no longer seen as adequate. Islam is being viewed as an enslaving religion.

It is not so much a time of individual decisions as a shift of identity, a people movement, and a power encounter, Wheeler says. This is apparent in the many changes in everyday behavior. Ordinary meals are now served with songs of praise. People pass through

Continued on page 2

Sudan continued from page 1

the churches daily for five minutes of meditation, praying silently with palms turned toward heaven. Even in the camps, churches are springing up and people are using the time to create art depicting biblical stories of deliverance, making banners, painting with different colors of mud on the plaster walls of their simple churches.

Wheeler points to the example of Pastor Rubin, who was assigned only two illiterate older men to train and help him in the Anglican churches in the Diakwe area in 1986. He had no resources to call upon except the Lord: no Bibles, no buildings, no vehicles, no funds. He started a Bible school for those two men, in a couple of mud huts they built themselves.

Today he has over 200 men and women attending that same Bible school. These are not young people hoping to become pastors and assigned to a church someday, but older, respected leaders of already established, growing church congregations. They don't need evangelists, Wheeler says. What they need are Bible and theological teachers willing to work with nothing, in very harsh conditions.

There has been an explosion of indigenous hymn writing, Wheeler says.

Church affiliation	No. of congregations	Total membership	No. affiliated
Episcopal Church of Sudan	143	360,000	1,000,000
Presbyterian Church in Sudan	[illegible]	40,000	100,000
Africa Inland Church	13	3,000	[illegible]
Sudan Interior Church	36	1,864	8,000
All other (8)	80	12,106	[illegible]
Denominations (13)	[illegible]	[illegible]	[illegible]
Evangelicals		249,700	[illegible]
Pentecostal/charismatic		[illegible]	110,000

"Sudan's leaders proudly boast that they are the leaders of the Islamic Revolution in Africa. In fact, an Arab minority have used this as a tool to strengthen their personal control of the economy and political power. The tragic cost is a million dead, an economy devastated, and a country divided. Suffering and disruption of lives appear unending."

Source: Operation World

Over 2,000 of them are circulating, and a new hymnal of 800 is being printed in Nairobi. These heretofore unwritten hymns have become the basis for many sermons, since Bibles, Books of Common Prayer, and old hymnals are non-existent in most Anglican churches.

According to Wheeler, many church sanctuaries are being added onto or built from scratch. Often they are grass-thatched buildings that can seat 500. Many are cruciform; in fact, there is a newly recognized significance to the symbol of the cross. Women church workers and choir members sew large cloth crosses onto their uniforms. People carry large, slender stick-crosses, as tall as 15 feet, to and from church in processionals. They proclaim themselves to be living under the protection of the cross.

There is also a new trust in the efficacy of prayer, Wheeler notes. People are praying for their cattle, which are essential for their physical survival. They are praying for healing, since there are no drugs or doctors. They are praying for barren women, since so many of their children are dying of malnutrition.

The people of southern Sudan are taking possession of a faith that was offered them for many years. But now it is proving itself big enough for their enormous needs. ∎

Carey defies Muslims to carry message of peace to Sudan

BY LUCY LETHBRIDGE

CATHOLIC AID AGENCIES have welcomed the controversial visit last week by the Archbishop of Canterbury to Christians in southern Sudan, but have warned that the diplomatic row provoked by the trip may expose Sudan's Christian community to further persecution.

Neville Kyrke-Smith of Aid to the Church in Need said this week that "There is a danger that some of the Archbishop's comments show a surface view of the situation and this can invoke more violence and persecution".

But Mr Kyrke-Smith went on to urge the Government not to be "tricked into inaction out of fear of making the situation worse."

A spokesman for CAFOD said they hoped the visit would "prompt the world community to take more concrete action to help bring about the end of the war".

Dr Carey, who was on a four-day trip to the region, defied the fundamentalist Islamic regime in Khartoum to carry a message of peace and support to Christians living in the rebel-held regions of the south. His visit led to the expulsion, by the Sudanese military regime, of Britain's envoy in Khartoum.

"The message of Christ is that your agony, your fears and your tears are known to God" the Archbishop told a cheering crowd of thousands of Christians in the Aswa in Nimule refugee camp - home to 27,000 people displaced by Sudan's decade-long civil war.

"I want you know that we are with you today in this suffering land. What hurts you as a Christian hurts us as well," the Archbishop went on.

However, after the Archbishop's meeting in Nairobi with the rival leaders of the two rebel factions, his Sudan visit was called, by one of the rebel leaders, "a two-edged sword".

Colonel John Garang, leader of the mainstream SPLA faction, said Dr Carey's presence in the south had given hope to Christians there, but it might well spark an armed military response from the government.

"Khartoum is preparing for a major dry-season offensive" said Col Garang.

The expulsion of British Ambassador Peter Streams came after Dr Carey declined to visit Khartoum as a guest of the military junta. In a BBC Radio interview from Nairobi Dr Carey described the expulsion of Mr Streams as "totally over the top".

The row follows months of hostile exchanges between Khartoum and London. Britain has insistently drawn attention to violations of human rights in Sudan and earlier this year an Anglican bishop, the Rt Rev Peter Elbersh, was publicly flogged for alleged adultery.

Catholic Herald 7/1/94

that I am not now to visit the north'

Dr Carey rejects 'constraints' on his Sudanese visit

THE ARCHBISHOP of Canterbury, Dr Carey, is shortening his stay in the Sudan and has cancelled his visit to the north of the country after a bid by the Sudanese Government to control his programme there.

Dr Carey, with his wife, Eileen, and Canon Roger Symon, his Secretary for Anglican Communion Affairs, was flying via Nairobi to the rebel-held and mainly Christian south of Sudan on Wednesday night. But instead of going on as planned to Khartoum (the Sudanese capital, in the country's largely Muslim north), the party was to return to Nairobi after three days in the south, and fly home on 4 January, curtailing the Sudanese visit by two days.

Lambeth Palace issued a statement on Wednesday which said that Dr Carey was invited to Sudan by the Episcopal Church, and, with the agreement of Government representatives, plans were made for him and Mrs Carey to travel round the country as the Church's guests, his invariable practice on overseas visits. The statement went on: "The Government of Sudan has, however, now invited the Archbishop to go strictly as an official guest of the Government, with consequent constraints on his programme. The Archbishop has reluctantly decided not to proceed with the visit on that basis."

Dr Carey said before he left: "It is a matter of great regret and concern to me that I am not now to visit the Northern Sudan as I had hoped. I had intended to meet the Christian community in and around Khartoum, to visit the Nuba Mountains, and to worship with fellow Christians in Juba, the historic heart of the Episcopal Church and seat of the Archbishop of Sudan. I had also hoped to meet leaders of the Government, and to discuss interfaith and humanitarian matters in Sudan."

Dr Carey is a long-standing critic of the harsh treatment of Christians in Sudan. Of the flogging of the Anglican Bishop Peter el-Birish, given 80 lashes for alleged adultery last July, he said: "If the bishop was innocent it was a particularly barbaric and humiliating treatment." He had been hoping to see Bishop el-Birish in Khartoum.

A Foreign Office spokesman said the decision on the journey was a matter for Lambeth.

Parents held neglectful

HUNDREDS of young people who met the Archbishop over the last twelve months had "a deep spiritual thirst", but they did not know the stories of Jesus and had never been taught the Lord's Prayer. "The lack of these leaves them rootless and impoverished. It is a challenge for us to face as a Church and in our families," Dr Carey said in his Christmas Day sermon in Canterbury Cathedral. Looking to 1994 as the Year of the Family, he took family life as his theme.

"Society can do its part in educating children, healing them when they are sick, ensuring that they have a roof over their heads and food to eat. But this is on the understanding that parents are fulfilling their responsibilities. If they do not, the relationship breaks down. "To insist that rights and responsibilities go together is not to be a killjoy. It is to state a fundamental truth of human existence. If I have a right to have children, then I also have a duty to bring them up as good citizens. It is also a duty to attend to their spiritual needs, so that they can grow up to know and love God. How sad it is that so many parents are neglecting this part of their children's upbringing."

Church Times – London 31 December 1993

CHURCH

No. 6830 LONDON 7 JANUARY 1994

Church Times 7 January 1994

'Impressed by their courage, depressed by the overwhelming odds against them'

Sudan journey may have helped peace quest — Dr Carey

by Betty Saunders

THE ARCHBISHOP of Canterbury, Dr Carey, returned home from southern Sudan early on Tuesday after what he called "the longest four days of my life", hoping his visit would draw attention to the plight of "an apostolic Church" which felt forgotten by the rest of the world.

Dr Carey had shortened his visit to Sudan as the guest of the Episcopal Church there by refusing to go to the north of the country as the guest of the largely Muslim Government; and at a Lambeth Palace press conference, he spoke about the repercussions of his decision to limit his visit to the mainly Christian south. Of the expulsion of the British Ambassador, Peter Streams, he said: "I don't think my decision was anything more than a last straw." And if there were reprisals against Christians? "I would regret it very much, because it would again be the most vulnerable who would suffer." In a statement issued on his return, Dr Carey, who was accompanied in Sudan by his wife, Eileen, and his Secretary for Anglican Communion Affairs, Canon Roger Symon, said they were "impressed by the courage of the people, enriched by their faith, and depressed by the overwhelming odds which are leading them to death by famine and war".

The statement continued: "First, what has been achieved? I went primarily as a spiritual leader to my sister Church in the Sudan. Because of the separation of south from north, the Archbishop of Juba is unable to visit his flock in the south. Indeed, he has not been able to do so since he took up office in 1986.

"To many people there who feel the world-wide Church does not care, our presence was a great encouragement; to those who feel abandoned by the international community, the many dedicated bishops and clergy who soldier on without salary and support, my visit brought fresh hope. Finally, it has succeeded in bringing very widespread media interest to the appalling problems of the Sudan, and that in itself is a source of hope.

"Second, what impressions have I formed? The main one is of a suffering people who after 30 years of war are calling out for help." After paying tribute to the 37 relief organisations in Sudan, the statement continued: "It is good to see the ecumenical co-operation of the Churches as they combine in common witness and service. The network of Churches is the only viable structure left in southern Sudan. There is no health service, no co-ordinated educational service, no other social structure worth speaking of — but the Churches are there, doing a splendid job. The large majority of the south is Christian, and the faith is multiplying rapidly. There is great fear that victory by Government forces will lead to the imposition of Sharia law and the eradication of the Christian faith.

"Thirdly, what about the future? I pray that the interest aroused by my visit will lend impetus to the search for peace. I believe that the international community needs to bend its mind to the search for a peaceful settlement with greater energy and imagination."

Later, Dr Carey said that what the Sudanese Church wanted from the West was educational and material help. Canon Symon said one reason why the Church in Sudan felt neglected was "because of the knowledge of enormous resources being put in by Iran to support the Islamic Government."

In an article in *The Times* the next day, Wednesday, Dr Carey wrote: "I appeal to people in Britain to strengthen yet further their commitment, in prayer and practical support."



Thatcher puts off her visit to Sudan

By Nicholas Beeston

The Prime Minister yesterday postponed a planned visit to Sudan because of the political crisis in Khartoum which has engulfed Mr Sadiq al-Mahdi's Government.

Mrs Thatcher had planned to visit Sudan at the end of her trip to Africa next month, but she called off the visit after threats by the military to take over the country and the resignation of Mr al-Mahdi's Government at the weekend.

A Downing Street spokesman said that Mrs Thatcher had sent a message to Mr al-Mahdi announcing the postponement. He said that because of the uncertain political situation her visit would not be productive nor welcome at the moment.

The Prime Minister sets off on March 27 for Morocco, followed by a short stop-over in Nigeria and then two-day visits to Zimbabwe and Malawi before returning home.

Under intense pressure to end the war in the South, Mr al-Mahdi yesterday began talks with political parties to form a new coalition Government.

Officials said he was expected to visit Tripoli this week.

However, in the South the fighting showed no signs of abating and aid officials reported that 30,000 Sudanese refugees had crossed into Uganda since Friday to escape a rebel offensive.

● WASHINGTON: A US delegation heading for a conference on emergency relief for Sudan pledged yesterday to press the Khartoum Government to allow supplies to reach famine victims before the May rains begin (Reuter reports).

Mrs Julia Taft, leader of the delegation, said in a statement: "We are very interested that this conference not be one of empty platitudes — there are too many lives at stake."

Christians defy ordeal in Sudan – Dr Carey

By Robert Nowell

THE number of Sudanese Christians is growing despite persecution from an Islamic government, the Archbishop of Canterbury Dr George Carey said at the end of his four-day trip to southern Sudan.

He praised the ecumenical co-operation in the war-torn country, saying: "The network of churches is the only viable social structure left in southern Sudan."

The archbishop had high praise too for the Catholic Bishop Taban of Torit, chairman of the New Sudan Council of Churches, and said the basic realities of life and death had brought the churches together.

He rejected suggestions that his refusal to visit the North as the guest of the Sudanese government had been provocative.

"If I were to go there as a guest of a government which is at war with the Christian South, what kind of symbol is that sending out?" he asked.

"The large majority of the South is Christian, and the faith is multiplying rapidly," he said.

"There is great fear that victory by the government forces will lead to the imposition of sharia law and the eradication of the Christian faith."

But he remained committed to improving mutual understanding and dialogue between the different faiths both in the Sudan and elsewhere.

He hoped reasonable Muslims would not see him as a threat or as a foe.

"I believe with Professor Hans Küng that religions have a vital role to play in getting a secure world peace," he said.

The archbishop's visit won praise from CAFOD which said: "We are very pleased with the international attention that Dr Carey's visit has drawn to the suffering in south Sudan.

"Countless people have died and more than two million have been displaced from their homes by a war which has been going on for more than 10 years, largely unnoticed by the rest of the world."

But the growing diplomatic row between Britain and Sudan has also brought problems, according to Christian Aid.

It warned this week: "We are concerned that expelling Sudan's ambassador to Britain, whatever the rights and wrongs of the diplomatic argument, could lead to further limitations on the already restricted access which aid agencies have to those in need."



Dr George Carey – praise for churches in Sudan

The Universe 9/1/92

التعقيب

عقب علي الورقة الأولي

(١) أستاذ/ ســـــــعد فلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي رسول الله صلي الله عليه وسلم وبعد .

سرني كثيرا أن أتتلمذ علي أساتذة أفاضل في هذه الحلقة الدراسية التي تتميز بميزات لم تتوافر في كثير من الحلقات المشابهة ، ومن هذه الميزات ميزة الزمان والمكان والأداء فالمكان السودان وما أدراك ما السودان ثقافة وعلما وأصالة .

وتقام في زمان تكالبت فيه علينا أمم شتي ، هدفها القضاء علي هذا الدين ، والحيلولة بينه وبين من وجدوا فيه الخير والسعادة .

وميزة الأداء تتمثل في أنها تقام في قلعة علمية متخصصة – وتدار من أساتذة ضليعين في الثقافة بمفهومها العام – وفي هذا الموضوع علي وجه الخصوص أساتذة كرسوا جهدهم ووعيهم وفكرهم لدراسة هذه القضية التي تلح علينا لنتعرف علي خباياها وقضاياها ، ومن ثم نعد العدة ونقيم الحجج المنطقية الواقعية لمجابهة من يريدون بنا سوءا .

أستاذنا الدكتور عبدالرحيم علي تناول زيارة البابا للسودان بكلام واضح موثق ولكن يلاحظ أن عدم وجود الورقة مكتوبة وتداولها جعلنا نضغط علي تفكيرنا حتي نلمّ بكل ما أورده وهذا موقف صعب علي ، فقد حاولت أن ألاحقه فيما أحـــاطنا به من معلومات قيمة أفدت منها كثيـــرا ، ولكنـــي أريد أن أعرج قليلا علي زيارة أكبر مســـئول في المسيـــحية الكاثوليكية لإفريقيا بصـفة عامة ، ولشرقها بصفة خاصة وللسودان بصفة أخص .

كنت ممن عاصروا زيارة البابا لغرب إفريقيا لنيجيريا ، ولشرقها وليوغندا وسمعت عن زيارته لهذا البلد الحبيب – وتتبعت – قدر جهدي – نتائج هذه الزيارة وتأثيرها علي الجانب المسلم من الشرائح الاجتماعية ، كما كنت محظوظا حين بقيت فترة في دولة جنوب إفريقيا – وأعرف أن الكثيرين ممن يقودون العمل الديني في هذه الدولة يكنون عداء للإسلام وللعروبة ، وأذكر لكم مثلا :–

اتهم السودان في سنوات قريبة بأنه يتبني و يشجع الرق ، وجاءوا بصور لطائرات تحمل أطفالا من شمال يوغندا وأدعوا بأنها تنقلهم إلي السودان ، كما أن هناك حملة في أعلي منبر علمي في كينيا من أساتذة أكاديميين يشنون حملة علي صفحات الجرائد وفي وسائل الإعلام المختلفة خلال السنوات القليلة الماضية علي الإسلام والعروبة ويشيعون أن الإسلام هو الذي اخترع الرق وهو الذي تبناه ، وهو الذي نشره في العالم . وأذكر لكم مثالا علي التعصب الأعمي ضد العروبة وضد الإسلام :

كانت هناك محاولة لفرض اللغة السواحيلية لتصبح لغة رسمية في يوغندا فظهرت الصحف في اليوم التالي وبأقلام معروفة تذكر أن هذه اللغة تحوي أكثر من ٣٠٪ من لغة مستعمر بغيض لنا ولا نكن له

ســـوي الاحتقـــار والكراهيــة ويعنــون بها اللغــة العربيــة لأن اللغـــة الســواحيلية بها الكثــير من مفردات اللغة العربية .

عرج أستاذنا الفاضل الدكتور عبدالرحيم علي تشويه المنصرين للإسلام في جنوب السودان وانتشاره متهمين السلطات بأنها تقوم بالضغط علي المواطنين لنشر الدين الإسلامي بينهم .

وأريد – أولا – أن أضع تساؤلا – هل هناك تواصل حضاري بين شمال نهر النيـل وجنوبه ووسطه ؟ أم أن هناك أسوارا جديدة منعت التواصل خلال القرون الماضية ليعتبروا أن من يقولون إن الإسلام دخل يوغندا في القرن الثامن عشر يزيفون التاريخ ؟ ومن غير شك فإن هناك تواصلا حضاريا واجتماعيا وثقافيا بين شمال نهر النيل ووسطه وجنوبه وبالتالي فإني أجزم بأن الإسلام قد انتشر منذ مئات السنين ، إن لم أقل في القرون الأولي لانتشار الدعوة الإسلامية ، ولكنها محاولة لإثبات حقيقة مفادها أن المسيحية انتشرت قبل الإسلام وأن لها فضل السبق ، وبالتالي فإن علي الإسلام أن يخرج من إفريقيا ، وأن يتقوقع في داخله وأن يعود إلي مصدره الأول ، وهذا مايريدون .

عرج أستاذنا إلي سودنة الوظائف الكنسية وهذا ليس غريبا في دولة يسعي أهلها إلي التعايش السلمي ، والتسامح ويسعون إلي بسط السلام في العلاقات بين معتنقي الأديان ، وهذا لايستحق أن نقف عنده لأنه يعتبر من قبيل تحصيل الحاصل ، لأن الجميع ومن ضمنهم أعداء الإسلام يعرفون موقف الإسلام من التعايش السلمي الاجتماعي وحمايته لكل الطبقات ، مهما اختلفت مشاربها ودياناتها .

إن من يقول بالحوار بين الأديان والتسامح بينها وبالتعايش السلمي فقوله هذه يعتبر أمنية نتمني لها أن تتحقق في أرض الواقع لأن ديننا يدعو إلي التسامح ، ويدعونا إلي التعايش السلمي ، ولكن إلي حد لايمكن تجاوزه ، فلنقرأ قول الله تعالي في سورة المائدة ، « وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يعذبهم ببعض ذنوبهم » فإذا ماحاول أعداء الإسلام المساس بعقيدتنا وتشويهها والنيل منها فيجب علينا أن نوضح الصورة وأن نزيل اللبس وأن نقف في وجه من يمس ديننا لتشويهه وقلب الحقائق وهذا واجب ديني علي كل مسلم وهو لايتعارض إطلاقا مع التسامح ومع التعايش السلمي ومع التوافق .

عرض أستاذنا الفاضل إلي نتائج زيارات البابا وموقف المسلمين منها وموقف المسيحيين ، أو موقف البعض من الطرفين إذ أن كلا له وجهة نظر .

موقف المسيحيين يتلخص في أن هذه الزيارة تعطي دعما للنظام في السودان ، وتعطيه شرعية ، ولكننا نقول إن النظام في السودان لايحتاج إلي شرعية من إنسان يكن للإسلام عداء فالشرعية في الدول العربية والدول الإسلامية يعطيها أهل البلد ، أما أن هناك إنسانا جاء لتحقيق مآرب أخري فاعتقد أن زيارته لاتزيد الأنظمة قوة أو ضعفا .

أما موقف المسلمين الذين شككوا في نتائج هذه الزيارة لأنها ستؤدي إلي الإضرار بالمسلمين فهو موقف اعتقد أيضا أنه مبالغ فيه إلي حد كبير ، فنحن نثق في ديننا وفي ثقافتنا وفي مخزوننا الحضاري وبالتالي

لانخشي من أي إنسان يطرح أفكارا معارضة للدين الإسلامي بشرط أن نوضح الرأي والموقف الإسلامي الصحيح ، ونتسلح بالرد الصادق ونجادل بالحجة والبرهان وبالدليل القاطع

إن ماتعرض له الاستاذ الدكتور في نتائج هذه الزيارات وفي الأنشطة التي يقوم بها المنصرون والذين يعتبرون أن من حقهم الوصول إلي أي بقعة لنشر أفكارهم سواء كان المواطنون مسيحيين أو غير مسيحيين وأنا أريد أن أؤكد أنهم يستعملون أساليب فيها الكثير من الغرابة إذ يمزجون السياسة بالاجتماع وبالثقافة وكل ذلك في إطار مالديهم من قوة مادية كبيرة .

نحن نتعامل بكل ديمقراطية في التدافع الحضاري والتدافع الديني والتدافع الثقافي وحرية الأديان وحرية التعبير عن الفكر ، ونحن نعلم جميعا وأنتم أساتذتنا بأن الإسلام أباح الدفاع عن النفس وأباح القتال للمسلمين حينما حوصروا دينيا (فالفتنة أشد من القتل) فإذا حاول المنصرون أو بعض المنصرين من أعداء الإسلام الذين يقلبون الحقائق ويشوهون الإسلام تغيير واقع المسلمين أو واقع الإسلام بإثارة الشكوك لدي المسلم وخاصة العامة من المسلمين ، فمن حقنا أن ندافع عن أنفسنا وأن نوضح الحقيقة وأن نوضح موقف ديننا في كل القضايا وهذا لايعد تعصبًا ولا يعد موقفا عدائيا ، بل يعد انفتاحا ، ومنتهي الديمقراطية أن نعطي الفرصة للآخرين .

ونرجو أن نوفق في هذه الندوة في إظهار الحق وفي الدفاع عن الدين متي ماحصل مساس به ومتي ماحصل تشكيك في مصداقيته وأشكركم على سعة صدركم .

(٢) الأستاذ حامد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام علي خاتم الأنبياء وإمام المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

وبادىء ذي بدء أشكر للإخوة في الجماهيرية العربية مشاركتهم الإيجابية في كل قضايا الدعوة والأصالة التي تتعلق بالمسلمين وتتعلق بقضايا الهوية والعروبة والإسلام في إفريقيا كما أشكر جامعة إفريقيا العالمية علي الدور الإيجابي الذي تقوم به في هذا المجال وهي جامعة متخصصة منفعلة بهذا الهم ، فقد قامت بدور فاعل في قيادة العمل الدعوي الإسلامي في إفريقيا مما لفت إليها أنظار دوائر الاستكبار الصليبية في العالم . أما عن مفردات الورقتين إن صح لى أن أتحدث فيهما - فلا أريد التعرض لزيارة البابا لأن الحديث عنها يعتبر متأخرا عن وقته ، وإن كان لنا فيه كثير من المآخذ والسلبيات حتي في أصل الزيارة نفسها لاسيما وإننا نعيش في دولة تأصيل والثورة تتبني الطرح الإسلامي ، والمشروع الحضاري الإسلامي ومجيء البابا نعتقد أن فيه كثيرا من التنازلات ، ولم يخدم غرضا كبيرا في الجانب الإيجابي لمسيرتنا التأصيلية الحضارية .

في ورقة الأخ حسن مكي وهذا ما كنت أنفعل به كثيرا مشكلة الجنوب ، وكلنا في الحقيقة يعلم أن مشكلة الجنوب مشكلة أستعمارية قديمة وضعت بخبث ودهاء وحنكة لتكون شوكة في خاصرة الأمة السودانية

تقعدها عن التطور والتمدد نحو الإسلام والعروبة وأن تكون مطية للتدخل الصليبي متي ما أراد ذلك الاستكبار والاستعمار الحديث .

أعطي الاستعمار الجنوب بكامله للكنيسة في قضايا التعليم وفي قضايا الصحة وفي القضايا الإنسانية كلها ، وقد استمرت هيمنة الكنيسة علي الجنوب قرابة الخمسة والعشرين عاما وهذا أمر بدأ التململ منه والتحرك ضده في فترة حكم الفريق عبود وبدأت بعض الأطروحات الإسلامية من جانب الدولة ، ولكن كل ما يطرح من قبل الدولة قد لايكتب له النجاح كثيرا إذا لم تقم بتبنّيه جهات دعوية خيرية ويسنده عمق إنساني وبشري ولذلك فإن الاصلاحات التي طرحها الفريق عبود من منظور إسلامي لمعالجة التمرد الكنسي كان من آثارها قانون الهيئات التبشيرية ولائحته لسنة ١٩٦٢ وكانت هناك محاولات لبناء مؤسسات إسلامية كالمساجد والخلاوي ودعم بعض المبشرين والعلماء لنشر الدعوة الإسلامية في الجنوب ولكن الأثر كان ضعيفا ، وبعد انتهاء عهد الفريق عبود أسلمت الأحزاب الجنوب للكنائس مرة أخري .

والآن يواجهنا في فترة الانقاذ التحدي الحقيقي والأخطر وهو إلغاء قانون الهيئات التبشيرية وتمدد المسيحية شمالا وفرض واقع خطر علي الأكثرية المسلمة في العمق الإسلامي واستغلال مادة الحرية الموجودة في الدستور أوسع استغلال فكان هذا هو الخطر الذي نواجهه الآن وقد تحدث الاخ الدكتور حسن مكي عن موضوع الكنائس العشوائية وفرض الأمر الواقع كقيام الكنائس في كل مكان والمحاصرة بقوانين حقوق الإنسان وحرية التبشير والدعوة وكل هذه الأشياء تمثل تحديات واختراقات وتشوهات في جسم الأمة السودانية ونحن الآن نواجه هذا الهم وقد كان الهم الكنسي والحديث عن الامور التي تتعلق بالكنائس يعتبر شيئا سريا وكانت مناقشته محظورة إلا في أماكن محدودة والآن نشكر لإخواننا في الجماهيرية وجامعة إفريقيا هذا الطرح الشجاع وإبراز هذه القضية إلي السطح ومناقشتها على هذا المستوي الرفيع ولأول مرة نحس بأن هناك استراتيجية لمواجهة هذا الخطر الذي كنا نتحاشي الحديث فيه وتحديد الداء وبدء العمل لمواجهته .

وأري أنه من أخطر الأشياء التي نجابهها الآن في قضايا حوار الأديان ، إننا نحاور سياسيين في المقام الأول ومن ورائهم عقل وفكر صليبي كنسي وأن السياسيين كلما قبضوا مكسبا باليمين طلبوا مكسبا باليسار وأن مجاورنا في الشمال دائما شأنه التراجع ، فأعطيناهم قانون الهيئات التبشيرية ليذبحوه قربانا علي مائدة السلام والوحدة ، ولم يكتفوا بذلك بل يطالبوننا الآن بالتبشير في العمق وبالخروج في المواكب في أعياد الميلاد ويطالبون الآن بكثير من الأشياء التي تعتبر تراجعا ومأخذاً علي المشروع الإسلامي في السودان .

ولذلك نحن نعقد الآمال علي مثل هذه الندوات لتبحث وتضع استراتيجية محددة للعمل الإسلامي الذي يحصّن مجتمع المسلمين أولا و أن يمد جسور الدعوة ثانيا وأن يخرج من حوار السياسيين إلي حوار العلماء لأنه ليس جديدا علي المسيحية أن تتعامل مع الإسلام فهناك مسيحية في الشام لاتنكر الإسلام ولا تعاديه وهناك مسيحية في فلسطين لاتنكر الإسلام ولا تعاديه وحتي الكنيسة القبطية في السودان إن لم

يخترقها مجتمع الكنائس الموجود الآن فإنها تسير علي النمط الشرقي الذي لايحمل كرها ولاحقدا ولا صليبية وبالتالي فنحن نعقد علي مثل هذه الندوات الآمال ونحن في أمانة الذكر والذاكرين وهي جهاز دعوي – ننفعل بالهم الدعوي ونسعي إلي رقي العلاقات الاجتماعية والأخوية والحوار المتكافيء بين الأديان والبعد عن التسييس والخداع والمكر وتسجيل نقاط انتصار بالنسبة للخصم وفرض الأمر الواقع بالنسبة للمسلمين ، واستفزازات الأكثرية المسلمة في عقر دارها وقيام الكنائس العشوائية وهذه أشياء يجب أن نفطن إليها وأن نعمل علي تحجيمها ، لاسيما وأن المسيحية تتخذ سلاح العمل الطوعي الإنساني في مجتمع فقير كمجتمعنا ونحن الآن نحتاج لأدني الحاجات الإنسانية ، فمثلا في بنغلاديش وفي بعض الدول الآسيوية الأخري تتم حركة الارتداد والتنصير لبعض المسلمين الفقراء عن طريق الإغراءات وعن طريق العمل الإنساني وعن طريق تمليك وسائل الإنتاج فهذه هي التحديات الحقيقية التي ينبغي أن يناقشها المسلمون قبل أن يتحدثوا عن القوانين التي تحدّ من العمل التنصيري والكنسي وأقول لكم إننا نعقد آمالا عراضا ونتمني لإخوتنا في الجماهيرية أن يسيروا نحو إفريقيا لأن الكنيسة تراهن علي أن عام الفين سيكون حدا فاصلا بينها وبين الإسلام في إفريقيا وذلك بالإذاعة والتلفزيون والخدمات الإنسانية والخدمات الاجتماعية وأنها قد أعدت العدة لذلك مستعينة بكل تلك الوسائل ونحن لازلنا في خطط عقيمة ووسائل متخلفة وإنسان لا يعرف أولويات العمل الدعوي الذي يجب أن يقوم به . شكرا لكم سادتي جميعا وشكرا أيضا لاتاحتكم لي هذه السانحة الطيبة ونرجو لكم التوفيق والسداد والسلام وعليكم ورحمة الله وبركاته .

رئيس الجلسة :

الأن نبدأ الحوار العام مباشرة مع كل الذين يمكن أن نتحاور معهم والآن معنا السيد أبورجائي سفير دولة فلسطين وإذا كنا نتحدث عن هجمة كنسية فإنه ولابد سيحدثنا عن هجمة صهيونية وأن يقابل بين هذا وذاك ويقابل بين دور المسيحيين الذين يقفون معهم مع دور المسيحيين الذين يقفون ضد الأمة العربية والإسلام

(٣) الاستاذ أبورجائي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين

إنني حقيقة – لأريد أن اتحدث عن الهجمة الصهيونية وإنما أريد أن أتحدث عن الكليات في الهجمة علي الإسلام والمسلمين والتي تعتبر الصهيونية جزئية من هذه الكليات الكبري .

فقبل مجيء الإسلام كان الصراع بين المجوسية والمسيحية ويمثل الأولي الدولة الساسانية والفرس في الشرق ويمثل الثانية الدولة البيزنطية في الغرب . وعندما جاء الإسلام أصبح الصراع بين الشرق والغرب وهو صراع حضارات بين الإسلام والمسيحية وهذا كلام ثابت تاريخيا وعلي مدي عمر الإسلام ، لم يهدأ الصراع ولم يتوقف وإن تعددت صوره وأشكاله في كل المراحل والأطوار المختلفة في تاريخ الإسلام ، والمثل

لذلك الحملات الصليبية الثانية التي جاءت إلي الشرق في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ونري الآن ونحن في القرن العشرين وعلي أعتاب القرن الحادي والعشرين أن هناك حملات صليبية أخطر متمثلة في هذه القنوات الفضائية التي اخترقت كل بيت مسلم وهي أخطر من تلك الحملات الصليبية .

ويحدثنا التاريخ أنه عندما جاءت الحملات الصليبية إلي الشرق كان الغربيون يأكلون لحوم موتاهم ففي بريطانيا وايرلندا الجديدة كان جسد الميت عندهم وجبة عشاء لأسرته وكان لحم الميت يباع في أيرلندا بالكيلو وعندما جاءوا إلي الشرق تعلموا دفن الأموات ونهلوا من حضارة الشرق وتعلموا مانقلوه إلي بلادهم من الإسلام وهذا الصراع القائم الآن والذي يأخذ صورا متعددة ليس صراعا مباشرا ونحن لايمكن لنا أن نقنع أهل الغرب بأننا جيدون في ممارستنا وديمقراطيون وعادلون لماذا ؟

أولا هناك قاعدة فقهية عامة وهي أن دفع الضرر مقدم علي جلب المصلحة فعندما جاء عصر القوميات وهو يعني أن تبني الدولة علي أساس اللغة وعلي أساس الاشتراك في الأرض وعندما جاء الصليبيون إلي الشرق كانت المنطقة العربية كلها تتكلم لغة واحدة وتعتقد عقيدة واحدة وتجمعها جغرافية واحدة فلماذا إذن مزّع الإسلام ؟ ولماذا يضرب الإسلام بينما اللغة واحدة والعقيدة واحدة والأماني واحدة والتاريخ واحد ومع ذلك يمزق في حين أن فرنسا كانت خليطا من الإسبانية واللهجات المحلية وصارت أمة .

أنا أتكلم عن الكليات فهذه الدولة العظمي مكثت ثلاثة عشر قرنا ووصلت إلي أكثر مما وصلت إليه الدولة الرومانية والدولة البابلية والدولة البابلية الحديثة والمصريون والفرس واليونان والرومان ثم السأسانيون .

لقد هزم الإسلام امبراطوريتين في مدي خمس سنوات وهما الروم والفرس وقد مكثت دولة الفرس لمدي قرنين من الزمان والرومان بسبعة قرون ومكث المصريون أربعة قرون بينما مكثت الدولة الإسلامية لمدي ثلاثة عشر قرنا . وقد بقيت هولندا وأسبانيا لمدي قرن واحد ومثلهما كل من البرتغال وفرنسا وبريطانيا بكل جبروتها وتوثبها علي كل خطوط الطول والعرض في الكرة الأرضية مكثت قرنا واحدا وإنني أقول إن الولايات المتحدة لن تصل إلي قرن . وإذن فإن الرعب الأول والأكبر هو أن تعود هذه الدولة العظمي التي حكمت الكرة الأرضية بالعدل والطهر لما يزيد عن ثلاثة عشر قرنا فما خوفنا من أن تعود ؟ نحن نمارس اسلامنا ونحن في ذات الوقت نستحيي من الغرب ، نمارس هذه العقيدة السمحة الكريمة التي لايظلم فيها أحد ، والتي تأخذ بالوسطية في الأمور ماخيرت بين أمرين إلا اخترت أيسرهما ، مادخل اللين في شيء إلا زانه (لايؤمن أحدكم حتي يحب لأخيه مايحب لنفسه) رحم الله أمرءا سمحا إذا باع سمحا إذا اشتري سمحا إذا اقتضي قال (والله لا يؤمن والله لايؤمن والله لايؤمن قيل من يارسول الله ؟ قال الذي يبيت شبعان وجاره جائع أو كما قال :

بسم الله الرحمن الرحيم (من أجل ذلك كتبنا علي بنى إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير حق أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا) هذا هو الإسلام الذي يخشونه . فإما أن نكون مسلمين ونكون علي وعي ويقين بأن هذا الغرب لو أضأنا له الدنيا بأصابعنا العشرة فإنه لن يرضي عنا لأن الغاية الكبري هي أن تكون القوة العظمي في الغرب ولتحقيق هذه الغاية فلابد من ضرب الإسلام في الشرق لأنه هو الذي

استطاع أن يقيم دولة عظمي امتدت من أسوار الصين شرقا إلي أسوار فرنسا غربا .

وجاءوا إلي فلسطين لأننا نقع في الزاوية الاستراتيجية الحرجة في الكرة الأرضية في الجسر الذي يصل بين الشرق والغرب وإن التمسك بها ضروري لضرب الإسلام وهذه الموجة الصهيونية جزء صغير تافه من مخطط استعماري غربي ولايمكن لنا أن ننتصر وامتنا الإسلامية في المشرق مهزومة ولن يتأتي للعالم الإسلامي أن ينهض بغير رأسه ورأسه هذه الأمة العربية ومن أجل هذا كانت الضربة من الغرب موجهة إلي الأمة العربية فضربت الأمة علي رأسها وضرب الإسلام علي رأسه لذلك أقول إنه مهما فعلنا لإرضاء الكاثوليكية فلن يتحقق ذلك وقد مضت الفا سنة وهي تقول إن الصهيونية أو اليهود وهم الشعب القاتل للرّب ولكن من هذه الكاثيوليكية ولد البروتستانت الذين ولدوا الصهيونية العالمية التي جعلها الاستعمار أداة لكي يصل عن طريقها إلي قلب المسلمين فلسطين فمن إعطاهم إياها ؟ رب السموات والأرض هو الذي اختار موقعها الاستراتيجي ورب السموات والأرض هو الذي جعلها مهداً لديانات السماء . والاستعمار الغربي الأمريكي الآن والبريطاني قبله هما اللذان أرادا أن يأخذا هذا الموقع لضرب قلب العالم الإسلامي الذي فيه عبق الروح .

وإنني في ختام هذا القول أذكر بانه إذا كان هناك خطر الآن يجب التركيز عليه ودراسة أبعاده فهو هذا الذي أطل علي بيوتنا جميعا وهو هذه القنوات الفضائية التي تنتشر في كل مكان وفيها الخلاعة وفيها العري وهدم القيم واستحداث قيم جديدة لا علاقة لها بالإنسان ومن ثم تنشأ عندنا أجيال لا تعرف شيئا عن الإسلام ، هذا الخطر يغزونا في بيوتنا ويتجسد أمام أعيننا ومشغولياتنا تمنعنا من متابعة أطفالنا وهم يقضون كل أوقاتهم أمام التلفزيون .

إنني أري الآن أمامي نخبة من العلماء الأجلاء الذين نفخر بهم ونحفظهم عن ظهر قلب لعلمهم الوافر والغزير ونطلب منهم أن يلتفتوا لهذه الأساسية ، فزيارة البابا لا تؤثر في شيء فهؤلاء أعداء وسيظلون أعداء ولكننا مستامحون .

وهناك مقبرة تضم سبعين ألف شهيد في المسجد الأقصي وفيها تاريخ المسلمين هدمتها اسرائيل وإقامت مكانها حدائق عامة .

إن الخطر من هؤلاء قائم وماثل وهم يريدون أن يظلوا قوة عظمي و نظل تابعين لهم فالمعركة إذن في جوهرها معركة مع المسيحية الغربية التي تريد السيطرة وهدم الإسلام وحتي لاتقوم لنا قائمة إلي يوم الساعة إننا إذا أحيينا هذه المبادىء الرائعة لهذا الدين العظيم فسننتصر باذن الله لأننا خير أمة أخرجت للناس . وآسف علي الإطالة والسلام عليكم ورحمة الله

(٤) د. ابراهيم عكاشة

وردت أثناء الأوراق مسألة حوار الأديان وأنني لأكثر الناس إيمانا بحوار الأديان ولكن حوار الأديان في تقديري ليس مناظرة بين دين ودين وليس مجالا للآخرين ليعلموا أن الإسلام يعترف بالمسيح ، أو أن الإسلام

يعترف بمريم العذراء مما يمكن أن يسر له النصاري مثلا .

وهناك قواعد رسمت من قبل العلماء في موضوع الحوار وهي أن حوار الأديان يتركز علي التعبير عن الذات وتأكيد الحق الذي نجده في ديننا عن الأديان الأخري فإذا سلكنا هذا المسلك الذي يتطلب منا الحوار بصبر وأناة وبتقيد مطلق بالحق الذي نعرفه من عندنا ومحاولة شرح وتفصيل العقيدة الإسلامية والفكرة الإسلامية حسب مانعرفه عنها - فإن هذا سيكون مصدر معلومات ومصدر نشر دعوة لأخرين لم يسمعوا طوال عمرهم عن الإسلام إلا تشويها وإلا سوءا .

ولذا فإنني أتكلم عن خبرة فهنالك آلاف المجالس في اوربا وفي العديد من المدن والقري يباشرها مسلمون تمرسوا وتعلموا لكي يشرحوا الإسلام ويطرحوا موضوعاته المختلفة فليس هناك ضرورة لأن نأتي للمسيحيين ونقول لهم إن عقيدة نبوة المسيح باطلة .

أما ماذكره السيد ابورجائي عن التلفاز وعن العولمة الحديثة وقارنها بزيارة البابا ففي رأيي أن زيارة البابا أهم من التلفاز لأنه هو الذي يخطط وهو الذي يصنع التلفاز ، وما أود أن أقوله في كلمة الأخ عبدالرحيم فقد أشار إلي أن هناك علاقات بين المد والجزر بالنسبة لزيارات البابا وأسباب زيارته للسودان هي التعريب والمناهج وفي إضافة بسيطة أود أن أقول إن هناك منهجا يعرف بمنهج الخطايا وهو جزء من العقيدة النصرانية الكاثوليكية ومؤداه الإيمان بأن التعليم لاينبغي أن يكون في أيد غير أيادي المنصرين ، وعلي هذا الأساس فإن عملية المد والجزر ستبقي وستكون دائمة ولذلك كان رفضهم نابعا عن مبدأ عقدي موجود لديهم .

وهذا المنهج منهج الخطايا قد سنه البابا سنة ١٨٦٤ م ووضع معه منهجا آخر وهو عصمة البابا وكان يهدف منه إلي تأكيد سلطة الكنيسة وإلي تشديد قبض الكنيسة علي السلطة المدنية والسلطة السياسية وهذا هو ما تتبعه كل الإرساليات والأنظمة الغربية في المناداة بشعارات تؤكد علي تنفيذ هذا الجزء العقدي في نفس الإنسان النصراني . وفي زيارات البابا إلينا هنا وإلي أماكن أخري فنحن دائما نستقبل هؤلاء النصاري وزعماء النصاري بالطريقة العربية ولكن لو فكرنا قليلا ورأينا كيف استخدم الفكر الأوربي زيارة البابا إلي كوبا فقد كان يحاول استغلال تلك الزيارة للإطاحة بكاسترو . فزيارات البابا دائما وراءها جيوش تضع الخطط للإطاحة بالأنظمة وهذه الخطط قد تكون سياسية أو اقتصادية أو إعلامية أو حتي عقدية وحتي زيارات البابا إلي بولندا كان الهدف منها الاطاحة بالنظام الشيوعي هناك .

أما أخونا الدكتور حسن مكي فقد أشار إلي إحصائيات تبدو مخيفة للكثيرين ولكنني اعتقد فيها غير ذلك لأسباب منها : أن الكنائس في تعميدها لأتباعها تتبع وسائل مختلفة فالكنيسة الكاثوليكية تختلف في تعميدها عن الكنائس البروستانتينية الأخري ، إذ أنها يمكن أن تعمد الطفل بعد مولده بيوم أو يومين كما يحدث في مستشفي الراهبات في هذا الوقت أو بعد أسبوع أو أسبوعين أو شهر أو شهرين أما الكنيسة الانجليكانية فلا تعمد الإنسان ليصبح كاثوليكيا تابعا للكنيسة الانجليكانية إلا بعد سن البلوغ بعد ١٧ سنة ولذلك فإن عددها دائما قليل ولكنه مع قلته يمتاز بالنوعية أكثر من الكنيسة الكاثوليكية ، ولذلك فإن تلك

الأرقام لا تخيفنا لأسباب كثيرة والسبب الأهم هو أن هذه الكنائس فيما بينها كالسمك يأكل بعضه بعضا .
وإذا نظرنا إلي الكنيسة الكاثيوليكية مثلا في مصر فنجد أنها لم تكن موجودة وكذلك الكنيسة الانجليكانية البريطانية والكنيسة الأمريكانية ولكن هذه الكنائس ترعرعت ونشأت من الأقباط المصريين فقد أخذتهم من الكنيسة القبطية وكونت منهم تلك الكنائس وهي تعلم تماما أن المسلم يصعب تنصيره ، وهذا يؤكد لنا أن هذه الكنائس وبرغم هذه الإحصائيات التي عرضها لنا الدكتور حسن مكي سيأتي اليوم الذي يتصارعون فيه كما يتصارعون الآن في أكبر بلد ديمقراطي وهو بريطانيا حتي ولو كانت لهم الغلبة في الجنوب أو في غيره . وهذه الصراعات تبدو لنا من وجهة سطحية أنها قبلية ولكن سيأتي اليوم الذي يتعمق فيه المنصرون في إفريقيا ويدخلون في خلافات لاهوتية كما دخل الأقدمون وستكون هناك اضطهادات حادة فيما بينهم وهذا هو الاحتمال الوارد ، فهذه الكنائس لا تتعايش مع الإسلام والإسلام هو الذي يتعايش معها و لا تتعايش أيضا مع بعضها البعض وهذا يؤكد لنا أنه لاينبغي أن نخاف من هذه الاحتمالات .
وهناك موضوع أخر ذكره الدكتور حسن مكي أيضا عن زيارة دكتور كيري إلي السودا ن وقد كانت هذه الزيارة عام ١٩٩٥م وكنا جميعا متتبعين هذه الزيارة ولكن أريد أن أربط هذه الزيارة بزيارة أخري لنفس رئيس هذه الكنيسة في عام ١٩٧٥ وقد جاء في ميقات معين ومحدد وزار فيه أوغندا في تلك السنة وعمد أول أسقف سوداني في كنيسة كمبالا وبعد أيام بدأت الحرب الطاحنة بين الجنوب والشمال وقامت حركة التمرد ويبدو لي أن الكنيسة الانجليكانية لن تنسي غردون علي الإطلاق ولن تنسي ضحاياها كما تقول هنا في السودان ولذلك فكما نحتفل نحن بكرري فهم يحتفلون أيضا بهؤلاء .
أما النقطة الأخيرة التي أود أن أشير إليها في هذا المقام فهي أننا الآن نكاد نكون دارسين وباحثين في مجال التنصير ، فالتنصير أصبح علما من العلوم المتطورة جدا وهي العلوم اللاهوتية الموجودةفي الغرب وفي كثير من الأماكن وأصبح لها مناهجها المختلفة وأصبحت تدرس كما يدرس الإسلام في الغرب أيضا وإذا دخلنا في مناقشات مثل هذه فإنها ستتيح لنا معرفة أدق ومعرفة أوسع للفكر الغربي حتي دعاتنا عندما يذهبون إلي الغرب يكونون متمكنين من نشر دعوتهم وقد تنقلب الآية وتكون الغلبة للإسلام في تلك البلاد وجزاكم الله خيرا .

(٥) الاستاذ الزين حامد النور

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام علي رسول الله وبعد

الشكر كل الشكر للذين قاموا علي أمر هذه الندوة الحيوية المهمة

وأريد مداخلة بسيطة هي أن التعليم في السودان وخاصة التعليم الديني فقد تركه الاستعمار ضعيفا وكلنا يعلم ذلك حتي إن المعاهد الدينية لم تكن تجد غير الإهمال و خريجوها رغم أنهم حملة الرسالة المحمدية كانوا يجدون الاضطهاد والتقليل من المجتمع من حولهم حتي في الوظائف والترقيات وغيرها وقد استمرت

هذه النظرة لسنوات عدة ولكن الآن والحمد لله عاد التعليم وعادت التربية الإسلامية ووجدت في المنهج التعليمي مايهيىء لها القبول والرسوخ في السودان .

وهنا أريد أن أطمئن الإخوة وأشير إلي تجربة المجلس الإفريقي للتعليم الخاص فقد قام هذا المجلس مدركا لخطورة المدارس الكنسية في السودان والتي كانت تستقطب أبناء الأعيان وأبناء الطبقات العليا فقام محاولا أن يكون بديلا لهذا النظام التعليمي الكنسي .

استطاع المجلس الإفريقي أن يوقف هذا المد وأن يرعي النشء ابتداء من مرحلة رياض الأطفال إلي المرحلة الثانوية وتجاوز مده العاصمة إلي مدني وإلي بورتسودان بل تعدي ذلك إلي الدول الإفريقية حيث أقام مدرسة في نيجيريا كما شمل دولا أخري هي قطر وتركيا من قبل وأعتقد أن سياسة هذه المؤسسة التعليمية تهدف إلي تقليل هذا المد الكنسي في السودان الذي كان يستقطب أبناء المسلمين ويحرمهم من التعليم الديني وبذلك يحملون ثقافة هشة وضعيفة ومن ثم يقفون عاجزين عن الدفاع عن الإسلام .

وأريد أن أطمئن الإخوة بأن هذا المجلس إذا وجد الدعم المناسب من الدولة ومن المؤسسات الأخري فإنه سيكون إن شاء الله العامل الذي يوقف هذا المد الكنسي التعليمي في السودان .

(١) مأمون عبدالوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله

الحمد لله أن وفقنا لحضور هذه الندوة التي تبرز لنا موضوعا مهما طالما تطلعنا إليه واشتقنا كثيرا لأن يكون في حيز الوجود .

إن قصورنا عن إنشاء المؤسسات الدعوية والتعليمية سبب مباشر لهذه الأشياء فالدعوة الإسلامية في السودان لم تجد مجالها حتي اليوم وفي ظل الإنقاذ وأنا أعمل في هذا المجال لم تعط أولوية كذلك .

والدعوة لا تقتصر هنا علي المعني التعليمي وحده ولكنها بمعناها الشامل بحيث نستغل كل الوسائل التعليمية ونشغل كل طاقاتنا وكل وسائلنا وكل خططنا العلمية وعندئذ وفي عهد وجيز إن شاء الله سنصد هذا التنصير ونعمل علي حماية أطفالنا وحماية نشئنا ولن يستطيع التنصير بعدئذ أن يجد مجالا بين المسلمين .

نريد لحوار الأديان في قالب سياستنا الشرعية فحوار الأديان خاضع لموازنات ومجاملات وبهذا فلن يؤدي لنتيجة ونريد من دولة الإسلام في السودان أن تضع السياسة الشرعية نصب أعينها لأننا نريد أن نعيد دولة الإسلام ولا نبتدع دولة الإسلام فالمسألة اتباع وليست ابتداعا .

التبشير المسيحي في شمال نيجيريا

د. عبدالرحمن أحمد عثمان *

(أ) مقدمة تاريخية للجهود الكنسية في شمال نيجيريا :

بدأت المسيحية في الدخول إلي شمال نيجيريا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، وقد انتهج المبشرون في هذه المرحلة أيدولوجية بناء القري المسيحية ، وقد قامت الجمعية الروحية التابعة للإرسالية الكاثوليكية الرومانية بشراء عدد كبير من الأطفال من تجار الرقيق لتعمير تلك القري الوثنية وذلك لوقف الزحف الإسلامي الناتج من الجهود التي قام بها محمد الأمين كاني والحاج عمر ، وقد كتب الرئيس العام للجمعية من مقرها الرسمي في باريس للكاردينال بيروكت عميد كلية الإعلام والدعوة في روما في عام ١٨٨٢م يقول : لقد جمع آباؤنا عددا كبيرا من الأطفال من الجنسين ذكورا وإناثا ، جمعوهم بمبالغ طائلة ، ولذا يفترض أن نرعاهم إلي عدد من السنين حتي نستطيع أن نجعلهم خدما للمسيحية يعينوننا في بناء القري المسيحية (١) وبهذه الطريقة تم جمع ١٨٨٠ طفلا من الكنغو في عام ١٨٩٦ و١٨٣٠ طفلا من أويانقي فيما بين ١٨٩٤ إلي ١٨٩٩ وبالتالي استطاعت الكاثوليكية الرومانية أن تنشيء مجموعة من القري المسيحية التي أصبحت نواة لمدن كاملة فيما بعد .

وقد ترددت الإرساليات المسيحية في محاولات للدخول في مجتمع الهوسا في شمال نيجيريا تمشيا مع تخوف حكومة الاستعمار البريطاني في أوائل القرن العشرين من ثورة يمكن أن يقوم بها المسلمون نتيجة لأي إجراء كنسي ، ومرة أخري ابتدعت الإرساليات الكنسية منهج التنصير من خلال "التعليم والخدمات الصحية وبحلول عام ١٩٠٦م ، كان هناك ٢٥٩٠ (ألفان وخمسمائة وتسعون) طالبا بالمدارس التي تعمل بمناهج وضعت عمدا لتنصيرهم ، وقد كان طلاب هذه المدارس يجمعون من حول المدن الرئيسية مثل زاريا ، كانونا ، وجوس ، والواقع أن منهج التنصير من خلال التعليم النظامي قد برهن علي فعاليته ، وهو من الوسائل المتبعة حتي الآن ، وفي المقابلات التي تمت مع جميع المسلمين الذين تنصروا من الهوسا وغيرهم اتضح لنا أنهم أصبحوا مسيحيين لأنهم درسوا المسيحية ولم يدرسوا الإسلام ، فالمنهج المعد وطريقة الامتحانات تقتضي أن يجلس الممتحن لمادة التربية الإسلامية أو التربية المسيحية وأن رسوبه في اختياره يحدد مستقبله بصورة أو بأخري ، ولقلة الحصول علي معلمي التربية الإسلامية والكتاب الإسلامي ، فإن الطلبة

---

* رئيس ادارة البحوث والنشر – مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية

يختارون الجلوس لمادة التربية المسيحية! وكثيرا مايفاجئك اسم أحمد أو محمد أو عبدالله لشاب مسيحي فإذا أدرت معه حوارا كانت إجابته علي السؤال (لماذ أصبحت مسيحيا ؟) (لأني امتحنت لمادة التربية المسيحية ونجحت فيها) .

(ب) الأستراتيجية الحالية لتنصير قبائل شمال نيجيريا :

والمسيحية اليوم في نيجيريا الشمالية تعمل علي توسيع قاعدتها بحرص وتخطيط وقد اطلعنا علي كتاب يبرمج ويوضح نوعية الخطط وأولوية المجموعات البشرية التي ينبغي أن يمارس بينها التبشير – هذا الكتاب هو : Frontier Peoples of Central Nigeria & Strategy For Outreach by Willian Garey Library U.S. A 1977 , Bx , Qurald O. Swak .

(استراتيجية الوصول لشعوب المواجهة في أواسط نيجيريا) ويعني الكاتب بشعوب المواجهة المجموعات ذات القابلية للتنصير الذين لم تبلغهم البشارة والدعوة المسيحية أو لم يستجيبوا لها في ذلك الحين ، والكتاب محاولة لامتحان هؤلاء السكان واكتشاف مدي قابليتهم للتنصير ، ويغطي الكتاب كلا من الولايات النيجيرية الآتية ، النيجير ، كانونا ، كاتسينا ، بوتشي ، قنقولا ، وولاية برنو كما يشمل المقازوا والزورو في ولاية كنو ويري الكاتب أن القدرة علي التبشير موضوع كبير لذلك لابد أن تسبقه دراسات وافية عن نوعية المجموعات التي يراد إقناعها بحيث تعد بحوث ودراسات عن عقائدهم وعاداتهم حتي تتسني معرفة أيسر السبل وأكثرها فعالية لكسبهم وتنصيرهم .

وينقسم الكتاب إلي ثلاثة أقسام ، يعني القسم الأول منه بالقبائل المستهدفة ، كما يعني القسم الثاني بالمقومات الثقافية لهذه القبائل ومدي قابلية هذه الثقافات المسيحية ، ويعني القسم الثالث بالاستراتيجية التي ينبغي أن يعمل من خلالها لتنصير هذه المجموعات . والقبائل المستهدفة :

* ولاية بلاتو :

المجموعات المستهدفة فيها هي الألافو أفو ، الياسا القيد والقواندارا ، ويعتقد بعض هؤلاء في (اوسواوسو) خالق لهذا الكون ، كما يعتقدون في مجموعة من الآلهة الصغيرة التي تقوم في اعتقادهم بتصريف الحياة اليومية يسألونهم الصحة والغني .

أما عن استراتيجية تنصيرهم فإن الكاتب يري أن لهم ميولا قوية نحو الإسلام غير أن نساءهم لهن ميول نحو المسيحية ، ومن ثم فإن العمل في أوساط النساء أجدي بكثير من العمل في أوساط الرجال ، وهم يحترمون الايبو ، ولذلك يري الكاتب أن يرسل لهم مبشرون من قبيلة الأيبو ، وبما أن هنالك اختلافا وشجارا بين القبائل مثل قبيلة القيد والقباري ، فإن الكاتب يقترح أن تكون هنالك كنيستان مختلفتان لهم حتي تتم المنافسة في أوساط القبائل المنتشرة في الولاية ، كما يقترح أن يتم استيطان المبشرين بينهم ، حتي يتم تنصيرهم تدريجيا

* ولاية قوارا (Kwara) :.

القبائل المستهدفة هنا هي اليوسا والأقبيرا ، ويقترح الكاتب أن يركز العون في الشئون الزراعية والصحية

ويقدر الكاتب عدد الأقبيرا بحوالي ٣٥ ألفا في أوكيني و٧٥ الفا علي نهر النيجر ، كما يقدر عدد المسلمين منهم بحوالي ٨٠٪ والبقية من المسيحيين ، ومادامو من هواة الرقص والموسيقي فإن استراتيجية جذبهم تعتمد علي الغناء والرقص في الشوارع .

* كادونا، كانو ، وسوكوتو :

والمجموعات المستهدفة هنا هي المقازاوا والكادارکورو ، والماقزاوا قوم زراع ينتمون إلي عوائل ممتدة ومتشابكة ويقدر عددهم بأكثر من ألف نسمة وهناك مجموعة من الكنائس تعمل في أوساطهم مثل إنجيلية غرب إفريقيا (Eqwa) والتي تتخذ من قرية قاني ، في مقاطعة صوماليا بولاية كانو، مقرا لها ، والإنجيليات البابوية في زاريا تحرك الإرساليات الكنسية أيضا في فورزو وملنفاشي وماتزو وقزاوو في ولاية سكتو ، ولعل الاستراتيجية المجدية هنا هي محاولة إقناع كبار السن ومساعدتهم في شئونهم الزراعية وذلك نسبة لما يتمتعون به من احترام وتقديس بين عوائلهم .

* ولاية باونشي :

المجموعات المستهدفة هنا هي (الميا) و (الفاوا) و (اليوتا) و (الواري) والجراوا وسكان جبل الزرندا ، وهذه المجموعات كما وضح للباحث مستجيبة لبشارة المسيح واستراتيجية المسيحيين هنا تعول علي إنشاء الكنائس المحلية والمدارس الإنجيلية وتدريس مبشرين من بينهم يدعونهم إلي المسيحية .

* ولاية برنو :

المجموعات المستهدفة هنا هي البابو والكيبراليز والقاماوا ، ويري الكاتب أنه علي الرغم من أن هؤلاء القوم مسلمون فإنهم لايؤمون مساجدهم إلا في رمضان ولاعتبارات أخري يري الكاتب سهولة تنصيرهم ، وذلك عن طريق الإغراء بالمساعدات التي تقدم لهم في مجال الزراعة والتأهيل لأفراد منهم يتحملون عبء الدعوة بينهم .

* ولاية قنقولا :

المجموعات المستهدفة هنا هي المندرة والغالي والفير والمومبو والداكا ويري الكاتب ضرورة استخدام إذاعات الحكومة بجانب الإذاعتين الموجودتين في جوس (مريم بشارة) وراديو زلوا التي تبث برامجها بالفولاني والهوسا والإنجليزية واليوربا والنوبية ، كما يجب الاستفادة أيضا من صحيفة الأخبار المسيحية بجانب الكتب المسيحية المتفرقة لتنصير المسلمين .

كما يري الكاتب أن يعمل علي تنصيرهم أيضا بالتركيز علي الخدمات الصحية المبذولة من قبل د. جاندلر رئيس جمعية العمل المسيحي التي يتخذ لها مقرا في قوازا وتساعده في ذلك فرق المبشرين الزراعيين والبيطريين الذين يتعاونون مع السكان في مزارعهم نهارا ويجمعونهم للاستماع للموسيقي ليلا ، وقد أدي هذا المنهج إلي استجابة معقولة بينهم ويوصي الكاتب بأن يحرصوا علي ذبح الأضاحي لإسحق وإبراهيم كما جاء في الإنجيل علي نمط مايفعل المسلمون لإسماعيل

* ولاية النايجر:

المجموعات المستهدفة هنا هي القري والدوكو والأحبا والكموكو وقد تمت بعض الاستجابة نتيجة لجهود المبشرين المحليين الذين نظموا المعسكرات الشبابية المسيحية وزيارات المسيحيين من العسكريين المقيمين في ثكنات الجيش في مدينة كونت قورا . ومن خلال العرض الذي يقدمه الكاتب ويؤيده الواقع فإن التبشير الكنسي يكون قد استطاع أن ينشيء له جذورا ويكتسب أراضي علي حساب الإسلام .

أما القسم الثاني من الكتاب فهو عن أوجه التشابه والاختلاف بين المقومات الثقافية لهذه القبائل والقيم المسيحية ، ويري الكاتب أنه من الممكن أن تغض الكنيسة النظر عن تعدد الزوجات في هذه المجتمعات بل وتتبناه ونورد الشواهد من الإنجيل (كما فعل سيدنا إبراهيم عليه السلام) وذلك مثبت في العهد القديم (١) مع اتباع الوسائل التالية :

١- معرفة احتياجات القبائل المراد تنصيرها

٢- معرفة مايراد تحقيقه .

٣- معرفة الثقافات والعادات والتقاليد التي تسود هذه القبائل

٤- معرفة أنجع السبل التي تساعد المبشرين علي إقناعهم

٥- كيفية الحصول علي الوسائل التي تستعمل في التنصير ومضارها

٦- تحديد قيد زمني يتم خلاله التنصير

٧- تقييم ماتم من عمل في تحقيق الخطوات السبع

ويفصل الكاتب عملية التنصير الفعلية في تسع خطوات أخري تتمثل في :

١- الاتصال بالأشخاص واكتساب ثقتهم من دون إعلان للأهداف الحقيقية.

٢- إعلان الهدف الذي من أجله أنشئت العلاقة ، ويحدد الكاتب لهذه الخطوة حوالي عام كامل

٣- محاولة الإقناع في مجموعات الأفراد

٤- تنظيم وتوفير سبل العبادة

٥- التعميد

٦- الاتصال بالكنيسة

٧- إنشاء خدمات علي نهج مافعل المسيحيون في مستشفي واساسا بزاريا

٨- إنشاء كنائس خاصة لهذه القبائل تشرف علي كل أمورهم

٩- زيادة قوة الكنيسة الإفريقية بانضمام هذه الكنائس الجديدة لها

ويري الكاتب ضرورة استعمال جميع وسائل الإعلام في مرحلة الإتصال ومن الواضح أن الكاتب قد حدد لنا حجم العمل التبشيري الجاري في نيجيريا ولم يتعرض هنا إلي الفولاني لأنها لم تكن من القبائل المستهدفة حتي عام ١٩٧٥ .

بداية العمل المسيحي بين الفولاني :

أ : (مشروع تنصير المسلمين في إفريقيا)

الواقع أن الجهود المسيحية التي تبذل اليوم لاتنفصل عن الجهود التاريخية للمبشرين في إفريقيا ، ويبدو أن اتجاه التبشير الكنسي قد تحول إلي الوطنيين من الأفارقة وذلك عندما بدأت البلدان الإفريقية تنال استقلالها وأصبحت الكنيسة في إفريقيا مهددة بشبحي الوطنية والإسلام ، ففي الخمسينات بدأت الهيئات المسيحية تفكر في أمرين ، الأول هو أفرقة الكنيسة حتي لا تعصف بها الرياح الوطنية إذا ما جاء الوقت لطرد البيض المستعمرين .

أما الثاني فهو محاولة تنصير المسلمين أنفسهم ، ومن ثم طرحت الهيئات الكنسية في غرب إفريقيا مشروعا سمته (مشروع الإسلام في إفريقيا) وفي عام ١٩٥٩م تأسست دعائم هذا المشروع رسميا بواسطة ممثلين من جميع الكنائس العاملة في إفريقيا في مؤتمر إبادان ١٩٥٨م بنيجيريا وقد تلخصت وقائع هذا الاجتماع في الآتي :

١- أن تتفهم كل كنيسة واقع المجتمع الإسلامي العاملة فيه طبقا لضرورة أمنها

٢- التأثير في المناهج التعليمية .

ب : (البحوث الثقافية)

ولتحقيق هذه الأهداف كونت لجنة تسمي (لجنة الارتباط الأوربية) (European Liaaison committee) وقد ركزت هذه اللجنة علي استعمال أصابع إفريقية في هذه المهمة ومن ثم كونت اللجان المحلية (Area committee) ثم اتبعت ذلك بقيام (مجلس مشروع الإسلام في إفريقيا) وذلك لتنسيق جهود هذه اللجان ومقره في نيروبي بكينيا .

لقد بدأ العمل في نيجيريا فعليا عام ١٩٥٩م وفي غانا ١٩٦٣م كما بدأ العمل في كينيا والكمرون فيما بين عام ١٩٦٨ - ١٩٧١م وبدأت مراكز شئون العاملين تأخذ مواقع لها في إثيوبيا وسيراليون وليبيريا ، وأنشيء لذلك مركز بحوث لدراسة الإسلام والمسيحية وذلك في عام ١٩٦٥م بإبادان بنيجيريا واستقبل طلابا من كل من نيجيريا وناميبيا وسيراليون وفولتا العليا وغانا وداهومي وملاوي والسودان ، ويقدم هذا المركز بعض الدراسات المسيحية لتخريج المبشرين كما أنه يقدم بعض الدراسات العربية والقرآنية .

ويتكون مجلس مشروع الإسلام في إفريقيا من الدكتور المدعو الأب المقدس دريك (Dratke) وهو أوربي والسيد واندا (S. N. Wanda) المسئول عن المشروع وهو إفريقي ومجموعة من الأعضاء ممن لهم معرفة عميقة بالإسلام والمجتمعات الإسلامية وهم يقومون بنشاطات مختلفة منها :

١- تنظيم حلقات دراسية وسمنارات للمسيحيين عن كيفية التداخل مع المسلمين وعرض المسيحية لهم .

٢- تشجيع كافة المسيحيين الذين يستوطنون المجتمعات الإسلامية علي العمل المنظم في وسط المسلمين وإقامه الصلوات والدعوات لهم .

٣- نشر بعض الدراسات المسيحية عن الإسلام للمسيحيين وإعداد الكتيبات المسيحية للمسلمين
٤- تشجيع كل المسلمين والمسيحيين علي التعارف وتقوية أواصر الصداقة .

٥- الاهتمام بتوفير الاستشارات والفتاوي الخاصة بموضوع العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في إفريقيا - ويقيم كل من المسئولين عن المشروع السيد واندا (S. N Wanda) والمشرف عليه (D . t. Drat-ke) في نيروبي بكينيا ، ويجرون اتصالاتهم الإستشارية مع أوربا ، ويتعاملون مع تلك اللجان المحلية التي توجد في كل من بنين والكميرون وإثيوبيا وغانا وكينيا وملاوي ونيجيريا وسيراليون والسودان وقد تمت الاتصالات بكل من السنغال وساحل العاج وغامبيا وليبيريا ورواندا وتنزانيا وتوجو وأوغندا وفولتا العليا وزائير . وتعمل كل هذه اللجان علي دراسة المجتمعات الإسلامية حولها غير أن إدارة مشروع دراسة الإسلام في إفريقيا لم تنشيء وحدات للبحوث لأنها تعمل بالتعاون مع جهات مختصة ، وقد كانت الحصيلة حوالي الـ ٢٠٠,٠٠٠ كتاب عن هذا الموضوع ، أما جهات النشر فهي المطبعة المسيحية الإفريقية - والمطابع الأوربية المختلفة .

نموذج من دراسات مشروع الإسلام في إفريقيا :

وهذا وقد كانت حصيلة الكتابات والدراسات التي أجريت في هذا الاتجاه في نيجيريا قد أدت إلي إقناعهم بأن فولاني غرب إفريقيا يعتبرون من أميز المجتمعات الإفريقية ومن أكثرها قابلية لبشارة المسيح ، وذلك نسبة لطبيعتهم البدوية وجهلهم بالإسلام وفاعليتهم السياسية والاقتصادية ، ونقدم هنا نموذجا من الدراسات الكنسية عن جدوي الجهود الرامية لتنصير هذه القبيلة ويجدها القاريء فيما يلي :

ترجمة للوثيقة رقم ١٠ لهذه المؤسسة كتبت بالإنجليزية :

وفي القرن السادس عشر الميلادي ومن بين غبار الصحراء أتي الإسلام إلي الأرض الواقعة جنوب الصحراء ، غير أنه لم يأت نتاجا لمعركة ولا علي ظهر السيوف بل جاء عبر ماحمله العلماء والمعلمون الذين استقروا في مدخل وادي السنغال في إفريقيا الغربية ، و أقاموا المساجد والمعابد التي تسببت في انتشار الإسلام ، وبما أن الأرض المتاخمة لهم كانت لقبيلة الفولاني فقد تأثر الفولاني بالإسلام لعدة قرون ، والفولاني الآن مسلمون ، ولطبيعة حياتهم البدوية فإن تجربتهم في الإسلام تختلف عن تجربة الحضريين ، والشاهد علي ذلك غياب الممارسات الإسلامية في أوساط الشباب فهم الذين يقع عليهم عبء رعاية الأبقار ، ولذلك يبقي الشباب غير ملمين بالإسلام إلي مرحلة متأخرة من عمرهم حتي يستطيعوا البقاء بالمعسكرات وتعلم الإسلام وممارسته .

أما الحضريون من الفولاني ففي حياتهم مع الإسلام تناسق واتساق ، وهم يحافظون علي التعاليم الإسلامية ، الصلوات اليومية ، والزيارات الأسبوعية للمسجد (يقصد صلاة الجمعة) كل هذا يتناسب مع حياة الفولاني الحضرية ، ولأن الفولاني يلعبون دورا طليعيا في الحياة السياسية والاقتصادية في غرب إفريقيا فإن الممارسات الإسلامية تحتل أهمية في حياتهم اليومية .

ولقد كان الإسلام يشكل حاجزا منيعا للكنيسة تجاه المواطنين ، غير أنه في السنين الأخيرة أصبح من

المكن التعامل مع المسلمين ، ومن ثم نقل بشارة المسيح إليهم .

وينبغي ألا نستثني المسلمين من الهدف الرامي إلي إبلاغ العالم أجمعه برسالة المسيح لأنهم يكونون حوالي الـ ٤٠٪ من سكان إفريقيا .

ويعتبر اللوثريون الأمريكيون أن الفولاني قوم غرباء ، وذلك لأن اسم (فولاني) يصف قبيلة لاتحدها حدود جغرافية ويوجد عشرة ملايين منهم في ثماني عشرة دولة كما أن هذا الاسم أيضا يصف أناسا تتضاعف أعدادهم كل ثمانية وعشرين عاما . كما أن أبقارهم تنمو بصورة مذهلة وهم مجموعة متميزة منذ عام ١٨٧٠م ، وتختلف في مظهرها ولغتها عن السكان المحليين والفولاني قوم طوال القامة نحيفو الأجسام وأكثر بياضا من جيرانهم ، وقد انتشرت إحدي أشكال لغاتهم في إفريقيا الوسطي والغربية بوصفها لغة للتعامل التجاري وفي الأسواق ، وهي توضع مع العربية والسواحيلية باعتبارها واحدة من اللغات الإفريقية العظمي .

وحياة الفولاني تنقسم إلي ثلاثة تشكيلات - البدويين الذين لايملكون إلا المعسكرات المتنقلة وراء المواسم والأمطار ، ثم شبه البدويين الذين يقيمون في مناخ ممطر معشب ، ثم الحضريين الذين اعتمدوا علي التجارة أو الزراعة وهؤلاء الأخيرون رغم أنهم فقدوا بعض مايميزهم كفولاني فإنهم ظلوا يحتفظون بدينهم وتاريخهم .

وقد أظهر الفولاني اهتماما واضحا بالمسيحية ، واستجابة لهذا الاهتمام فإن الكنيسة الأمريكية والكنائس اللوثرية في نيجيريا والكمرون وإفريقيا الوسطي أنشأت للفولاني إدارة كهنوتية (Ministry) تختص بإدارة شئون المسيحية في السنغال والنيجر .

اللوثريون والفولاني :

إذا عرفنا أن الفولاني مسلمون فلماذا يهتم بهم الأمريكيون اللوثريون وذلك بالرغم من أن المسلمين التقليديين لايمكنهم إبدال دينهم بالمسيحية ؟

يبدو أن الإجابة عن هذا السؤال تقتضي أن نتبين حقيقتين اثنتين :

أولاهما : قناعة المبشرين المتمثلة في وجوب بلوغ بشارة ورسالة المسيح إلي كل أذن صاغية .

وثانيهما : أن الفولاني أظهروا اهتماما ببشارة المسيح حيث بدأوا يكتبون لإذاعة صوت البشارة ويتساءلون عن البشارة .

ففي عام ١٩٦٦م بدأت (صوت البشارة) تبث برامجها الإذاعية من أديس أبابا بإثيوبيا باللغة الفولانية ، حسب ما وصي مجلس مشروع دراسة الإسلام في إفريقيا الوسطي والغربية كما أن أشرطة الكاسيت المعدة لصوت البشارة بالكاميرون قد أرسلت إلي الإذاعة بإثيوبيا لبثها خلال أجهزة البث القومية .

وفي عام ١٩٧٠م بدأت ترد بعض الأسئلة لإذاعة صوت البشارة من أديس أبابا من الفولانيين الذين تتحدث إليهم الإذاعة بلغتهم ، ومن ثم بدأت الإستجابة للوثريات العاملة في كل من نيجيريا والكميرون وإفريقيا الوسطي ، غير أن هذه الكنائس بدأت تتوقف لأن برامج تنصير الفولاني أكبر من طاقتها ، ولذلك لم تنجز إلا القليل في مدي سنوات عديدة .

ولقد وصف بعض المراقبين مهمة الإذاعة بأنها لتمهيد الأرض حتي يسهل حرثها وزرعها .

لقد بدأت برامج هذه الإذاعة تتخذ أبعاداً أكثر فائدة عندما بدأ (بوستر مانكست) الزيارات الميدانية للفولاني وهو الناطق الرئيسي في إذاعة صوت البشارة ، فقد كان لذلك أثر كبير إذ أن الفولانيين بدأوا يشيرون إليه بالبنان ذاكرين له أنهم قد سمعوا صوته وهم الآن يرونه رأي العين .

ولقد استجابت الكنيسة اللوثرية لهذا الانفتاح الفولاني عليها فاتخذت المخططات الكنسية طريقها إلي الفولاني في النايجر والسنغال كما أن برامج إضافية قد وضعت للفولانيين في نيجيريا والكمرون وإفريقيا الوسطي لتقوية الموقف ، وبهذه الطريقة فتحت بعض الأبواب وأبلغت الكنيسة بشارة عيسي المسيح للفولانيين في إبلاغ البشارة . وختاما لهذا الباب يمكننا أن نخلص إلي أن الأسباب التي دعت إلي اهتمام الكنسيين بقبيلة الفولاني وحفزتهم للعمل علي نشر الدعوة المسيحية بينهم تتمثل في حقيقتين .

أولاهما : هي أن الفولاني من القبائل الإفريقية المتميزة بالذكاء وحب الزعامة وقد أدت هذه الحقيقة إلي انتشار الدين الإسلامي الذي اعتنقوه منذ القرن الثالث عشر وبنوا به إمبراطورية سكتو الإسلامية في القرن التاسع عشر مما زاد من أعجاب القبائل المحيطة بهم واحترامها لهم..

وثانيهما : أن النتائج التي خرجت بها دراسات مشروع الإسلام في إفريقيا أدت إلي إقناع المبشرين بأن فولاني غرب إفريقيا من أكثر الشعوب الإفريقية قابلية لبشارة المسيح نسبة لطبيعتهم البدوية وجهلهم بالإسلام

هذا بالإضافة لما أظهره الفولاني من اهتمام واضح بالمسيحيـــة حيث بدأوا يكتبون لإذاعـــة (صوت البشارة) باديس أبابا يتساءلون عن البشارة كما يزعم الكنسيون .

كل ذلك أدي إلي أن تتضافر الجهود الكنسية لصياغة مشروع تنصير قبيلة الفولاني فرصدت له ميزانية تعددت مصادرها من الدول والمنظمات والأفراد ، كما أجريت الدراسات اللازمة للوسائل التي ينبغي أن يستغلها المبشرون لتحقيق هذه الغاية .

المواجهة بين المسيحيين والإسلام عبر القرون وانحسار الهجوم الصليبي علي محمد والإسلام

د. عبدالرحمن محمد سعيد *

أثارت غضبة المسلمين علي الكاتب البريطاني سلمان رشدي إثر نشر كتابه (آيات شيطانية) الذي هزأ فيه بالرسول محمد صلي الله عليه وسلم وآل بيته استغرابا وعدم تفهم في الغرب ، وقيل كثيرا إن إثارة رواية أدبية لمثل هذه المشاعر العارمة من الكراهية شيء لايمكن تصوره ويدل علي ضيق صدر الإسلام والمسلمين بحرية الرأي ، وأثار المواطنين في بريطانيا علي وجه الخصوص حرق جماعات من المسلمين في عديد من المدن كما في برادفورد لنسخ من رواية سلمان رشدي في تجمعات غاضبة ولكن هل نسي البريطانيون والغربيون عموما ماحدث من حرق للكتب عبر القرون في أروبا ؟ مثلا حرق لويس التاسع ملك فرنسا الذي أعلنته الكنيسة الكاثوليكية مقدسا فيما بعد التلمود اليهودي واعتبره هجوما وقحا علي شخص المسيح وقد وضع الكتاب في الحظر وحرقت مجموعة من نسخه في حضرة الملك وكان لويس التاسع يقول عن اليهود إن أحسن طريقة للتفاهم معهم قتلهم بضربة قاضية في الجسم لأقصي عمق يصله السيف ، ولويس التاسع هو الذي اقام محاكم التفتيش لإدانة المنحرفين ولم يحرق فقط كتبهم بل حرق مئات منهم أحياء علي أكوام من الحطب وهو نفسه الذي كان عدوا لدودا للمسلمين وقاد حملتين صليبيتين ضد العالم الإسلامي في ذلك الوقت لم يكن الإسلام وإنما المسيحية هي التي يضيق صدرها بالمعتقدات الأخري ولاتستطيع أن تتعايش معها ويمكن القول بأن التاريخ المؤلم للعلاقات الإسلامية الغربية قد بدأ بهجوم بعض المتطرفين المسيحيين علي شخص محمد صلي الله عليه وسلم في إسبانيا الإسلامية .

العلاقة بين المسيحيين والإسلام في القرون الوسطيَ :

في سنة ٨٥٠ حدثت مشادة بين قسيس يدعي بيرفكتوس وبعض المسلمين في سوق قرطبة حول من هو النبي الأعظم محمد أم المسيح ، فما كان من بيرفكتوس إلا أن شتم الرسول الكريم بألفاظ وتهم غاية في الإقذاع فأخذ إلي القاضي الذي أطلق سراحه بحجة أنه قد يكون أثير من قبل المسلمين . كانت هذه الحادثة غريبة علي قرطبة حيث كانت العلاقات بين المسلمين والمسيحيين جيدة وكان للمسيحيين واليهود مطلق الحرية في عباداتهم واتباع شعائرهم وكان أغلب الأسبان فخورين بأنهم يعيشون في دولة متحضرة متطورة

---

* جامعة أمدرمان الإسلامية

بالمقارنة مع بقية دول اروبا التي تتخلف عنها بعدة قرون هؤلاء الأسبان كانوا يسمون الأسبان العرب ويتعلمون اللغة العربية ويقرأون كتب الدين والفلسفة والأدب من أجل تثقيف أنفسهم وهؤلاء كانوا هم أغلبية الأسبان ولكن كانت هنالك أقلية متطرفة وقد أدت حادثة بيرفكتوس إلي ظهور عدد من المتطرفين يشتمون محمد في الأسواق للتعبير عن حماستهم لدينهم .

لكن بيرفكتوس الذي كان قد أطلق سراحه بحجة أنه ربما كان قد أثير من قبل المسلمين عاد فكرر الإساءة بأساليب مقذعة مما أضطر القاضي أن يحكم عليه بالإعدام وقد اعتبرته الأقلية المتطرفة شهيدا وقطعت أجزاءه ووزعتها علي المريدين باعتبارها تباريك وآثاراً مقدسة . بعد ذلك ظهر آخرون وقاموا بنفس الفعلة واضطر القضاة أن يحكموا عليهم لإسكات الفتنة حتي بلغ عدد هؤلاء مايزيد علي الخمسين وقد انتقد هؤلاء وأدينوا من قبل بطريق قرطبة والأسبان العرب حيث إنهم قد تحدوا السلطة العربية واضطروها لتطبيق القانون بحذافيره ويشهد عدد كبير من الكتاب والمورخين بأن العرب كانوا يسمحون بالممارسة الدينية والتعبير عن الرأي ولم يعتورهم أي خوف من الاحتكاك بالأديان والعقائد الأخري حيث إنهم كانوا واثقين من دينهم ومعتقداتهم فقد ولد الإسلام في مجتمع متعدد الأديان وتعلموا منذ مدة طويلة التعامل بالحوار ومقابلة الحجة بالحجة كذلك كانت أيضا الدولة البيزنطية الإغريقية الاورثوذكسية التي أعطت الأقليات حرية الممارسة الدينية .

لكن المتطرفين وجدوا سندا لدي شخصين : كاتب يدعي باول الفارو Paul Alvaro الذي كتب كتابا بالاسبانية عن هذه المرحلة وقسيس يدعي يولوجيو Eulogio هولاء وصفوا الانتحاريين بأنهم (جنود الرب) الذين حاربوا بشجاعة من أجل دينهم .

وقد سافر القسيس يولوجيو إلي بلاد الغرب وعاد بكتب كثيرة باللاتينية من كتب آباء الكنيسة ليتحول اهتمام الأسبان العرب عن التوجه العربي وكان يحلم بميلاد جديد للاتينية للعودة إلي الماضي الروماني وذلك لإيقاف الثقافة والحضارة العربية ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل عندما واجه يولوجيو نفس مصير الانتحاريين السابقين فقد حكم عليه القاضي بالإعدام وكان يتوسل إليه أن ينطق بكلمة الشهادة لينقذ نفسه من الموت و أن لا أحد سيسأل عن موقفه وحياته بعد ذلك وألا يستسلم للدوافع المريضة البائسة الداعية للتهلكة كما فعل من قبله كثيرون من الأغبياء ولكن يولوجيو لم يزد علي أن قال له أشحذ سيفك وأعمل مابدا لك .

لكن في ال ٦٠٠ سنة التي أعقبت هذه الفترة عاش أتباع الأديان الثلاثة التوحيدية في سلام وانسجام . وعلي وجه الخصوص فقد وجد اليهود الذين كانوا يطاردون في بقية اوربا حتي الموت ، الحماية والحرية في أسبانيا وحققوا نهضة عظيمة لثقافتهم . لكن قصة فدائيي قرطبة قد أسست توجها صار فيما بعد شيئا معتادا ، ففي القرن التاسع كان الإسلام قوة عالمية عظمي بينما أوربا التي كانت غارقة في غزوات القبائل المتوحشة ، قد كانت من الناحية الثقافية منطقة كوارث وبناء علي ذلك بدا وكأن العالم كله قد صار إسلاميا – تماما مثل مايبدو الآن العالم وكأنه غربي – واستمر الإسلام حتي القرن الثامن عشر يمثل تحديا

مستمرا للغرب وفي السنين الأخيرة بدا وكان الحرب الباردة ضد الاتحاد السوفيتي قد استبدلت بحرب باردة ضد الإسلام .

كان يولوجيو والفارو يعتقدان بأن صعود الإسلام يعني إنذارا بمجيء المسيح الدجال ، النبي الكاذب ، الذي جاء ذكره في العهد الجديد بأن حكمه وسطوته ستكون علامة علي قيام الساعة فقد ذكر مؤلف الرسالة الثانية إلي أهل سالونيكي أن ظهور المسيح سيعقب الانهيار الذي يسببه مدع ويسيطر علي معبد بيت المقدس ويزعم انه هو الله ويضل كثيرا من المسيحيين (٢ ، ٤ - ٨) وفي إنجيل يوحنا هنالك ذكر لحيوان له رقم غامض هو ٦٦٦ - يخرج من أعماق الأرض ويتملك معبد الجبل ، ويهزأ بالله ويحكم العالم (١٣ ، ١١ - ١٨) وقد بدا وكأن الإسلام يحقق هذه النبوءة .

في سنة ٦٣٨ استولي المسلمون علي القدس وبنوا مسجدين عظيمين في جبل المعابد وبدا وكأنهم قد سيطروا علي العالم ورغم أن محمداً قد ظهر بعد المسيح حيث لم يجد كثير من المسيحيين أي ضرورة لوحي جديد ، إلا أنه سمي نفسه نبيا وتبعه عدد كبير من المسيحيين متخلين بذلك عن دينهم وكان يولوجيو وألفارو يمتلكان سيرة قصيرة لمحمد جاء فيها أنه مات سنة٦٦٦ من العهد الأسباني وهي تسبق التاريخ العادي بثمانية وثلاثين سنة وقد اختاروا هذا التاريخ ليتطابق مع النبوءة السابقة . هذه السيرة قد كتبت في نهاية القرن الثامن في دير ليرة في بابلونا في أطراف العالم المسيحي حيث كان العالم المسيحي يرتجف خوفا من العملاق الإسلامي وبصرف النظر عن الخطر والتهديد السياسي فإن نجاح الإسلام يقذف سؤالا عقائديا هاما : لماذا سمح الله لهذه العقيدة الكافرة في نظرهم أن تزدهر ؟ وهل من الممكن أن يكون الله قد تخلي عن شعبه المختار ؟

إن شتائم فدائيي قرطبة كانت تعتمد علي هذه السيرة الرهيبة ، ففي هذه الأقاويل الخيالية يعتبر محمد أ مخادعا وساحرا أدعي النبوة لنفسه ليخدع العالم ويزعمون أنه عاش في جو من المتع والفساد وشجع أتباعه علي أن يفعلوا مثله ، وقد أجبر الناس بحد السيف علي أن يدخلوا في دينه لذلك فإن الإسلام في رأيهم ليس وحيا مستقلا وإنما هو تحريف وتشويه للمسيحية ودين عنف وسيف يعظم ويجمل الحرب والقتل ، ومع الزمن انهارت حركة فدائي قرطبة وكان الناس قد سمعوا عنها في أطراف أخري من أوربا ، ولكن لم تقم ردود فعل عليها .

لكن بعد ٢٥٠ سنة عندما بدأت أوربا تدخل المسرح العالمي عادت الأقاصيص المسيحية لتناول هذه الصورة الخيالية لمحمد من جديد ، ورغم محاولة عدد من العلماء الجادين رسم صورة موضوعية عن النبي ودينه ، بقي هذا التصور الخيالي لمحمد ثابتا في الوعي العام وصار محمد العدو الأكبر للذاتية الأوربية النامية وكان يرمز لكل شيء مما لايريد الاوربيون أن يكونوه وقد بقيت آثار من هذا النسخ المحموم حتي يومنا هذا عالقة في الأذهان ولذلك فإن كثيرا من الناس في أوربا لازالوا يعتقدون أن محمداً قد استغل الدين ليسيطر علي العالم وأن الإسلام هو دين السيف رغم أن كثيرا من الدراسات العلمية الموضوعية الأوربية للإسلام قد أثبتت عدم إمكان التمسك بمثل هذه الادعاءات الخرافية .

في القرن الحادي عشر نالت أوربا تحت قيادة البابوات بعض الأهمية وزحزحت حدود الإسلام إلي الوراء ففي ١٠٦١ هاجم النورمانديون المسلمين في جنوب إيطاليا وصقلية واستولوا علي هذه المناطق في سنة ١٠٩١ وفي نفس الوقت كان المسيحيون قد بدأوا حروب التحرير ضد المسلمين في الأندلس واستولوا سنة ١٠٨٥ علي طليطلة وفي سنة ١٠٩٥ أهاب البابا اوربان الثاني بفرسان اوربا لتحرير قبر المسيح في القدس بحملة عسكرية سميت فيما بعد الحرب الصليبية الأولي وبعد سنين من المعاناة والشقاء استطاع فرسان الصليب في سنة ١٠٩٩ أن يستولوا علي القدس ويقيموا أول مستعمرة لبلاد المساء في الشرق الأدني هذا النجاح أخذ شكل حرب شاملة ضد الإسلام مليئة بمشاعر الكراهية والحقد ولكن فرسان الصليب كانوا أيضا مشغولين باحلام عن المجد الشخصي وتوسيع رقعة أوربا البابوية فقد أظهرت أغنية رولاند التي كتبت في زمن الحرب الصليبية الأولي جهلا فاضحا بحقيقة الإسلام حيث صور المسلمون علي أنهم عباد أصنام يعبدون ثلاثة آلهة هم أبولو وتيرفاقان ومحمد لكنهم صوروهم أيضا محاربين تجلب الحرب ضدهم الفرحة لكن جنود الحرب الصليبية الأولي عندما حاربوا لأول مرة ضد الأتراك في آسيا الصغري امتلأوا احتراما و إعجابا بشجاعتهم .

في معركة دوريلويم سنة ١٠٩٧ كان الفرانكيون يلتزمون بقواعد الحرب ولا يتعرضون للمدنيين ولكن عندما استولي فرسان الصليب بعد سنتين علي القدس ، بدوا وكانهم لايعتبرون المسلمين مخلوقات إنسانية فقد أقاموا بكل برود مذابح هائلة لسكان المدينة العزل مما أذهل معاصريهم فقد كانوا ينظرون للمسلمين علي أنهم حشرات قذرة يجب تنظيف المدينة المقدسة منهم .

قبل ١١٠٠ لم يكن هنالك أي اهتمام بمحمد في أوربا ولكن في سنة ١١٢٠ كان كل إنسان يعرف من هو ففي نفس الوقت الذي ظهرت فيه أقاصيص عن كارل العظيم والملك ارتوس وروبن هود ظهرت أيضا أقاصيص عن محمد العدو والمتربص للمسيحية في التصور الغربي .

يقول ر. و . سوذرن في كتابه الآراء الغربية عن الإسلام في القرون الوسطي .

(ليس هنالك أدني شك في أن هذه الخرافات والتصورات الخيالية في ساعة نشأتها كانت في اعتقادهم وصفا صادقا لما كانوا يريدون أن يصفوا ولكن بعد تكوينها اكتسبت هذه الأوصاف حياة خاصة ففي الأدب والشعر الشعبي لم تتغير كثيرا صورة محمد والعرب من جيل إلي جيل ، فكما في القصص والروايات المحبوبة يتوقع الإنسان فيها مقاطع محددة قد أخرج الكتاب والمؤلفون هذه المقاطع عبر القرون بالصورة المتوقعة منهم بالضبط) .

إن الصورة الخيالية لمحمد في الغرب ربما جعلت من الصعب علي الإنسان أن يري فيه شخصية تاريخية ليعطيها الاهتمام الجاد مثلها مثل نابليون أو الإسكندر الأكبر ونجد في الصورة الخيالية التي وردت في آيات شيطانية عن محمد كثيرا من هذه التصورات المجنونة ذات الجذور العميقة في بلاد الغرب .

تفسر هذه التصورات الخيالية نجاح محمد بسبب أنه كان ساحرا يخدع أعين الناس فيعتقدون أنه عمل معجزات ليكسب العرب ذوي الميل السريع للتصديق ولتحطيم الكنيسة في إفريقيا والشرق الأدني . في

إحدي هذه الخرافات يتحدثون عن ثور أبيض يسبب للناس خوفا وذعرا هائلا وأخيرا يخرج للناس بقرآن يتحرك بين قرنيه و. يحكي أيضا أن محمدا قد علم حمامة أن تلقط حبا من أذنيه بحيث يبدو وكأن روح القدس يهمس له أما حالاته وتجاربه الروحانية (الوحي) فقد فسرت بأنه كان مصابا بالصرع وورد هذا في الموسوعة البريطانية واعتبر ادّعاء لا أساس له وكان هذا يعني في ذلك الوقت أنه مسكون بشياطين أما حياته الجنسية فقد وجدت اهتماما بالغا حيث يقولون إنه يبارك كل انحراف ويكسب الناس لدينه بمخاطبة أحاسيسهم الدنيا ويقولون إن ادعاءاته ليس فيها صدق حيث إنه محتال خدع شعبه كله والذين كشفوا حقيقته هذه من أصحابه سكتوا عنها بسبب طموحاتهم وتطلعاتهم الشخصية ولتفسير رؤاه الدينية المثبتة والناجحة لم يجد الغربيون بدا من أن ينفوا نزول وحي ديني خاص به فالإسلام في نظرهم انقسام عن المسيحية وانحراف عن العقيدة الصحيحة وقد زعم أن قسيسا مسيحيا خارجا عن الملة كان قد طرد من البلاد المسيحية يدعي سيرجيوس كان قد تعرف علي محمد في بلاد العرب وأملي عليه معتقداته المسيحية المنحرفة ويقول هؤلاء بأن الإسلام لم يكن لينتشر ويزدهر في العالم بدون استعمال السيف ويقولون إن المسلمين لايزالوا ممنوعين من نقاش المسائل الدينية بحرية و أخيرا يقولون إن محمدا قد وجد جزاءه العادل ، فبينما كان في تشنجاته الشيطانية هذه هجم عليه سرب من الخنازير وقطعه إربا إربا .

تقول كارين آرمسترونق في كتابها محمد محاولةٌ غربية لفهم الإسلام . (بعض التفاصيل لهذه الاختلاقات تعكس مخاوف مسيحية بشأن الذاتية المسيحية المتطلعة فقد وصف الإسلام في أثناء الحروب الصليبية بأنه (دين السيف) وذلك في وقت كان المسيحيون فيه بكل تأكيد يعجبون من هذه الظواهر العنيفة التي ألمت بدينهم والتي لاتتفق مع دعوة المسيح السلمية وأيضا في الوقت الذي فرضت الكنيسة فيه علي القسس نظام الامتناع عن الزواج تكشف الأوصاف المفصلة لحياة محمد الجنسية والاضطهاد الذي حدث للمسيحيين أكثر مما تكشف عن الأحداث الحقيقية لحياة النبي .

أخيرا كان الغرب وليس الإسلام هو الذي منع النقاش الحر عن قضايا الاعتقاد ففي زمن الحروب الصليبية بدت أوربا وكأنها مهووسة بالتجانس والتوافق العقلاني وعاقبت المخالفين بحماس فريد في تاريخ الأديان فمطاردة المارقين بواسطة محاكم التفتيش وملاحقة البروتستانتيين بواسطة الكاثوليك والعكس كانت قد بدأت من آراء عقائدية مختلف عليها تعتبر في اليهودية والإسلام آراء شخصية مسموح بها فلا اليهودية ولا الإسلام يشاركون المسيحية تصورها عن المروق من الدين حيث تحدد آراء عن الإلهيات وترفع إلي مستوي يجعلها مثل عبادة الأصنام وقد كان عهد الحروب الصليبية التي نشأ فيا التصور الخيالي لمحمد أيضا وقتا لضغوط واعتراضات كبيـــرة وجدت تعبيـــرا في الحملـــة المحمومة علي الإسلام) وتواصل كارين آرمسترونق القول .

(لقد بدأ واضحا بصورة متزايدة أن المسيحيين الغربيين غير أكفاء لاحتمال مجموعات دينية وأيديولوجيات ناجحة مثل الإسلام والكنيسة اليونانية الاورثونوكسية داخل منطقة نفوذها والدين الوحيد الغريب عن المسيحية في الأرض الأوربية هو اليهودية ، وقد بدأ فرسان الصليب الأوائل رحلتهم إلي الشرق الأدني

بمذبحة جماعية لسكان حي يهودي في راينتال ، وقد نمت معاداة السامية في زمن الحروب الصليبية لدرجة أصبحت فيه مثل المرض المستعصي ونسجت في نفس الوقت الذي كانت تؤلف فيه الاختلاقات المحمومة عن محمد أيضا قصصا وخرافات عن اليهود فمثلا يقال إنهم يقتلون الأطفال ويخلطون دمهم بخبز الاحتفال بالخروج إلي أرض الميعاد وأيضا يقال عنهم إنهم يشاركون في تآمر عالمي لتحطيم المسيحية وبالمقارنة لاتوجد تصورات إسلامية مماثلة في معادات اليهود وهذا يكشف عن شيء مريض في النفسية الاوربية) .

بعد الانتصارات المسيحية في اسبانيا وجنوب ايطاليا وصقلية صار هناك عشرات الآلاف من المسلمين داخل الحدود المسيحية ولم يستطع المجتمع المسيحي التعامل مع هؤلاء الغرباء إلا بإقامة نوع من التمييز العنصري (أبارتايد) فقد منع علي المسيحيين التداخل مع جيرانهم المسلمين أو اليهود وفي مؤتمرات الكنيسة لسني ١١٧٩ و١٢١٦ أعلنت هاتان المجموعتان بواسطة المشرعين الكنسيين علي أنهما عدو مشترك وتحت تهديد الطرد من الكنيسة وسلب الممتلكات منع المسيحيون أن يقوموا بأي أعمال داخل منازل المسلمين أو اليهود أو الاعتناء بأطفالهم أو المتاجرة معهم أو حتي الأكل معهم وفي سنة ١٢٢٧ أضاف البابا قريقور التاسع الأمر التالي للإجراءات السابقة : المسلمين واليهود عليهم أن يلبسوا ملابس تميزهم عن المسيحيين وأن لايظهروا في الطرقات في أيام الاحتفالات المسيحية ومنع الآذان الذي اعتبر إهانة للمسيحيين بدعوتهم للصلاة .

فيما بعد اعتبر البابا كليمنز الخامس (١٣٠٥ – ١٣١٤) وجود المسلمين علي أرض مسيحية إهانة لله ، وفي سنة ١٣٠١ أمر الملك كارل الأول فون أنجو ملك نيابل وصقلية بإعدام المسلمين المتبقين في بلاده في محمية لوسيرا واصفا إياهم بأنهم عش للأمراض المعدية وفي ١٤٩٢ حطمت آخر قلعة إسلامية في اروبا عندما استولت القوات الكاستيلية التابعة لفيرديناند وإزابيلا علي غرناطة و أعلنت الأجراس في عموم أوربا انتصار المسيحية علي غير المعتقدين وبعد سنين قليلة فرض علي المسلمين في اسبانيا الاختيار بين الطرد من اسبانيا أو الدخول في الدين المسيحي وقد اختار كثيرون مغادرة اروبا ولكن بعضهم تحول للمسيحية وهؤلاء ظلوا هم وعقبهم يتابعون بواسطة محاكم التفتيش لمدة ٣٠٠ سنة أخري فقد حلت روح فدائيي قرطبة محل التسامح السابق وبدا وكأن المسيحيين الأسبان يخافون من المسلمين المحصورين بين ظهرانيهم .

إن موقف الغرب الغريب من الإسلام يظهر في بعض الأحيان في ردود فعل انفصامية مثلا فريدريك الثاني قيصر الإمبراطورية الرومانية المقدسة الذي كان معجبا بالإسلام ويجد نفسه أسعد حالا في العالم الإسلامي منه في اوربا المسيحية ، أمر رغم ذلك بطرد وقتل المسلمين في جزيرة صقلية مسقط رأسه .

لكن بينما كان المسيحيون يقتلون المسلمين في الشرق الأدني كان مسيحيون آخرون في اسبانيا يجلسون حول علماء مسلمين فقد كان هناك مسيحيون ويهود واسبان عرب يعملون سويا في مشروع ترجمة عملاق لنقل علم العالم الإسلامي للغرب ووصلهم بالمعارف القديمة التي كانت قد ضاعت في القرون الوسطي وقد حظي الفلاسفة الإسلاميون مثل ابن سينا وابن رشد بتقدير عظيم لقدراتهم العقلية رغم أنه

كان يصعب علي الغربيين أن يتعايشوا مع حقيقة كونهم مسلمين ويتضح هذا الموقف عند الشاعر الكبير دانتي في روايته (الكوميديا الإلهية) فابن سينا وابن رشد يجدون أنفسهم مع الصالحين من غير المعمدين مثل يوكليد وبطليموس وسقراط و افلاطون وارسطا طاليس في مقدمة نار جهنم وهم الذين ساعدوا الغرب في التوصل إلي ثقافة عقلية عالية .أما محمد فيكون في الدائرة الثامنة من نارجهنم مع الانشقاقيين والمخربين ويلقي عقابا قاسيا ، كل هذه التصورات صاغها دانتي في أشعار قصصية ترجمت لكل لغات اوربا وأيضا كان دانتي يرفض أن يعترف بأن محمدا كانت له رؤي دينية مستقلة فهو في نظره فقط انقسامي انحرف عن العقيدة السليمة تقول كارين أرمسترونق في كتابها سابق الذكر : (إن هذه الصور الفاضحة تعبر عن الرفض الذي يجده المسيحيون في صدورهم ضد الإسلام ولكنها أيضا تعبر عن الانفصام في النفسية الغربية التي تري في الإسلام تجسيدا لكل مالا يستطيعون أن يفهموه فالخوف والكراهية اللذان يعتبران رفضا كليا لرسالة المسيح في الحب تكشف عن جروح عميقة في احترام الذات في المسيحية الغربية)

لكن هنالك أيضا أناس يحاولون أن يطوروا مالديهم من نظرة موضوعية ففي ذات الوقت الذي جعل الخيال المسيحي من اليهود والمسلمين أعداء للحضارة ظهر أول تصور إيجابي لمحمد كتبه اليهودي الاسباني بيتر الفونس الذي تحول للمسيحية في سنة ١١٠٦ وعمل بعد ذلك طبيبا خاصا لهينريك الأول في انجلترا فرغم أنه كان معاديا للإسلام ، لم يتردد في عرضه خياراً يمكن للمرء أن يتخذه ولكنه أيضا لايعتبر العقيدة الحقة وفي حوالي سنة ١١٢٠ عندما بلغت كراهية الإسلام ذروتها في اوربا كتب وليام فون مالمزبوري كأول اوربي بأن هناك فرقا واضحا بين الإسلام واللادينية فهو يقول في اقتباس من كتابه ورد في كتاب (الآراء الغربية عن الإسلام في القرون الوسطي) (للمؤلف ر. و . سوذرن)

(العرب والأتراك يعبدون الله الخالق ويعظمون محمدا ليس كإله وإنما كرسول من عند الله) وهذا رأي كان كثيرون في الغرب يترددون في قبوله وغير قليل من الناس حتي اليوم يستغربون عندما يسمعون بأن المسلمين يعبدون نفس الإله الذي يعبده اليهود والمسيحيون ففي تصورهم يعتبر الله إلها مختلفا تماما ويشبه جوبيتر في مجموعة الآلهة الرومانية وهنالك أيضا آخرون يعتقدون أن المحمديين يعظمون رسولهم بنفس الطريقة التي يعظم بها المسيحيون المسيح عيسي) .

إن الصعوبة في التفريق بين الحقائق والخيال تتضح جليا في كتاب معجم التاريخ الكبير الذي ألفه بسودو – توربين قبل سنة ١١٥٠ في هذا الكتاب يذكر أن المسلمين يعبدون محمداً إلي جانب أبولو وتيرفاقان ولكن في وسط الكتاب أوردت محادثة بين القائد رولاند والعملاق المسلم فيراكوتوس يعترف فيها بأن المسلمين يعبدون إلها واحدا فقط وفي نفس الوقت ناقض المؤرخ اوتو فون فرايزينق الافتراض بأن المسلمين يعبدون الأصنام حيث قال في فقرة اقتبست في كتاب ر. و . سوذرن سابق الذكر .

(من المعلوم أن العرب يعبدون إلها واحدا ويلتزمون بالقوانين التي وردت في العهد القديم إلي جانب عادة الختان ولايهاجمون المسيح ولا الرسل في جانب واحد فقط يفقدون أي طريق للخلاص بإنكارهم بأن المسيح عيسي هو الله أو ابن الله وبتعظيمهم للمضلل محمد واعتباره نبيا عظيما للرب الأعظم) .

وهكذا بدأت صورة صحيحة للإسلام تظهر منذ منتصف القرن الثاني عشر ، ولكن هذه الموضوعية لم تكن قوية بالدرجة التي تمكنها من إزالة كل الصور الخيالية المعادية وهكذا تعايشت الحقائق جنبا إلي جنب مع الاختلافات وحتي الذين يجتهدون أن يكونوا منصفين تظهر عندهم في نقطة ما الكراهية القديمة ويظل محمد هو المحتال والمفرق حتي بعد أن حصل البطريق اوتو فون فرايزينق علي معرفة دقيقة عن دينه ، وأهم خطوة لفهم صحيح للإسلام في القرن الثاني عشر اتخذها بيتروس فينرا بيليس عميد كلية كلوني الإنساني ففي سنة ١١٤١ قام بزيارات لدور الرهبان في اسبانيا المسيحية وكلف مجموعة من العلماء المسيحيين والمسلمين برئاسة الانجليزي روبرن فون كيتون بترجمة بعض النصوص الإسلامية وقد أكمل هذا العمل في سنة ١١٤٣ وكان الإنتاج هو أول ترجمة لاتينية للقرآن ومجموعة من القصص الإسلامية وتاريخ العالم وشرح للعقيدة الإسلامية إلي جانب مقال اثاري بعنوان (اعتذار الكندي) وقد كان هذا إنجازا معتبرا فلأول مرة توافرت للناس في الغرب فرصة القيام بدراسات جادة عن الإسلام ، لكن هذا وحده لم يكن ليفعل الكثير ففي هذا الوقت لقي المسيحيون أول هزيمة كبيرة في الشرق الأدني وهذا قاد لموجة جديدة من مشاعر العداء للإسلام ساهم فيها بقدر كبير بيرنهارد فون كليرفوكس لذلك فلم يكن ذلك الوقت فترة مناسبة لبداية دراسات موضوعية عن الإسلام لكن بتروس فينرابيليس ألف رسالة تخاطب المسلمين بكثير من العطف والمودة يقول فيها (إني أقترب منكم ليس بالسلاح كما يفعل كثيرون ولكن بالكلمات ، ليس بالقوة ولكن بالعقل ، ليس بالكراهية ولكن بالحب إني أحبكم وانطلاقا من هذا الحب أكتب إليكم وبهذه الرسالة أدعوكم للخلاص (وردت هذه الرسالة مقتبسة في كتاب بنجامين كيدار (الحروب الصليبية والتبشير التوجه الأوربي نحو المسلمين) ولكن عنوان الرسالة كان كالتالي (ملخص كامل للفتنة الكافرة لطائفة المسلمين الشيطانية) وحتي لو كان العرب في وضع يمكنهم من فهم النص اللاتيني لعميد كلوني ، فإن قليلين جدا من المسلمين الحقيقيين كانوا سيجدون هذا الخطاب مفهوما فحتي هذا العميد الإنساني الذي أظهر امتعاضه من التطرف في زمانه في مناسبات عديدة أخري ، لم يستطع أن يتخلص من العقلية الأروبية الانفصامية في مواجهة الإسلام وعندما أعلن الملك لويس السابع ملك فرنسا في سنة ١١٤٧ بداية الحرب الصليبية الثانية في الشرق الأدني كتب له بيتر فينرابيليس يعبر عن أمله في أن يقتل هذا عددا كبيرا من المسلمين مثلما فعل موسي وجوشوا مع الاموريتيين والكنعانيين .

في بداية القرن الثالث عشر قام رجل دين مسيحي آخر خلال أحد الحروب الصليبية بمحاولة لمد يد الصداقة للمسلمين ففي فترة توقف للقتال خلال الحرب الصليبية الخامسة التي كانت كارثة علي المسيحيين في سنة ١٢١٨ /١٢١٩ ظهر فرانس فون اسيسي في معسكر المسيحيين في الدلتا المصرية واخترق خطوط العدو طالبا مقابلة السلطان الكامل بن صلاح الدين ويقال إنه قضي ثلاثة أيام مع السلطان الكامل شرح له فيها الانجيل وحثه علي أن يصير مسيحيا وبما أن الأب المقدس فرانسيسكوس تجنب الإساءة للنبي محمد فقد استمع إليه المسلمون باهتمام وبدا أنهم قد أعجبوا بهذا الرجل المهلهل القليل العناية بنفسه وعند وداعه قال له الكامل (ادعو الله لي أن يرحمني بهدايتي لمعرفة العقيدة والشريعة التي هي أقرب لمرضاته)

و أرسل الكامل الأب المقدس فرانسيسكوس بكل مظاهر الاحترام والحماية إلي معسكر المسيحيين وقبل أن يغادر فرانس فون أسيس الشرق الأدني أرسل عددا من تلامذته لدعوة المسلمين في اسبانيا وإفريقيا للمسيحية .

ولكن هؤلاء تصرفوا بطريقة مخالفة تماما فبعد وصولهم إلي سيفيلا تصرفوا مثل فدائيي قرطبة فقد حاولوا أولا الدخول في المسجد يوم الجمعة أثناء الصلاة وعندما منعوا من الدخول تجمعوا أمام قصر الأمير وهاجموه بالصياح والهتاف وقد كانت هذه الرحلة التبشيرية الأولي في منطقة نفوذ الإسلام خالية تماما من المودة والتفهم فلم يكن يهم الفرانسيسكانيين تنصير المسلمين بقدر ماكانوا يريدون أن يستعملوهم للحصول علي تاج الاستشهاد فقد تصرفوا بطريقة مفضوحة وبأصوات عالية مما اضطر مسئولي الأمن أن يأخذوهم ويضعوهم في الحراسة ولتجنب الإثارة ظلوا يحولونهم من سجن إلي آخر ولم يكن المسئولون يرغبون في الحكم عليهم بالإعدام ولكن العرب الاسبان خافوا من أن يهدد هؤلاء المتطرفون وضعهم فطلبوا التخلص منهم لذلك أرسلهم المسئولون إلي سويتا في المغرب حيث ذهبوا مباشرة للمسجد يوم الجمعة وشتموا الرسول محمداً عند هذا لم يبق للسلطة خيار سوي أن ينفذ فيهم حكم الإعدام ويقال إن فرانس فون اسيس عندما سمع بهذا الخبر صاح في فرح وسرور قائلا (الآن أعلم أن لدي خمسة من الشهداء) هذا التصرف تكرر بنفس الطريقة في البعثات التي تلت للفرانسيسكانيين ففي سنة ١٢٢٧ أعدمت مجموعة أخري في سويتا في المغرب وكانوا قد كتبوا إلي بلادهم يقولون إن هدفهم الأساسي هو (الموت ولعنة غير المعتقدين) وآخرون سافروا للأرض المقدسة وقد كتب عنهم ياكوب فون فيتري بطريق عكا الذي كان يدين اساليبهم ، كما جاء في كتاب ريجين بيرنود ، محاربو الصليب .

(إن العرب يستمعون لأعضاء المينوريت برغبة عندما يتحدث هؤلاء عن الإيمان بالمسيح وتعاليم الانجيل لكن عندما تكون أقوالهم مناقضة لأقوال محمد الذي يصور عندهم بأنه كذاب فإنهم يضربون بدون أي احترام و إذا لم يكتب الله لهم السلامة فإنهم قد يقتلون او يطردون) .

وهكذا أسست العداوة والكراهية لنفسها طريقا في القرون الوسطي يمكن أن يتخذ شكلا عنيفا أحيانا حتي وإن كان بعض الناس يحاولون أن يكونوا منصفين وموضوعيين أو يقتربوا من العالم الإسلامي بالدعوة المسيحية ومثلا في نهاية القرن الثالث عشر زآر القس الدومينيكاني ريكوكو دا مونتي كروسو بعض البلاد الإسلامية و أعجب بالتدين والتقوي اللذين رآهما هناك حتي قال : إن المسلمين يجعلون المسيحيين يخجلون من أنفسهم لكن هذا القسيس نفسه عندما عاد إلي بلاده وكتب كتابا بمشاهداته أسماه : مقالات ضد العرب والمسلمين لم يستطع إلا أن يردد الأحكام المسبقة القديمة فالصورة الغربية عن الإسلام قد اتخذت وزنا خاصا بها أقوي من كل اتصال بالمسلمين مهما كانت قوته ففي عهد الحروب الصليبية كان الغرب قد وجد نفسه فأغلب المشاعر المعهودة والتعلقات يمكن أن تتابع إلي جذورها في تلك الفترة .

وعندما تحرك ريتشارد قلب الأسد سنة ١١٩١ للأرض المقدسة ليبدأ الحرب الصليبية الثالثة فالتقي في ميسينا بصقلية بالروحاني الايطالي المشهور يواخيم فيودي وقد أخبر يواخيم ريتشار بأنه سينتصر علي

صلاح الدين بكل تأكيد وقد أخطأ كما هو معلوم في هذا التوقع ولكنه ذكر بعض أشياء أخري مهمة فقد كان يري أن نهاية العالم قد قربت وأن انتعاش الإسلام يمكن أن يكون أهم وسائل المسيح الدجال وقال إن المسيح الدجال قد ولد ويعيش في ذلك الوقت في روما وأنه سيكون البابا في القريب العاجل وهكذا في هذه الفترة التي صار الناس فيها غير راضين عن مجتمعهم صار الإسلام يقرن بالعدو في الداخل وقد ربط المصلحون البابوية عدوهم اللدود بالإسلام وهكذا كتب المصلح البريطاني جون وايكليف في القرن الرابع عشر في مؤلفاته المتأخرة أن نقائص الإسلام هي بالضبط مثل نقائص الكنيسة الرومانية في ذلك الوقت: العجب ، الطمع ، العنف والسعي للسلطة والمال ، وكتب مشيرا إلي الكنيسة المسيحية عموما ، (نحن محمدو الغرب نعتقد أن العالم يجب أن يرتب حسب أمزجتنا ويرتجف من أوامرنا رغم أننا أقلية في مجتمع الكنيسة الكبير ، وواصل الحديث محذرا بأن الكنيسة مالم تعد إلي الروح الحقة للانجيل والفقر الأنجيلي فإن هذه الروح (الإسلامية) ستزداد في الغرب والشرق وهذه كانت صورة أخري للعادة القديمة ، ولاتختلف عنها إلا قليلا في جعل الإسلام ونبيه الشيء المغاير لكل ما نأمل أو نخشي أن نكونه .

كان وايكليف يعتمد علي مصادر غير موثوق بها ولكنه كان قد قرأ ترجمة للقرآن واعتقد أنه وجد أوجه شبه بين محمد والكنيسة الرومانية فمثل الكنيسة كان محمد يتعامل بكل تساهل مع الكتاب المقدس واختار منه مايروق له وترك البقية الباقية بدون نظر ومثل التنظيمات الدينية كان محمد قد أدخل كثيرا من التجديدات ليرهق المؤمنين بأعباء إضافية ولكن قبل كل شيء كان محمد مثل الكنيسة قد منع النقاش الحر حول مسائل الدين وقد ظن وايكليف أنه وجد في بعض فقرات القرآن تأكيدا لكل الأحكام المسبقة التي نشأت في القرون الوسطي تقول كارين : آرمسترونق (يجدر القول هنا بأن القرآن لايمنع بأي حال من الأحوال النقاش في حد ذاته ولكنه يشير إلى أن بعض الجدل الديني في الدينيين التوحيديين السابقين قد عمل علي تفرقة المؤمنين وجعلهم شيعا وأحزابا فكثير من التصورات عن الله لاتعدو أن تكون صنوفا تأملية فمثلا لايستطيع أحد أن يثبت عقيدة صيرورة الله للإنسان) ، والتي هي في نظر محمد من إضافة بعض المسيحيين للرسالة الخالصة للنبي عيسي وقارن وايكليف عدم التحمل الإسلامي للراي هذا بموقف الكنيسة من عقيدة العشاء المقدس ، حيث تقول للمسيحيين أن يقبلوا الأشياء التي لايفهمونها بالاعتقاد الأعمي .

وقد واصل لوثر والإصلاحيون الآخرون نفس هذه العادة فبالنظر لاقتراب الأتراك العثمانيين المرعب أصاب لوثر في أواخر حياته كابوس فدائيي قرطبة وصار يخشي أن يبتلع الإسلام المسيحية بالكامل . في سنة ١٥٤٢ نشر لوثر ترجمه لكتاب ريكولدو دا مونتي كروسيس :(الحجج الدامغة ضد المسلمين ، وقد قال في مقدمته للترجمة إنه كان قد قرأ الكتاب منذ سنين ولم يستطع أن يقبل في ذلك الوقت أن أناسا يستطيعون أن يؤمنوا بمثل هذا النسيج المكشوف من الأكاذيب وكان يريد أن يقر أ القرآن ولكنه لم يجد ترجمة باللاتينية وهذا يدل في نظر سوذرن علي الحالة المزرية للدراسات الإسلامية في اوربا في القرن السادس عشر لكن وقعت في يد لوثر نسخة مترجمة بعد ذلك وكتب أنه تأكد بأن ريكولولدو قد كتب الحقيقة عن هذا الدين وقد طرح مارتن لوثر السؤال إن كان محمد والمسلمون هم المسيح الدجال و أجاب بأن الإسلام

شيء أضعف من أن يحقق هذا القدر الرهيب وعاد فأكد أن العدو الحقيقي هو البابا والكنيسة الكاثوليكية وطالما ظلت اوربا تتمسك بهذا العدو الداخلي ، فإنها تعرض نفسها لهزيمة علي أيدي المحمديين وقد عبر المصلح زوينقلي و آخرون عن آراء مشابهة فهم كانوا يرون أن روما هي رأس المسيح الدجال والمحمدية هي جسمه . وهكذا فقد صار الإسلام لدي كثير من الناس رمزا للشر فكما قال نورمان دانيل في كتابه (العرب واوربا في القرون الوسطي) .

(لم يعد الإسلام شيئا تاريخيا خارجيا يستطيع كل إنسان أن يمحصه فقد أدخل الإصلاحيون تصور الإسلام بوصفه حالة داخلية يتهم بها أعداء التعاليم الخالصة (مهما كان تعريف هذه التعاليم) وبهذا فقد اعترفوا باستيعاب الإسلام بوصفه حالة داخلية ترمز للعدو مطلقا وظلت هذه الصورة عالقة في أذهان الاوربيين لأمد طويل ويذكر دانيل في كتابه (الاسلام والغرب) أمثلة لكاثوليكيين وبروتستانتيين يقارنون أعداءهم المسيحيين بالإسلام مثلا في القرن السابع عشر كان القس الكاثوليكي م . ليفيبغر يصف المسلمين بانهم (البروتسنتانتيين المحمديين) الذين يعتقدون أنهم يحصلون علي الخلاص بالإيمان وحده ويأملون في غفران ذنوبهم بسبب إيمانهم بمحمد أما الكاتب الرحالة البروتسنتانتي ل . راولف الذي عاش في القرن الثامن عشر فكان يري المسلمين (كاثوليكيين محمديين) لأنهم يجتهدون في الأعمال الصالحة التي اخترعوها لأنفسهم من الصدقات والصلوات والصيام وتحرير العبيد وماشابه ذلك ليرضوا الله) .

وهكذا فإن المسيحيين في القرون الوسطي كانوا يرون في الإسلام صيغة محرفة من المسيحية واختلقوا خرافات ليبرهنوا علي أن محمد اً أخذها من مسيحي مارق وبعد انقسام العالم المسيحي ظل الغرب ينظر إلي محمد ودينه من خلال مفاهيم مسيحية ولم تكن الحقائق التاريخية تعني لديهم شيئا كثيرا أو يخطر ببالهم أن المسلمين لهم إيمان وحماس ذاتي لعقيدتهم لايمكن أن يعرف بالإشارة إلي ممارسات مسيحية .

علاقة المسيحية بالإسلام في عصر النهضة :

في عصر النهضة ظهر مفكرون آخرون يحاولون أن يفهموا العالم الإسلامي فهما موضوعيا علي طريقة فينرابيليس منهم يوهانس فون سيقوفيا ونيكولاس فون كوز وفي سنة ١٤٥٣ عندما استولي الأتراك علي بيزنطة المسيحية وحملوا الإسلام إلي عتبة اوربا عبر يوهانس فون سيقوفيا عن رأيه بأن الخلاف مع الإسلام لايمكن أن يحل بالتبشير أو الحرب وأن طرقا جديدة لابد أن تستحدث ويبدأ هو بالتعاون مع مسلم من سلامانكا ترجمة جديدة للقرآن إلي جانب ذلك طرح فكرة مؤتمر يتم فيه تبادل وجهات النظر بين المسلمين والمسيحيين ومات يوهانيس فون سيقوفيا سنة ١٤٥٨ ولم يشهد تحقق أي من أفكاره ومقترحاته ولكن صديقه نيكولاوس رفون كوز واصل دفع هذه الآراء ففي سنة ١٤٦٠ كتب كتابا عن القرآن امتنع فيه عن الهجوم المقذع المعهود وركز علي النصوص التي كان سيقوفيا قد اعتبرها أساسية لفهم الإسلام وقدم لها تمحيصات أدبية وفلسفية .

وفي عصر النهضة أدخلت الدراسات العربية في الجامعات وهذا التوجه نحو كتابة الموسوعات ساعد كثيرا من العلماء في الوصول إلي تقييم أقرب إلي الحقيقة للعالم الإسلامي

والابتعـــاد عن توجـــهات الحروب الصليبية ولكـــن هذا التقـــدم العلمـــي لم يســتطع أن يزيل الصور القديمة للرفض والكراهية التي استمرت في الوعي الأوربي .

في سنة ١٦٩٧ في بداية عصر النهضة ظهرت موسوعتان مهمتان أولاهما كتاب (المكتبة الشرقية) لبارتيليمي ديربيلوت الذي صار مرجعا مهما حتي القرن التاسع عشر للدراسات الشرقية واعتبر أول موسوعة إسلامية وقد استعمل ديربيلوت مراجع عربية وتركية وفارسية وحاول تجنب الآفاق المسيحية الضيقة وقدم معارف مفيدة وموضوعية ولكنه هو أيضا لم يستطع أن يتخلص من عقدة محمد فتحت كلمة محمد كتب

(إنه هو المدعي المشهور مؤلف ومؤسس النحلة المارقة التي حملت اسم دين ونطلق عليها المحمدية وقد نسب المفسرون والمترجمون وعلماء المسلمين الآخرون لهذا الدعي كل المجد والفضل الذي نسبه الأريون والباولينيون وغيرهم من المارقين إلي عيسي المسيح بينما سلبوه في نفس الوقت ألوهيته) .

في نفس السنة نشر المستشرق الانجليزي همفري بريدوكس كتابه المشهور (محمد: الطبيعة الحقيقة للانتحال) ويتضح من العنوان تأثر المؤلف بتخرصات القرون الوسطي ويذكر ريكولدو دا مونتي كروس كأحد أهم مراجعه ولكنه يدعي أنه يكتب بموضوعية وعقلانية أكثر مما كان ممكنا في القرون الوسطي الخرافية ويزعم بريدوكس أن الإسلام ليس فقط تقليدا للمسيحية وإنما يعطينا مثالا لبلادة كل الأديان بما في ذلك المسيحية عندما لاتقف علي قاعدة العقل الصلبة فإن عهد المعرفة يجب أن يخلص الإنسان من الأحكام المسبقة المكبلة التي نشأت في عهد الحروب الصليبية ورغم ذلك لم يتورع بريدوكس عن ترديد التهم والتخرصات القديمة عن محمد والإسلام حيث كتب :

(في النصف الأول من حياته قاد محمد حياة متقلبة ومراوغة فقد اشتغل بالنهب والسلب وسفك الدماء علي عادة العرب الذين يحترفون هذا العمل حيث تقع القبائل علي بعضها بالسلاح لنهب وسلب ما أمكن وكانت مشاعره القوية تتجه نحو حب النفس والطمع فالطريق الذي اتخذه للوصول إلي السلطة يبرهن علي النقطة الأولي بينما العدد الكبير لنسائه يبرهن على النقطة الثانية وهاتان الصفتان تهيمنان علي دينه حيث لايوجد فصل في القرآن لايوجد فيه قانون ما عن الحرب وسفك الدماء لدفع الصفة الأولي أو حريات استعمال النساء والوعد بمتعهن فيما بعد للثانية) .

في القرن الثامن عشر اجتهد الغربيون في الحصول علي فهم سليم للإسلام ففي سنة ١٧٠٨ فاجأ سايمون أوكلي القراء في المجلد الأول من كتابه (تاريخ العرب والمسلمين) باعترافه بأن الإسلام لم ينتشر بحد السيف وحاول تفسير الجهاد في القرن السابع من وجهة النظر الإسلامية وفي سنة ١٧٣٤ نشر جورج سيل ترجمته المشهورة للقرآن والتي تعتبر حتي اليوم ترجمة دقيقة وإن كانت ثقيلة في أسلوبها وفي سنة ١٧٢١ نشر فولتير كتابه (أخلاق وروح الأمم) . دافع فيه عن محمد بأنه كان مفكرا سياسيا ثاقب النظرة ومؤسسا لدين عقلاني وأضاف بأن المسلمين كانوا دائما أكثر حلما وتحملا للآخرين من المسيحيين أما المستشرق واللغوي الالماني يوهان ياكوب وايزكه (١٧١٦ - ١٧٧٤) الذي كان عالما فريدا بالعربية فقد كتب أنه يري بكل تأكيد شيئا إلهيا في حياة محمد وفي تأسيس الإسلام .

في القرن الثامن عشر تطور اعتقاد عام بأن محمداً كان رجلا عاقلا ومشرعا حكيما يمثل مرحلة الوعي ففي سنة ١٨٣٠ نشر هنري كومتي دي بولانفيلييه سيرته عن محمد بعنوان (حياة محمد) التي صور فيها محمدا علي أنه من رواد عصر الوعي وكان بولانفيلييه يشارك مسيحيي القرون الوسطي رأيهم بأن محمدا قد اخترع دينه ليحكم العالم ويقلب كل التقاليد علي رأسها وبعكس المسيحية فإن الإسلام دين مستقل لاينبع من وحي سماوي وهذا في رأيه الذي يدعو للإعجاب به أما محمد نفسه فقد كان بطلا عسكريا عظيما مثله مثل جوليوس قيصر والاسكندر الأكبر وعمل بولانفيلييه هذا يمكن أن ينظر إليه من ناحية أنه محاولة لرؤية محمد في ضوء إيجابي .

وفي نهاية القرن مدح ادوارد قيبون في الفصل الخامس من كتابه (تاريخ انهيار وسقوط الإمبراطورية الرومانية) عقيدة التوحيد الإسلامية العظيمة وقال إن المجهود الإسلامي يستحق مكانا في تاريخ الحضارة الإنسانية لكن الأحكام المسبقة كانت عميقة الجذور بحيث لم يستطع حتي هؤلاء المؤلفين أن يتجنبوا الوقوع في هجمات جانبية علي محمد ويبرهنوا بذلك علي أن الصورة الموروثة لم تصر بعد جزءا من التاريخ مثلا كتب سايمون اوكلي كما ورد في كتاب نورمان دانيل الوصف التالي لمحمد :

(كان رجلا موهوبا وذكيا استطاع أن يوهم الناس بأنه يلتزم بصفات حميدة وأخلاق عالية رغم أن روحه في واقع الأمر كانت تمتليء بالطموح والطمع) وذكر جورج سبل في مقدمته لترجمتــه للقـرآن كمــا ورد في نفس المصدر السابق .

(هنالك براهين مقنعة بدرجة عالية ، بأن الإسلام صناعة بشرية وأنه يدين في نشــره وصعوده فقط للسيف) كما يشير فولتير في نهاية مقالاته في كتابه (أخلاق وروح الامم) بعد تقييماته الإيجابية .

(كان محمد في نظــر حتــي الذين يعلمــون أنه مدع رجلا عظيمــا بينما يراه الآخرون ويحترمونه علي أنه نبي) أما في روايته (محمد) فقد رجع فولتير سنة ١٧٤١ الي التصورات والاحكام المسبقة القديمة وصور محمدا مثالاً لكل المدعين الذين خدعوا شعوبهم بالحيل والأكاذيب واستعبدوهم باسم الدين وبما أن القصص المعروفة عن محمد لم تكن بالصورة التي تناسب تصوره فقد اخترع له قصصا وحكاوي أخري تصلح لما أراد أن يكتبه حتي قيبون الذي كان قد مدح التوحيد الذي جاء في الإسلام لم ينفق وقتا كثيرا في الحديث عن محمد نفسه بحجة أنه قد سيطر علي العرب بشريكين : الغنائم والجنس ، أما عما إذا كان القرآن من عند الله فيقول قيبون بكل غرور إن مثل هذا الاعتقاد لايمكن أن يقبله أي إنسان متحضر .

في هذه المرحلة كان الاروبيون يتكلمون بنوع من الثقة فلم يعودوا يرتجفون خوفا من التهديد الإسلامي وصاروا ينظرون إلي الإسلام بنوع من الارتخاء والتساهل فكانوا يقولون إذا كنا نحن لانفهم القرآن فإنه لايمكن أن يكون به شــيء يستحق النظر .

حتي توماس كارليل تكلم في محاضــرة له ســنة ١٨٤١ بعنوان (البطل يصير نبيا) بنوع من عدم الاحترام عن القرآن ولكنه أفاض كثيرا في الحديث عن محمد ورفض كل الخرافات التي كانت تقال عنه في القرون الوسطي وبذلك كان أول أوربي يحاول أن يري في محمد إنسانا مؤمنا بحق وحقيقة .

العلاقة بين المسيحية والإسلام في عهد الاستعمار :

في سنة ١٧٩٨ أنزل نابليون بونابرت جنوده الذين حملوا بسفن كثيرة في ميناء الاسكندرية في مصر في محاولة للسيطرة علي العالم الإسلامي بطرد انجلترا من مصر وقطع الطريق عليها إلي الهند وقد اصطحب معه عددا كبيرا من المستشرقين وعلماء الآثار والعلماء الطبيعيين في استعراض كبير لمعارف الغرب العلمية الهائلة التي يريد أن يحتل بها بلاد الإسلام وقد أرسل هؤلاء العلماء فور الإنزال لعمل دراسات ومسوحات وصدرت أوامر للضباط باتباع توجيهاتهم وتسهيل مهامهم وكانوا قد حضروا أنفسهم لهذا العمل تحضيرا جيدا .

في الاسكندرية حيت الجماهير الغاضبة نابليون بهتافات تقول (نحن مسلمون) فما كان من نابليون إلا أن دعا ستين شيخا من شيوخ الأزهر وقابلهم بحفاوة وتحدث معهم باستفاضة عن الإسلام وكان من ضمن ما حكاه لهم رواية فولتير عن محمد ورغم أن العلماء لم يصدقوا إسلام نابليون إلا أنه ترك انطباعا طيبا لديهم بمعلوماته الكثيرة واهتمامه بالإسلام وقد خفف ذلك من مشاعر العداء التي ظهرت في البداية ولكن مغامرة نابليون لم تدم طويلا فقد وقع عليه الأسطول البريطاني بالتعاون مع الاسطول التركي وأجلوه عن مصر فعاد سريعا مبحرا إلي فرنسا .

في القرن التاسع عشر سادت اوروبا روح الاستعمار الذي أدخل في روعهم أنهم أسمي من كل الأجناس والأعراق الأخري ويقع عليهم عبء تثقيف وتحضير الناس المتخلفين في إفريقيا وآسيا وقد اثر ذلك في موقفهم من الإسلام حيث كانوا يطمعون في الاستيلاء علي أراضي الخلافة العثمانية لذلك انتعشت التصورات القديمة عن الإسلام وخاصة علي يد الاعتذاري المسيحي فرانسوا ريني دي تشاتوبرياند الذي كان معجبا بنابليون ورأي فيه أحد فرسان الصليب ، ففي رأيه كان جنود الصليب قد حاولوا إدخال المسيحية إلي الشرق ولكنهم اصطدموا بالإسلام خلال الحروب الصليبية ويصف هذا الدين بأنه (عقيدة تعادي الحضارة وتدعم الجهل) والدكتاتورية والعبودية) وهكذا نشبت العداوة مرة أخري بعد الثورة الفرنسية بين الإسلام والغرب وقذف النقاد الغربيون الإسلام بكل تهمة تخطر علي البال فإلي جانب تهم معاداة الحضارة ودعم الجهل والدكتاتورية والعبودية اتهموا الإسلام أيضا بأنه أعطي القطاعات الضعيفة من المجتمع كالعبيد والنساء حقوقا أكثر مما يستحقونه ونقل تشاتوبرياند ايديلوجية الحروب الصليبية إلي الوضع في فلسطين وذلك في كتابه (من باريس إلي القدس) الذي وصف فيه رحلته إلي هناك وكان كتابا واسع الانتشار يقول تشاتوبرياند في ذلك الكتاب :

(العرب يتصرفون مثل جنود بدون قائد ومواطنين بدون مشرع وعائلة بدون أب وهم مثال لأناس متحضرين انحطوا إلي حالة التخلف والبدائية ولذلك يستنتج تشاتوبرياند بأنهم سيطلبون حكم الغرب عليهم حيث إنه يستحيل عليهم أن يديروا أمورهم بأنفسهم ففي القرآن حسب كلامه (لايوجد مبدأ للحضارة أو واجب يرتقي بالشخصية وبالعكس من المسيحيين لايدعو الإسلام لبغض التسلط والديكتاتورية أو لحب الحرية) .

ويفسر المستشرق ايرنست رينان هذه العقائد العنصرية الإمبريالية بأن اللغتين العبرية والعربية لغتان متخلفتان كانتا قد تفرعتا عن أصول آرية بعد أن حرفت هذه تحريفا بالغا ، ويمضي بأن هذه اللغات.السامية هي مثال لتعطيل التطور فهما تفقدان أي عنصر تقدمي مثل مافي نظمنا اللغوية لهذا السبب فإن اليهود والعرب هم خليط متخلف من الطبيعة الإنسانية) .

وقد كان لهذه التصورات العنصرية آثار قاتلة في اروبا علي اليهود الأوربيين فقد استعمل هتلر هذه الكتابات المسيحية مبرراً لمذابحه الهائلة التي قام بها ضد اليهود عندما لم يستطع تحمل هذا الجنس الغريب في وسط الاروبيين والآريين الأنقياء .

لم يبق من المسلمين شيء في أوربا ، ولكن في القرن التاسع عشر بدأ البريطانيون والفرنسيون الدخول إلي بلاد الإسلام ففي سنة ١٨٣٠ استعمر الفرنسيون الجزائر وفي ١٨٣٩ دخل البريطانيون عدن ثم احتل الغربيون تونس (١٨٨١) مصر (١٨٨٢) السودان (١٨٩٨) ليبيا ومراكش (١٩١٢) وكانوا قد وعدوا البلاد العربية بالإستقلال بعد سقوط الخلافة العثمانية ، ولكنهم تنكروا لهذا الوعد وقسموا الشرق الأوسط بينهم إلى مناطق انتداب أو حماية .

واليوم يرتبط في أذهان المسلمين الاستعمار مع التبشير المسيحي ومع الحروب الصليبية ولا عجب فعندما دخل الجنرال ادموند الينبي سنة ١٩١٧ القدس أعلن أن الحروب الصليبية قد استكملت الآن وعندما دخل الفرنسيون في دمشق سار قائدهم إلي قبر صلاح الدين وخاطبه قائلا :(هانحن قد عدنا ياصلاح الدين) فالتبشير المسيحي قد كان يساعد الاستعمار وحاول إضعاف الثقافة الإسلامية في البلاد التي حكموها بينما أعطي المسيحيون المحليون كالموارنة في لبنان دورا أكبر من حجمهم بكثير مما سبب مشاكل عويصة فيما بعد .

قال الاستعماريون إنهم يريدون أن يقودوا البلاد إلي الوعي والتقدم ولكنهم حكموا بالقوة والاحتقار فمثلا إخضاع الجزائر أخذ سنين عديدة وقهرت كل معارضة بالحملات العقابية الدموية وقد كتب المؤرخ الفرنسي م ، لو دريكورت المعاصر لهذه الأحداث في كتاب عن الحكم في الجزائر يقول :

(حتي جنودنا الذين يعودون بعد الحملات العقابية كانوا يخجلون من أنفسهم .. مثلا ١٨٠٠٠ شجرة أحرقت وقتل عدد من الأطفال والنساء والعجزة ، وعلي وجه الخصوص كانت النساء البائسات يثرن طمع الجنود بعادتهن علي لبس أقراط أذن ومعاصم للساق والذراع هذه الحلقات لم تكن تملك مفتاحا مثل الأسورة الفرنسية حيث إنها توضع في الطفولة علي الزراع أو الساق ولا يمكن إخراجها بعد ذلك عندما تكبر البنت ولكي يأخذوا هذه الأسورة ، فقد عمد جنودنا لقطع الأرجل والأيدي لاستخراجها وتركوا صاحبتها مبتورة الأيدي أو الأرجل في حالة بائسة) .

أظهر الاستعماريون احتقارا مبدئيا للإسلام بدون استحياء ففي مصر سخر لورد كرومر (١٨٤٩ – ١٩٥٠) من محاولات المفكر الإسلامي محمد عبده أن يعيد النظر في بعض التصورات الإسلامية حيث قال : إن الإسلام لايمكن أن يصلح نفسه والعرب غير أكفاء لتجديد مجتمعهم ففي كتابة مصر الحديثة المؤلف من

مجلدين يقول إن الشرقي في واقع الأمر يفكر مثل الأطفال وعلي النقيض منا (نحن) .

(قال لي سير الفريد ليال مرة (إن الشرقيين يكرهون العناية والاهتمام ، فيجب علي كل انجلو هندي أن يتذكر هذه الحقيقة دائم أن التقصير في العناية والاهتمام التي يمكن أن تقود بسهولة إلي عدم الاستقامة هي في الواقع الصفة الرئيسية للمزاج الشرقي ، إن الأوربي له عقل دقيق ومنطقي وتقريره للحقائق يفقد كل ازدواجية في المعني إنه المنطقي بالميلاد حتي إذا لم يكن قد درس المنطق إنه بطبعه متشكك ويحتاج ليري البراهين قبل أن يحكم بصحة أي ادعاء ، وفي هذا يعمل ذكاؤه المتمرس مثل الساعة بالمقارنة فإن العقل الشرقي ينقصه التوازن مثل طرقهم المتعرجة فتفكيره من النوع الاعتذاري لدرجة بعيدة ورغم أن العرب القدامي كانوا قد جمعوا علما غزيرا من العلوم الدياليكتيكية إلا أن عقبهم تنقصه أشياء كثيرة في مجال المنطق ، ففي كثير من الأحيان يعجزون أن يخلصوا إلي استنتاجات بسيطة من منطلقات معلومة يستطيعون بواسطتها أن يتعرفوا علي الحقيقة) .

وهكذا فرغم أن علماء الغرب ظلوا يجتهدون في إيصال صورة موضوعية عن العالم الإسلامي والعربي عملت هذه القوة الاستعمارية الكاسحة علي الإيحاء لكثير من الناس بأن الإسلام لايستحق عناية جادة وبهذا الموقف المسيء صار العالم الإسلامي يقف غريبا عن الغرب واليوم يبدو أن الأصوات المعادية للغرب قد صارت هي الغالبة وهذا تطور جديد وحتي لو كان الغرب قد اتخذ من محمد عدوه الرئيسي فإن أغلب المسلمين لم يكونوا حتي قبل ٢٠٠ سنة قد أحسوا بوجود الغرب .

لقد لعبت الحروب الصليبية دورا هاما في توحيد الغرب حول الذاتية الغربية المسيحية ولكنها بلا شك أضرت بالعالم الإسلامي في الشرق الأدني أما بقية دول العالم الإسلامي وخاصة قلب العالم الإسلامي في العراق وايران فلم تتأثر كثيرا لبعد هذه الأحداث عنها و أغلب تصورات العالم الإسلامي قد كونت من احتكاكهم مع بيزنطة ففي ذلك الوقت كانت اروبا في حالة متوحشة ومجاهل لاتعرف الله ومتخلفة عن بقية العالم المتحضر .

لكن اروبا كانت قد بدأت تلحق بركب الحضارة ولم يلاحظ المسلمون المشغولون بأنفسهم ما كان يحدث هناك وقد فتحت حملات نابليون عيون كثيرين في الشرق الأدني الذين أعجبوا بالمظهر القوي الواثق للجنود الفرنسيين ومن هنا بدأت أفكار التقدم والتحديث علي غرار اروبا تنتشر بشكل واسع في بداية القرن وكان أغلب الزعماء ذوي الأثر من الليبراليين الداعين للاقتداء بالغرب ورغم أن هؤلاء كانوا يدينون الأمبريالية الغربية إلا أنهم كانوا يعتقدون في تأييد الليبراليين الغربيين لهم ومعارضتهم للاستعماريين من أمثال كرومر وقد ر أي كثيرون من زعماء المسلمين في الحياة الغربية تحقيقا لعديد من القيم الإسلامية ولكن الخمسين سنة الأخيرة قد شهدت اختفاء هذا التعلق بالغرب والسبب في ذلك هو إحساس العالم الإسلامي بعداء الغرب واحتقاره الدفين للإسلام ونبيه بتلك الصورة العميقة الجذور في الثقافة الغربية .

وقد كتبت رنا قباني في كتابها (رسالة مفتوحة إلي العالم المسيحي) تقول :

(ألا يحس العالم المسيحي بانشطار في وعيه العام ؟ ففي جانب يظهرون تعاطفا كبيرا مع المجاهدين في

افغانستان الذين يدعمون بواسطة المخابرات الأمريكية مثل مايفعلون مع الكونترا في نيكاراقوا ولكن المسلمين الذين لا يساندون الموقف الأمريكي في الحرب الباردة ويعملون لمصالحهم الذاتية لايجدون أي تفهم أو عطف وبينما أكتب الآن يموت كل يوم فلسطينيون في الأراضي المحتلة - و أحدث الأرقام تقول بموت ٦٠٠ وجرح ٣٠٠٠٠ وأسر ٢٠٠٠٠ بدون توجيه اتهام لهم لكن اسرائيل تظل في نظر الغرب هي الديمقراطية والقلعة الخارجية للحضارة الغربية فكيف يفسر الإنسان هذه الاخلاق المزدوجة ؟ .

إن الغرب يتحمل المسئولية في المظهر المتطرف للإسلام في وقتنا هذا مما يذكرنا بالتصورات القديمة عنه ، فاليوم يرفض كثيرون في العالم الإسلامي الغرب لأنه في نظرهم لايؤمن بالله وغير عادل ومتعفن ويحاول عدد من العلماء الغربيين مثل ماكسيم رودينسون وروي موتحد ونيكي وكيدي وقيليس كيبيل أن ينبهوا لضرورة فهم هذا التوجه الإسلامي الجديد لكن كالعادة تظل هذه المحاولات للفهم الموضوعي المتعاطف مع أزمة الإسلامي شأن أقلية من الناس فهنالك أصوات أخري عدائية لاتري أي ضرورة لمحاولات التفهم وتؤيد التقاليد القديمة في استمرار الكراهية

لكن الإسلام المتطرف الجديد لم ينتج عن مشاعر الكراهية فالإسلام المتطرف يهدف لترتيب البيت الذاتي أولا والرد علي التساقطات الثقافية التي يمر بها كثير من الناس ولايمكن تعميم هذه الصورة المتطرفة للتدين فهو مختلف من بلد إلي بلد وأيضا عن مدينة إلي مدينة ومن قرية إلي قرية إن الناس يحسون بأنهم قد اقتلعوا من جذورهم وقد غزت الثقافة الغربية جميع أوجه حياتهم حتي بناء بيوتهم قد تغير وصار دلالة علي التحكم الأجنبي وفقدان القيم الثقافية لذلك فبالاتجاه نحو الدين يحاول كثيرون العودة إلي جذورهم وذاتيتهم المهددة لكن الإسلام يختلف من بلد إلي بلد ويتأثر بظروف ومعطيات محلية يقول ميشائيل قيلزينان في كتابه (التعرف علي الإسلام الدين والمجتمع في الشرق الأوسط) إن محاولات الناس في الشرق الأدني لتقييم مشاعرهم وتجاربهم في مرحلة مابعد الاستعمار لايمكن أن توصف بدقة بمفاهيم مثل الإسلام والأصولية فالظاهرة بكل تأكيد أكثر تعقيدا مما يرد في تقارير وسائل الإعلام الغربية فإن كثيرا من المسلمين يحسون بكل تأكيد بالخطر والتهديد وضياع الهوية التي أحس بها فدائيو قرطبة الذين كانوا علي قناعة بأن ثقافتهم وقيمهم المعهودة في خطر من الذهاب بفعل قوة أجنبية .

تقول كارين آرمستروئق في كتابها محمد محاولة غربية لفهم الإسلام (إننا نبحث باستمرار عن أكلشيهات لتصوير كراهيتنا المغروسة للإسلام بحجة أو أخري ففي السبعينات أصبنا بحب تتبع الصور المشوهة للرجال الشرقيين الأغنياء بدرجة مفرطة وفي الثمانينات سيطرت علينا متابعة صور وكاريكتيرات آية الله المتطرف ومنذ ظهور قصة سلمان رشدي صار الإسلام في نظرنا دينا يهدد الإبداع والحريات الفنية بالموت لأصحابها ولكن لا شيء من هذه التصورات يعطي الحقيقة التي هي أكثر تعقيدا بكثير مما نظن ولكن هذا لايمنع كثيرين من الناس أن يواصلوا بهمة ونشاط إصدار أحكامهم الظالمة علي الإسلام وقد اقتبست رنا قباني تعليقين يقللان من قدر الإسلام أصدرهما فاي ويلدون وكونور كروز اوبراين ففي محاضرتها حول قصة سلمان رشدي تقتبس لغاي ويلدون التاكي

(إن القرآن هو أرضية غذائية لعدم الرشد فهذا العمل ليس أساسا ثابتا أو معقولا للمجتمع وهو يعطي شرطة العقول الأسلحة والذخيرة وهذه الشرطة تمر باستمرار لتخيف الناس أما بالنسبة لمفهومه عن الله فإني أجد القران ضيقا ومضيعا علي الناس) ،

وتواصل كارين آرمسترنج قائلة :

(بالعكس من هذا الذي يزعمه فاي ويلدون فإني قد كسبت تجارب مختلفة في دراستي للقرآن ولتاريخ الإسلام أما كوتور كروز اوبراين الذي هو معروف بجعله احترام الإسلام نوعا من الخيانة الثقافية ، فإنه قد يسميني منافقة فهو يقول عن المجتمع الإسلامي) .

(إنه يعمل طاردا للحد البعيد وهو يعمل طاردا لأنه هو طارد فإذا جاء أحد من دائرة الثقافة الغربية وادعي تقدير المجتمع الإسلامي بينما يستمر في التزامه نحو القيم الغربية ، فإنه يكون إما منافق ، أو جاهل أو الاثنتان معا) .

ويضيف اوبراين في ملاحظته الختامية :

إن المجتمع العربي مريض وقد كان مريضا منذ زمن طويل وفي القرن الماضي كتب المفكر العربي جمال الدين الافغاني يقول (كل مسلم مريض ودواؤه الوحيد هو القرآن) لكن للأسف فإن المرض سيزداد سوءا بالقدر الذي يؤخذ فيه الدواء

وتخلص كارين ارمسترونج للاستنتاج الآتي :

(لكن كثيراً من المفكرين يرفضون هذه العقلية الصليبية ففي عصرنا قد عمل كثير من العلماء الغربيين واجتهدوا لتوسيع فهم الغرب للإسلام من هؤلاء : لويس ماسيقنون هـ . أ. ر قيب ، هنري كوربين انيماري شيميل ، مارشال ق . س . هودجسون وو يلفريد كانتول اسميث وهم يسيرون علي نفس الطريق الذي سار فيه من قبل بيتروس فينرابيليس يوهانيس سيقوفا وقد استعملوا علمهم للتشكيك في الأحكام المسبقة السائدة في زمنهم وقد عمل الدين منذ قرون علي تهيئة مجتمعات معينة لزراعة التفاهم الجاد - فالناس قد لايكونون قد عبروا عن تصوراتهم الدينية كما يجب أن يفعلوا ، ولكنهم ساهموا في ترفيع مفاهيم العدل والخير واحترام الآخرين والمشاركة الشعورية معهم وإيجاد مقياس نستطيع أن نقيس به أنفسنا ولاشك في أن أي دراسة جادة للإسلام تثبت أن قيم القرآن قد ساهمت بقدر عال في اسعاد المسلمين وبعض العلماء مثل العالم الكندي الكبير ويلفريد كانتويل اسميت يذهب إلي حد أبعد فيقول (إن الجانب المسلم من المجتمع الإنساني سيزدهر فقط إذا كان الإسلام قويا وحيا ونقيا وخلاقا ومكتملا) .

إن جزءا من مشكلة العالم الغربي أنه اتخذ من محمد عبر القرون مثالا مضادا للعقلية الدينية وعدوا لحضارة أخلاقية وقد يكون الوقت قد حان لنري فيه الرجل ذا العقل الواعي الذي استطاع أن يحقق لشعبة السلام والحضارة ؟

الموقف الحالي للعلاقات الإسلامية المسيحية

النهضة الشاملة للعالم الإسلامي

منذ زمن الاستعمار قد سالت مياه كثيرة تحت الجسر كما يقول المثل الغربي فقد شهدت نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ثورات عارمة دموية من أجل التحرر والاستقلال عن الاستعمار الغربي وقد كللت كلها بالنجاح وفيما يلي مراجعة للتطورات التاريخية .

كانت آخر حلقات انهيار العالم الإسلامي هي سقوط الخلافة العثمانية بعد أن انتزع منها الاستعمار الغربي كل البلاد الإسلامية التي كانت تابعة لها وجعلها مستعمرات غربية وقد انحسرت تركيا عن مستعمراتها الاوربية وتراجعت إلي آسيا الصغري وجزء يسير من اوربا غرب مضيق الدردنيل وتحولت تركيا علي يد كمال اتاتورك إلي دولة علمانية منذ سنة ١٩٢٣ وصارت منطقة نفوذ غربية تحاول النهوض والتحديث بالتعاون والخضوع للعالم الغربي ولكنها ظلت دولة مستقلة تحت حكم وطني وكانت العلمانية في البداية ضد كل ماهو إسلامي أو عربي وصار توجه تركيا ثابتا بإصرار علي أن تكون دولة اوربية حديثة ولكن محاولات تركيا للاقتراب من العالم الغربي قد واجهت صدودا ورفضا من العالم الغربي لا لسبب إلا لأنها إسلامية العقيدة وكما هو معلوم فقد باءت محاولات تركيا لدخول المجموعة الأوربية بالفشل رغم أن كثيرا من دول اوربا الشرقية حديثة الاستقلال بعد انهيار الاتحاد السوفيتي قد قبلت بدون كثير انتظار ووضح أن سبب قبولها هو أنها مسيحية وسبب رفض تركيا هو أنها إسلامية وإن كانوا يتحججون رسميا بعدم الالتزام بالديمقراطية وحقوق الإنسان .

نفس المسار كانت قد حاولته مصر في عهد محمد علي باشا وأبنائه مما أدخل البلاد في ارتباط واعتماد علي الغرب وجعلها خاضعة فكريا واقتصاديا للدوائر الغربية وقامت منذ هذا الاعتماد ثورات ونهضات توجت بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ التي أسقطت الملكية والليبرالية الغربية ودعت إلي الوحدة العربية ودخل النظام الجديد في مواجهات مع الغرب واسرائيل أدت بتزايد إلي ابتعاد مصر ومن خلفها العالم العربي عن القيم والنظم الغربية وقد ساعدت في هذه النهضة حركة الإخوان المسلمين التي قضي عليها تنظيميا بطرق دموية ولكنها انتصرت في المجال الفكري بتعرية النظم الغربية والنوايا الغربية نحو العالم الإسلامي .

كذلك فشلت محاولات ايران للتقرب من دول الغرب في عهد شاه ايران بعد أن كان النفوذ الأمريكي قد بلغ شأوا بعيدا فقامت عليه ثورة الإمام الخميني وعادت البلاد إلي الدائرة الإسلامية المعادية للغرب ، وفي السودان بعد الاستقلال فشلت النظم الليبرالية علي النمط الغربي في وست منستر وقامت عليها عدة ثورات عسكرية إلي أن جاء عهد الإنقاذ فاتجهت البلاد بكامل قوتها اتجاها إسلاميا .

ومنذ الخمسينيات بدأت أغلب دول العالم الإسلامي تنال استقلالها عن الغرب وتكونت الجامعة العربية لتنسيق مواقف الدول العربية في السياسة الدولية وهي تضم اثنين وعشرين بلدا هي : مصر ، السعودية ، سوريا ، العراق ، لبنان ، الاردن ، اليمن ، الامارات ، قطر ، عمان ، البحرين ، الكويت السودان ، ليبيا ،

تونس ، الجزائر ، المغرب ، موريتانيا ، الصومال ، جيبوتي ، فلسطين ، جزر القمر .

وتكونت أيضا منظمة المؤتمر الإسلامي التي تضم خمسا وأربعين بلدا هم بالإضافة إلي الدول العربية الاثنتين والعشرين تركيا ، ايران باكستان بنغلاديس ، افغانستان ، ماليزيا ، اندونيسيا ، نيجيريا ، النيجر ، مالي ، غينيا ودول أخري .

وتحررت أخيرا سبع دول في وسط آسيا هي : اوزبكستان ، كازاخستان ، تاجيكستان ، تركمانستان ، كيزفيزيا ، أذربيجان والشيشان ، ولازالت هنالك بقية دول في أسيا الوسطي في سبيلها إلي التحرر والاستقلال في هذا الأثناء ارتفع الوعي وازداد التعليم وتقدمت الصناعة وولج العالم الإسلامي إلي عصر التكنولوجيا الحديث .

ولكن أهم حدث في التاريخ المعاصر هو اكتشاف الغرب لاعتماده المطلق الذي لافكاك منه علي العالم الإسلامي في مجال الطاقة وخاصة البترولية وقد در عليه ذلك ثـروة هائلـة سـاعدت فـي نمو العالم الأسلامي وترقيته .

وفي هذا الجو نشأت ونشطت الدراسات العربية والإسلامية في أوربا من أجل فهم العالم الإسلامي والإسلام حفاظا علي مصالحهم وظهرت دعوة حوار الأديان والحضارات انعكاساً لهذا التطور .

ولا ننسى هنا نشأة مؤتمر عدم الانحياز الذي يتكون في أغلبيته من دول إسلامية أو بها أقليات إسلامية كبيرة كما في الهند .

ولأول مرة بدأت بعض الدول تطبق الإسلام مثل السودان ، السعودية ، باكستان ، موريتانيا ، .. الخ .

وهكذا صار العالم الإسلامي مرة أخري يحسب حسابه حتي في قلاع الغرب مثل تركيا الذي حكم فيها لفترة قصيرة حزب الرفاه المعروف بتوجهاته الإسلامية الواضحة وقد أثر ذلك علي الشارع الإسلامي في تركيا فصـارت أغلبيـة الشـعب هناك تؤيد التوجه الإسـلامي رغم قبض الجيش العلماني علي مقاليد الأمور في البلاد .

في هذا الجو نشأت دعوات الحوار والتقارب الإسلامي المسيحي والمؤتمرات العديدة والمحاضرات المشهورة مثل محاضرة الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا وغيرها .

ونأخذ مثالاً واحداً علي هذه التطورات موقف الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية من الإسلام والمسلمين .

بيان الفاتيكان حول العلاقة مع المسلمين :

عندما يطرق موضوع الأديان غير المسيحية في الدوائر الكنسية تتجه الأنظار فورا إلي نتائج المجلس الفاتيكاني الثاني ، فلأول مرة في تاريخ المسيحية يتناول هذا المجلس العلاقة مع الأديان الأخري ويقيّمها من الناحية العقائدية ، وكانت المسيحية إلي ذلك الوقت لاتعترف بدين آخر إلا علي أنه تمهيد لمجيء المسيح وفي ذلك مشكلة كبيرة في تقييم الإسلام لأنه جاء بعد المسيح ولايمكن أن ينطبق عليه هذا الوصف وقد أصدر المجلس الفاتيكاني عدة بيانات تعرضت للأديان من وجهات نظر مختلفة وكانت هذه أول مواقف عقائدية في هذا الموضوع في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية .

لقد ظهر جليا أن هذا التحديد للمواقف لا مفر منه بالنظر إلي رغبة الكنيسة في توضح مهمتها التبشيرية في خدمة العالم بصورة لا لبس فيها لذلك كانت إحدي اللجان العشر التحضيرية للمجلس تحمل اسم التبشير (De Missionibus) وكان عمل هذه اللجنة شاقا ومليئا بالتصحيحات والمراجعات إلي أن تمكن المجلس أخيرا من إصدار بيانه في ١٩٦٥/١٢/٧ بعنوان (بيان حول نشاط الكنيسة التبشيري) (Ad Gentes) . صدر بعد ذلك البيان الثاني بعنوان (بيان حول علاقة الكنيســة مع الأديان غير المسيحية) (Nastra aettats) وقد كانت النية في البداية تتجه نحو تحديد موقف من اليهودية ومعاداة السامية ، ولكنْ وجد أن هذا الموضوع شديد التعقيد والحرج فرئي أن يوسع الموضوع ليشمل كل الأديان حتي لايبدو وكأن الكنيسة تخضع لضغوط من جانب اليهود لكن هذا الدافع العارض لا يقلل من أهمية الاجتهادات العقائدية والانفتاح علي حقائق العصر الذي برز في هذا البيـــان وقد اختصــت المــادة الثالثـــة من هذا البيان بالعلاقة مع المسلمين .

وجاءت بعد ذلك بيانات أخري ركزت الاهتمام حول الأديان غير المسيحية ففي البيان (التكوين الدوغماتي (القطعي) حول الكنيسة (Lumen gentium) ركزت المادة ١٦ حول معني فهم الكنيسة لنفسها وعولج نفس الموضوع بصورة عرضية في البيان (بيان حول تعليم وتربية القسس (Opatam totius)

وفي صورة عمومية حول (غير المسيحيين) بهدف تأهيل المسيحيين للحديث معهم صدرت البيانات (بيان حول التربية والتعليم المسيحي (Gravissimus educationis) و (التكوين الإشرافي حول الكنيسة في عالم اليوم) (Gradivu et spes) وقد وضح في كل هذه البيانات أن الكنيسة والأفراد المسيحيين يجب أن يشعروا بالتزام للتعامل مع هذه الثقافات الأجنبية من أجل إيجاد ثقافة عالمية واحدة .

وفي كل هذه البيانات يدور الحديث عن المسلمين في المادة الثالثة من بيان حول العلاقة مع الأديان غير المسيحية (Nostra aetate) والمادة ١٦ من (التكوين القطعي حول الكنيسة (Lumen gentium) وسنتناول محتوي هذه المواد في الفقرات التالية .

الاستعداد للتفاهم والحوار :

بانعقاد المجلس الفاتيكاني الثاني اكتسبت كلمة (حوار الأديان) مكانة سامية لم تبلغهامن قبل وصارت مؤشرا لجو جديد من التواصل داخل الكنيسة أو كما جاء في البيان (يجب علي المسيحيين أن يتعلموا في محادثات ثنائية صادقة وصبورة (dialago sinscero et patienti) كم من الخيرات العظيمة قد وزع الله الكريم بين شعوب الأرض وفي الشرح حول الحرية الدينية (Dignitatries humanae) يوجه البيان إلي أن الحق يجب أن يطلب ويبحث عنه بطريقة تتفق مع الكرامة الإنسانية والطبيعة الاجتماعية أي بطريق البحث الحر بمساعدة المكاتب العلمية والإرشاد الواعي وتبادل الأراء والحوار بحيث يستطيع كل إنسان أن يبلغ الآخر بالحق الذي وجده أو يظن أنه وجده حتي يستطيع الاثنان أن يساعدا بعضهما البعض في البحث العلمي عن الحقيقة . هنا لاتبدو الكنيسة وكأنها هي التي تعلم الآخرين المحتاجين للمعرفة و إنما تضع نفسها من وجهين في صف (ثقافة التفاهم والحوار)

أولا : بأن تصور العلم بأنه نوع من البحث عن الحق والحقيقة من آخرين راشدين وثانيا : بأن تصور هذه الأشكال جميعها علي أنها طرق للبحث عن الحقيقة وليست طرقا لتبليغ الحقيقة أو ادعائها فهنا لم يكن الحديث عن أناس يملكون الحقيقة و آخرين يفقدونها ، ويضيف البيان إلي ذلك الشرط (بأن الحقيقة التي نتوصل إليها يجب أن يلتـزم بها الإنســان باختيــاره الشــخصي ولكن لا توضـع هنا فواصل واضحة بين الذين يعتقدون أن دينهم هو الحق والآخرين الذين ضلوا الطـــريق في فكـــرهم ورأيهـم ويعتقـــدون بنفس القوة أنهم علي حق .

وفي هذا توضيح للجميع بأنهم في حاجة لبعضهم البعض باعتبار أن قناعاتهم تنتج من علاقات اجتماعية ويظلون مرتبطين بها .

إن هذه النظرة التي لاتطبع وعي وسلوك الفرد فقط و إنما أيضا وعي وسلوك الكنيسة يبرز بوضوح في الجمل الأولي للبيان حول العلاقة مع الأديان غير المسيحية حيث يشير إلي الوضع المعاصر للإنسانية جمعاء ويستخلص النتائج المنطقية لمهام الكنيسة فيقول (في زمننا هذا الذي تجد فيه الانسانية نفسها كل يوم تقترب من بعضها البعض والعلاقات بين الشعوب المختلفة تزداد وتتوثق ، تنظر الكنيسة بعناية واهتمام أكبر إلي علاقتها بالأديان الأخري غير المسيحية) .

فالأصل في المجهودات المتبادلة لايمكن أن يكون إلا ماهو (مشترك بين الناس) ويحمل في نفسه الديناميكية (بأن يرتقي بالإنسانية إلي الوحدة والمشاركة) والطريقة إلي هذا الهدف هي (الحوار والتعاون للمضي قدما) و أيضـا يبرز التقييـم المهيمن وهو (الاحترام الكامل) في المادة ٣ نحو المسلمين وفي المادة ٤ نحو اليهود .

إن التفاهم المشترك والاجتهاد للتقارب المتزايد نحو أمة واحدة يبدوان أكثر إلحاحا إذا أخذنا في الاعتبار أن نتائج العلاقات العدائية في الماضي لاتزال لها آثار حتي عصرنا الحاضر لذلك يذكر المجلس فيما يخص المسلمين (العداءات والخصومات) السابقة وينصح بأن (نترك) الماضي خلفنا حتي تتحرر النظرة إلي الواجبات والمهام الخاضرة ، إن الأهداف المذكورة هنا ليست من نوع دوغماتي (عقائدي) أو فكري ديني وإنما تتعلق بالأعمال إن الإنسان يجب أن يكتسب المقدرة علي أن (يقف سويا مع الآخرين من أجل حماية وترقية العدالة الاجتماعية ، والخبرات الأخلاقية وليس آخرا السلام والحرية لكل الناس وهذا يصور بشكل براغماتي أقصي مايمكن الوصول إليه من الناحية الواقعية ولكنه أيضا يوحي بترفيع التصرف الأخلاقي علي التعليمات الدوغماتية الاعتقادية التي سادت مواجهات الماضي وخاصة في الوعي المسيحي .

تفضيل المشترك :

إن بيانات المجلس الفاتيكاني الثاني لاتثمن الأديان الأخري كل علي حدة حسب أشكاله الحياتية الخاصة وإنما من منطلق علاقتها بالدين المسيحي والكنيسة وفي هذا يختار كل من النصين اللذين يتحدثان عن العلاقة مع الأديان غير المسيحية فالبيان عن العلاقة مع الأديان غير المسيحية ينطلق من المشتركات غير الواضحة إلي الأكثر وضوحا وكثافة أي من ارتباط وتلازم غير ملحوظين مما يوجد أيضا في المجال

الثقافي البعيد ، إلي القرب الذي ينتج عن العلاقات التاريخية والتقاليد الاعتقادية المشتركة أما في المادة ١٦ من (التكوين الدوغماتي حول الكنيسة) فيتركز النظر أولا إلي الأديان الأقرب وبهذا يتم التحرك من الداخل إلي الخارج وفي الحالة الأولي كما في الثانية يحتل المسلمون مرتبة في قربهم من الكنيسة لايفوقهم فيها سوي اليهود . في المكان الأول ترتبط المشاركة علي محتويات عقائدية محددة وتأتي في المرتبة الثانية التوجهات والمتطلبات الأخلاقية (وهنا تقييم مختلف عن الذي ذكرناه سابقا فيما يخص أهداف التفاهم الذي ينحو نحو التوجهات العملية) .

في التكوين الدوغماتي الكنسي يذكرفي تثمين المسلمين خمس مشتركات متميزة في محتواها :

- الإيمان بالخالق
- الاعتقاد في دين إبراهيم
- الصلاة لله الواحد
- الشهادة بأن الله رحيم
- الإيمان باليوم الآخر حيث يقضي الله بين العباد

ولاشك بأن هذه المباديء حتي من وجهة نظر الإسلام محتويات أساسية في العقيدة الإسلامية (ولكنها لا تشكل وحدها كل العقيدة الإسلامية أو الجوانب الأساسية من المعتقدات والعبادات الإسلامية) ولعل مما يستحق الملاحظة ماذكر بشأن الصلاة حيث يقول البيان إن المسلمين (يتجهون معنا (nobis - cum) لله الواحد وهذه إحدي المشتركات التي لم تؤد حتي الآن في الواقع الروحي والعبادي للدينيين إلي أي نتائج ملحوظة .

أما في البيان حول علاقة الكنيسة مع الأديان غير المسيحية فتذكر إلي جانب ماسبق عناصر اخري تربط بين الملتين ، تكمل وتفصل المباديء الخمسة السالفة وأيضا تأتي بوجهات نظر جديدة حول المشتركات - ونذكر هذه النقاط فيما يلي :

- إن الله الواحد الخالق الرحيم يوصف هنا في محاولة للإقتراب من لغة القرآن علي أنه (الحي) و (القيوم) و (العلي العظيم) وذلك قد يكون في إشارة إلي آية الكرسي .

(الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .. وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم) .

- بالنسبة لنص كنسي علمي يعتبر التقرير بأن المسلمين يؤمنون بالله (الذي تحدث للإنسان شيئا بالغ الأهمية ، لأنه بهذا يمس موضوع (الوحي) الحساس المختلف عليه بين المسيحية والإسلام (وسيأتي هذا في فقرة منفصلة) .

- في الحديث عن إبراهيم لايكتفي البيان بذكر إيمانه بالله وإنما يذكر أيضا أنه أسلم وجهه لله ، والمسلمون مثله يريدون أن يسلموا أوجههم إلي الله ويتقبلون أقداره الخفية ، وهذا هو وصف لمعني (الإسلام) أما الحديث عن الأقدار الخفية فيذكر بقرارات الله المصيرية التي لايملك الإنسان معها حيلة

وفي هذا محاولة للاقتراب من مفهوم القضاء والقدر الإسلامي .

– بالتحديد تثمن المسئولية الإنسانية في الإسلام بذكر دوافعها بأن المسلمين لاعتقادهم بالبعث والحساب يؤمنون إيمانا عميقا (بالحياة الأخلاقية) ويعبدون الله علي وجه الخصوص عن طريق الصلاة والصدقات والصوم .

– عنصر آخر من عناصر الاعتقاد يربط المسلمين بالمسيحيين هو أن المسلمين يؤمنون بعيسي وأمه مريم العذراء ويعظمونهما ولكن هذا هو الحد الأقصي لهذا الاشتراك لذلك يصمت البيان عن أن المسلمين لايعترفون بعيسي علي أنه إله وإنما علي أنه نبي مرسل من الله ولكن هذا لا يقلل من أهمية الشيء المشترك بين الملتين .

هذان النصان يوضحان بجلاء الأساس الثابت الموجود الذي يمكن أن تهتدي به العلاقات بين الملتين وذلك ليس فقط من وجهة النظر المسيحية وإنما أيضا الإسلامية وفهم المسلمين لأنفسهم هذا الموقف لايوضح اللحظات التي يمكن للمسلمين والمسيحيين أن يتعاونوا فيها إذا سلمت النيات وصدق التوجه ، وإنما يضع كشف الحساب لما لايجب ان يكون حوله نزاع أصلا . وبما أن هذه النظرة لاتنطلق من دوافع تكتيكية وانتهازية وإنما من منطلقات عقائدية وواقعية دينية ، فإنه ليس هنالك خوف من أن تتغير هذه الاسس بتغير الأجواء في الأرضية الدينية .

لكن معني أي نص لايتضح فقط فيما يقوله وإنما أيضا فيما يصمت عنه وفي هذا الصدد فإن هنالك تحفظات حول بيان المجلس الفاتيكاني عن الإسلام .

الاتجاه للتهوين من موضوعات الخلاف :

هنالك عدد من التحفظات علي بيانات الفاتيكان بشأن المسلمين ويتهم بعض علماء اللاهوت المجلس الفاتيكاني بأنه أغفل عمدا بعض حقائق أساسية عن الإسلام لعدم مقدرته علي احتوائها وتفسيرها تفسيرا مسيحيا مما يضع مقصد القادة الكنسيين في شك ويلقي ظلالا علي موضوعيتهم وأمانتهم العلمية وقد تعرض عالم اللاهوت الالماني البروفيسور هانز سيركر استاذ اللاهوت بجامعة دوزبورج لهذه التحفظات والأسباب التي قد تكون دعت إليها في كتابه المسيحية والإسلام : التقارب والتنافس العقائدي) – ونلخص عنه هذه الآراء فيما يلي :

١) لا تتحدث وثائق المجلس الفاتيكاني الثاني في أي مكان عن الإسلام وإنما دائما عن المسلمين والعقيدة الإسلامية وليس هذا صدفة وإنما بعد تفكير عقائدي مسبق وبذلك فإن هذا الدين لايوصف باسمه الذي يوضح طبيعته التكوينية ويبدو هذا المنحي ملفتا للنظر خاصة وأن البيان حول الأديان غير المسيحية يتحدث في مادته الثانية عن البوذية والهندوسية مسميا إياهما بأسمائهما وفي المادة الرابعة عن (الشعب اليهودي)

ولكن يمكن لهذه التسمية المختلفة أن تفسر بسهولة : ففي الأديان الآسيوية الشرقية لايرمز الاسم إلي مجموعة عقائدية مؤسسة ، وإنما إلي توجه ديني عام وطريقة حياة الناس الذين يتبعونه فالبوذية والهندوسية لا تدعي عن نفسها أنها أديان كاملة محددة تحديدا صارما وفي الجانب الآخر لايمكن التغاضي عن كون

اليهود ينظرون إلي أنفسهم علي أنهم أفراد (شعب) وإن كان هذا قد قيم بطرق مختلفة في التاريخ العقائدي المسيحي وبهذا صار الإسلام يشكل للمجلس الحدود الاجتماعية والادعاء الذاتي المستقل الذي يصعب احتواؤه عقائديا رغم كل الانفتاح الممكن .

وبهذه الطريقة ظل في تقييم المجلس للإسلام بعد أساسي غير مذكور وهو أن المسلم يعتبر نفسه فردا من أمة أي من أمة اختارها الله بحيث تحل في داخلها كل المسائل والتعقيدات الدينية والسياسية لعالمنا وفي نفس الوقت يشعر الفرد فيها بالحماية والطمأنينة انظر مثلا إلي الآيات القرآنية التي يقول فيها الله ،

(واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم علي شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون (١٠٣) ولتكن منكم أمة يدعون إلي الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون (١٠٤) ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ماجاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم (١٠٥) (آل عمران : ١٠٣ -١٠٥) . هنا يفرض الله علي كل من يتبع هديه أن ينضم إلي المجموعة العقائدية الإسلامية وفي نفس الوقت يرفض القرآن بقوة الكنيسة أو الكنائس قبل كل شيء بسبب اختلافاتها الطائفية التي نشأت عن اختلاف نظرتها لشخص المسيح في القرون التي سبقت بعثه محمد ولهذا فالأمة الإسلامية والتي تشمل في تحقيقها الاجتماعي أيضا البعد السياسي تقف فوق كل الخلافات التي يمكن أن تنشأ من عناصر منفردة من الدعوة الإسلامية وبهذا تشكل نقيضا أساسيا للدعوة الكنسية بأنها الدين الخاتم فالمعلمون يخاطبون في القرآن .

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) (آل عمران : ١١٠) مثل هذه المواجهة مع الفهم الذاتي العقائدي ليست سهلة علي المجلس ولذلك لم يرد أن يلمسها حتي ولو بإشارة لهذا وتجنب أن يخاطب الإسلام باسمه وبصفته الاجتماعية كمجموعة بشرية عقائدية وبهذا يصير التكريم والتقييم موجها فقط للفرد المسلم وهكذا يخطئون في واقع الأمر الهدف الذي هو الإسلام .

٢) يواصل هانز سيركر تحفظاته بنقطة ثانية هامة وهي أن المجلس لم يذكر في أي موضع في بياناته النبي محمد أ وبهذا يصير التقرير الأساسي الذي ورد في البيان حول الأديان غير المسيحية بأن المسلمين يعتقدون - أن الله قد تكلم إلي البشر) حقيقة منعزلة لايربطها شيء ببقية الدين حيث إن (كلمة الله) المشار إليها لا تربط في أي مكان بحدث تاريخي وبهذا يصير الوحي الإلهي شيئا شكليا يمكن أن ينظر إليه ويقيم عقائديا بغض النظر عن المكان الذي يحدث فيه والمبلغ الذي يوصله للناس أيا كان .

لكن يمكن للمرء أن يخمن بأن تحفظ المجلس في هذه النقطة ناتج عن عدم استعداده لقبول توسيع المسلمين للنبوة عن الأنبياء الذين وردوا في الكتاب المقدس مما يعتبر تناقضا خطيرا مع المفهوم من الوحي المسيحي ، ولذلك صار المخرج الوحيد لهم هو الصمت عن هذه النقطة كلها ولكن إغفال هذه النقطة ليس مثل إغفال أي نقطة أخري و إن كانت مهمة ، فهي تمثل النصف الثاني من الشهادة التي تحقق انتساب

الإنسان للإسلام وهي شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وهي بهذا تصير في معناها مثل التعميد في حياة المسيحي والكنيسة . وهنا يسأل هانز سيركز : ماهي قيمة التكريم المسيحي للإسلام الذي لايحتوي علي ذكر لمحمد اعتمادا علي حقائق التاريخ لكن بما أن العلاقة بين المسيحية والإسلام قد كانت سيئة للغاية عبر القرون ، فإن هذا التصريح الكنسي قد وجد ترحيبا حتي من المسلمين ولكن هذا ينظر إليه باعتبار الماضي وبالنظر إلي النية الحسنة التي برزت في المجلس الفاتيكاني لتفهم الإسلام ، إن الحاجز الذي يتمثل في نسبة الإسلام لمحمد بالنسبة للاهوت المسيحي يبدو أعلي مما يمكن التغلب عليه لذلك فضل المجلس في هذه النقطة الصمت المطبق علي الموضوع كله .

ولكن هذا يعني بالنسبة للمسلمين عدم اعتبار غير خاف لنبيهم ولهذا ليس مستغربا أن يكتب إمام الازهر عبدالحليم محمود سنة ١٩٧٨ خطابا إلي سكرتير جمعية الصداقة المسيحية الإسلامية في مدريد معلقا علي النقاشات التي دارت حتي تلك اللحظة قائلا : (نحن من جانبنا قد وضعنا الأساس للتفاهم بكل وضوح وصراحة : التقدير للمسيح – عليه السلام والتقدير لأمه عليها السلام ولكن ماذا فعل المسيحيون ؟ لاشيء) .

٣) وبتسلسل منطقي لايتحدث المجلس أيضا عن القرآن وبهذا يسقط المجلس من حسابه وثيقة الوحي الإسلامية مطلقا ولكن لايمكن للمرء ان يستخلص أن الكنيسة لاتعترف بهذا الكتاب المقدس حيث إن كل مايعلمه المجلس عن الإسلام مأخوذ من القرآن وكل مايعترف المجلس بفضله في الإسلام يعتمد علي مباركته فلكي نفهم الإسلام لابد في المكان الأول أن نقرأ القرآن ، ولكن أن يعجز المجلس عن تسمية المصدر الذي اعتمد عليه هو نفسه والذي يجب أن يعتمد عليه المسيحيون الذين يشجعهم علي فهم أحسن للإسلام يوضح التناقض الداخلي الذي تدخل فيه الكنيسة كلما حاولت أن تتناول الإسلام بدون الرفض والاتهامات القديمة

٤) يذكر البيان حول الأديان غير المسيحية في مادته الثالثة (الصلاة والصدقات والصوم) بوصفها عناصر تعبر عن تعظيم المسلمين لله ، وهذه إشارة لأركان الإسلام المعروفة ولكن مع حذف عناصر مهمة منها ، فإلي جانب الصلاة المفروضة خمس مرات في اليوم والضريبة الاجتماعية المسماة الزكاة والتي نسميها خطأ صدقات وصوم شهر رمضان فهنالك أيضا الركنان شهادة ألا إله الا الله وأن محمداً رسول الله وحج البيت في مكة وهذه الأركان الخمسة يمكن أن تسمي بالمقارنة مع الدين المسيحي الأركان العبادية (ساكرامينت) للإسلام بما أنها تعتبر المؤشرات العملية للتدين والاعتقاد بالنسبة للفرد والمجتمع الإسلامي

إن عدم ذكر المجلس الفاتيكاني لحج البيت الحرام في مكة وعدم تحديد معني (القبلة المشتركة التي يتجهون إليها معنا) التي أشار إليها بيانه عند الحديث عن الصلاة يسقط جانبا هاما من الهوية الاجتماعية للإسلام ، فعن طريق الاتجاه لنقطة جغرافية محددة عدة مرات في اليوم بالصلاة يعبر المسلمون عن وحدتهم وعالميتهم وذلك بتحديدهم مركزا رمزيا للعالم كله ، ومعلوم أن المسلمين في المدينة كانوا قد اتجهوا في البداية بصلاتهم إلي بيت المقدس تضامنا مع اليهود والمسيحيين ولكنهم بعد أن خاب أملهم في هؤلاء اتجهوا بتوجيه من القرآن نحو مكة ، وهذا يعطي هذه الشعيرة معني عقائديا هاما فالمجلس بهذا لم يسقط جزئية فولكلورية من الإسلام وإنما شعيرة هامة تتحدي بصورة رمزية

ادعاء الكنيسة بأنها تمثل الدين الحق .

٥) أيضا لم يجد المجلس الفاتيكاني في نفسه المقدرة علي الحديث عن القانون الإلهي الإسلامي الشريعة وكانوا قد كتبوا في الصياغة الأولي في حديث عن الروح المعنوية للمسلمين باختصار وموضوعية (إن المسلمين يجتهدون أن يعيشوا في حياتهم الفردية ، في العائلة وفي المجتمع . حياة أخلاقية طاعة لله) ولكن اعترض علي ذلك بعض الأعضاء وخاصة من البطارقة الإفريقيين الذين رأوا في ذلك خطرا يهدد بإضعاف معارضة الكنيسة لقانون الزواج والعائلة الإسلامي وخاصة تعدد الزوجات ومكانة المرأة ولذلك اكتفي البيان بذكر التقرير المقتضب بأن المسلمين (يضعون قيمة عالية للحياة الأخلاقية) وبهذا أسقط التصور الأخلاقي الإسلامي بتوجيه الحياة كلها في جميع جوانبها الاجتماعية وليس فقط العناية بالفرد أو إثراء ضمائر المؤمنين بصفة مبدئية وبكل تأكيد فإن هذا التصور يشكل تحديا لكل المجتمعات غير الإسلامية في عصرنا من جوانب عديدة ومن هذه الجوانب الاعتقاد بعدم تغير القيم الأخلاقية عبر الأزمان والاعتقاد بأن هذه القيم تسري علي كل المسلمين من أي بلاد كانوا وأخيرا الاعتقاد في بعض المتطلبات القانونية التي تخلق جوا من التنازع والصراع مع الحضارة الغربية الحديثة ، لذلك يمكن أن نفهم لماذا اختار المجلس في نهاية المطاف أن يترك هذا المركب المهم بالنسبة للفهم الإسلامي بدون ذكر ، وقد يكون هذا التحفظ بالنسبة لما ذكرنا من وجهات نظر معقولا ولكنه لايحل المشكلة ويعطي دليلا آخر علي ضرورة الولوج فيها .

٦) أخيرا ، فإن الخلاف الوحيد بين العقيدة المسيحية والإسلامية الذي ذكره المجلس تصريحا ، قد صيغ بصورة متحفظة جدا وهذا الخلاف لاينحصر في أن المسلمين يعترفون بالمسيح (ولكن ليس كإله) ففي الواقع ينكر المسلمون بكل قوة هذا العنصر من العقيدة المسيحية ويعتبرونه ردة إلي تعدد الآلهة ولا تتماشي مع دعوة المسيح الأصلية .

إذا أخذنا هذه التحفظات الستة ، رغم أنها ليست متساوية في الأهمية ، كلها في وقت واحد ، فإننا نكون قد وصلنا للحدود القصوي التي رسمها المجلس الفاتيكاني الثاني للتفاهم بين المسيحية والإسلام ، وأيضا لاستشعار المشاكل الواردة في هذا الموضوع .

حصر حوار الأديان في التعبير عن الذات :

في تقييم الأديان غير المسيحية الذي قدمه المجلس الفاتيكاني الثاني يتضح النموذج المنظم الذي يربط به المجلس الثقافات الدينية الأخري بالكنيسة وإلي أي حد يصل في تمجيدها ، فالأديان الأخري يعترف بها في حدود مايجده المسيحي فيها مما يتفق مع تصوره عن الله والعالم والحياة الإنسانية ولهذا يقر المجلس لهذه الأديان في صياغة حذرة (ليس نادرا أن نجد فيها شعاعا من الحقيقة التي تضيء لكل الناس) ولكنه يعقب علي ذلك مباشرة في الجملة التالية واصفا مهمة الكنيسة) يجب أن تدعو بلا توقف وتبلغ عن المسيح الذي هو الطريق والحقيقة والحياة (يوحنا ١٤: ٥) الذي يجد فيه الناس كامل الحياة الدينية التي نسق الله فيها كل شيء مع نفسه) فالتمجيد الذي يقوم به المجلس للأديان الأخري هو في الواقع تمجيد للعقيدة الذاتية التي يجدها عند الآخرين حيث إنها (متعلقة بشعب الله بطرق متعـــددة) بينما تصف الكنيسة نفسها

بدون مداراة بأنها شعب الله) . لذلك تضع الكنيسة نفسها في موضع المتعلم من الآخرين ليس لأنها تأمل في إثراء إيمانها الذاتي ولكن لأنها تتوقع أن المسيحيين يستطيعون أن يفهموا ويقدروا بطريقة أحسن مايوجد لدي الآخرين من قيم دينية وأخلاقية وفي هذا الصدد تنصح أبناءها بأن (يعترفوا بهذه القيم ويحفظوها ويطوروها) ولايخفي علي أي إنسان مع كل حسن النية والانفتاح مافي هذه اللهجة من إحساس بمقدرة أكبر في الحكم علي الأشياء .

لكن رغم ذلك فهذا التوجه هو الأصح والأسلم ليتحدث كل إنسان عن دينه وقناعاته الإيمانية وليمجد فقط مايجده عند الآخرين من تفاصيل معتقده الذاتي ولنترك مسائل الإيمان لضمير وعقل كل إنسان ولنثق أن الحقيقة لها طرق تظهر بها وتسيطر علي العقول والألباب بالتدريج .

إننا يجب ألا نفتر من ترديد حقائق الإسلام التي نعرفها : الدين الواحد الرسل المتعاقبون من الله الواحد ، الكتب المقدسة وخاتمها القرآن ، الجنة والنار والمسئولية الفردية ، توحيد الله وبشرية كل الأنبياء والرسل والتوجه لكل أعمال الخير والبر وتعمير الحياة الإنسانية بالأخلاق الفاضلة الثابتة عبر الأزمان والشعوب لأنها موحى بها من الله .

هذه الحقائق ظلت تشغل كل المفكرين المسيحيين وتجعلهم يعيدون النظر في معتقداتهم وتبرأ بعضهم من المعتقدات المتطرفة مثل بنوة المسيح عيسي لله حيث إن أحدهم قال مامعناه : إن بنوة المسيح لله ليست بنوة حقيقية وإنما هي بنوة بالتبني (Adoption) وذلك لما وجد المسيح من بركات ومعجزات وتوفيق من الله ورح تهديه لما يفعل وفي هذه الصياغة لايختلف هذا التصور عن الفهم الإسلامي بأنه عبدالله ورسوله وحبيبه وبقوته وقدرته تحدث له المعجزات .

إن الحوار بصبر وأناة مع المسيحيين وترديد بنود العقيدة الإسلامية من شأنه أن يسقط عددا كبيرا من الاتهامات التي توجه للإسلام لأنها أساسا مبنية علي جهل بالإسلام وعدم معرفة بأصوله وأركانه وإذا أردنا أن نجعلهم يستمعون إلينا فلابد أن نأخذ معتقداتهم برفق وموضوعية فقط في سياق شرحنا لديننا وليس في مناظرات عاصفة مثل ما كان يطرحه فدائيو قرطبة عن من هو النبي الأعظم : محمد أم المسيح ؟ فما دام المسيحيون يفتحون الباب الآن علي مصراعيه للحوار العلمي فلابد لنا أن نلج هذا الباب بطريقة طبيعية تلغي ضرورة فتح المجتمعات بقوة السلاح للتمكن من تبليغ الدعوة بالحسني كما حدث في العهد الإسلامي الأول كمبرر للحروب الإسلامية والجهاد .

إن المسلمين في هذه المعركة الفكرية الجديدة ليس أمامهم إلا احتمالات الكسب قل أو كثر لذلك أثار كثير من مفكري الكنيسة مخاوف من ألا يجد المسيحيون الأجوبة الصحيحة علي التصورات الجديدة مثلا يقول عالم اللاهوت الالماني هانز والدينفيلز في مقاله هل العقيدة المسيحية هي الوحيدة الحقة .

(في إطار هذا التفكير نعتبر كل الأديان مقدمات تاريخية للرسالة المسيحية .هذا التصور غير مقنع وتزداد عدم مصداقيته كل يوم حيثما يظهر التنافس بين الأديان العالمية وعلي وجه الخصوص لايقنع هذا المنطق فيما يخص الإسلام) .

تعقيب علي ورقة المسيحية في شمال نيجيريا للدكتور عبدالرحمن أحمد عثمان

(١) أ. طارق أحمد عثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأمور الحسنة والجيدة في هذا الوقت وفي هذا الزمان أن يتجه الباحثون ويتجه أهل النظر وأهل التفكير وأهل الدراسة وأهل المعرفة إلي بحث شئون الإسلام ومايحيط بالإسلام والمسلمين في إطار حلقات علمية ودراسية تتخذ المنهج الصحيح والسليم للوصول إلي غاياتها بعيدا عن الدفاع الذي يفتقر إلي العلمية والذي يكون مشحونا بالهتاف وبالوعظ وغير ذلك ولكن الأمور التي تجنح إلي الفكر وتميل إلي الذهن تخاطب العقل قبل أن يخاطب العاطفة هي أمور تجد القبول والتقدير.

الورقة تحدثت عن أوضاع المسيحية في نيجيريا والظروف التي نشأت تحت ظلالها وانتشرت وامتدت لتشمل غرب إفريقيا . وبالنظر إلي أوضاع المسلمين في منطقة نيجيريا أو في غرب إفريقيا نجد أن هناك تشابها كبيرا بين الأوضاع في نيجيريا والأوضاع في السودان علي اعتبار أن هذه المنطقة كلها تسمي السودان وذلك علي حسب التفسيرات المعروفة السودان الشرقي والسودان الغربي والسودان الأوسط ولكن الامتداد والتواصل الفكري والثقافي والعقدي علي طول هذه المساحة أو علي طول الحزام السوداني ظل قائما منذ نهايات أو منتصف القرن الثالث عشر وإلي عصر قريب جدا حيث شهد سودان وادي النيل رحلات وهجرات لقبائل من جهة غرب إفريقيا جاءت إلي السودان بدوافع روحية ودوافع عقدية ودينية صرفة إذ أنها كانت تريد أن تتجه إلي بيت الله الحرام ، والكثير من المفكرين المسيحيين يعتقدون أن الإسلام ليس أصلا في إفريقيا وليس عميقا ولامتجذرا علي اعتبار أن الإسلام وجد الثقافة الإفريقية قريبة جدا من الثقافة الإسلامية لأنها تتوافق مع كثير من جوانب هذه الثقافة ، عكس المسيحية التي كانت بعيدة عن واقع الإفريقيين ، لذلك اتجه أكثرهم أو مال أغلبهم إلي الإسلام لأن الإسلام فيه مرونة وفيه سعة في مسألة الزواج وغيره وحتي في العقائد واحترام الأسلاف والأجداد وهذه العقائد الوثنية المتفشية في إفريقيا يبدو أنها قد تمتازجت واندمجت مع التفكير الإسلامي .

ولذلك فحتي دعاة الثقافة الإفريقية هنا في السودان يعيشون دائما في نزاع مع الذين يرون الثقافة السودانية ثقافة عربية صرفة . وكلام المستشرقين وبعض المفكرين الغربيين من المسيحيين حول عدم عمق الإسلام في إفريقيا الغربية هو بالتأكيد كلام مردود وغير مقبول ولايخضع لمنطق أو عقل .

هذا علي أن الثقافة الإفريقية ثقافة ضعيفة وهشة ويمكن أن تتكسر أمام أي مد حضاري يكون أكثر قوة وأكثر متانة وأكثر تمددا والإفريقيون أنفسهم يقولون بذلك ويعتقدون أن ثقافتهم أقل من ثقافات الأمم الأخري

ولقد ذكرت ذلك لأن الورقة تحدثت عن المسيحية وفصلتها تفصيلا جيدا وتناولتها تناولا مقبولا ووضحت إلي أي مدي تعرضت القبائل النيجيرية وعلي رأسها قبائل الفولاني لهذه الهجمات التنصيرية التي استهدفت

عقائدهم واستهدفت انحيازهم في السابق إلى الإسلام .

ومن المهم جدا أن نشير إلي أن إفريقيا بلد يتمتع بالإسلام والإسلام فيها ليس طارئا وليس أمرا مستحدثا وليس ظرفا استثنائيا ولكن الإسلام عميق وأصيل وأكثر مايوضح ذلك حركات الجهاد التي نشأت في نيجيريا وليست غائبة عنكم بالتأكيد حركة عثمان دان فوديو وأخيه عبدالله دان فوديو وابنه أحمد بيلو الذي تولي مسألة نشر الإسلام بعد تحرير نيجيريا في الستينيات . وفي الواقع إن الاستعمار ركز علي مسألة التنصير منذ سقوط دولة الفولاني في السنة الثالثة بعد المائة في بداية هذا القرن وهذا يدفعني أيضا للقول بأن هناك شبها كبيرا بين واقعنا في السودان وبين واقع الإخوة في نيجيريا وليس غريبا هذا القول لأن كثيرا من أفكار آل دان فوديو وصلت إلينا هنا مثل المهدية والتصوف وغير ذلك .

وعلي وجه العموم أحببت أن أذكر هذا الكلام لإقامة الصلة بين واقع المسلمين في نيجيريا وبين ظروف التنصير ولإعطاء لمحة تاريخية أولية يمكن علي أساسها أن يفتح النقاش ويدار ويتداول .

وأشكركم شكرا جزيلا علي حسن الاستماع وجزاكم الله خيرا واستغفر الله لي ولكم .

(٢) ورقة الدكتور عبدالرحمن محمد سعيد

المناقش : أ . عبدالله أحمد سعيد

السلام عليكم ورحمة الله

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام علي رسول الله الأمين القائد والمعلم المحارب أبدا منذ ميلاده من جهات صارت حلقات تتصل إلي يومنا هذا .

الشكر كل الشكر للإخوة القائمين علي أمر هذه الدراسة وإنجاحها والتي طمأنتنا كثيرا، والحمد لله إننا في مركز البحوث والدراسات الإفريقية نقف علي ثغرة خطيرة تقتضي منا العناية بالدراسات الإفريقية ودراسة مايحاك ضد الإسلام من جهات عديدة وما يكتنف الساحة من أمور تطرقت إليها بحوث العلماء الأجلاء .

والحمد لله كثيرا أن جعلنا نلتقي بنخبة كبيرة ومتميزة من العلماء والمتخصصين الذين يعينوننا كثيرا في أمر هذه الدراسة التي يتولاها هذا المركز .

سأتناول جوانب الورقة التي قدّمت في إضاءات . فلقد أشار الأخ الدكتور في حديثه وهو يرأس الجلسة الآن بأنه كان يجب أن يكون هناك حضور كبير من الإخوة العلماء وليس هناك فعلا مايمنع من ذلك إذ أننا نجد في هذه الورقة وفي الأوراق الأخري إضاءات كبيرة وواسعة وتلزمنا أن نقف عندها . أعود فأقول إن الوقفات في هذه الأوراق المقدمة وفي هذه الورقة بالذات تعود بنا الي الماضي الذي بدأت به وهو أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يخاطب من أهل الغرب باسم محمد وهو محمود في الأرض وفي السماء وهم

يريدون تقليل شأن الرسول عليه الصلاة والسلام وفي هذا وقفة ، فقد بدأ الأمر منذ ميلاده ومعروف في التاريخ الإسلامي ما حدث من اليهود .

إنني أطالع هذه الورقة فأجد ما أفكر فيه وهو أن اليهود كانوا فعلا وراء الإسلام ومنذ العهد القديم وهم يعلمون أن هناك نبيا خاتما ويعلمون ما سيئول إليه أمرهم ومن ثم فإننا نجد بصماتهم واضحة في كل مايصيب الإسلام ، فهم قد جهـزوا أنفسهم وعلينا أن نفكر في هذه النقطة بالذات ، فإن عدونا قد جهز نفسه ، فماذا أعددنا وماذا علينا أن نعدّ لمقابلة هذه التجهيزات التي مرت علي الحقب المختلفة التي ذكرها الدكتور عبدالرحمن فماحدث في قرطبة كان يشبه كثيرا ماحدث في عهد قريش فقد ولد النبي صلي الله عليه وسلم ليجد أن اليهود قد هيئوا أذهان الناس لعدم قبول دعوته ومحاربته وماجاء في قرطبة جعلوه منطلقا جديدا للشهادة المسيحية حتي أنـهم قطعوا أجـزاء القس ووزعوها تبركا بها - فأخذت تلك الحادثة صورة الشهادة عندهم .

ظل اليهود من وراء المسيحيين في حملهم علي القدح في شخص الرسول ثم القدح في الإسلام - حتي إنهم في المؤتمر الأخير في الفاتيكان لم يتحدثوا عن الإسلام بوصفه دينا - فقد تحدثوا عن البوذية وتحدثوا عن كل شيء ولكنهم تحدثوا عن المسلمين كوحدة مكانية كأن ذلك الدين يتغير بالوحدات المكانية لسكن المسلمين ، فالمقصود من الدين الإسلام ثم المقصود من جاء بالإسلام .

وننتقل بعد حادثة قرطبة إلي علاقة المسيحيين بالإسلام في عصر النهضة وسبقته العصور الوسطي ، وماجاءوا إلي عصر النهضة إلا علي أكتاف المعرفة الإسلامية وإلا علي بحوث المسلمين وإلا علي قوة مافي هذا الدين الذي ندين به وبين العلم وبين العمل .

وجاء عصر النهضة وظهرت الموسوعات في اوربا ومما يؤسف له فإن هذه الموسوعات قد وجّهتْ أيضا القدح في شخص الرسول عليه الصلاة والسلام والقدح في الإسلام كما تفضل الدكتور فقد وصفوا النبي صلي الله عليه وسلم بأوصاف يعف اللسان عن ذكرها وبعد ذلك تفهوا ما جاء به القرآن وبدأت الحلقات تتصل الي أن وصلت إلي سليمان رشدي ومعني ذلك أنها حلقات متصلة مستندة علي علم منظم وعلي خطوات منتظمة يخطونها بتنظيم دقيق وعلينا إذن أن نفكر ماذا نفعل ؟

وجاء الاستعمار وكانت الهجمة علي إفريقيا بالذات لتقسيمها بحجة تطويرها وقد استغلوا علم الاجتماع ومعرفة الشعوب استغلالا واسعا جدا ليصلوا بذلك إلي مايريدون لقد ذكر أن الثقافات الإفريقية بدائية وهشة و إنني اختلف كثيرا مع الذين وصفوا هذه الثقافات بالبدائية وبأنها كانت ثقافات هشة فهي ثقافات قوية ومحصورة في مجتمعات وانساق والعلم يؤكد ذلك .

أما المسلمون في داخل إفريقيا فكانوا قلة والقوة الاستعمارية تستطيع بآلياتها الثقافية والفكرية أن تفعل كل ماتريد في كل بقاع الأرض التي يقطنها المسلمون ، وقد اتخذت تلك الآليات صورا مختلفة و أعتقد أنها ستتخذ صورا أعتي للولوج إلي قلب وفكر هذه الأمة .

أما عن الموقف الحالي للعلاقات الإسلامية المسيحية ، فهنالك نهضة فكرية شاملة لدي المسلمين ولكن هل

يقابلها من الغرب ماهو مساو لها أم أدني . فلايكفي أبدا أن نشيد بالدين ونحن قد تباكينا كثيرا والتاريخ الإسلامي أصبح معروفا بقوته وأصبحنا الآن نتجه اتجاها موسوعيا في التعريف بذلك التاريخ وبما في الإسلام فإن الإسلام يحتوي علي الكثير وقد أفلحنا في توضيح هذا الجانب ولكن هناك جانب آخر يجب أن نقف عنده كثيرا وقد أشارت إليه الورقة فحتي في حوار الأديان جلسنا معهم وتحدثنا إليهم وعرفنا كيف يفكرون وصحيح أنهم لم يعودوا يخاطبون النبي صلي الله عليه وسلم بذلك الخطاب الشاذ الذي ذهب إليه كتاب سليمان رشدي وقد بدأنا نسمع بعض العبارات الملطفة في الحديث عن الإسلام والمسلمين ولكن هناك إنكار تام كما أشارت الورقة وكما هو معروف للدين ولئن كانت هناك نقاط التقاء فهناك نقاط اختلاف كثيرة

وهنا نتساءل ماذا نفعل ؟ وفي مثل هذه الحلقات تخرج الكثير من الآراء والأفكار ؟ والغزو الصليبي مستمر وبصورة خطرة فإن لم يكن ذلك الغزو بمواجهة عسكرية فهنالك مواجهة أكثر خطورة وهي مواجهة تطرق كل بيت وهي في مكتبة كل شخص وفي غرفة نومه أيضا متمثلة في هذه الوسائل الإعلامية ولقد غرسوا فينا إلي جانب هذه الوسائل الإعلامية الخطرة التفكير العلماني حيث أفرز ذلك كلاما كثيرا وخلافات أكثر وأعتقد أن مثل هذه الحلقات يجب أن تثري بالنقاش وأن يكون لدينا تفكير جاد لنفكر بطريقتهم لنصل إلي أسس تفكيرهم . إننا نكتب وقد دبجنا الكثير من المقالات والكتب ولكن ما أثر ذلك ؟

إن جامعة الدول العربية تضم اثنتين وعشرين دولة ومنظمة المؤتمر الإسلامي بها خمس وأربعون دولة إسلامية وقد تحررت في آسيا سبع دول أضيفت إلي المسلمين ويعتبر كل ذلك رصيدا" إسلاميا ضخما وقوامه أربع وسبعون دولة ، ولكن ما الذي نستطيع أن نفعله جميعا من الناحية الإعلامية ، فماذا يقرأ الشاب المسلم والشابة المسلمة ؟ وماذا يفعل العالم تجاه هؤلاء ؟ فهذه نقطة يجب أن نفكر فيها كثيرا فإنهم الآن يفكرون فينا ويهادنوننا حفاظا علي مصالحهم فنحن لدينا الأرض ولدينا البترول ولدينا الكثير ويجب أن يكون لدينا الفكر القومي الذي ينفذ إليهم كما نفذ فكرهم العلماني إلينا لنصل بذلك إلي النتيجة التي نرجوها وأخيرا أقول إن هذه الورقة ورقة ثرة ومفيدة وجزاكم الله خيرا .

(٣) الدكتور الأمين أبومنقة

لقد تضمنت الورقة حديثا عن الفوديين والحقيقة فإن هؤلاء هم الذين قاموا بحمل لواء الجهاد من البربر وعبروا به الصحراء الكبري ونشروا الإسلام في بلاد غرب إفريقيا أو في بلاد السودان الغربي وقاموا بتأسيس الممالك الإسلامية بدءا بمملكة التكرور وساهموا في غانا ومالي وفي غينيا وإلي أن قامت الخلافة السكتية وهؤلاء هم القسم الأكبر من الفولاني وكان عندهم من الإسلام مايمثل درعا منيعا لايستطيع النصاري ان يخترقوه وحتي إنهم لم يجربوا ذلك لأن هؤلاء هم الذين حملوا لواء الإسلام والحقيقة إن التركيز كان علي المجموعة الثانية وهم مايعرفون بفلاتا البادية ويعرفون بالامبررو وشبه الرعاة والذين كانت حياتهم الاجتماعية أشبه بحياة الامبررو وأصحاب الأبقار وهم الذين تحدث عنهم الاخ عبدالرحيم بإسهاب وهم المعنون بذلك الحديث .

فالكنيسة ركزت حقيقة جهودها للتنصير وسط هؤلاء وهم فلاتا البادية الذين لم يجدوا فرصة للاحتكاك بالإسلام وحتي هؤلاء لم تستطع الكنيسة العمل إلا وسط جزء منهم لأنني أعرف أن هناك ثلاثة من أفخاذ فلاتا البادية مسلمين ومتمكسين بدينهم وبإسلامهم وهؤلاء هم الجافن والدقا والقرا وليس هذا فحسب بل إنني وجدت أن هؤلاء أنصار لدرجة تصل إلي حد التطرف فقد كنت وسطهم قبل شهرين في البحث وفي مسح اجتماعي لغوي ووجدت أنهم يقرءون الراتب بانتظام ويعرفون تاريخ الحركة المهدية بصورة أذ هلتني، فلم أكن أعتقد أن أحدا يعيش في الخلاء ومع الأبقار يعرف كل ذلك ، فهؤلاء هم البقية الباقية من الفولاني الذين ركزت الكنيسة جهودها عليهم أما الغالبية منهم فهي تعرف أنها لا يمكن أن تنجح معهم ونقطة أخيرة تحدثت الورقة عن الشيخ عثمان دان فوديو والشيخ عبدالله والشيخ محمد بيلو والشيخ الحاج عمر الفوتي وهؤلاء جميعا قاموا بعمل جليل وكلكهم تعرفون حجمه وأقل مايمكن أن نعبر به عن تقديرنا واحترامنا لهم هو أن نتحدث عنهم كشيوخ الشيخ عثمان والشيخ عبدالله والحقيقة إنني احس دائما بغصة في حلقي عندما أقف في مثل هذا المحفل ويأتي المتحدث ويتكلم عن عثمان بن فوديو وعبدالله ومحمد بيلو من غير اضافة لقب إلى أسمائهم واعتقد أنك إذا قلت بروفيسور فقل الشيخ فهذا لن يكلفك شيئا وشكرا .

أسعد فلاخ رئيس الجلسة :

شكرا جزيلا وأعتقد أن ذكر هؤلاء الأعلام مجردين من الألقاب لايقلل من قيمتهم فكلنا يعرف أن عثمان بن فوديو ترك لنا مكتبة تفوق المائة والخمسين مؤلفا ونحن قبل عثمان بن فوديو وغيره من الإعلام نقول محمد بن عبدالله وأبوبكر الصديق وعمر بن الخطـــــاب وحينمـــا يتنـــاول باحث أي شخصية أو أي علم من أعلامنا باسمه مجردا فهو بالتأكيد لايقصد إهانته ولو أضـــاف إليه لقب شيخ أو دكتور فإن ذلك لايزيد ولا ينقص من قيمته شيئا.

(٤) عبدالرحمن محمد سعيد

أحب أن أضيف شيئا لكلام الدكتور أبومنقة

نحن كنا في نيجيريا وتابعنا دراسة وترجمة أعمال الشيوخ عثمان دان فوديو وعبدالله ومحمد و أعتقد أنها مؤلفات عظيمة جدا وتراث ضخم وقد سخر الله سبحانه وتعالي الإخوة السودانيين الذين كانوا في نيجيريا فترجموا هذا الكلام إلي اللغة الانجليزية حيث إن اللغة العربية لم تكن مفهومه كثيرا في نيجيريا وقد كانت أغلب تلك المؤلفات مكتوبة باللغة العربية وفيها شيء من الفقه وشيء من التوحيد وشيء من الأدب وأشياء كثيرة أخري ويجب أن نحفظ لهؤلاء الرجال مكانتهم وأثرهم العلمي والديني والجهادي وهذا شيء لابد أن نحافظ عليه وأن نحاول بقدر الإمكان أن نســتفيد منـــه لأن فيـه حسب ماعلمت بعض اجتهادات جديدة في مسئل الجهاد ومسائل تطبيق الشريعة وتفســـيرات كثيرة حـاولوا أن يستقرءوها من واقع الحياة في نيجيريا وشكرا جزيلا .

(٥) دكتور خالد سرالختم جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

ورقة الدكتور عبدالرحمن محمد سعيد بالرغم من أنني لم اجد الوقت الكافي لأن أطلع عليها الاطلاع الجدير بها ولكن من اللمحات البسيطة التي أخذتها منها وجدت أن فيها مادة علمية ثرة وموضوعية تثير الفكر وتثير ضرورة القراءة والإطلاع ومحاولة تحليل هذا الجانب لاسيما وأن الدكتور عبدالرحمن محمد سعيد من الذين تنقلوا في مواقع كثيرة واكتسبوا بذلك العديد من التجارب العملية والفكرية واستطاع أن يكون من أميز المحللين السياسيين الذين وقفت علي تحليلاتهم من قبل وتتبعتها خاصة عندما كتب عن التوتسي قبل عشر سنوات تقريبا وقد صدقت نبوءاته في تحليلاته عن تلك القبيلة الصغيرة المجهولة والتي ربما كانت ذات صلة باليهود . ويلاحظ أن البغض الكنسي للإسلام والمسلمين ولنبيّهم محمد صلي الله عليه وسلم بارز وظاهر في هذه الورقة والحقيقة الماثلة أنهم نالوا كثيرا من شخصية الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم وأمعنوا في تحقير المسلمين والشواهد علي ذلك كثيرة حتي إنهم كانوا يرسمون قبل أيام في بعض الصحف في اسرائيل صورة خنزير ويكتبوا هذا محمد عليهم لعنة الله .

هذا النوع من تحقير المسلمين وقتلهم كما حدث في بيت المقدس يحمل العمق التاريخي لعدم وجود تفكير في إخوة مشتركة أو حوار مشترك ولا إنسانية يفكرفيها هؤلاء ، لهذا فالمسلمون مطالبون بتفكير موضوعي وإعلام قوي حتي يبرز هذا الدين الذين يجهله كثير منهم وحتي إن الإعلام الظالم غطي علي الحقائق بصورة محزنة والمسلمون أموالهم مجمدة في كثير من أنحاء العالم العربي ، وإعلامهم مجمد وثقافتهم مخترقة ومسلوبون حضاريا فلابد من يقظة وإن هذه الورقة تدعو لهذه اليقظة ولابد للناس أن يستيقظوا ولابد للشباب من أن يشمروا عن سواعد الجد ويعلموا أن الخطر القائم من كل الجوانب يتمثل في محاولة هؤلاء النصاري تضعيف شخصية الرسول صلي الله عليه وسلم .

هناك بعض النظريات في الإدارة أبرزت أهمية القائد بصفات وقيم أخلاقية رفيعة وعندما تكتمل هذه الصفات والقيم في الشخص يصبح قائدا يمكن أن يتبع وهذه نظريات غربية وضعت سنة ١٩٧٢ ولكنها وجدت هجوما عنيفا وتعتيما لأنها تشبه المثل الأعلي ، والرسول صلي الله عليه وسلم قدوة وأسوة ، وإذا كان العالم يتجه الي قيادة تعتمد علي القيم فإن كثيرا من القادة في العالم الغربي سيفقدون مواقعهم لأنهم يفتقرون إلي هذه القيم مثل كلنتون ويفتقرون إلي المثل مثل بوش وغيرهم كثيرون لقد اغتالوا في بنما مايزيد علي أربعمائة شخص ليقولوا إننا قد أعدنا الديمقراطية لبنما وكل هذه الأشياء تمثل القيم والأخلاق المنحطة ورغم ذلك فإنها تجد مكانها بينما القيم الرفيعة لاتجد إلا التعتيم كما يفعلون بشخصية الرسول صلي الله عليه وسلم التي هي جماع صفات القائد في كل العالم .

حقوق الإنسان بين المبدئية والتوظيف السياسي في سياق التقابل الحضاري بين الغرب والإسلام

د . قيصر موسي الزين *

تقوم هذه الدراسة علي قسمين مرتبطين ، يتعلق الأول بجوانب نظرية ذات علاقة باتفاق واختلاف حضارتي الغرب والإسلام حول موضوع حقوق الإنسان بصورة طرحه الراهنة والثاني باتجاهات توظيف الدول الأطلسية ، وعلي رأسها الولايات المتحدة ، سياسيا لحقوق الإنسان في مواجهة دول العالم الثالث ، خاصة الإسلامية وتحاول الدراسة الإشارة إلي العلاقة بين المبدئي والتطبيقي هنا وطبيعة تداخل الاثنين ، مع إبراز الخلاصة وربطها بإشارة موجزة جدا لاستراتيجية مقترحة للتعامل مع القضية .

خلفية تاريخية :

منذ أن بزغت شمس الحضارات الإنسانية ، منذ أكثر من أربعة ألف عام ، لم يخل هذا العالم من نظام عالمي ،وفي الماضي أو الحاضر فإن كلمة نظام لاتدل علي ماقد يتخيله السامع لها من التماسك والتكامل والدقة في حركة ذلك الشتات المنتظم الذي نسميه العالم وهذا ينطبق علي مصطلحا ت أخري مثل (القيم العالمية) المفاهيم العالمية .. الخ وهنا يمكن أن نستبدل كلمة عالمية بإنسانية ، ويصعب أن نؤرخ لبداية فكرة الإنسانية فهي دون شك مضمنة في فكر المدنيات القديمة من الفرعونية والسومرية حتي الإفريقية والرومانية وفي فكر العصور الوسطي إسلامية - مسيحية - يهودية - بل خارج نطاق البحر المتوسط وغرب آسيا في الصين والهند .. الخ .. أما العالمية ، فقد كانت تعني عند الكثيرين الجيران بسبب من قصور الجغرافيا - العلم وبسبب من قصور تقنية المواصلات.

وأما (الإنسانية) فبالرغم من الإدراك لشمولها إلا أن التعالي العرقي والاغترار بالقوة كان يدفع البعض للاعتقاد بأنها قاصرة عليهم ، فأطلق المصريون القدماء علي مصر (تانهسو) أي أرض الناس ، أما الإغريق فاعتبروا أن المتمدن هو الإغريقي ولم يجدوا عنوانا للدلالة علي بعض الشعوب سوي أن بشرتهم سوداء ، وفي رأيهم أنها محروقة (إثيوبيين) وابتكرت الإمبراطورية الرومانية(قانون الشعوب) الذي يميز بين الرومان وغيرهم لكنه لأسباب نفعية يسهل التعامل التجاري والحركة ، أما استرقاق البشر فكان نظاما متبعا عند الجميع وإن برز الرومان في هذا المضمار وتميزوا بالوحشية ، ولانستطيع إعفاء حضارة العصور

---

* جامعة الخرطوم معهد الدراسات الإفريقية والآسيوية

الوسطي الإسلامية من تبني نظام الرق مع أن الإسلام دين حمل نفحات إنسانية قوية في هذا المجال ، ولانستطيع أيضا نفي وجود عناصر للتعالي العرقي علي السود في المفاهيم العربية وقبولها للآخرين في نهاية المطاف حتي لو كان الثمن هو أن تفقد نقاءها العرقي ، أما حديثا فإن أقسي صور الاسترقاق والفصل العنصري قد طورها البيض الأوربيون ، وكان أكثر ضحاياها في إفريقيا لقد ثار العبيد ضد الرومان مرات ومرات وثاروا مرة ضد العباسيين (ثورة الزنج) وقاومت سلالتهم الفصل العرقي والاضطهاد في الولايات المتحدة ونظرائها في جنوب إفريقيا أيضا ، إذن فالإرث الإنساني محمل باضطهاد وظلم الأقوياء للضعفاء ، خاصة علي أساس التفرقة العرقية والطبقية والدينية ، غير أن هناك وجها آخر للمسألة ، هو فكر التنوير والتحرير الذي كان موازيا لاتجاه الظلم والاضطهاد ، ويمكن القول إن جماع تيارات وروافد تاريخية - اجتماعية عديدة ، طورت جانبا منها حضارة الإسلام ، قد صبت في عصر التنوير الأوربي وكان جانبا من انعكاساتها في الثورة الفرنسية بلغت في هذا القرن مرحلة دعوة حقوق الإنسان

حقوق الإنسان بين حضارتي الإسلام والغرب :

برزت فكرة الإنسانية ومحورية الإنسان بصورة واضحة في القرآن الكريم في أول سورة نزلت :(إقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الإنسان من علق ، إقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ، علم الإنسان مالم يعلم) (١) وهي آيات معجزة وكأنها ترد ، ضمن ماترد عليه ، علي آخر المذاهب العصرية في الحضارة الغربية وهو مايعرف بالإنسانية العلمانية Secular Humanism (٢) ذلك الذي يجعل الانسان فوق الإله وهو تتويج لاتجاه فلسفي فكري متجذر في الحضارة الغربية منذ طورها الإغريق والربط الواضح في الآيات الكريمة بين الرب الأعلي ، والإنسان والخلق والعلم هو مدخل مفتاحي لفهم المنظور الإسلامي المقابل للمنظور الأيدولجي الغربي ، وربما كفي ذلك للقول بأن مفهوم محورية الإنسان بضوابطها تلك ، لم تكن ابتكارا عصريا أوربيا أو أمريكيا ، ولاتعدو فكرة (حقوق الإنسان) أن تكون فرعا من فروع هذه الشجرة أي فكرة الإنسانية أو محورية الإنسان نعم المسيحية نفسها وهي شرقية المنشأ (٣) أرست الكثير فيما يتعلق بهذا المفهوم ولكن علي أساس الربط بينه وبين الرب والخلق والعلم - وهو مايلخصه المصطلح القرآني في كلمة واحدة هي (الحق) و أشارات صورة (العلق) المذكورة تجد مايؤكدها في القرآن (الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان) (٤) ولعله من الملفت للنظر خلو أدبيات شبه جزيرة العرب إلي حد كبير من مفهوم (محورية الإنسان) وقت نزول القرآن وماقبله ، ولاشك أن الاستقصاء في العلمية الإسلامية المعاصرة في هذا الموضوع ، وهو لايزال في بداياته ، يمكن أن يؤدي إلي إجلاء تصور كامل متماسك لمباديء حقوق الإنسان القرآنية - لابد أن تختلف نوعا ما عن تلك الغربية ، وجوهر الاختلاف كامن في اختلاف منطلقات وتوجهات الحضارتين ، ففي مفاهيم حضارة الإسلام القاعدية الرب هو الأعلي والأكرم ومن هذه الكرامة ينبع ماسماه القرآن تكريم الإنسان (ولقد كرّمنا بني آدم)(٥) غير أن الإنسان الذي ينطوي علي الكرامة في جوهر خلقه قابل للتردي إلي أسفل نهايات التردي إذا فقد صلته بالله إيمانا وعملا " لقد خلقنا الإنسان في إحسن تقويم ، ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " (٦) غير أن التردي هذا

مكتسب وكل مكتسب قابل للزوال ولايلغي جوهر التكريم لأنه فـــي صميم الخلــق الإنساني – الذي هو رباني المنشأ ، ويجد القانون – ناموسا كونيا أو شريعة نفسه في هذا الإطار ، وهكذا سن الإسلام قوانين الحرب (الجهاد) والعقاب وما إلي ذلك علي أساس (الحق) مثلا :(ولاتقتلوا النفس التي حرّم ا لله إلا بالحق) (٧) وعلي هذا الأساس ، أي الحق ، تأتي الرأفة والشفقة والتعاطف مع الإنسان تالية وليست سابقة (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولاتأخذكم بهما رأفة في دين الله) (٨) .

وهذا القانون التشريعي منسجم مع الناموس الكوني الذي يقوم علي العدل الكوني صنو العدل الاجتماعي ، والعدل يعني الاستقامة علي (الحق) الذي هو أساس التوازن الكوني وقد ورد في سياق الآيات المذكورة سالفا عن (محورية الإنسان) وسورة الرحمن (وأقيموا الوزن بالقســط ولاتخســروا الميزان) (٩) ومبدأ (الحق كما هو واضح من التحليل السابق يقوم علي أساس عقلاني لأن مؤداه هو الصلاح الوجودي والكوني والاجتماعي والفردي وكما سبق القول فإن أي (حق) أو (حقوق) لاتكتسب صفة المصطلح دون أن تنبع – في المفهوم القرآني – من دوحة (الحق) و(الحق) هو الله وهذا يسري علي (حقوق الإنسان) ومن تطبيقات هذا أن القوة التي لاتملك حقا ، مستمدا بالضرورة من الحق ، ليست شرعية والعكس صحيح ، أما المرجعية الغربية للشرعية فهي جد مختلفة ، لأنها غالبا ماتعطي القوة مطلق الشرعية ، والغلبة المشار إليها هنا تأتي من غلبة الروح الإمبراطورية الرومانية الطابع علي التشكيلات الحضارية الغربية المختلفة وأخرها التشكل الأمريكي الاوربي الراهن ، علي الروح المسيحية في تلك التشكلات ، بل إن المسيحية نسفها خضعت لإعادة الشكل في ذلك العالم الغربي وفقا لشروطه الحضارية ومن ناحية أخري فإن الشكل الإنجيلي المنسوب إلي يسوع الناصري يخرج قليلا أو كثيرا عن الميراث التوراتي (١٠) الذي أكد القرآن الكريم جانبا مهما منه ، وهو محورية القانون والتعالي علي الضعف الإنساني عند سن التشريع وإقامة القواعد القيمية والأخلاقية التي يقوم عليها ، غير أن بعض تجارب الحضارة الغربية أوغلت ، في (الفاوستية) وهي تعود ثقافيا في الفكر الغربي إلي الشيطان (١١) فكان ان ظهرت النازية والفاشية وقبلهما الطابع الخاص لوحشية الإستعمار الأوربي وقبله الوحشية الرومانية – قبل وبعد الميلاد ، ويمكن النظر إلي تطور حركة (حقوق الإنسان) بعد الحرب العالميــة الثانية في الســياق الغربي من زاويـــة منطق رد الفعل علي طغيــان الجانب (الفاوستي) الشيطاني علي المسيحي – الملائكي ، المركوزين في صميم التكوين الحضاري الغربي ، ويلاحظ أنه مهما بلغ غلو حركة حقوق الإنسان في الغرب فإنها لم تستطع الدعوة المباشرة لتجريم الحرب في حد ذاتها بل إنها لم تستطع حتي الثبات علي الموقف المسيحي التقليدي الذي يرفض الحرب لغير الدفاع عن النفس وكل ماذهبت إليه هو المناداة بتخفيف آثار الحرب خاصة علي المدنيين والأطفال ،، الخ .. وذلك أن إرادة الدول ، أو ماتكونه من منظمات دولية ، تتجه للقيام بكثير من الأعمال العدوانية ضد الإنسان وهي نفس الدول التي تروج هي ومنظماتها لقضايا حقوق الإنسان وربما كــان ذلك معــادلة للتوفيق بين (المصلحة) و (الضمير) في الغرب ، وربما كان ذلك جزءا من آليات القوة – لأن الحركة الإنسانية داخل المجتمعات الغربية تملك قدرا من إمكانيات التأثير لايمكن تجاهله ، لكن وعلي كل حال فإن المحصلة الأخيرة فيما يتعلق

بالعوالم غير الغربية تتجه نحو ترسيخ قواعد النظام الدولي الذي يضمن أقصي المنافع المادية وغيرها لمنظومة دول الحضارة الغربية في تشكلها الراهن ، أما بشأن العالم الإسلامي ، الذي هو جزء من العالم الثالث اليوم أو عالم الفقر والعجز ، فهو يتعامل مع موضوع ، حقوق الإنسان ، أحيانا متخليا عن منطلقاته الثقافية الإسلامية مجاريا الغرب أحيانا أيضا باتجاه المزايدة والمغالطة في (الإنسانية) بمفهومها الغربي ويشمل ذلك اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ، وفي أحيان أخري تتجرد تيارات وأجزاء من هذا العالم من كل أشكال القيم الإنسانية بمفاهيمها الإسلامية أو الغربية فتطور مايشبه النازية أو الفاشية ، ويشمل ذلك أيضا بعض التيارات الإسلامية ، فتخلق بذلك مبررات أخلاقية لبعض الدول والمنظمات الغربية لمهاجمتها باسم الإنسانية وحقوق الإنسان وهو اتجاه يصل قمته بالعدوان المسلح ، وربما كان جوهر الأزمة في العالم *الإسلامي اليوم هو انفلات التعبير السياسي عن القيود الفقهية القانونية الدقيقة* المستمدة من النصوص الإسلامية واتجاه بعض *السياسيين المفكرين لتعويم* مايسمي بروح ومقاصد *الإسلام* من أجل إيجاد أكبر مساحة للانفلات عن الضوابط الإسلامية مما يصب كثيرا في خانة القمع العدواني للأفراد والجماعات وانتهاك حقوق الإنسان (المسلم) وغير المسلم – ضد مباديء الإسلام ولكن باسم الإسلام نفسه ، لكن ماهي قيم وقوانين *الإسلام الحق* التي ينبغي أن تكون موجهة وضابطة للحركة السياسية الداخلية والخارجية لمجتمعات المسلمين ؟ هذا السؤال لن تجيب عليه سوي حركة نهضة علمية رشيدة منفتحة منضبطة ، يحو ل بين ظهورها وتطورها الآن مناخ العصبية والخوف وغياب الحرية وانعدام الثقة في الذات وطغيان الأنانية والجشع المادي والنزعات السلطوية المرضية إلي غير ذلك من أدواء مجتمعات المسلمين المعاصرة ولابد من قدر من الاعتراف هنا بأن الانسانية لازالت حتي الآن في بداية استفادتها من الكنوز المعرفية والأخلاقية المتضمنة في القرآن الكريم ، والاستفادة المرجوة هنا تسير موازية للتقدم الفكري والنضج الاجتماعي للإنسانية وتلاقح حضاراتها بحضارات الشعوب المتأثرة بالإسلام وليس بالانعزال عن هذه الحركة الإنسانية كما قد يبدو للبعض ولذلك فهناك خطر واضح يتمثل في الخلط بين توظيف السياسيين في الغرب لتيار حقوق الإنسان لتحقيق أغراض نفعية معينة وبين حقيقة أن هذا التيار جزء من الميراث الإنساني الإيجابي ، يمكننا التعامل معه علي أساس الانتقائية من زاوية وجهه النظر الثقافية الخاصة بنا كحضارة إسلامية وعلي أساس الانتباه للتعارضا ت الثقافية بيننا وبين الغرب من ناحية وكذلك الانتباه لمرامي التوظيف السياسي للمباديء الإنسانية .

التوظيف السياسي لحقوق الإنسان :

لابد من القول أولا بأن الدفعات الأساسية لحركة حقوق الإنسان خرجت من مخاض آلام الإنسانية في الحروب الأوربية في هذا القرن خاصة مايعرف بالحربين العالميتين الأولي والثانية – بالرغم من أن جذورها الحديثة في أوربا تعود إلي ماقبل ذلك لهذا فإن التوظيف السياسي لهذه المبادئ لا علاقة له بها بوصفها تطورا مهما في التاريخ الإنساني وتجربة أصيلة باتجاه النضج تتجاوز آثارها وتداعياتها الحدود الأوربية ، وقد ارتبط التوظيف هنا بالدعوة إلي حكومة عالمية ، وهي دعوة خيالية رومانسية تجافي حقائق الوضع

الدولي في الماضي والحاضر وذلك لأن مثل هذه الحكومة إما أن تقوم علي التراضي بين الدول أو تفرض بالقوة ، *والتراضي مستحيل بطبيعة ديناميكية الصراع بين القوي السياسية في العالم كذلك* فاحتكار القوة السياسية علي نحو يسمح بفرض حكومة عالمية غير ممكن - علي الأقل منذ فجر التاريخ حتي اليوم لذلك فإن الامبراطوريات العظمي تسعي عن طريق المعاهدات وصيغ التحالف إلي توسيع دائرة سيطرتها العالمية . أفقيا ورأسيا ، إلي أقصي مدي ممكن ومحاولة إقامة هذا التوسع علي أسس توازن القوي الدولية والمعروف أن للقوة مصدرين أساسيين : مادي ومعنوي ، وهما متداخلان بحيث ينبع كل منهما من الآخر ، ويستند المصدر المعنوي علي الايدولوجية وهي لاتخرج عن كونها جملة أقنعة فكرية في صورة واجهات لتفعيل وتوليد القوة الاجتماعية - السياسية وقد انتهت الهواجس الإنسانية والميراث التاريخي للنزعة الإنسانية في الثقافات والأديان - بخاصة المسيحية . إلي البحث علي المستوي النظري عن أدبياتٌ وآليات جديدة لاحتواء النزاع القومي والعرقي والطائفي في العالم الذي أججته مؤسسة الدولة الوطنية وصعدته إلي مستوي التناحر وأحيانا الانتحار الجمعي ، احتواء ذلك الصراع وفرض السلام ، غير أن ذلك قد تم استثماره من قبل أباطرة الحرب المنتصرين في الحرب العالمية الأولي ثم الثانية فكان علي التوالي ظهور عصبة الأمم ثم الأمم المتحدة (١٢) وفي سبيل إكمال صنع القناع الأخلاقي لايدولوجيات القوة المهيمنة سمح بإجازة مواثيق ومعاهدات أصبحت من صميم القانون الدولي - مثل ميثاق الأمم المتحدة ، الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، معاملة أسري الحرب ، وتم تأسيس وتفعيل مؤسسات في هذا الإطار مثل الصليب الأحمر ، ومن باب الحياء الهلال الأحمر وتم إدراج أجندة العمل الإنساني في برامج مؤسسات مثل صنـدوق رعـاية الطفولة العالمي (يونسيف) وشمل مفهوم حقوق الإنسان العمل والتعليم وحق المعارضين السياسيين في حرية إبداء الرأي ومكافحة التعذيب وسيكون من قبيل التوهم الاعتقاد بأن مثل هذه التطورات وأعمال مؤسسات العمل الإنساني قد تمت وتتم الآن بمعزل عن توجيه الدول المهيمنة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا علي عالم اليوم وهذا التوجيه يقوم علي الانتقائية والمعايير المزدوجة لتحقيق معادلة المنفعة / الضمير ، وهي ليست معادلة أخلاقية في أساسها بقدر ماهي واحدة من معادلات توازن القوة .

حقوق الإنسان وانتقاص سيادة الدولة القومية :

تقتضي معادلات القوة في أي نظام عالمي موازنة ديناميكية - متغيرة - بين الدول تقوم علي التناسب العكسي ، فالهيمنة تعني انتقاص سيادة آخرين وفي الماضي قال الفلاسفة الإنسانيون ، مثل جان جاك روسو ، إن القانون من اختراع الأقوياء ، ويتجلي هذا القول الصحيح جزئيا في ترجمة الدول العظمي لواقع هيمنتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية إلي (قانون دولي) وتوجهات سياسية - أخلاقية عالمية في شكل إعلانات ومعاهدات خلال هذا القرن العشرين ، وبالرغم من أن مشروعات الهيمنة تقتضي أحيانا التدخل العسكري وسفك دماء المدنيين خارج إطار حالة الدفاع عن النفس - مثلا قنبلة نجازاكي وقد كانت هورشيما أكثر من كافية لتحقيق استسلام اليابان - فإن القوي المهيمنة التي يمثلها اليوم الحلف الأطلسي بادرت بتوظيف شعارات (حقوق الإنسان) ضد خصومها في الكتلة السوفيتية السابقة وفي العالم الثالث

بصورة انتقائية تناقض المبدئية ، وهذا لايعني إطلاقا أن قيامها بانتهاكات لحقوق الإنسان يصلح لكي يكون مبررا لتمرير انتهاكات حقوق الإنسان عند الآخرين ، ويمكن النظر إلي الموضوع كله في إطار فكرة (التوظيف) والبراغماتية ، ومن هذا المنظور يمكن القول إن الأخطاء (الأخلاقية) التي ترتكبها دول العالم الثالث مثل قمع الخصوم غير الأخلاقي والاعتداء علي مواطني الغرب المدنيين والاعتداء علي سيادة الدول الأضعف .. الخ /.. تصبح مصدرا إضافيا لقوة الدول المهيمنة - يتم استثماره أولا لحشد الرأي العام داخل هذه الدول العظمي لتبرير الضربات العسكرية ضدها والعقوبات الاقتصادية ولإسكات أصوات الحركات الإنسانية والأخلاقيين والسياسيين المتعاطفين مع دول العالم الثالث ، ويتم استثماره ثانيا في المحافل الدولية لتطوير أطر اخلاقية ومعنوية ملحة جدا لاستمرار الهيمنة والاستلاب وهذا العمل السياسي المرتب يغني الدول الكبري عن استخدام قوتها العسكرية الضاربة في معظم الأحيان بل ويجعل أحيانا دول الجنوب المتخلف تدفع فاتورة الأعمال العسكرية المؤقتة التي قد تقوم بها هذه القوي الكبري إضافة إلي أرباح قد تفوق التكلفة الفعلية لتلك العمليات وإذا أردنا الأمثلة فقد تكفي الإشارة إلي العراق- ليبيا - السودان نماذج للمعالجة يطورها الغرب اليوم ويطور من خلالها آليات السيطرة والاحتواء بعيدا عن أساليب الاستعمار المتخلفة في القرن التاسع عشر - حينما كان الاحتلال العسكري والحكم المباشر أو غير المباشر هو المفضل بالنسبة للدول الأوربية وكذلك بعيدا عن تجارب الفشل الأمريكي قبل ثلاثة أو أربعة عقود في جنوب شرق آسيا ، وبخاصة حرب فيتنام ، وهو علي أي حال فشل ليس كاملا كما قد يدل التحليل المتعمق لتلك التجارب في إطار مفهوم الوظيفية السياسية (١٣) .

ارتبط توظيف ـ (حقوق الإنسان) سياسيا في المجال العالمي بظهور حقبة مايسمي اليوم بنظام القطب الواحد ، بعد انهيار الكتلة السوفيتية في مطلع عقد التسعينات وكما هو متوقع فقد اتخذ هذا التوظيف مجاله الأساسي في ميدان الحرب والسلام ، وجانب كبير من هذه الحروب يتطور من خطايا الحكام وشعوبهم في عالمنا المتخلف تقنيا وتنظيميا ومعلوماتيا وسياسيا غير أن تطوير هذه الحروب ونقلها من القبلية إلي القطرية إلي الإقليمية وتوفير ماتحتاجه من سلاح وأموال ومشورة سياسية وفنية وتنسيق ،، الخ . هو من عمل دول القطب الواحد ، سرا أو علنا ، مباشرة أو غير مباشرة تلك لعبة بالغة التعقيد والذكاء يتم فيها أحيانا حتي صنع الخصوم وتعديلهم والقيام بعمليات التشويش الفكري وابتكار الاطروحات الإصلاحية والتقدمية في العالم الثالث ، ماركسية ، ليبرالية ، إسلامية ،، الخ .. واللافتات هنا غير مهمة بقدر أهمية التوظيف وبالتحديد التوظيف المرحلي المتغير وفي إطار فلسفة العمل العامة هذه يجيء توظيف أيدولوجية الإنسانية بصفة عامة وحقوق الإنسان بصفة خاصة - بعد إكمال خلق حالة الحرب وينبغي إلا يوقعنا هذا التحليل في حبال النظرة الأحادية المضللة التي تقول بأن الغرب هو شر محض أو أن أمريكا هي الشيطان الأكبر أو بأن كل ذلك هو مؤامرة صهيونية أولا وآخرا ، وهذه النظرة الأحادية تشكل خطأ منهجيا فادحا يمنع الوعي بأبعاد الواقع المعقد وحقيقة أن الغرب ، أو امريكا لاتمثل قوة واحدة الاتجاه أو كيانا متجانسا ساكنا ، بل إن تحريكه في اتجاه - أو تحييده - يقتضي من أي قوي داخلية فيه جهدا عظيما مرتبا ومنظما

، وفي هذا السياق فإن (اللوبي الصهيوني) يصبح مجرد عامل محدود ، فاعل ومفعول به في معادلات القوي المعقدة والمهم أن اتجاهات التطورات الفعلية وطريقة عكس ذلك ، أو حجبه بواسطة الإعلام – وهو من أهم أدوات الصراع هنا – قد خلقت شائعة عالمية وصمت بعض الدول مثل العراق ، ليبيا ، السودان ، بانتهاك حقوق الإنسان وإثارة الحرب ضد مواطنيها ودعم الإرهاب الدولي ... الخ .. وتلك لغة جديدة تصف الخطايا السبع أو العشر،، الخ ،، وكانها توارثية جديدة في (دين الإنسانية) الذي يجري تطويره وفي هذا السياق يجري تغيير الأعراف الدولية ومن بعدها القانون الدولي غير أن الجانب الأخير هذا لم يبدأ بعد بصورة جادة وفي إطار حلقات هذا التطور المتسارع ظهرت فكرتان خطيرتان هما (المناطق الآمنة) والتدخل الإنساني وهاتان الفكرتان في اتجاه توظيف مباديء حقوق الإنسان باتجاه انتقاص سيادة الدولة القومية في بعض أجزاء العالم الثالث كذلك منع ظهور عالمية جديدة قد تخرج من هذا العالم – رغم استبعاد ذلك في الوقت الحاضر .

المناطق الآمنة والتدخل الانساني :

كان أول تطبيق واقعي واضح لفكرة المناطق الأمنة في العراق ، حينما بدأ الرئيس المهزوم في حرب الخليج الثانية – صدام حسين – في ذبح مواطنيه من الأكراد عندما تحركوا باتجاه الانفصال وبالرغم من أن الولايات المتحدة شجعت حركةُ الأكراد هذه لتبدأ فإنها سمحت لصدام باستخدام سلاح نوعي هو طائرات (الهليكوبتر) لقمعها وتعمدت خذلان الحركة الانفصالية وفي الحقيقة فإن منع الأكراد من إقامة دولة مستقلة الآن هو اتفاق إقليمي دولي سابق لحرب الخليج – وتدخلت في الوقت المناسب لها لمنع الحركة العسكرية العراقية في مناطق الأكراد معلنة انها منطقة آمنة ، وأجرت أيضا تجربة غير ناجحة في رواندا ، ويجري من وقت لآخر التلويح بإخضاع جزء من جنوب السودان لهذه التجربة وربما مناطق أخري مثل شرق السودان وتحمل تجربة شريان الحياة في الجنوب بدايات خصبة لهذا الاتجاه ، خاصة وأن القانون الدولي يسير ببطء نحو إرغام الدولة الوطنية علي قبول الإمدادات الغذائية والدوائية لمتضرري الحروب والمجاعات وهو وضع يتم حتي اليوم باتفاق بين المنظمات الدولية والدولة الوطنية المعنية وفي الحقيقة فإن تطبيق نظام إمداد غذائي أو دوائي مستمر يعني إقامة جسور نقل جوي ومحطات أرضية إدارية قد تكتسب قدرا من القوة السياسية والقانونية وقد يتداخل نشاطها بالأنشطة الحربية والاستخباراتية وقد يتطور الأمر في النهاية إلي فرض وصاية دولية ، هي في حقيقتها وصاية دولة واحدة غير أن ذلك اليوم في رحم الغيب ومهما يكن من تهويل هذا الأمر والقول بأنه تدخل في الشئون الداخلية وانتقاص من السيادة الوطنية ، فإن من يمتنع عن الموافقة علي إيصال الغذاء والدواء للضحايا من قبل القادرين علي ذلك لن يستطيع أن يخرج مهما صرخ من خانة الإدانة الأخلاقية وانتهاك حقوق الإنسان وطالما أنه الأضعف فسيجد نصيبه من الردع والتأديب المرتكز علي القواعد الأخلاقية والقانونية من وجهة نظر ايدولوجيا النظام العالمي الإنسانية والآن ظهرت مسودة اتفاقية دولية جديدة في طور التطوير والمفاوضات في هذا العام في روما (١٩٩٨م) وتقضي هذه الاتفاقية المشروع بقانونية التدخل العسكري للأغراض الإنسانية في أي دولة تقاوم التدخل

الإنساني وبجانبها أيضا يتطور مشروع اتفاقية دولية أيضا في روما ١٩٩٨م تقضي باعتبار مانعي الغذاء من المتضررين مجرمي حرب يجوز - وقد يجب - تقديمهم لمحكمة دولية وهذه الاتجاهات السياسية والقانونية الدولية لاتقتصر على المسلمين وإنما تجد تطبيقا أحيانا لصالح المسلمين في البوسنة والهرسك كوسوفو الخ وهذا بالطبع يزيد من قوة آليات النظام العالمي بتقوية حججه الأخلاقية والإنسانية .

خاتمة : خلاصة استراتيجية التعامل :

لابد أولا من الإشارة إلي خلاصتين هنا الأولي أن حقوق الإنسان موضوع أصيل في الحركة الإنسانية عامة ، له خصوصياته في إطار حضارة الإسلام وحضارة الغرب ،، الخ ،،، ولاينبغي السخرة منه والتقليل من شأنه بسبب اتجاهات التوظيف السياسي الراهنة ، الثانية ان التعامل بربود الافعال في هذا الاتجاه أو عكسه في موضوع الطرح الحالي لحقوق الإنسان قد يؤدي بالسياسيين إلي الدخول في صراع واع أو غير واع مع أصول وقيم الإسلام ، فهو لاينادي بانسانية المسيحية أو الليبرالية كما قد يقول بعض المتشددين الإسلاميين اليوم لموازنة تشددهم ولايتبني الاطروحات المعادية للإنسانية مثل تلك الشبيهة بالنازية والفاشية في عالم المسلمين اليوم وفي هذا قاسم مشترك مهم بين الإسلام والليبرالية مهما تعددت أصولها وجذورها.

بناء علي هذه الخلاصة فإن أفضل استراتيجية للتعامل مع القضية في عالم المسلمين ينبغي أن تستند علي قيام المسلمين إسلاميين أو غيرهم بالكف عن انتهاكات حقوق الإنسان المسلم وغيره فعلا والمطابقة بين القول السديد والعمل الرشيد هنا كذلك الامتناع عامة عن ارتكاب كافة الخطايا السياسية الأخلاقية ويضاف إلي هذا تقوية الأدوات الإعلامية وتطوير أساليبها وضرورة اعتمادها علي الصدق وذلك لإحباط عمل الإعلام المضاد في هذا الخصوص و أخيرا استثارة الباحثين والمفكرين لترشيد منهجية البحث الإسلامي و إخراجها من دوائر الانفعال العاطفي والذاتية والتقليدية والخواء والضعف المنهجي وقلة الموضوعية وضعف العقلانية والهلامية الفكرية وعدم المبدئية بمجاراة الناشطين والسياسيين المحترفين الميكافيليين وذلك لتجاوز الأزمة الفكرية الراهنة بوجه عام ولتطوير تصور نظري متقدم وموثق من المصادر الأولية للإسلام حول حقوق الإنسان مع مراعاة مواكبة حركة التطور العالمي والاندماج معها كل ما كان ذلك ممكنا ومشروعا ولابد من مراعاة الحذر هنا وتجنب الانزلاق في تبني منظومات فكرية قد تكون غريبة عن الإسلام كما هو الحال في بعض المحاولات المعاصرة (١٤)

إشارات البحث :

١- القرآن – سورة العلق الآيات من (١) الي (٥)
٢- هو مذهب يناهض الفكر الديني المسيحي ويزدهر الآن بقوة في الولايات المتحدة
٣- بدأت المسيحية كفرع من اليهودية في فلسطين
٤- القرآن . سورة الرحمن الآيات من (١) الي (٤)
٥- القران سورة الإسراء – الآية ٧٠
٦- القرآن – سورة التين – الآيات (٤) ، (٥) ، (٦)
٧- القرآن – سورة الأنعام – الآية (٦)
٨- القرآن سورة النور الآية (٢)
٩- القرآن – سورة الرحمن الآية (٩)
يمكن مراجعة الاتجاه الأخلاقي للعهد الجديد ومقارنته .بروح العهد القديم للوقوف علي هذا المعني
١٠- فاوست هو بطل قصة جوته الالماني وقد با ع نفسه للشيطان مقابل الطموح والرغبات
١١- إنظر مقال إبراهيم ابراشي – المستقبل العربي عدد ١٨٥
١٢- مثلا حرب فيتنام حققت جزءا من أهدافها في سياق الحرب الباردة
١٣- انظر مثلا محاولة عوض الكريم موسي – تجديد حقوق الإنسان
١٤- مصادر ومراجع مختارة

مصادر أولية

القرآن الكريم

الكتاب المقدس

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان – الأمم المتحدة

مصادر ثانوية :

إبراهيم ابراشي – حدود النظام وأزمة الشرعية في النظام الدولي الجديد – مجلة المستقبل العربي عدد ١٨٥ يوليو ١٩٩٤

أمير موسي – حقوق الإنسان : مدخل إلي وعي حقوقي بيروت ١٩٩٤

عوض الكريم موسي : تحديد حقوق الانسان – الخرطوم ١٩٩٥م

محمد الأطرش – تطور النظام الدولي – مجلة المستقبل العربي عدد ١٧١ مايو ١٩٩٣م

وسائل تنصير المسلمين
وموقف الدعوة إلي الإسلام منها

أ . بابكر حسن محمد قدرماري *

تهدف هذه الورقة إلي استعراض شتي الوسائل التي يستخدمها المنصرون بين أوساط المسلمين للتأثير عليهم ثم التعليق عليها بما يعكس موقف الدعـوة إلي الإسلام منها بوصفها وسائل لنشر الدعوة الإسلامية

عرف المسيحيون والغربيون كذلك قدر الإسلام والمسلمين حين التصقوا بالمسلمين في الأندلس ، فاقبلوا ينهلون من علوم المسلمين وثقافاتهم وحضاراتهم وعرف المسيحيون كذلك عمق إيمان المسلمين بدينهم وقوتهم العسكرية وذلك من خلال الملاحم والمعارك الحربية التي دارت بين المسلمين والنصاري في الحروب الصليبية .

وضح للمسيحيين بأنّ الدين الإسلامي هو المنافس الحقيقي للنصرانية ، باعتبار أنّ اليهودية دين مغلق لا يعمل علي نشر عقيدته لأنه يعتبرها جزءا من جنسه (١) وفي الوقت نفسه وضح للمسيحيين انّ المسلمين كم هائل من البشر وفي ازدياد مضطرد لهذا اتجهت انظار المنصرين نحو المسلمين بغرض تنصيرهم في أول الأمر ، ولما صعب عليهم ذلك مالوا إلي بذل قصاري الجهد لتشكيك المسلمين في دينهم أو تحييدهم في أمور الدين واستعملوا لذلك وسائل التنصير العامة بل استحدثوا وسائل جديدة خاصة للتأثير علي المسلمين فإلي هذه الوسائل :

وسائل التنصير المباشرة :

تقوم هذه الوسائل علي الإقناع الفردي والوعظ العام في الكنائس والأماكن العامة لتعريف الناس بحياة المسيح ومماته وتعاليمه وحواريه ويقوم بهذا الدور منصرون متفرغون ممن تدرب علي الوعظ لنشر المسيحية ، ويعتبر هذا النهج الوسيلة الوحيدة النموذجية للعمل التنصيري والذي كـان عليه الحواريون ويعـــرف بالنهج (الكلاسيكي) وقد أهمل هذا النوع من التنصير منذ فترة طويلة وحلت محله بعد تكوين جمعيات التنصير العلمانية الحديثة ، وسائل جديدة لاتلتزم غالبا بالنهج الأخلاقي الذي رسمه الحواريون والرسل مما دعا بعض الارساليات والجماعات المسيحية إلي مناهضة هذا المنـــــهج وتعرف هذه الارساليات بإرساليات الإيمان Faith Missions (٢) ومن الوسائل التي استعملت فيما سبق ، التضحية بالمال والنفس hgpmhndmk فلهم السبق في هذا الميدان إلا أن التضحية بالنفس انتهت عند الحواريين وبقي جانب الانفاق بالمال والإسلام يأخذ بهذا المسلك الذي يقوم علي الإقناع الفردي والوعظ في شتي الأماكن لنشر الدعوة الإسلامية والحث

---

* عميد شئون الطلاب بجامعة إفريقيا العالمية

علي نشرها ببذل المال و النفس وهو أمر ماض في الإسلام إلي يوم الدين باذن الله تعالي . أما وسائل التنصير الحديثة فمتنوعة ، منها المباشرة ومنها غير المباشرة ونذكر منها :

التعليم :

عمل المنصرون علي نشر التعليم ليبثوا من خلاله رسالتهم التنصيرية ، فأنشأوا مؤسسات تعليمية كبري في بلاد المسلمين وبصفة خاصة البلدان التي فرض الغرب عليها سيطرته ، وتبدأ هذه المؤسسات بمرحلة الحضانة حتي المرحلة الثانوية بل الجامعية في بعض البلدان ، وهنا يتم توفير كل وسائل التعليم الحديثة التي تغري الآباء والأبناء معا للدراسة فيها ، فيختارونها دون غيرها من مؤسسات إسلامية وذلك علي نمط مانراه اليوم من توجه أبناء وبنات المسلمين للدراسة في مدارس الراهبات والكمبوني في السودان وتسود هذه في مصر وسوريا ولبنان وتونس والمغرب وتركيا وغيرها من بلدان المسلمين .

وقد نجحت النصرانية كثيرا في تشكيك كثير من أبناء المسلمين في دينهم ومال بعضهم إلي العلمانية ، كما عمل التنصير علي انتقاء أبناء الأعيان وأهل الكلمة في بلاد المسلمين وفتح باب التعليم لهم في بلاد النصاري وذلك بمنح مغرية وحياة طيبة يتم فيها تلقينهم التعليم العلماني الذي يبعدهم من الدين الإسلامي وبهذا رجع كثير من أبناء المسلمين إلي بلده ومعه شهادات علمية رفيعة من بلاد النصاري ، فأضحي أحد الذين يعتمد عليهم في تسيير أمور البلاد فسار بها نحو الوجهة الغربية النصرانية وأضحي عدوا لدودا للشرع الإسلامي إلا من رحم الله منهم .

وقد أخذ المسلمون التعليم منهجا للأخذ بالدين الإسلامي ، فهو واجب ، وأخذوا به لنشر الدعوة ولاشك أن للتعليم مردودا طيبا في تغذية العقل بما هو روحي وتنشئة النشء علي الثقافة والسلوك الديني السوي ، وعلي الرغم من أخذ المسلمين التعليم وسيلة للدعوة لنشر الدين الإسلامي إلا أنهم أقل أداءا وتحركا واضيق دائرة إذا ماقورنوا بالمسيحيين في أخذهم بالتعليم وسيلة لنشر المسيحية .

الخدمات الطبية والبيطرية :

اتخذ المنصرون من الخدمات الطبية التي يقدمونها للمسلمين وغير المسلمين وسيلة ناجحة لبث رسالتهم ، وهذه وسيلة قديمة ارتبطت بالمسيح نفسه ، فإنه مما أعطي من المعجزات الشفاء قال تعالي (٣) .

ورسولا إلي بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله ، وأبريء الأكمه والأبرص وأحيي الموتي بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) . وقد مارس المنصرون تقديم الخدمات الطبية للمسلمين وغير المسلمين وأعدوا العدة لذلك من بناء للمستشفيات والمستوصفات وتقديم الدواء لمن هو في أمس الحاجة إليه ، كذلك يقدمون الخدمات البيطرية لشتي الحيوانات جذبا للرعاة وملاك الحيوانات وهم إلي يومنا هذا علي نهجهم وإخلاصهم في عملهم هذا . وعلي الرغم من أن المسلمين قد أخذوا بهذا المسلك في وقت متأخر إلا أنهم دون النصاري في اندفاعهم وأدائهم ولعل الذي يغطي علي هذا التقصير ، الذاتية القوية في الإسلام والتي جعلته ينساب بين الناس بأقل جهد ممكن والفضل يرجع للمولي عز وجل الذي تولي دينه في الأرض .

إغاثة المنكوبين :

مما يركز عليه التنصير حديثا للتأثير علي المسلمين إغاثة المنكوبين ممن تنزل به النوازل من جراء الأمطار والسيول أو الحروب أو الأوبئة أو الجفاف أو المرض حيث يكون المرء في أشد الحاجة لمن يمد له يد العون في المأكل والمشرب والمأوي والدواء ، فإنه بوقوع الكوارث وبخاصة بين أوساط المسلمين تهرع المنظمات التنصيرية إلي إغاثتهم ومن ثم التأثير عليهم لتشكيكهم في دينهم كما يحدث في كثير من الأحيان في البلدان الإفريقية بل الآسيوية كذلك . ويأخذ المسلمون بمنهج إغاثة الملهوف انطلاقا من الدين نفسه والذي يحث علي ذلك ، ولكن يؤخذ علي المسلمين في هذا المنهج التباطؤ والتلكؤ في التحرك للإغاثة ، فتأتي الإغاثة متأخرة وهي في الغالب دون الحاجة ويأتي تحرك بعض الدول الإسلامية متأثرة بالعلاقات السياسية التي تربطها بالدولة المنكوبة ، ولكل هذا نجد أن مردود الإغاثة باهت فاتر في أغلبه .

المـــــرأة :

عندما علم التنصير أن للمرأة تأثيرا سحريا علي الناس وفي استمالتهم ، استخدم المرأة في التنصير وأعدها لذلك إعداداً خاصا فانبرت تقدم شتي الخدمات تستميل بها الرجال والنساء إلي النصرانية وهذا منهج لايتفق مع الإسلام إذ يتنافي مع الأخلاق والسلوك السوي إلا من رسالة للدعوة توجه للنساء فلا غبار علي قيام المرأة بها .

العمل علي تشويه الإسلام والطعن فيه وتأليف شتي الكتب :

لجأ النصاري إلي تأليف العديد من الكتب للطعن في الإسلام وتشويهه ومن ذلك علي سبيل المثال كتاب : البحث عن الدين الحقيقي (٤) باسم Recherche de la vraie religion of Bibliographia وقد جاء فى الصفحة ٢٢٠ من هذا الكتاب مايلي : (الإسلام - في القرن السابع (للميلاد) برز في الشرق عدو جديد ، ذلك هو الإسلام الذي أسس علي القوة وقام علي أشد أنواع التعصب ، لقد وضع محمد السيف في أيدي الذين اتبعوه ، وتساهل في أقدس قوانين الأخلاق ، ثم سمح لأتباعه بالفجور والسلب ووعد الذين يهلكون في القتال بالاستمتاع الدائم بالملذات وبعد قليل أصبحت آسيا الصغـري و إفريقية واسبانية فريسة له ....) هذا نوع من الكتب التي تؤلف في الغـرب عن الإسـلام والمسلمين ، تعصب ذميم وتشويه للحقائق .

وقد عملت الإرساليات علي إصدار مطبوعات من الكتيبات والنشرات والكتب التي تهدف إلي التعريف بالمسيح وتعاليمه وحواريه ويعد الإنجيل من أهم هذه المطبوعات التي يتم توزيعها بلغات مختلفة وقد تخصصت بعض الإرساليات والمنظمات في هذا المجال دون غيرها ومنها رابطة الإيمان لمساعدة الإرساليات ومنظمة النصرانية في الشرق الأوسط واسمها (٥) Middle Easte Christian Outreach Fellowship of Faith for Missons وإذا كان المسيحيون قد نجحوا في هذا المجال ، فإن نجاحهم لم يصل إلي المستوي المطلوب حيث إن كثيرا من المسلمين الذين يوجهون لهم الرسائل لايقرأونها إما عن قصد أو لجهلهم بالقراءة أو لأنها لاتصل إليهم قط . وقد بدأ المسلمون حديثا يكتبون عن الإسلام بغرض نشر الدعوة الإسلامية وأضحت

الكتابــة بشتي اللغــات إلا أن هــذا الاتجــاه قد بدأ حديثــا وهناك ساحات كبري ينتظــر أن يصلهــا هذا النشاط ويومها ســيكون الأثر كبــيرا بين المســلمين بل بصــورة أكثر وضوحــا بين غير المسلمين لأنهم أكثر اهتماما بالقراءة .

الغزو المسلح :

إنّ هذا المسلك يتنافي مع حقوق الإنسان وينافي حضارة القرن العشرين ، وهو أشبه بأعمال العصور الوسطي ، وعلي الرغم من هذا نجد أن التيارات السياسية المعاصرة والقوة الغربية العظمي بل الغرب بأكمله يقف اليوم إلي جانب المسيحية ويعين علي نشرها ولازلنا نشهد هذه القوة مجتمعة تغزو بلاد المسلمين وتعمل علي تقتيلهم وهدم وتخريب مؤسساتهم وديارهم بالسلاح الأمر الذي يدور اليوم في أرض البوسنا والهرسك من بلاد المسلمين في اوربا ، فما الصرب إلا صليبيون يعملون السلاح في مسلمي البوسنا ومن ورائهم في ذلك الغرب التنصيري واليهودي ، وذلك كله للقضاء علي الإسلام والمسلمين في اوربا (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نور ه(ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وبالأمس كانت امريكا تحارب مسلمي الفلبين الضعاف وتقيم بينهم الكنائس ودور التنصير ، وتهجر إلي الجزر الجنوبية المسلمة مسيحيين من الشمال ، وتهييء لهم المستوطنات لكي تكون اغلبية البلاد من المسيحيين ، في الوقت الذي لاتوجد فيه أدني علاقة بين هذه الجزر وأمريكا (٦) .

توحيد الجهود :

لاشك أنّ الكنائس كثيرة ومتنوعة وهي مختلفة عن بعضها البعض إلا أنها كلها تصب في التنصير المسيحي . وقد وضح للنصاري أن العمل الفردي الانفصالي لايجدي كثيرا وفي هذا الاتجاه أصدر القس بيرس بيقر كتابا صغير الحجم اسمه (٧) من الإرساليات (المتعددة) إلي الإرسالية الموحدة (From the Missions to Mission by R. Pierce Bearer) لهذا وافقت الكنائس علي اختلاف مشاربها علي تكوين مركز عام يجمع جهودها وينسق عملها في العالم الإسلامي وغير الإسلامي وبذلك تأسس مجلس الكنائس العالمي ، وله فروع في شتي أنحاء العالم وكل فرع يعمل بصورة طيبة لتنسيق عمل المنظمات والكنائس التنصيرية المختلفة ، فما أحوج الدعوة الإسلامية لمثل هذا النموذج والذي ينسق ويجمع جهود المنظمات الدعوية المختلفة في شتي أنحاء العالم .

مؤسسات تبني الأطفال :

عمل التنصير علي تبني أطفال المسلمين وتعليمهم مباديء المسيحية وتنشئتهم عليها وتخصصت في هذا المجال جماعات تنصيرية تؤوي اللقطاء وأطفال الفقراء والمعوزين مع ربط كل طفل بأب روحي مسيحي بالتبني بأوربا يتم الاتصال بينهما بمراسلة الأب للطفل بالهدايا والخطابات والوصايا المسيحية ، من ذلك مؤسسات هيرمان جماينيز والذي أنشأ مؤسسة كهذه في غامبيا والسودان وفي قارة آسيا وامريكا واستراليا . وحديثا نشأت منظمات إسلامية لتبني الأيتام من الأطفال ورعايتهم حتي يشبوا علي السلوك السوي .

التأثير علي الأقليات المسلمة :

هناك أعداد من المسلمين تعيش في الغرب والشرق وهي أقلية وسط محيط من النصاري فيعمل النصاري علي التأثير فيهم وينتهي الأمر بتنصيرهم تماما ، فهم يدخلون مدارس النصاري فيتشبعون بالنصرانية ولايعرفون عن الإسلام شيئا ، فينتهي الأمر بهم إلي التحول التام إلي المسيحية وقد انقرض المسلمون الأفغانيون الذين نقلهم الإنجليز إلي استراليا ونشأت منهم ذرية مسيحية (٨) أما المسلمون فتعيش بينهم أقليات مسيحية وتبقي علي مسيحيتها بما يهيأ لها من مدارس مسيحية لتعليمها في بلاد المسلمين وتنخرط معها في مدارسها هذه مجموعات من أبناء وبنات المسلمين . وفوق كل هذه الوسائل فقد استحدث التنصير وسائل أخري غير مباشرة للتأثير في المسلمين وهي كثيرة ومتنوعة نتناول بعضا منها :

الدعوة إلي عدم التعصب للدين :

هذا نداء الغرب ، نصاري وغير نصاري موجها لأبناء المسلمين ، ظل الغرب يكرر هذا النداء حتي وجد فيه أهل السلطة والعلمانيون وماشاكلهم من المسلمين مطية لأهوائهم فتسلموا لواء النداء ، فاليوم تنتشر في المجتمعات الإسلامية نغمة تدعو إلي عدم التعصب للدين الإسلامي ، ولايقصد في هذا سوي توهين العلاقة بين المسلمين ودينهم ، وفصل المسلم عن عاداته وتقاليده الدينية تحت ستار مسايرة العصر ، وإلا كان رجعيا متخلفا يعيش بعقلية القرون الوسطي يتعالي هذا النداء وسط المجتمعات الإسلامية ، والأحزاب المسيحية لاتزال لها السيطرة في معظم بلاد الغرب ، ولم تستطع الأحزاب الليبرالية أن تحرز نصرا في مواجهتها إلا بعد أن أظهرت عطفها علي الكنيسة وتأييدها لها . وتردد بعض الصحف في الدول الإسلامية بأن قيام دولة في هذا العصر علي أساس ديني من الأمور الاستثنائية وهذا افتراء علي الحقائق ، فالأمثلة كثيرة منها .

أ) اتفاق روسيا مع الهند علي ضرب الجيش الباكستاني للقضاء علي واحدة من أكبر الدول الإسلامية في أسيا وقتها (٩) .

ب) ذبح كثير من المسلمين في إحدي دول شرق إفريقيا في ستينيات هذا القرن وكان الدافع الرئيسي لها نزعة عنصرية دينية .

ج) يوجه الصرب المسيحي ضربات متكررة علي المسلمين في البوسنا ومن وراء الصرب كل نصاري الغرب بل الشرق ايضا وذلك حتي تبقي الساحة الأوربية مسيحية صرفة خالية من جموع المسلمين .

إن الغرب الذي يحركه النصاري بما يقدم من عتاد للتنصير في العالم الإسلامي لم يكن هدفه الأول إدخال المسلمين في النصرانية ، فقد وضح له صعوبة ذلك ، بل استحالته في الغالب الأعظم ، وعليه أصبح هدفهم الآن هو تشكيك المسلمين في دينهم أو تزهيدهم فيه بمثل هذه الدعوات عدم التعصب الديني ،، وهذا ما أشارت إليه كلمة زويمر الشهيرة التي ألقاها في مؤتمر المنصرين الذي عقد في القدس في الثلث الأول من القرن الميلادي العشرين ، حيث أشار إلي أنه ليس من أهداف التنصير إدخال المسلم في النصرانية بل إخراجه من الإسلام (١٠) . فلا غرو إذن أن تجد بين ظهرانينا من هو شديد التعصب للغرب من

أبناء المسلمين ، بل من بيننا من أصبح أداة لنشر المسيحية وتوهين عري الإسلام في نفوس أبناء بني جلدته من المسلمين .

الدعوة إلي القوميات :

عمد الغرب والنصاري إلى تفتيت المسلمين بإثارة القوميات فيهم وحثهم عليها ، فدعا إلي القوميات التي تقوم علي أساس الألوان والأجناس واللغات والأوطان كما جعل المسلمين يتغنون بالعنصرية والوطنية في كل قطر من أقطارهم بسبب التأثير النصراني الأوربي الأمر الذي ظل سائدا منذ انهيار الخلافة العثمانية إلي يومنا هذا فنجد العربي يتغني بعروبته والمصري ينتسب إلي الفراعنة والتركي يتيه إعجابا بتركيته ويحاول أن يصل نسبه بهولاكو وجنكيز والفارسي ينتسب لرستم وأنوشروان والإفريقي ينادي بإفريقيته إلي غير ذلك من أثر بعض القوميات في الأمم الإسلامية مما يؤدي إلي التراجع عن الدين والتفتت والتفكك والرسول صلي الله عليه وسلم يقول (ليس منا من دعا إلي عصبية وليس منا من قاتل علي عصبيته ، وليس منا من غضب لعصبيته ، وكان صلي الله عليه وسلم يقول لأصحابه (لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض) هذا والرسول صلي الله عليه وسلم قد قال لسلمان الفارسي رضي الله عنه (ياسلمان لا تبغضني فتفارق دينك) فقال سلمان (يارسول الله كيف أبغضك وبك هداني الله) فقال صلي الله عليه وسلم (تبغض العرب فتبغضني) ويقول شاعر القوميين (١١) .

سلام علي كفر يوحد بيننا ... وأهلا وسهلا بعده بجهنم

لقد سرت القومية في جسد المجتمع المسلم وكان لها مفعولها العضال في أبعاد كثير من أفراد الأمة عن دينهم الإسلامي ، فكان من نتائج إثارة القومية نشأة الطورانية في تركيا وإثارة القومية العربية في البلاد العربية وانتهي الأمر بتمزيق دولة الخلافة الإسلامية بتركيا ، بل من وراء إنشاء الجامعة العربية تمزيق الجامعة الإسلامية ، وبذلك تنقطع الصلات بين الشعوب الإسلامية وتضعف روابط الثقافة المشتركة ولغة القرآن الكريم ، والقيم الخلقية ويتم القضاء علي الأخوة الإسلامية ،

إن العالم الإسلامي لايزال يعاني من أثر القوميات وتسود الخلافات فيه هنا وهناك ، فها هو المسلم في ساحل العاج وزمبابوي وفي إفريقيا الوسطي يصيح معتزا بإفريقيته وينحاز إلي فريق كرة القدم الكمروني الذي يتكون جل أفراده من المسيحيين ضد فريق كرة القدم السعودي المسلم بكل أفراده .

لقد وصلت كراهية الشيخ العالم عمر من مالي للعرب إلي رفض كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي ، وقضي عدةسنوات ليبتدع حروفا لكتابة اللغات الإفريقية هي أقرب إلي الحروف الصينية كل ذلك بسبب العصبية القبلية القائمة بين القبائل العربية المسلمة في موريتانيا من جانب والقبائل الإفريقية الأخري من جانب آخر في نفس الدولة وكلهم مسلمون .

إبداء بعض التنازل في بعض الأمور مجاراة للمسلمين :

انطلاقا من نفسيات المسلم وعاداته وجريا وراء إبعادهم من دينهم جنح النصاري لمجاراة المسلمين في

بعض الأمور التي لاوجود لها في دينهم المسيحي ، فنجد أن البابا قد سمح للبعض من المسيحيين في القارة الإفريقية بالزواج من زوجتين استثناء وهو أمر لا وجود له في الدين المسيحي ، إذ هو معمول به في الدين الإسلامي ، و أن هذا الأمر بقدر ما يتفق مع روح وعادات الشعوب الإفريقية ، فإن فيه تطلعا لجذب المسلمين إلي جانب النصاري لأخذهم بما هو مقبول للمسلمين ، اتجه النصاري إلي بناء بعض كنائسهم التي تنشأ في بلدان المسلمين بصورة فيها بعض التشابه لأوضاع المساجد ، ومن ذلك جعل هذه الكنائس في بنائها في اتجاه القبلة ، يري هذا في بعض الكنائس بعاصمة السودان وكثير من مدن المسلمين بنيجيريا وغيرهما من بلدان المسلمين ويسمي بعض المسيحيين ابناءه بأسماء المسلمين وإن كان هذا الأمر يبدو عاديا خاصة في البلاد العربية إلا أن الأمر في الدول الإفريقية غير العربية يأتي بصورة توحي للمرء أن المسمي هو مسلم من غير شك ومن ذلك أنني وجدت مسيحيا في نيجيريا اسمه محمد عبدالله وتمضي المسيرة الآن في إخراج بعض نصوص الإنجيل علي نمط الآيات القرآنية ، كل ذلك من الأساليب الجديدة التي قصد بها النصاري التأثير علي المسلمين بنفس أدواتهم حتي لاينفروا من المسيحية بل يجدون الطريق إليها ممهدا ميسورا .

وبعد هذا علي المسلمين أن يعلموا أنّ النصاري يعتبرون الإسلام أخطر أعدائهم وبذلك يواجهونه بأحدث الوسائل للغضّ من شانه ولتشكيك المسلمين فيه أو تحييدهم تماما عن دينهم وإلي هذا ذهب المبشر لورنس براون حيث يقول (١٢) لقد كنا نخوف بشعوب مختلفة، ولكننا بعد اختبار لم نجد مبررا لمثل هذه المخاوف ، ولقد كنا نخوف من قبل بالخطر اليهودي ، وبالخطر الأصفر ، والخطر البلشفي ، إلا أن هذا التخوف كله لم يتفق كما تخيلناه ، إننا وجدنا اليهود أصدقاء لنا ، وعلي هذا يكون كل مضطهد لهم عدونا الألد ، ثم رأينا أن البلاشفة حلفاء لنا ، أما الشعوب الصفر فهناك دول ديمقراطية كبري تقاومها .. ولكن الخطر الحقيقي كامن في نظام الإسلام ، وفي قوته علي التوسع والإخضاع ، وفي حيويته ، إنه الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوربي .

لاجدال أن لكل من الإسلام والمسيحية أتباعا و كل يري أنه ملزم بمقتضي عقيدته أن يوضح للناس دينه الذي يري أنه الدين الحق ، ويسلك لذلك وسائل كثير ة . ومنهج الإسلام في الدعوة الإسلامية يقوم علي رؤي واضحة يشير إليها القرآن الكريم في مواقف كثيرة منها قوله تعالي (١٣) . (ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) .

وقال تعالي (١٤) . (فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لا عدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير) . وقال تعالي (١٥) (ادعو ربكم تضرعا وخفية إنه لايحب المعتدين ، ولاتفسدوا في الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين) . وغيرها كثير من الآيات القرآنية التي تشير إلي سبل الدعوة ووسائلها . وإنه من خلال هذه الآيات السابقة وغيرها مما في القرآن الكريم وعلي هدي سيرة نبينا محمد صلي الله عليه وسلم أخذ دعاة المسلمين منهجهم التطبيقي لنشر الإسلام بأسلوب هادىء يتسم بالحكمة والإقناع الذى لا أكراه فيه . وفي الآيات نفسها يمكن الوقوف علي

الفرق بين سبل نشر الدعوة الإسلامية وسبل نشر النصرانية ، هذا إذا وضعنا في الإعتبار بأن اليهودية دين مغلق لا يعمل علي نشر عقيدته لأنه يعتبرها جزءاً من جنسه . وقد اهتم المنصرون الأوربيون بدراسة مناهج المسلمين في الدعوة ، وعملوا بها ، فقد أقرّ المؤتمر التنصيري الذي عقد في أدنبرة عام ١٨٤٠م باتخاذ العمل التجاري وسيلة لنشر الإنجيل بين الأفارقة والآسيويين (١٦) ، ولاشك أن التجار المسلمين عرباً وأفارقة وغيرهم قد أسهموا بدور رئيسي في نشر الإسلام في القارة الإفريقية والقارة الآسيوية .

نخلص من كل هذا إلي أن وسائل الدعوة التي يستعملها المسلمون في كثير من الأحيان تشابه وسائل المسيحيين بل في بعضها نمط من مجاراتهم ، وليس عيبا أن يستفيد المسلمون من وسائل التنصير التي يستخدمها النصاري في التبشير ، ولكن العيب كل العيب أن يأخذ بها المسلمون دون إيفائها حقها ودون الإخلاص لها ، والعيب كذلك أن يتوقف المسلمون عندها دون تطويرها ، ودون ابتكار شيء جديد عليها ويحسن بنا أن نبدأ حيث وقف الآخرون لنتقدم خطوات إلي الأمام . إننا لانريد أن نأخذ بكل وسائل التنصير التي يستعملها النصاري بين أوساط المسلمين وغير المسلمين ، ولكن علينا أخذ الطيب منها لنمضي بها قدما نحو تطويرها لتكون أكثر فاعلية وتأثيرا في تحقيق الهدف المنشود .

إننا لانقبل زج المرأة المسلمة وسط مجتمع الرجال في شتي بقاع العالم بلا محرم بحجة تأثيرها وقدرتها علي جذب الرجال للدين ، كما لا يقبل الدين الإسلامي الإكراه في الدين قال تعالي (١٧) . (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقي لا انفصام لها والله سميع عليم) . وعلي المسلمين التأسي بأوائل الحواريين من المسيحيين الذين ضحوا بأرواحهم في سبيل دينهم وعليهم أيضا الاقتداء بأوائل المسلمين الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم وخاضوا المعارك الضارية في سبيل إرساء قواعد هذا الدين . ثم علي الدعاة من المسلمين وعامتهم الاستفادة من خاصية الدين الإسلامي حيث إنه دين واقعي ودين عمل ، وهو بذلك ثري وغني بالمادة الأدبية التي يمكن أن تقدم لكل فرد أو جماعة ليكون علي قناعة تامة بهذا الدين الحنيف ، وينبغي علي الدعاة من المسلمين الإلمام بشتي اللغات السائدة في العالم للتخاطب بها وتوصيل رسالة الإسلام بها ثم ترجمة الثروة المكتبية الضخمة عن الإسلام بشتي هذه اللغات حتي يتعرف علي هذا الدين أمم كثيرة من الناطقين بغير العربية . وعلي المسلمين عامة والدعاة منهم خاصة اتخاذ مواقف إيجابية حيال الدعوة الإسلامية حتي يتم حفظ الكيان الإسلامي ، وتبث في النفوس ثقافة صحيحة تدفع الشبهات التي يثيرها الأعداء حول هذا الدين ثم علي المسلمين خاصة المسئولين منهم تكوين وحدة دعوية تشترك فيها جميع الدول الإسلامية لتوحيد الجهود وتنسيقها لنشر الدعوة الإسلامية في بقاع العالم . وعلينا إصلاح مناهج كليات الدعوة القائمة حاليا لتدريس وتأهيل دعاة أكثر نضوجا في حمل رسالة الدعوة الإسلامية إلي غيرهم ويكون سلاحهم دراسة القرآن الكريم والسنة النبوية دراسة عميقة واعية ثم دراسة اللغات الأجنبية والأديان الأخري ومقابلاتها والثقافة الحديثة ثم يسلمون بوسائل العلوم الأدبية من علم نفس وتربية وفلسفة حتي يكونوا أئمة قادرين علي بث الدعوة الإسلامية ومواكبة المستحدثات في الحياة المتجددة يوما بعد يوم ، وقادرين كذلك علي رد كل شبهة تلصق زورا بالإسلام .

المصادر :

١- د. إبراهيم عكاشة علي / ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي / إدارة الثقافة والنشر / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض . ١٩٨٧م ص ٢٦

٢- د. إبراهيم عكاشة / ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ص ٢٦

٣- سورة آل عمران الاية ٤٩

٤- د. مصطفي خالد ود، عمر فروخ

التبشر والاستعمار في البلاد العربية - عرض لجهود المبشرين التي ترمي إلي إخضاع الشرق للاستعمار الغربي - المكتبة - العصرية - بيروت ص ٧٢و ٧٣

٥- د. إبراهيم عكاشة ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ص ٣٥ و ٣٦

٦- د. عبدالجليل شلبي : معركة التبشير والإسلام في آسيا وإفريقيا وأوربا / مؤسسة الخليج العربي - القاهرة ط ١ عام ١٩٨٩م ص ٣٠٣ و٣٠٤

٧- التبشير والاستعمار في البلاد العربية ص ٢٤٥

٨- د. عبدالجليل شلبي / معركة التبشير والإسلام ص ٣٠٦

٩- كتاب أبي عبيدة الخزرجي / تحقيق د. محمد شامة ص ٤٧

١٠- مأمون فريز جرار ، من ملامح التغريب في المجتمع الإسلامي - مجلة الامة القطرية العدد الرابع والأربعون ١٤٠٤ مايو ١٩٨٤م وقطر ص ٩٦

١١- د. علي جريشة ومحمد شريف الزيبق - أ ساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي ص ٨٢

١٢- عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني - أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها - التبشير - الاستشراف - الإستعمار - دراسة وتحليل وتوجيه دار العليم / بيروت / ط ٢ / ١٩٨٠م / ص ٦٧

١٣- سورة النحل الآية ١٢٥ .

١٤- سورة الشوري الاية ١٥

١٥- سورة الأعراف الآية ٥٥ و ٥٦

١٦- د. عكاشة ص ٤٠

١٧- سورة البقرة الآية ٢٥٦

الإعلام الإسلامي والتحدي الحضاري المعاصر

الدكتور مختار عثمان الصديق *

هذه الورقة تعالج الدور المنوط بالإعلام في العالم الإسلامي حتي يستطيع مواجهة التحديات من علمانية وصهيونية وتنصير واستشراق ومن أجل أن يلعب دوره في نشر الدعوة الإسلامية وتحقيق العبادة الحقة لله سبحانه وتعالي .

إن الإعلام النابع من الفكر الإسلامي يواجه تحديات كبري من قبل الهيمنة الاستعمارية والصهيونية والكنسية بكل إمكاناتها والتي تستغل الإعلام بوصفه أهم أداة لها في تحقيق غاياتها ، ولعلنا نعيش اليوم مرحلة الدولة الإعلامية الواحدة التي ألغت الحدود السياسية واختزلت المسافات والأزمان حتي بات الإنسان يري العالم ويسمعه من مقعده ، وبات صاحب الرسالة والخطاب الأكثر تأثيرا والبيان الأكثر سحرا والتحكم الأكثر تقنية هو صاحب السيطرة وصاحب اليد العليا .

نلقي الضوء في هذه الورقة علي مفهوم وأهداف الإعلام في المنظور الإسلامي ثم نعرض لمشكلة الإعلام في العالم الإسلامي ، ثم نتبين واقع الإعلام العالمي المعاصر ، ونبرز مظاهر التبعية الإعلامية في العالم العربي والإسلامي للفكر الغربي المسيحي الصهيوني ، وأخيرا نحاول وضع منهجية لتحسين مستوي الإعلام في العالم الإسلامي حتي يستطيع مواجهة التحديات .

مقدمـــة :

لقد جاء الإسلام ليكون منهجا شاملا للحياة كلها بجميع جوانبها ومجالاتها ، ورسم الإسلام للإنسان معالم لنظمه الاجتماعية المختلفة لتتوافق مع الغاية الرئيسية لوجوده وهي استخلاف الله له في الأرض لعمارة الكون وفق منهج الله ، وتحقيق عبـــادته وحـده كمـــا قال تعـــالي (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الذاريات (٥٦)

فالارتباط بالإسلام ليس ارتباطا عاطفيا روحيا فحسب ، بل هو إلي جانب ذلك ارتباط واقعي عملي من خلال تطبيق شرائع الإسلام وهديه وتعاليمه السامية وتوجيهاته الربانية في مجموعة من النظم الإسلامية التي تحكم حياة المسلمين في شئونهم الإجتماعية والسياسية والاقتصادية ، وعندما ضعف التزام المسلمين بمبادىء دينهم تكالبت عليهم القوي الإستعمارية التي استهدفت خلخلة التصور الشمولي للإسلام وتطبيقه في حياتهم وتحول ارتباط معظم المسلمين بالإسلام في العصر الحاضر إلي مجرد ارتباط عاطفي محدود ،

* جامعة أمدرمان الإسلامية

يكتفي فيه المسلم بإقامة الشعائر التعبدية ، وقد نتج عن هذا التصور المغلوط لحقيقة الالتزام الإسلامي أن حفلت حياة المسلمين بصور الإزدواجية والتناقض بين الارتباط العاطفي بالإسلام في ميدان العبادة والأخلاق الفردية ، وبين الارتباط العملي الواقعي بالمذاهب والفلسفات المناقضة للإسلام في ميدان النظم والتشريعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ،

لذلك كان لابد من بعث إسلامي جديد لإعادة صياغة حياة المسلمين بحيث نعود إلي المنهج الإسلامي القويم وتطبيقه في جميع جوانب الحياة العامة والخاصة . إن تحقيق هذا الهدف يعتبر التحدي الحقيقي الذي ينبغي علي الأمة الإسلامية أن تواجهه في وقتها الراهن ، ويعتبر الإعلام أحد فروع المعرفة العلمية والتطبيقية التي تحتاج إلي العناية بتأصيل مفاهيمها ومناهجها وتهذيب أساليبها وطرق ممارساتها الواقعية وفقا لهدي الإسلام وتوجيهاته ، وتتعاظم أهمية صياغة النظام الإعلامي : فلسفة وغاية ومنهجا وممارسة لتحقيق صياغة إسلامية في ضوء إدراكنا لأهمية الإعلام في حياة المجتمعات ، وخطورة مايقوم به في التأثير علي الأفراد والجماعات سلبيا كان هذا التأثير أم إيجابيا .

مفهوم الإعلام في المنظور الإسلامي :

هناك تباين كبير في تحديد مفهوم الإعلام الإسلامي (١) وتتجه معظم الدراسات الأجنبية وكثير من الدراسات في العالم الإسلامي إلي تعريف الإعلام الإسلامي بناء علي الناحية التاريخية بحيث يعني الإعلام ووسائله في عصر النبوة والخلفاء الراشدين والخلافة الأموية والخلافة العباسية ، كما أن هناك تعريفا آخر ينظر نظرة جزئية نابعة من التجزئة الحياتية التي يعيشها العالم اليوم وهي عزل الدين عن الحياة العامة ، هذه النظرة تحصر الإعلام الإسلامي في نطاق ضيق هو الإعلام الديني المتخصص الذي ينحصر في الصفحات الدينية في الصحف اليومية والمجلات الدينية المتخصصة أو الأحاديث الدينية في الراديو أو البرامج والأفلام والمسلسلات التاريخية الدينية في التلفزيون أو السينما وكلا النظرتين تبعدان كل البعد عن المفهوم الحقيقي للإعلام في المنظور الإسلامي .

أما المفهوم البديل فهو المفهوم المنهجي للإعلام الإسلامي والذي لانقيسه علي أساس حقيقة تاريخية أو حدود جغرافية أو مكانية أو علي نظرة جزئية تشغل الجانب الفردي والديني من حياة الفرد ، بل ينبني علي أساس المنطلقات الأساسية والأوامر الفكرية والاجتماعية والإنسانية النابعة من روح الإسلام وتصوره الكامل للحياة وعلي أساس الضوابط الشرعية التي يجب أن يسير الإعلام علي هديها ويلتزم بها في نشاطاته المختلفة .

فالإعلام الإسلامي بهذا الفهم هو روح تسري في الإعلام كله في جميع أشكاله وصوره ولايتخلف عن هدف من الأهداف التي يسعي الإعلام لتحقيقها أو قالب من القوالب التي يتخذها الإعلام مطية له في تحقيق تلك الأهداف . والإعلام الإسلامي بهذه الصورة ينسجم مع الحقيقة الأصلية لهذا الدين وعلي أنه منهج شامل للحياة وليس منهجا جزئيا يعالج جانبا من جوانب الواقع الإنساني ، وعلي هذا الأساس فإن البرامج بأشكالها المختلفة والمسلسلات والأفلام يجب أن تنبع من التصورات العقدية للإسلام وتنطبع بالقيم

والأخلاقيات التي تنبع من الإسلام ، والدراسة العميقة والواعية للإسلام توضح أنه قد حدد معالم النشاط الإعلامي داخل المجتمع الإسلامي وخارجه ووضع أصولا عامة وقواعد كلية لكافة جوانب العملية الإعلامية ، هذه الأصول والقواعد يمكن تتبعها من المصادر الأصلية في كتاب الله وسنة رسول الله (ص) ومن اجتهاد فقهاء المسلمين وعلمائهم عبر العصور المتعاقبة وبما أن الإعلام اليوم أصبح علما منظما لذلك أصبحت الحاجة لإعادة صياغة مفاهيم وخصائص مفصلة له تحدد معالم الهدي الإسلامي في النشاط الإعلامي .

أهداف الإعلام في المنظور الإسلامي :

إن أهداف الإعلام في المنظور الإسلامي تختلف عن المفهوم العام للعمل الإعلامي والذي يهدف إلى نشر الأخبار والمعلومات وعرضها علي الناس دون اتجاه واضح نحو دفعهم للاعتقاد فيها والتأثر بها ، إذ أن الإعلام الإسلامي يهدف حقيقة الي الوصول إلي ماتريد أن تحقق الدعاية في مفهومها الأخلاقي (٢)

وهو نشر معلومات وحقائق صادقة عن مبدأ أو فكرة ، لإقناع الناس بصحة وسلامة ذلك المبدأ أو الفكرة وبالأحري فإن هدف الإعلام الإسلامي – بمعني أوضح – يحمل معني الدعوة ، والدعوة الإسلامية تدعو الناس لاعتناق الإسلام ليس هذا فقط وإنما تحمل معني أقرب إلي التوعية والتي تستهدف في المدي البعيد نقل الجماهير من مرحلة في الفهم إلي مرحلة أكثر تقدما وعمقا ، وبحيث تضمن الالتزام وقدرة الجماهير علي مواجهة الأزمات والعمل علي إعلاء كلمة الدين ورفع رايته، وبناء الشخصية الإسلامية ، وتكوين المجتمع الإسلامي المتماسك المبني علي عقيدة الإسلام ومبادئه وقيمه وعلي هذا الأساس يمكننا أن نحدد أهداف الإعلام الإسلامي في الآتي : (٣)

١– نشر عقيدة التوحيد وتحرير الإنسان من كل عبودية إلا العبودية لله سبحانه وتعالي

٢– ترقية اهتمامات الناس والسمو بعقولهم ووجدانهم وسلوكهم و إشاعة الثقافة الإسلامية بمبادئها السامية وقيمها الرفيعة ورفع المستوي الفكري والسعي لتوحيد الأمة وتضامنها وبث روح التماسك والمودة والتعارف والانسجام بين المسلمين .

٣– توجيه دعوة الإسلام إلي الناس كافة باستعمال كل الوسائل والأساليب التي تتناسب مع كل زمان ومكان ، والأمر بالدعوة ورد في آيات كثيرة منها قوله تعـالي (ادع إلي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) النحل : ١٢٥ وقوله تعالي (فلا ينازعنك في الأمر وادع إلي ربك) الحج ٦٧ والدعوة الي الإسلام دعوة كفائية يقوم بها البعض قال تعالي (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) التوبة : ١٠٤

٤– الدفاع عن قضايا الأمة ومصالحها ، والاهتمام بشئون المسلمين في كل مكان إذ أنه من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم ولابد من التعاطف والدفاع عن حقوق وقضايا المسلمين في كل مكان في الأرض .

٥– يقوم الإعلام الإسلامي بمهمة تعرية الحضارة الغربية الرأسمالية بمفاهيمها المنافية للإنسانية وأفكارها القائمة علي العلمانية ، بإبعاد الدين عن سائر مجالات الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفصل بين العلم والدين والأخلاق والتربية وكذلك فضح كل العقائد الزائفة كالشيوعية والمادية والاشتراكية

والدعوة إلي العودة الي نقاء الإسلام وبساطته .

٦- توجيه الحرب النفسية ضد الأعداء بوصفها سلاحا من أسلحة الدعوة والمقاومة للعدو ، وقد كان الرسول صلي الله عليه وسلم يستعمل الحرب النفسية ضد الأعداء ، كما حدث في قضية نعيم بن مسعود في غزوة الخندق ، وحادث آخر هو معركة حمراء الأسد والتي جاءت بعد الهزيمة ليرهب قريشا ويصرفهم عن التفكير في غزو المدينة .

٧- مواجهة الحرب الدعائية والدعاية المضادة وعدم التأثر بما يقوم به المرجفون ومحاربة الشائعات قال تعالي في سورة الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا علي مافعلتم نادمين) الاية :٦

واقع الإعلام الإسلامي :

لعل تقرير ماكبرايد والذي صدر عن اليونسكو في عام ١٩٨٠م تحت عنوان (أصوات عدة وعالم واحد) (٤) هو انعكاس لظروف التشابك والتعقيد التي يعيشها الإعلام المعاصر ، ولعل ذلك يتمشي مع ما تنبأ به عالم الاتصال المشهور ماكلوهان بأن العالم في لغة الإعلام والاتصال سيكون أشبه بالقرية الإعلامية ، وفي الحقيقة فإن هذا التوسع والانفتاح الإعلامي جعل كل أطراف الكرة الأرضية تتفاعل مع بعضها البعض في صورة تماثل الجهاز العصبي الذي يربط أجزاء الجسم بعضها ببعض ، وقد أوردت إحصاءات اليونسكو بين عامي ١٩٥٠م ١٩٧٥م زيادة عالية في وسائل الإعلام وحسب مارد في التقارير فإن نسبة الزيادة في وسائل الإعلام المختلفة كانت علي النحو التالي : (٥)

الصحافة : عدد النسخ من الجرائد اليومية	+ ٧٧
* الراديو : عدد أجهزة الاستقبال	+ ٤١٧٪
* التلفزيون : عدد أجهزة الاستقبال	+ ٣٢٣٥ ٪
* الكتب : عدد الصادرة سنويا	+ ١١١٪

هذه الإحصاءات توضح حتمية التأثير الذي تفرضه وسائل الإعلام في الكرة الأرضية ، وهذه الحتمية يجب التعامل معها علي أساس أنها واقع ، وأن المدافعة بين الأمم وبين الأفكار والمعتقدات والآراء يجب التعامل معها والتصدي لها بتقوية الوسائل الإعلامية ، وكذلك الحال في فنون توصيل الرسالة الإعلامية ، فالمسلمون مايزالون قاصرين عن فهم شمولية الإسلام ، بل إنهم عجزوا تماما عن توجيه الرسالة الإعلامية الإسلامية إلي الناس ، رغما عن التوجيه الديني الواضح في أن هذه الرسالة عالمية والمسلمون مأمورون بتوجيهها للناس كافة ولعل مانجده في وسائل الإعلام من تمييز الرسالة العامة والرسالة الدينية يوضح فصلا لايساعد كثيرا في الدعوة الصحيحة للإسلام ، كما أن الرسالة الدينية كانت دائماً في وضع أضعف كثيرا من الرسالة العامة التي توجه من خلال وسائل الإعلام ، ونلاحظ أن إطار الإعلام الديني المعاصر يتركز فيما يلي (٦)

١) المسجد

٢) الصفحات الدينية في الجرائد والأبواب الثابتة فيها وفي بعض المجلات

٣) المجلات الأسبوعية الإسلامية المتخصصة
٤) الكتب والكتيبات
٥) البرامج الدينية في الراديو
٦) البرامج الدينية في التلفزيون
٧) إذاعات القرآن الكريم
٨) المواد الإعلامية التي تعكس صورا من الثقافة الإسلامية ، مثل المسلسلات وبعض البرامج الثقافية ، والتسجيلات لبعض الشخصيات الإسلامية
٩) الإذاعات الحية للمناسبات الدينية
١٠) المواد الإعلامية لشهر رمضان وللأعياد والمناسبات
١١) الأفلام الروائية : مثل الرسالة والقادسية وعمر المختار ، والأفلام التسجيلية عن الآثار الإسلامية أو المناسك وخاصة الحج .

وإذا أمعنا النظر في هذه المواد نجد ما لاحظناه من تمييز البرامج الدينية وعزلها عن بقية المواد الإعلامية ، وبالتالي نكون قد حققنا والتزمنا دائما بالفكر الغربي العلماني الذي يفصل الدين عن الدولة ، وعن الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، وعليه فإن أول خطوة في التأصيل يجب أن تبدأ بإنهاء هذا الفصل ، وإلغاء أقسام البرامج الدينية في الإذاعة والتلفزيون ، ولعل هذه هي الخطوة الأولي نحو تأصيل العمل الإعلامي ، بفرض سيطرة الروح الديني في كل البرامج العامة ، وإذا أعدنا النظر في هذه القائمة أعلاه نجد أنفسنا أمام الإعلام الديني ، وأول ملامح المشكلة هي الضعف ، سواء من حيث الشكل ، أو من حيث المضمون ، هذا الضعف نجده علي المستوي المحلي أي القومي ، وكذلك علي المستوي الإقليمي والعالمي ، هذا الضعف لايعكسه فقط تخلف المجتمعات الإسلامية عن المستوي الإعلامي العالمي ، وإنما لأن البرامج الدينية لا تعطي وزنا من ناحية الإمكانات ، أو الناحية الفنية ، فالعاملون بها دائما هم كوادر من الدرجة الثانية ، أو الثالثة ، إذ أن الكوادر الممتازة تفضل البرامج العامة ، والمسلسلات ، وبرامج المنوعات ، التي تستقطب غالبية المستمعين والمشاهدين هذا الأمر ينطبق بالطبع علي الإذاعة والتلفزيون ، كما ينطبق علي الصحافة .

واقع الإعلام العالمي المعاصر :

وبعد أن عرضنا جانبا من الإعلام الإسلامي ، نحاول أن نعكس واقع الإعلام الدولي المعاصر ، حتي تكتمل الصورة ، وحتي نستطيع فيما بعد تقديم المؤشرات الصحيحة لعملية المعالجات الإعلامية ، إن الإعلام الدولي المعاصر يسير في كفة الدول الغربية ، وهناك هيمنة كاملة من قبل تلك الدول علي كل وسائل الاعلام ، وهذا جزء من الهيمنة الكاملة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، والتي تؤثر تأثيرا كبيرا علي كل المظاهر الثقافية والاجتماعية . ومن مظاهر هيمنة الغرب علي الإعلام مايلي :

١- احتكار الغرب لصناعة تقنية المعلومات ، وذلك يشمل وسائل وأجهزة الإعلام من مطابع واستديوهات

إذاعية وتلفزيونية ، وأجهزة اتصال دولي : من أجهزة سلكية ولا سلكية وأقمار صناعية وشبكات اتصال ، ثم صناعة الورق والأحبار ، وأجهزة الاستقبال الإذاعية والتلفزيونية ، وأجهزة الفيديو ، فهي تمتلك وسائل الإنتاج الإعلامي وأوعيته وكذلك القنوات الناقلة ، والتكنولوجيا المصاحبة لها من موجات ومايكروويف وأقمار صناعية ، كما أن التفوق الحضاري لتلك الدول جعل الهيمنة تشمل الفنون الإعلامية ، من إخراج وتحرير وإنتاج صحفي وسينمائي ، وإذاعي وتلفزيوني ، وذلك كله من غير شك يحقق القدرة علي السيطرة وتحقيق التأثير الثقافي والاجتماعي علي الدول الإسلامية ودول العالم الثالث (٧) .

٢- سيطرة وكالات الأنباء علي مصادر الإعلام والأخبار ، والوكالات العالمية الرئيسية – يوناتيدبرس والأسوشيتدبرس ورويتر وتاس ووكالة الأنباء الفرنسية – تنتج حوالي ٨٠٪ من الأخبار ، في حين أن ما تنتجه وكالات أنباء العالم الثالث مجتمعة لايتعدي ١٠ –٢٠٪ من الأخبار ، وقد لاحظنا من قبل مدي الانتشار لوكالات الأنباء الغربية في جميع أنحاء العالم وإمكاناتها الهائلة في جمع الأخبار وتحريرها وتوزيعها إلي آلاف الصحف ومحطات الإذاعة والتلفزيون .

٣- وبالتالي فإن التدفق الإعلامي يسير في اتجاه واحد من الدول الغربية إلي دول العالم الثالث ودول العالم العربي والإسلامي ، أو من الشمال إلي الجنوب ، هذا التدفق نوعي كما هو تدفق كمي ، فإن المادة الإعلامية الغربية أيضا متفوقة في مستواها ، ومايغطي من أخبار العالم الثالث لايتعدي الجوانب السلبية من كوارث وإنقلابات وقلاقل وأزمات وخلافه.

٤- هيمنة المادة الإعلامية الغربية علي أجهزة الإعلام في العالم الثالث ، وهذا يتمثل في المضمون الغربي للإعلام ومظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، فمثلا بجانب وكالات الأنباء العالمية ، هناك أربع شركات غربية تسيطر علي المواد التلفزيونية وترسل مواد للعالم الثالث ، وهي : الوكالة الإخبارية للصورة، وهي وكالة بريطانية ، ووكالة اليونايتدبرس والنيوز فلم والوكالة الألمانية ، كما أن هناك شبكات أخري أمريكية تبث جزءا من إنتاجها للعالم الخارجي هي : الشبكة القومية (NBC) وشبكة كولومبيا (CBS) والشبكة الأمريكية (ABC) وقد ظهرت أخيرا شركة ال (CNN) التي كان الاعتقاد أنها لن تستطيع الصمود أمام هذا الحشد من الوكالات ولكنها استطاعت أن تفرض وجودها علي النطاق العالمي هذه الشبكات تبث مايزيد عن ٦٠٪ من المادة الإعلامية للعالم الثالث .

٥- توظيف القوي الدولية لوسائل الإعلام من أجل خدمة أغراضها الاستراتيجية والسياسية والثقافية ، وذلك يتمثل في كثافة الإرسال ومحتواه ، فنلاحظ أن إذاعات الدول الغربية تتحكم في ٩٠٪ من الموجات الإذاعية ، فالولايات المتحدة مثلا وبجانب وكالاتها المتخصصة لها ١٨٧ مركز ا إعلاميا في ١١١ دولة وتوزع حوالي ٢٠٠ فلم سنويا ، إلي جانب الكتب والمجلات ، كما أن إذاعة صوت أمريكا تبث ١٠٠٠ ساعة في الأسبوع ، ويحتل راديو موسكو المكانة الأولي في البث الإذاعي ، إذ يبث أكثر من ٢٢٠٠ ساعة في الأسبوع ، والكل يعلم تأثير الإذاعات البريطانية ومونت كارلو والإذاعة الألمانية وصوت أمريكا ، ذلك بجانب الصحف والمجلات المختلفة ، وأخيرا جاءت الهيمنة التلفزيونية من خلال البث التلفزيوني المباشر .

٦- وهناك بالطبع فارق كبير بين العالم المتقدم والنامي ، في إمكانات التمويل والتأسيس والوسائل الإعلامية ووسائل الاتصالات التي تنقل الرسالة ، بجانب إمكانات تلك الدول الهائلة في التدريب والتأهيل في مجالات الاتصال والإعلام .

٧- استغلال وسائل الإعلام من قبل أصحاب الديانات والعقائد في نشر الأفكار والعقائد والاتجاهات الفكرية والسياسية الغربية ، وعلي المستوي الكنسي ، مثلا هناك إذاعة بابا الفاتيكان التي بدأت تبث منذ عام ١٩٣١م ، ولها ٦ موجات موجهة وتبث من خلال ٣٠ لغة عالمية ، وهذه الإذاعات ، خاصة المسيحية ، تبث رسائل خاصة إلي معظم دول وأمم العالم وبكثافة عالية من ناحية الكم والكيف (٨) أما الدولة الإسرائيلية فقد عرفت بتركيزها علي الإعلام ، وسيطرتها علي كل وسائله : بطرق مباشرة وغير مباشـــرة وبالتأثيـــر والضغوط علي القيادات والمستويات المختلفة في مجال الإعلام ، وعلي سبيل المثال فاليهود لهم ٢٢٤ صحيفة و١٥٨ دورية في الولايات المتحدة ، ولهم كذلك ٣٠ دورية في كندا و٣٤٨ صحيفة دورية في أوربا ولهم حوالي ١٥٨ صحيفة دورية في أمريكا اللاتينية ، ونعلم أن كبار أصحاب الصحف ورؤساء التحرير من اليهود فماكسويل مثلا يمتلك العديد من شركات الصحف في الغرب .

مظاهر التبعية الإعلامية في العالم العربي والإسلامي :

بعد أن كانت الأمة الإسلامية في طليعة الأمم إذ ميزها الله سبحانه وتعالي في كتابه العزيزبقوله (كنتم خير أمة أخرجت للناس) ونتيجة للركود والابتعاد عن المنهج الإسلامي القويم ، ونتيجة أيضا لتعرض العالم العربي والإسلامي إلي الهجمة الغربية المسيحية ، فقد العالم الإسلامي أصالته ، وتدهورت مكانته ليصبح متلقيا وتابعا للغرب ، وقد استطاع الغرب فرض فكره الثقافي مستعملا وسائل الاتصال والإعلام فأدخلت المطابع وأزدهر النشر ونشطت الصحافة التي تكيد للإسلام ، وتشكل الرأي العام ضد الفكر الإسلامي والممارسة الإسلامية الملتزمة ، وتبشر بالعلمانية والشيوعية والفكر المادي ، ونتيجة لفقدان العالم العربي والإسلامي لأصالته أصبح نتيجةلتلك الهزيمة الحضارية والإعلامية - يشكك في ثقافته وتوجهاته الإسلامية ، وينظر إلي مظاهر الثقافة الغربية علي أنها مفاتيح التقدم والعلم والثقافة والرقي ، وهنا تكمن وتتركز عملية التبعية الإعلامية والتي يمكن أن نوضحها من خلال الآتي :

١) الاعتماد علي الغرب في مجال الخبرة والممارسة الإعلامية ، ونسبة لتقدم الغرب في هذا المجال أصبح العالم الإسلامي مقلدا له.

٢) اعتماد المفاهيم والنظريات الإعلامية الغربية ، وهي مبنية علي الفكر المادي العلماني ومجافية تماما للفكر الإسلامي والقيم والممارسات الإسلامية .

٣) استجلاب الأفلام والمسلسلات والمواد الإعلامية من الغرب ، وهي كذلك تتعارض مع النظام الإسلامي في الحياة ، ومخالفة للقيم والتوجهات الإسلامية .

٤) الإعلام في العالم الإسلامي يقع تحت سيطرة الحكومات العلمانية ، والتي تسخر وسائل الإعلام وكل الإمكانات إلى نشر أفكارها وسياساتها الممسوخة وغير الأصيلة ، وقد نتج عن ذلك افتقاد مفهوم الحرية

الإعلامية ، فالإعلاميون لاينطلقون من شيء ولايسعون إلا إلي تركيز سلطان الحاكم ، والعمل بما يوافق سياساته ، فانتفت الأصالة والحرية الإعلامية ، وبقي الإعلاميون أدوات دعاية رخيصة ، وضعف جانب الإبداع والعمل الإعلامي الأصيل .

٥) تضخيم الوظيفة الترفيهية للإعلام ، كأن وسائل الإعلام ماهي إلا أدوات ترفيه رخيص تبدد الطاقات دون مبرر ، ولاشك أن الشباب – في العالم الإسلامي والعربي خاصة – يعيش الساعات الطوال والليالي حتي مايقرب الصباح مع بعض المغنيين والمغنيات ليتباهوا في الصباح بما فعلوا ليلا ، كل ذلك نتج عنه فراغ فكري وحضاري ، واختفي الإنتاج الثقافي والاجتماعي الأصيل ، وتبددت طاقات الأمة ، وهي الأمة التي كان يفترض أن تكون أمة رسالية ، في اللهو والترفيه الرخيص .

٦) صاحب ذلك بالطبع ضعف في الاهتمام بالفكر الإسلامي ، وحصرت الثقافة الإسلامية في البرامج الدينية التي تخلو تماما من المسحة الفنية وتعتمد أساليب الوعظ والإرشاد ، وهي أساليب لم تحقق شيئا ، وإنما صرفت الناس تماما عن متابعتها نتيجة لقوالبها الضعيفة ، واعتمادها علي مناهج قديمة ليست لها أي صلة بالمعطيات الحديثة ، فلم تستطع أن تخاطب عقول الناس ولافطرتهم السليمة ، وخلت كثيرا من المنطق والأسلوب الإقناعي الفعال .

نحو منهجية لتحسين مستوي الإعلام في العالم الإسلامي :

مع بوادر البعث الإسلامي والتي انطلقت لمواجهة الهجمة الغربية وإعادة الفكر والممارسة الإسلامية ، ظهر النشاط الإسلامي التأصيلي للرد علي العلمانية الغربية وإعادة الثقة للمسلمين ، وقد بدأت أنشطة سياسية واجتماعية تشير إلي بعض روادها فقط : مثل حركة السرهندي في الهند ، والحركة السنوسية في ليبيا ، والمهدية في السودان ، ثم مدافعات الشوكاني والأفغاني ، ومحمد عبده وتلميذه محمد رشيد رضا ، ثم عبدالرحمن الكواكبي والأمير شكيب أرسلان ، ثم الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي ، خاصة الحركة الإسلامية في الهند ، ومن قادتها المودودي والندوي اللذان أضافا الكثير للفكر الإسلامي الأصيل ، وأخيرا حركة (الإخوان المسلمون) في مصر والتي تبعتها وأخذت مناهجها كثير من الحركات علي طول العالم العربي والإسلامي وعندما نشير إلي هذه الحركات والتوجهات ذلك لأنها دافعت وعرضت فكرها في قوالب إعلامية متنوعة والتي ركزت في معظمها علي الكتابة والنشر من خلال المجلات و الكتب ومن خلال المحاضرات واللقاءات السياسية والعلمية .

ونخلص أخيرا لعرض بعض القوالب والأطر التي يمكن أن تساعد في توجيه الإعلام الإسلامي حتي يخرج من التبعية الإعلامية ، ويتوجه نحو الأصالة والريادة في العمل الإعلامي والثقافي والفكري ، ويمكن أن نوجز ذلك في الآتي :

١) مازال الإعلام في العالم الإسلامي متخلفاً في طرحه للرسالة الإعلامية ، بحيث يجعل الحق باطلا والباطل حقا ، ولاشك أن طريقة الطرح والاستعمال الصحيح للوسيلة هي أساس العمل الإعلامي الناجح ، وقد أشار الرسول (صلي الله عليه وسلم) إلي معني هذا بقوله (إن من البيان لسحرا) وكان رسول الله

صلي الله عليه وسلم يملك جوامع الكلم ، فلابد من البلاغة في الطرح وامتلاك القدرة علي معرفة وسائل التأثير ، والقدرة علي إبداء الرأي ، وتوصيل الرسالة بطريقة فعالة .

٢- اتباع القيم والموجهات الإسلامية في انتقاء الأخبار ،فالإعلام الإسلامي يجب أن يحرص علي الالتزام بالقيم الأخلاقية في قواعد العمل الإعلامي ، كالصدق والدقة والأمانة والموضوعية ، وهذه جميعها تؤسس من منطلق عقدي ، يضمن مقاومة مؤثرات الانحراف لإغراءات مادية أو ضغوط سياسية أو أهواء شخصية ، يقول تعالي (إنما يفتري الكذب الذين لايؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) النحل : ١٠٥ ، كما نص الإسلام علي عدم إلباس الحق بالباطل وكتمان الحق في قوله تعالي (يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون) آل عمران : (٧١)

٣- الحيوية – والمرونة في تناول الدعوة الإسلامية ، ومصلحة الأمة ، والقضايا بجدية وعدم السكوت علي الأخطاء ، وموالاة الحكام وتحقيق ماربهم ، والسعي إلي إشاعة النقد وإبداء الرأي أمام الحكام والمسئولين ، وأخيرا وضع الرجل المناسب في المكان المناسب ، وتمييز العاملين بناءا علي الكفاءة والفاعلية ، وخاصة في إطار العاملين بالمؤسسات الإعلامية .

٤ – توظيف المال الإسلامي في المؤسسات الإعلامية وذلك في الآتي :

* صناعة الطباعة : المعدات والحبر والورق والأجهزة الإلكترونية والطرق الآلية وأجهزة الكمبيوتر ، وأحدث التطورات في هذا المجال
* صناعة إنتاج الأفلام السينمائية والتلفزيونية
* صناعة الصحافة وفنون التحرير والإخراج ، وإنشاء دور النشر الكبري وجذب أكبر عدد من الخبراء والعلماء والباحثين (٩)

٥- إستخدام الكاسيت في التبليغ للدعوة بما في ذلك التسجيلات الصوتية وتسجيلات الفيديو ، ومعالجة كل مجالات الإنتاج من محاضرات وبرامج تعليمية وبرامج دعوية ، ومختلف الأشكال الفنية التي تعرض الدعوة بشكل جذاب رشيق ومفيد (١٠)

٦- الإهتمام بتدريس مادة الإعلام ، وإنشاء الكليات المتخصصة والأقسام التي تدرس الإعلام وتهتم بالبحث العلمي في كل مجالات الإعلام ، وكذلك إنشاء مراكز قياس ودراسات الرأي العام ، لقياس النتائج والأثر الذي تقوم به وسائل الإعلام ، وذلك من أجل تحسين الأداء ، والتأكد من أن الرسالة تحقق أهدافها.

٧- الاهتمام بالتدريب للعاملين في المؤسسات الإعلامية ، وإنشاء المعاهد العليا المتخصصة في مجال الإعلام بغرض تزويد الكوادر بالمهارات ، وكذلك مدهم بالمعلومات في مجال الإسلام والدعوة الإسلامية ، حتي يتزودوا بما يستطيعون عكسه في المجال الإعلامي ، والاستفادة من الجانب الفني في عكس الرسالة والدعوة الإسلامية ، علي أسس علمية ، وبشكل شيق وجذاب .

٨- تسخير وسائل الإعلام لتحقيق أهداف الأمة في التنمية وتحسين سلوكيات الناس نحو الإنتاج ، ونحو استغلال الوقت ، وتنظيم برامج للتثقيف الصحي والعلمي والإداري والزراعي والصناعي تبث من خلال

البرنامج العام ، ومن خلال برامج متخصصة لجماهير معينة ، والتركيز علي بث رسالة خاصة للمناطق الريفية المهملة ، من أجل إزالة الأمية ، ورفع المستوي الثقافي للجماهير .

٩- الأوعية الإعلامية في العالم العربي والإسلامي لم تكن موازية لحركة المد الإسلامي والبعث الجديد فوكالات الأنباء المحلية والإقليمية والعالمية التي تجمع وتحرر وتنقل الرسائل ، مازالت ضعيفة ، ولابد من وجود وكالة أنباء إسلامية تستطيع أن تنقل أخبار العالم الإسلامي ، وتساعد في العمل الدعوي ولابد من تحسين أداء الصحف والمجلات والإذاعة ومحطات التلفزيون ، أضف إلي ذلك مخاطبة كل أقسام الرأي العام وقطاعاته علي أن يكون هناك تخطيط وتحديد للأهداف بدقة وألا تتعارض الرسائل المختلفة بل تصب كلها في معين واحد ، وكذلك لابد من تنسيق جهود الإعلام الجماهيري مع أساليب الاتصال الشخصي وبذلك يتعرض الجمهور لأكثر من وسيلة إعلامية ، وتقدم الرسالة في مضامين متعددة تصب كلها في إطار واحد .

١٠- الاستفادة من أساليب البحث العلمي ، وتشجيع دراسات الرأي العام ، وتطوير مراكز المعلومات المتكاملة ، كما ولابد من السعي لإقامة مؤسسات إعلامية ناجحة - ماليا وإداريا وفنيا ، وتوظيف كوادر فنية ودعوية قادرة ومدربة .

١١ . لابد من عكس التأصيل الإسلامي بحيث تشمل الرسالة جميع شئون الحياة ، وتعالج قضايا الفرد والمجموعة بطرق متكاملة وبحيث لاتجزأ القضايا إلي دينية ودنيوية بل يتم تناول القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية جميعها بمنظور إسلامي كما لابد من تزويد الناس بالمعلومات اللازمة وإبراز القرآن الكريم والسنة والفكر والتشريع الإسلامي بصورة فاعلة ،

١٣ . عالمية الإعلام الإسلامي ، بما أن دعوة الإسلام دعوة عالمية للعالمين جميعا وللناس كافة ، كذلك يجب علي العاملين في وسائل الإعلام المختلفة أخذ ذلك في الاعتبار واستعمال كل الوسائل الممكنة لتاكيد ذلك ، ولابد من تمكين تطبيق الشريعة الإسلامية ، والاهتمام بشئون المسلمين ، وقضايا وحدة العالم الإسلامي ، وكذلك ينبغي إبراز الطابع الإنساني العالمي للحضارة والدعوة الإسلامية ، وتنسيق جهود العاملين علي نطاق العالم الإسلامي .

الهوامش والمراجع :

١- انظر مجلد الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الإعلام الإسلامي العلاقات الإنسانية ، الرياض ، ١٩٧٦م

٢- كلمة الدعاية نشأت مع نشأة التبشير للدين المسيحي وكانت تعني الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، وتعتمد الصدق والأمانة في أسلوبها ولكن مفهوم الدعاية أخذ طابعا سياسيا فيما بعد وأصبح يعني السعي لتحقيق الأهداف دون الالتزام بالوازع الأخلاقي في كل الأحوال ، ولعل مما يدعم ذلك الرأي أن النبي صلي الله عليه وسلم استعمل كلمة الدعاية بمعني الدعوة في خطابه إلي قيصر عظيم الروم حيث قال صلي الله عليه وسلم إني ادعوك بدعاية الإسلام.

٣- إبراهيم إمام : أصول الإعلام الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٨٥م

٤- اليونسكو : أصوات متعددة وعالم واحد ، مجموعة من الكتاب برئاسة ماكيرايد ، ١٩٨٠

٥- المرجع السابق

٦- سعيد إسماعيل صيني ، مدخل إلي الإعلام الإسلامي ، القاهرة ، دار الحقيقة للإعلام الدولي ، ١٩٩١م

٧- كتاب الأمة ، مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي ، مجموعة كتاب ، قطر ،١٩٩١م

٨- وقد أورد الدكتور محي الدين عبدالحليم في كتابه إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية ، كتاب الأمة – ١٤١٩هـ – العدد ٦٤ ،، أورد مجموعة منظمات إذاعية مسيحية موجهة للعالم الإسلامي تؤدي دورا كبيرا في مجال الإعلام التنصيري الفعال ، ، ومن أبرز هذه المنظمات :

أ/ الرابطة الدولية الكاثوليكية للراديو والتلفزيون

ب/ الرابطة العالمية للإذاعة المسيحية

ج / الرابطة الدولية للإذاعيين المسيحيين

د/ المنظمة الدولية للإعلام المسيحي

هـ/ صوت الإنجيل

و/ إذاعة (بالحب الأبدي نكسب إفريقيا)

ز/ إذاعة صوت طنجة

ح/ إذاعة مونت كارلو

ط/ راديو إلو وهي أمريكية تبث من ليبيريا

٩- كتاب الأمة مرجع سابق

١٠- الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، مرجع سابق

الإذاعات التنصيرية في إفريقيا

أ . عبد الله علي الصافي *

يعتقد المسيحيون أنهم مكلفون بنشر الدعوة المسيحية في كل أرجاء المعمورة استنادا إلي الأمر الصريح الذي ورد إليهم في الأناجيل التي يتداولونها اليوم فقد جاء في إنجيل مرقس علي لسان المسيح (اذهبوا إلي العالم واذكروا بالإنجيل للخليقة كلها ، فمن آمن واعتمد خلفي ومن لم يؤمن يدن) كما جاء في إنجيل متي (فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلي انقضاء الدهر) .

ومن هنا انطلق دعاة المسيحية إلي كل أرجاء العالم بهدف تنصير المجتمعات غير المسيحية ونشر الدين المسيحي والاستمرار في ذلك إلي يوم القيامة وقد أطلق علي هذا النشاط مصطلح (التبشير Evangel-ism) وهي كلمة مشتقة من معني كلمة - إنجيل (Evangel) في اللغة اليونانية والتي تعني (البشري) أي بشري الخلاص علي يد(المسيح المخلص) وتقديم هذه البشري ونشر ماجاء بها من تعاليم يعد (بشارة) .

وفي سبيل تحقيق هدف نشر (البشارة) علي أوسع نطاق ممكن كان من الطبيعي أن يستعين المبشرون بوسائل الاتصال الجماهيرية لبث الدعوة إلي المسيحية وقد أكدت المؤتمرات التي عقدت لهذا الغرض أهمية استعمال الإذاعة في التبشير للمزايا العديدة التي يتمتع بها الإرسال الإذاعي

مزايا الإرسال الإذاعي :

يعتبر المذياع من أقوي وسائل الإعلام تأثيرا لاسيما في المجتمعات الريفية وينفرد بمجموعة من المميزات لاتضارعه فيها وسائل الإعلام الأخري ومنها :

١- لاتقف الحدود السياسية أو الحواجز الطبيعية دون وصول الإرسال الإذاعي للمستمع ولايمكن منع الشخص من الاستماع للإذاعة علي عكس الكتب والنشرات والأطباق الفضائية التي يمكن منعها من دخول البلاد أو مصادرتها .

٢ تشغيل المذياع سهل ولايحتاج للتيار الكهربائي المستمر الذي ينقطع دائما في معظم الدول النامية بل تكفي البطاريات الجافة لتشغيله لمدة طويلة وهذه أصبحت متوافرة في معظم الأماكن وبأسعار زهيدة .

٣- يخاطب المذياع كل الفئات علي اختلاف مستوياتهم التعليمية ولذلك أصبح هو الوسيلة المناسبة

---

* عميد كلية الطالبات بجامعة إفريقيا العالمية

لمخاطبة الأميين أي الذين يعتمدون في ثقافتهم علي الاستماع دون القراءة ومعلوم إن الاستماع هو أول رابط حقيقي بين أفراد المجتمع غير القاريء .

٤- لايحتاج الاستماع للمذياع للتركيز الكامل لمتابعة البرامج إذ يمكن للمرء أن يتابع البرنامج الإذاعي أثناء أداء عمله أو أثناء تناوله للطعام أو جلوسه في المقهي أو أثناء فترة استجمامه .

٥- يصل الإرسال الإذاعي إلي الأشخاص الذين يصعب علي وسائل الإعلام الأخري الوصول إليهم بنفس درجة السهولة - كالمرضي في المستشفيات والجنود في جبهات القتال وركاب القطارات والسيارات والبصات السفرية والسياحية والمساجين وغيرهم .

٦- للبرامج الإذاعية جاذبية تجعل المستمع يتابعها باهتمام فهي تستعمل الموسيقي والأغاني والأناشيد والمؤثرات الصوتية المختلفة الي جانب الدراما والحوار مما يجعلها موضع اهتمام المستمع و تجعله جاهزا لاستقبال البرامج المقصودة من الإرسال .

٧- يؤثر المذياع في أغلب الأشخاص تاثيرا مباشرا خاصة قليلي الحظ من الثقافة والتعليم ويصدقون كل مايقال فيه ويؤمنون به لاعتقادهم أن هذا الإرسال يأتي من جهات لها مصداقية .

٨- امتلاك الشخص لجهاز المذياع يجعل هناك ألفة بينه وبين هذا المذياع تشعره بأن الحديث الصادر من المذياع موجه إليه شخصيا خاصة إذا كان الحديث باللغة التي يفهمها .

٩- ينتقل المذياع مع الرحل أينما رحلوا ويسهل عليهم متابعة البرامج فالمدرسة والكنيسة وغيرها من الثوابت لاتجدي مع هؤلاء الرحل شيئا .

هذا مع العلم أن أجهزة الراديو أصبحت صغيرة في حجمها وسهلة الحمل والتشغيل ومتوافرة الآن في معظم المنازل ولايكاد يخلو منها مقهي أو مطعم أو باخرة أو سيارة وهناك إحصائية تفيد أنه بين كل ١٠ من المنازل في العالم توجد ٧ منازل بها أجهزة راديو وبين كل ٧ مطاعم توجد ٦ بها أجهزة راديو كما أن ٩٥٪ من السيارات الكبيرة والصغيرة بها أجهزة راديو .

نبذة تاريخية :

منذ بداية اختراع أجهزة الإرسال والاستقبال الإذاعية في بدايات هذا القرن بدأت الكنائس في التفكير في استغلال الإذاعة في الدعوة للمسيحية لقطاعات واسعة من الناس ففي الولايات المتحدة استخدمت بعض المحطات الأمريكية التي تملكها أو تديرها أوتشرف عليها منظمات ومؤسسات نصرانية للعمل في مجال التبشير منذ عام ١٩٢٠م ثم مالبثت تلك المنظمات أن تطلعت لمد نشاطها التبشيري إلي أجزاء أخري من العالم وخاصة تلك التي لايوجد بها مسيحيون أو بها أقليات مسيحية ومن هنا بدأت فكرة المحطات الدينية الدولية وبدأت أول محطة من هذا النوع وهي محطة(نداء المسيح) صوت يسوع المبارك) .. إرسالها من الإكوادور في ٢٥ ديسمبر ١٩٣٠م ثم تلا ذلك افتتاح راديو الفاتيكان في فبراير عام ١٩٣١م وقد أنشأ هذه المحطة مخترع الراديو الشهير ماركوني وقدمها هدية للبابا (بيوس التاسع) وللفاتيكان وتولي ماركوني تقديمها للبابا في مناسبة الافتتاح وبدأ البابا حديثه قائلا (إن هذه الإذاعة قامت لتخدم عالم يسوع

المسيح) وتحقيقا لهذا الهدف اهتمت برامج المحطة بإذاعة خطب البابا ورسائله وبث أخبار الفاتيكان والاحتفالات والمناسبات الدينية إلا أن أجهزة الراديو آنذاك كانت كبيرة الحجم وغالية الثمن ولم يكن في مقدور الكثير من الناس اقتناؤها لذلك كان مردود الإرسال التبشيري ضئيلا وبعد اكتشاف الترانزستور غزت أجهزة الاستقبال الصغيرة الأسواق بأسعار زهيدة وأصبحت في متناول الأيدي وتبلورت فكرة استغلال الإذاعة لأغراض التنصير بصورة أوضح في الخمسينات أثناء المؤتمرات واللقاءات التي عقدتها الكنائس المختلفة للتداول في كيفية توسيع نطاق التبشير المسيحي في إفريقيا وبدأ الإرسال التنصيري عام ١٩٥٤م من إذاعة صوت طنجة من المغرب والتي أنشأها أحد القساوسة الأمريكان واسمه (بول فريد) وكان قد تعلم اللغة العربية في فلسطين في العشرينات وقضي عدة سنوات يعمل في مجال التنصير في بعض الدول العربية وظلت صوت طنجة تعمل حتي عام ١٩٥٩م حين نالت المغرب استقلالها وأغلقت المحطة بعد اكتشاف خطورة أهدافها وعملها فانتقل البث بعد ذلك إلي مونت كارلو تحت اسم راديو حول العالم TRANS WORLD RADIO تحت رعاية الهيئة العالمية للتنصير في ولاية نيوجيرسي الأمريكية وهي تذيع الآن أيضا من سوازيلاند .

ثم ظهرت إذاعة صوت البشارة من إديس أبابا عام ١٩٦٢م تحت رعاية الإمبراطور هيلاسلاسي وبتمويل من اتحاد الكنائس اللوثرية العالمية وتجمع الكنائس الإفريقية وكان إرسال هذه المحطة يغطي منطقة واسعة تمتد من الصين شرقا حتي المحيط الأطلسي غربا مستعملة ١٦ لغة إفريقية إضافة للإنجليزية والفرنسية وقد أصبحت هذه المحطة إضافة مهمة لجهود التنصير في إفريقيا وتم إنشاء أستوديوهات تابعة لها في عدد من الدول الإفريقية في إثيوبيا والكمرون ونيجيريا وغيرها لتسجيل وإنتاج مواد البرامج باللغات المحلية وإرسالها للمحطة الرئيسية في أديس أبابا لإذاعتها من هناك ، وحينما وقع الانقلاب الشيوعي في إثيوبيا في مارس ١٩٧٧م أوقف قادة الانقلاب إرسال تلك المحطة الأمر الذي عطل البرامج التنصيرية وسبب مضايقات جمة للكنائس التبشيرية وعلي الفور تنادي المسئولون الكنيسيون لاجتماعات ولقاءات لبحث أمر توقف إذاعة صوت البشارة وفي خطوة سريعة لإنقاذ مايمكن إنقاذه بدأ البث البديل لصوت البشارة من منروفيا عاصمة ليبيريا واتفق الرأي علي عقد مؤتمر في داكار في السنغال في يناير ١٩٧٩ لبحث الأمر وتلا ذلك عدة مؤتمرات في كينيا والكميرون والبرازيل وغيرها وتمخضت تلك اللقاءات علي تعويض مستمعي إذاعة صوت البشارة بإذاعات أخري تبث إرسالها من ليبيريا سيراليون – الجابون – جزر سيشل = كما تم إقناع المسئولين في الحكومة الإثيوبية الجديدة برد أربعة آلاف شريط تسجيل لاتحاد اللوثريات العالمي للاستفادة منها في بث البرامج التنصيرية من الإذاعات الأخري .

حاليا أصبح هناك عدد من محطات الإذاعة الكنيسة تقدرها الموسوعة المسيحية بالمئات في كثير من الدول وهي في ازدياد مستمر .

الروابط والاتحادات والمنظمات الإذاعية المسيحية :

تأكيدا للاهتمام بالإذاعات التنصيرية وتجسيدا له قامت عشرات الهيئات والمنظمات الإذاعية المسيحية في

أنحاء متفرقة من العالم – في سويسرا والنمسا وانجلترا وألمانيا وفرنسا وبلجيكا وهولندا وهونج كونج والفلبين والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها بإنشاء المحطات الإذاعية والتخطيط لها وتبادل الخبرات والبرامج والاستشارات والخبراء وعقد المؤتمرات وتنفيذ التوصيات وعقد الندوات العلمية وإقامة الدورات التأهيلية والتدريبية للكوادر والعناصر التي تعمل في تلك المحطات وإجراء البحوث والدراسات علي جماهير المستمعين للكشف عن مدي تأثير هذه المحطات وفاعليتها فضلا عن تقويم وتقييم خططها وبرامجها وفي هذه العجالة نستعرض أنشطة ثلاث من هذ ه المنظمات :

١- الرابطة الدولية الكاثوبكية للراديو والتلفزيون :

ومقرها في سويسرا وتضم مائة محطة إذاعية كاثوليكية في شتي بقاع العالم وينصب نشاطها علي خدمة التنصير وعقد المؤتمرات وتبادل الخبرات والمعلومات في هذا المجال بالإضافة للتعاون المنظم مع الروابط والهيئات والمنظمات الإذاعية التنصيرية الأخري وإجراء البحوث والدراسات وتقديم المشورة والتوصيات .

٢ – الرابطة العالمية للإذاعة المسيحية :

مقرها جنيف في سويسرا وتعمل فى خدمة الإذاعات المسيحية في تطوير برامجها ورفع مستواها لذلك فهي تولي البحوث والدراسات في هذا المجال إهتماما كبيرا وقد بلغ عدد البحوث التي أنجزتها خلال الأعوام ٦٤ – ١٩٦٨م مايقارب ٤٠ بحثا و ضعتها في متناول هذه المحطات كما نشرتها علي شكل كتيبات تتبادلها الإذاعات المسيحية مع برامجها كما تقدم هذه الرابطة منحاً للكنائس والمنظمات المسيحية والأفراد للتد ريب علي استخدام الإذاعة في مجال التنصير وإعداد الكوادر البشرية لهذا العمل عقائديا وفنيا .

٣- الاتحاد العالمي للاتصالات المسيحية :

أنشيء في لندن عام ١٩٦٨ ويمنح حق العضوية للأفراد والكنائس ووكالات الاتصالات والهيئات المسيحية العاملة في مجال الاتصال إلي جانب تزويد محطات الإذاعة التنصيرية بالخبراء والإستشارات الفنية وإعداد الكوادر المدربة ويولي هذا الاتحاد اهتماما كبيرا للهيئات والمنظمات التنصيرية التي تعمل في إفريقيا ويخصها بالقدر الأكبر من المساعدات والرعاية .

هذا وقد بلغ عدد المؤسسات والهيئات الأخري التي تعني بالإذاعات التنصيرية في عام ١٩٨٠ أكثر من خمس وثلاثين هيئة ومؤسسة دولية يمتلك بعضها عدد ا من المحطات الإذاعية ويستأجر بعضها الآخر ساعات للبث من محطات تجارية أو دينية ويشرف البعض الآخر علي تدريب الكوادر وإجراء البحوث والدراسات وتقديم المساعدات الفنية في إنتاج البرامج .

وبالرغم من تعدد هذه الجهات واستقلالية كل منها إلا أنها تعمل جميعا وفق خطط منظمة وتنسيق متكامل فيما بينها في إطار استراتيجية إعلامية شاملة ومتكاملة – ويظهر هذا التنسيق والتكامل من خلال المؤتمرات التي حرصت هذه المنظمات علي عقدها ومع أن هذه المؤتمرات قد عقدت في أنحاء متفرقة من العالم إلا أن القارة الإفريقية قد اختصت بالقدر الأكبر منها – ويدعي لهذه المؤتمرات ممثلو الإذاعات

التنصيرية وخبراء الإعلام والتنصير وكبار المخططين والباحثين في هذا الموضوع ويجري البحث في القضايا المشتركة وتبادل الخبرات والمعلومات واستعراض نتائج البحوث المختلفة وقضايا التمويل والمعدات الفنية ، والأجهزة والكوادر المدربة واستعراض المشكلات والعقبات التي تواجه التنصير الإذاعي .

ففي المؤتمر الذي عقد في زامبيا عام ١٩٦١ والذي حضره مندوبو ن من الولايات المتحدة وأوربا وإفريقيا جرت مناقشات مسهبة حول (أفضل الطرق التي يمكن للكنائس الإفريقية اتباعها للإفادة من وسائل الاتصال الجماهيرية في مجال التبشير) وكان أهم ماتوصل إليه المؤتمرون في هذا الصدد إنشاء مركز للتدريب الإذاعي في كينيا ، وقد تم بالفعل إنشاء هذا المركز الذي أكد فعاليته الكبيرة في هذا المجال ونجح في إعداد الدورات المتنوعة قصيرة وطويلة كما تمكن من استقطاب العديد من الخبراء وإعداد العديد من الكوادر الإفريقية في مجالات العمل الفنية المختلفة للإذاعة المسموعة والمرئية

وفي عام ١٩٦٥ اتخذ المؤتمر الذي عقد في روما قرارا بالقيام بحملة دعائية واسعة لجمع التبرعات من أجل تدعيم هذه الإذاعات وفي عام ١٩٨٠م قرر المؤتمر الذي انعقد في سوازيلاند تخصيص مبلغ ٢٠ مليون دولار لتطوير إذاعة آسيا التنصيرية التي تبث من شمال الفلبين وتقوية إرسالها خاصة أنها تثبث بثمان وعشرين لغة أما المؤتمر الذي عقد في تنزانيا عام ١٩٨١ فقد خصص مبلغ مائة مليون دولار لإنشاء محطات إذاعية تنصيرية جديدة كما أكد علي أن تكون كافة الكوادر العاملة في هذه المحطات من أبناء نفس المناطق التي يوجه إليها البث .

الإذاعات الموجهة لإفريقيا :

هناك عدد كبير من الإذاعات التنصيرية الموجهة إلي إفريقيا ونستعرض هنا بعضاً من هذه الإذاعات

١- الإذاعة الدولية : TRANS WORLD RADIO

هذه إحدي أقوي الإذاعات المسيحية وقد بدأت عام ١٩٥٤م تحت اسم (صوت طنجة) VOICE OF TANGA وتبث الآن من مونت كارلو وسوازيلاند وترسل برامجها باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية ولغات أوربية أخري لمقابلة تطلعات المثقفين الأفارقة كما تبث برامج خاصة بأكثر من عشر لغات إفريقية للمواطنين الأفارقة .

٢- رابطة إذاعة الشرق الأقصي : FAR EAST BROADCASTING ASSOCIATION

تبث هذه الإذاعة برامجها من جزيرة سيشل في المحيط الهندي وتهتم بالثقافات المحلية لمستمعيها في شرق وجنوب إفريقيا .

٣- راديو الفاتيكان : VATICAN RADIO

تهتم هذه الإذاعة بتعليم الإنجيل والموضوعات الروحية بجانب الأحداث العالمية والإفريقية وتبث برامجها باللغات العربية والأمهرية والسواحيلية والملقاسية وبعض اللغات الإفريقية الأخري إلي جانب لغات أخري تزيد في مجموعها علي الخمسين لغة وسيأتي الحديث عنها بالتفصيل لاحقا .

٤- **إذاعـــــة الحـــــب الأبـــدي لكســـب إفريقيـــــــا** : ETERNAL LOVE WINING AFRICA (ELWA)

أنشئت هذه الإذاعة بواسطة بعثة تبشيرية أمريكية عام ١٩٥٤ وتبث هذه الإذاعة برامجها من منروفيا عاصمة ليبيريا بأكثر من خمسين لغة أوربية وإفريقية ومع البرامج الكنسية تبث هذه الإذاعة برامج أخبارية وتعليمية ولدي هذه الإذاعة استديوهات خاصة لتسجيل البرامج في كل من جوس واقيجا في نيجيريا وأبيدجان في ساحل العاج وأديس ابابا في اثيوبيا وبيروت في لبنان وتقوم هذه المحطة بإنتاج مواد وبرامج إذاعية لإذاعات تنصيرية أخري .

٥- **إذاعة صوت البشارة أديس ابابا** : RADIO VOICE OF THE GOSPEL

ثبت هذه الإذاعة برامجها من أديس أبابا ولها استوديوهات خاصة لإنتاج البرامج في نيجيريا والكاميرون ومالاجاسي - وقد سبق الحديث عنها

٦- **إذاعة مونت كارلو :**

وهي إذاعة تبدو في ظاهرها مجرد إذاعة تجارية لكنها في حقيقة الأمر إذاعة لها توجهاتها السياسية المعادية والتبشيرية الناعمة وتتميز بالسرعة والحيوية وتجعل من بثها العادي مايشبه المباريات الفنية الترفيهية الجذابة وتبلغ قوتها ١٤٠٠ كيلو واط وتستخدم ٣٠ لغة علي مدي ٢٤ ساعة منها ١٧ ساعة باللغة العربية وكانت لها محطة تقوية في بيروت بلبنان ولكنها حولت إلي قبرص عام ١٩٧٧ بسبب الحرب الأهلية اللبنانية وهذه الإذاعة مملوكة للحكومة الفرنسية وتوجه إرسالا خاصا إلي إفريقيا باللغة الفرنسية ولغات أوربية وإفريقية وقد جذبت انتباه الملايين بســـبب برامجها الموســيقية والإخبـــارية الخفيفة وبسبب المسابقات والجوائز التي تعرضها دائما لمستمعيـــــها وتخلي موجاتها قبيـــل منتصف الليل لإذاعات تنصيرية أخري .

٧- **إذاعة صوت الغفران :**

هذه واحدة من أهم الإذاعات التنصيرية فهي قد كونت باندماج إذاعة صوت الحق ببيروت وإذاعة صوت الإنجيل باثيوبيا وتبث هذه المحطة برامجها من جزيرة (رودس) بعدة لغات أوربية وإفريقية كالسواحيلية والهوسا وغيرها إلي جانب العربية وتعمل بإمكانيات مادية وبشرية هائلة .

وأخطر ما استحدثته هذه المحطة هو ترتيل الإنجيل فيها بنفس طريقة تلاوة القرآن الكريم وذلك لجذب انتباه المستمعين ولخداع البسطاء من المسلمين الذين يظنون ذلك قرآنا - كما أنها تدعو إلي نبذ الأديان الأخري تلميحا لا تصريحا مثال ذلك (النصرانية هي الطريق الوحيد إلي الله لابد من التوبة عن كل فكرة أو عقيدة أو دين يخالف النصرانية).

٧- **صوت إسرائيل :**

وهي أولي الإذاعات المعادية التي تؤكد بالحاح دعائي يومي أنها صوت إسرائيل من (أورشليم القدس)

تاكيدا لكون القدس عاصمة لإسرائيل وصوت إسرائيل مؤسسة مستقلة مرتبطة مباشرة بمكتب رئيس الوزراء وتذيع علي ١٥ موجة من أربع محطات بعدة لغات إفريقية و أوربية وآسيوية إلي جانب العربية لمدة ٣٨ ساعة يوميا وتوجه برامج خاصة لإفريقيا باللغات المحلية كالسواحيلية والهوسا وغيرها.

٨- شبكة البث المسيحية: CHRISTIAN BROADCASTING NETWOR K

يقع مركز هذه الشبكة في الولايات المتحدة وهي مملوكة للمدعو بات روبرتسون BAT ROBERTSON الذي يؤمن بأن إسرائيل هي شعب الله المختار GOD'S FAVOURED NA-TION وهو يروج لهذه الفكرة إعلاميا من خلال برامجه التي يقدمها في الراديو والتلفزيون وتمتلك هذه الشبكة عدة محطات إذاعة وتلفزيون منها إذاعة صوت الأمل وتعمل جميعها علي تزيين صورة إسرائيل وتقديمها علي أنها دولة مقدسة وتؤكد علي أن الوقوف ضدها هو معارضة لله لأن الله يبارك من يباركها ويلعن من يلعنها وإذاعات هذه الشبكة موجهة لإفريقيا ودول الشرق الأوسط خاصة

محطات تنصيرية عالمية :

كما اسلفنا القول فهناك عدد من محطات الإرسال الإذاعي التنصيري موجهة لإفريقيا بعضها يعمل من داخل القارة والبعض الآخر من خارجها وفيما يلي نستعرض بعض التفاصيل عن اثنتين من المحطات العالمية .. راديو الفاتيكان .. الذي يوجه إرساله للقارة من الخارج ، وراديو حول العالم الذي يذيع من سوازيلاند داخل القارة وأماكن أخري خارجها .

١- راديو الفاتيكان :

تهتم برامج المحطة بإذاعة خطب البابا ورسائله وبث أخبار الفاتيكان والاحتفالات والمناسبات الدينية وتترجم بعض هذه المواد إلي اللغات الإفريقية والآسيوية والأوربية وفي عام ١٩٤٠م زادت المحطة قوة إرسالها في محاولة للوصول للكاثوليك في شرق ووسط أوربا الذين فرضت عليهم بعض القيود في ممارسة طقوسهم الدينية وفي أواخر ١٩٦٠م فكر القائمون علي المحطة في ضرورة الوصول إلي الشباب وإغرائهم بالاستماع للبرامج والمواد الدينية فقرروا إذاعة الموسيقي الشعبية بين البرامج الدينية وكان هذا جسرا جيدا للوصول إلي هؤلاء الشباب واستمالتهم للاستماع إليها .

واستمرت محاولات تطوير البرامج الإذاعيّة فأصبحت المحطة تهتم بإذاعة بعض الأخبار والقضايا والأحداث الهامة التي تحدث خارج دائرة الفاتيكان بعد أن تجري صياغتها وفق المصالح الكاثوليكية .

وفي عام ١٩٧٠م أنشأت المحطة واحدا من أضخم مراكز الإنتاج يشتمل علي ١٤ استديو مزودة بإمكانات تمكنها من إنتاج برامج ناطقة بأربع وثلاثين لغة وتبث هذه البرامج عبر الموجات المتوسطة والقصار وموجات F.M وتوجه إلي اوربا والشرق الأوسط والاتحاد السوفيتي وآسيا وإفريقيا والأمريكتين .

القوي العاملة والتمويل :

يعمل في راديو الفاتيكان ٣٨٨ رجلا من ٤٤ جنسية و٣٤ إمرأة و٣٤ قسيسا هم رؤساء الإدارات

المختلفة في المحطة وبلغت الميزانية عام ١٩٨٦م حوالي ١٩ مليون دولار منها ١٢ مليونا للمصروفات العامة وسبعة ملايين خصصت للإنشاءات والتجهيزات والمعدات الحديثة . ويري القائمون علي أمر هذه المحطة بأن الميزانية المخصصة لهم (متواضعة) بالمقارنة مع المحطات الدولية الأخري ويقارنون بين الميزانية المخصصة لراديو الفاتيكان وتلك المخصصة لمحطة هيئة الإذاعة البريطانية التي خصصت لها ميزانية تبلغ : ٢٥٠ مليون دولار وعدد العاملين فيها يزيد علي ٤٠٠٠ شخص ومع ذلك فإن إنتاج هيئة الإذاعة البريطانية بهذه الميزانية الضخمة وهذا العدد الهائل من العاملين يبلغ ثلث إنتاج راديو الفاتيكان وتلك لاشك دعوة صريحة لتقديم المزيد من الدعم والمساعدة لراديو الفاتيكان من المسيحيين الغيورين علي نشر دينهم.

تخطيط البرامج :

هناك أحد القساوسة علي رأس كل قسم يتولي البرامج الموجهة بلغة من لغات البث وعادة ما يكون هذا القس من أبناء المنطقة الموجه إليها الإرسال الإذاعي ويتولي كل قسم من هذه الأقسام وضع خطته البرامجية حسب طبيعة الجمهور المستهدف بالإرسال وتحكم كل هذه الأقسام قواعد محددة تتمثل في الآتي :

١- ربط الكنائس الكاثوليكية المحلية في مختلف أنحاء العالم بمركز المسيحية في الفاتيكان .
٢- نشر كلمة (الخلاص) والتبشير بالإنجيل علي أوسع نطاق ممكن
٣- عدم التعرض للقضايا الخلافية السائدة داخل الكنيسة الكاثوليكية
٤- إحياء روح المسيحية وغرسها في نفوس الشباب باعتبارهم جيل المستقبل
٥- تناول العقائد والأفكار والقضايا والموضوعات الدنيوية وتفسيرها علي ضوء نظرة المسيحية لها .

وتبعا لهذه الخطوط العريضة تصاغ البرامج المختلفة وتتنوع القوالب البرامجية من الأحاديث المباشرة إلي برامج الحوار والمناقشات والمقابلات والمناظرات والتحقيقات الإذاعية والموسيقي وواكب ذلك نشاط آخر بالتعرف علي آراء المستمعين من خلال الرسائل التي تصل للمحطة وعددها حوالي ٥٠ ألف رسالة سنويا وتتم دراستها بعناية وتعدل البرامج وفق رغبات المستمعين .

وإلي جانب ذلك ولمزيد من ربط المستمع بالإذاعة يصدر راديو الفاتيكان العديد من النشرات إلي جانب مجلة برامج فصلية تصدر مع بداية كل دورة إذاعية كل ٣ أشهر وتحمل اسم (برامج الفاتيكان) وتقع في ٦٤ صفحة في طباعة ملونة فاخرة وتصدر هذه المجلة بأربع وثلاثين لغة وتنشر تفاصيل مواعيد البرامج الإذاعية المختلفة وأطوال الموجات وبعض الأخبار الخاصة بالكنيسة والبابا وتوزع هذه المجلة (مجانا)

أساليب التنصير في راديو الفاتيكان :

يمكن القول بأن إذاعة راديو الفاتيكان إذاعة إخبارية دينية تعني بالشئون النصرانية كما تعني بأخبار العالم كله دون أن تهاجم مباشرة دينا أو عقيدة وعلي الرغم من ذلك فهي في الحقيقة تؤدي دورا مهما في مجال المسيحية بطريقة غير مباشرة علي النحو التالي

١- وضع المادة الدينية في قالب إخباري كي تبتعد عن شكل الموعظة الدينية المباشرة أو التوجيه القسري مثال ذلك هذا الخبر عن حديث للبابا أثناء زيارته لبوتسوانا :

(إن النتائج الإيجابية التي توصلت إليها بوتسوانا ، هي بمثابة شعاع أمل لكل شعوب القارة الإفريقية التي تتطلع بشوق كبير إلي إنماء إنساني حقيقي لذاتها ولأبنائها ثم شدد علي أهمية البعد الديني وأثره علي رقي الشخص واحترامه وتمني أخيرا أن يحافظ شعب بوتسوانا دائما علي احترامه للبعد الديني الذي يجب أن تتميز به الحياة الإنسانية كما تمني أن يواصل هذا الشعب جهوده من أجل بناء مجتمع عادل ومسالم يرتكز علي احترام الشخص البشري المخلوق علي صورة الله ومثاله)

٢- الربط بين المسيحية وواقع الحياة والقضايا والأحداث اليومية سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية ورياضية مثال ذلك (وعبر البابا عن اقتناعه التام بأن إفريقيا كلها سوف تدهش العالم إذا ماتركت حرة دون تدخل أو ضغوط خارجية وسوف تظل قادرة علي أن تقاسمه حكمتها واحترامها لله الخالق مع الآخرين .. إن هذه القوي تعرقل تحقيق السيادة الذاتية لشعوب المنطقة إذ تزداد النزاعات الأيدولوجية والعرقية والقبلية وتبطيء عملية النمو ، ففي أوضاع كهذه يزداد الأمل في قلو ب البشر ذوي الإرادة الصالحة لقيام حل عادل وسلمي عبر الحوار الصافي والصادق بين الفئات والقوي المتنازعة ..)

وهذا الخبر الرياضي :

(... بمناسبة الدورة الرابعة والعشرين للألعاب الأولمبية سيوجه المطران رئيس اللجنة البابوية المعنية برعوية الهجرة والسياحة رسالة تشجيع إلي جميع الرياضيين الملتزمين في مختلف المباريات الرياضية وتدعو اللجنة البابوية جميع الرياضيين إلي جعل هذه المناسبة وسيلة إلي إنماء عري الصداقة والإخاء بين جميع شعوب العالم ..) .

٣- تطعيم الأخبار عند صياغتها بالمفردات الدينية المسيحية علي غرار (الله الأب - ابن الله - الإيمان بالمسيحية - الخلاص - الشهادة المسيحية - الله يسوع المسيح - الأب الأقدس - الراعي الصالح - إلخ ..)

٤- عدم التعرض صراحة إلي الأديان الأخري ومحاولة الابتعاد قدر الإمكان عن ذكرها في صياغة الأخبار والجدول التالي يوضح الأخبار التي أذيعت من راديو الفاتيكان خلال شهر .

نوع الأخبا ر	التكرار	النسبة المئوية
الأخبار التي أشارت للمسيحية	١٧٢	٤٤ر٥٢٪
الأخبار التي أشارت للإسلام	٨	٤٤ر٢٪
الأخبار التي أشارت لليهودية	صفر	صفر
أخبار لا علاقة لها بالأديان	١٤٨	١٢ر٤٥٪

وقد وردت الإشارة إلـي الإسـلام فـي إحـدي المـرات في إطـار خبر نسبته المحطة إلي إذاعة الباكستان يقول :

(ذكرت إذاعة باكستان مؤخرا أن عملية أسلمة باكستان أصبحت تلقي معارضة من بعض الأطرف الإسلامية ، ومن المنظمات المسيحية التي اعتبرت هذه العملية انتهاكا صارخا لحقوق الإنسان ومامن شك أن غياب الرئيس ضياء الحق عن الحياة السياسية في باكستان قد طرح تساؤلات عديدة حول مستقبل البلاد ليس فقط علي صعيد السياسة الداخلية والخارجية ، إنما أيضا علي صعيد البلاد .

عن الوضع الراهن في البلاد تحدث الناطق بلسان أساقفة باكستان الكاثوليك فقال ، كان الرئيس ضياء الحق يقظا في تصرفاته تجاه الجماعة المسيحية المحلية التي تشكل ١٫٨٪ من عدد السكان وعلي الرغم من إعلانه الإسلام ديناً رسميا في البلاد فإنه أكد علي أن حقوق الأقليات الدينية ستظل محترمة في باكستان وفي طليعتها حقوق الجماعة المسيحية) .

إن هذا الخبر يقول وبطريقة لاتخفي علي أحد أن إدخال الديانة الإسلامية إلي أي بلد أو تطبيق الشريعة الإسلامية بها يعد انتهاكا صارخا لحقوق الإنسان و إنه أمر يلقي معارضة من قبل بعض الأطراف الإسلامية ومن المنظمات المسيحية لهذا السبب وكذلك يقول الخبر إنه ينبغي عي أي حاكم مسلم في أي بلد مسلم أن يكون (يقظا في تصرفاته تجاه الجماعة المسيحية المحلية). علي غرار يقظة الرئيس ضياء الحق في باكستان والذي (علي الرغم من إعلانه الإسلام دينا رسميا فإنه أكد علي أن الأقليات الدينية ستظل محترمة في باكستان وفي طليعتها حقوق الجماعة المسيحية) .

ولاشك أن خطورة الأمر هنا لا تقتصر فقط علي مجرد الهجوم علي الإسلام ومحاولة تشويهه بل في الطريقة والأسلوب الذي جري به هذا الهجوم ايضا - فقد وضع الهجوم أولا الموقف في قالب الخبر لكي يبدو أنه(حدث فعلي) وليس ر.أيا أو فكرة ومن ناحية أخري نسبته المحطة إلي مصدره الأصلي (إذاعة باكستان) - فبدت هي (بريئة من المسئولية) وجاء الموقف ضد الإسلام متسترا في ثياب الأخرين ناطقا بلسان(باكستاني) .

إذاعة حول العالم TRANS WORLD RADIO

بدأت هذه الإذاعة إرسالها من طنجة في المملكة المغربية عام ١٩٥٤م تحت اسم (صوت طنجة) وكانت تعمل بواسطة جهاز إرسال صغير قوة ١٠ كيلوواط وتوجه إرسالها بالفرنسية والإيطالية والإنجليزية لإفريقيا ثم أضيفت اللغة العربية مؤخرا والمحطة أسسها القس الأمريكي (بول فريد) - وتطورت الإذاعة وأصبحت تنتج بعض البرامج من عدد من الاستوديوهات التي تملكها أو تستأجرها في عدد من البلاد الأوربية والشرق أوسطية . وأصبحت تبث برامجها بالعربية والفرنسية والمصرية والألمانية والإيطالية والبرتغالية والإسبانية والروسية والإنجليزية وعدد من اللغات الأخري وفي عام ١٩٦٤ توسعت دائرة البث وأصبحت لدي المحطة قواعد للبث من هولندا ،، وقبرص وسوازيلاند وأسرعت الهيئات والمنظمات الكنسية لاستغلال موجات هذه الإذاعة واستئجارها لفترات معينة يوميا لإذاعة برامجها ورسائلها الدينية

البرامج :

تبدأ هذه المحطة برنامجها العربي بعد انتهاء إذاعة مونت كارلو مباشرة أي من الثانية عشرة إلا ثلثا قبل منتصف الليل وتقدم عددا من البرامج المتنوعة منها .

١- دروس في الكتاب المقدس :

وهو برنامج يومي متخصص في شئون الكتاب المقدس يقدمه أحد القساوسة في شكل حديث مباشر بأسلوب وعظي يقرأ فيه بعض النصوص من الإنجيل ويقوم بشرحها و تنتج هذا البرنامج إحدي الهيئات النصرانية المتخصصة في السودان وتسمي نفسها (ساعة الإصلاح) ويطلب مقدم البرنامج من مستمعيه في نهاية البرنامج أن يكتبوا له أسماءهم وعناوينهم بخط واضح علي عنوان (ساعة الإصلاح – ص . ب – الخرطوم – السودان) لكي يرسل لكل منهم نسخة من الكتاب المقدس تمكنهم من متابعة البرنامج.

٢-- مشوار المساء :

وهو برنامج يومي يستمر لمدة ١٥ – ٢٠ دقيقة به فقرات متنوعة تتناول الخواطر والتأملات والحكايات التي يصادفها الإنسان في حياته اليومية والحكم والمأثورات وتنتهي في آخر المطاف لتصب في وعاء المسيحية مذكرة بسلوك المسيح وتعاليمه مرددة بعض عبارات الإنجيل .

٣- حديث المساء :

يقدم هذا البرنامج يوميا ولمدة ربع ساعة وهو لا يختلف كثيرا عن سابقه ويكثر من الاستشهاد بعبارات من الإنجيل ومواقف من سيرة المسيح كما يجيب علي أسئلة المستمعين.

٤- خبز الحياة :

برنامج اسبوعي تدور حلقاته حول الكتاب المقدس ولا يختلف كثيرا عن برنامج دروس من الكتاب المقدس

٥- تحطمت القيود :

برنامج أسبوعي يقدم تمثيليات مسلسلة لمدة ربع ساعة ويشير في مقدمته إلي أنه (برنامج إسبوعي يقدم لأول مرة باللغة العربية وبصورة تمثيلية لقصص واقعية لأشخاص حقيقيين من مختلف بلاد العالم وكيف تغيرت حياتهم تماما وتحطمت قيود الخطيئة و الظلام عنهم عندما تعرفوا بصورة واضحة علي شخصية السيد المسيح – هذا البرنامج الفريد يذاع الآن حول العالم أكثر من ألف مرة كل أسبوع في العديد من اللغات ويتابعه ملايين المستمعين عبر محطات الإذاعة في قارات العالم المختلفة) . وفي بعض الأحيان يسعي البرنامج إلي إثارة بعض القضايا التي تكون موضع خلاف بين المسيحية والإسلام ويتم الرد عليها من وجهة النظر النصرانية من خلال التمثيلية ومن هذه القضايا مثلا موضوع تحريف الإنجيل

٦- مشكلة وموقف :

برنامج أسبوعي مدته ربع ساعة وهو مخصص للنساء وهو يعرض مشكلة ترسلها مستمعة تسرد فيها

التجربة التي وقعت لها وتطوراتها والمواقف التي تضمنتها ثم تشرح كيف انتهت الأزمة وكيف زالت المشكلة بفضل الإيمان بالمسيح المخلص ..

وهو نوع من أنواع الموعظة ودعوة إلي الإيمان بالمسيح والمسيحية لتجنب الوقوع في المشاكل

٧- كل الكتاب :

برنامج أسبوعي مدته ربع ساعة يتناول في كل حلقة مقطعا من مقاطع الإنجيل بقصد دراسة (كلمة الله الحية المباركة وغرض البرنامج شرح الإنجيل وتفسيره وحث المستمع علي اقتناء نسخة من الإنجيل ليتمكن من متابعة الشرح .

٨- كلمات ومعان :

برنامج أسبوعي مدته ربع ساعة ويقوم بشرح معاني بعض الكلمات والتعبيرات المسيحية ومن خلال الشرح يتطرق البرنامج إلي كل مايمكن أن يقال حول الموضوع ففي إحدي الحلقات وعندما عرض البرنامج لمعني كلمة (يسوع المسيح) شرح معني التعبير ثم تطرق إلي الحديث عن من أطلق هذا الاسم علي المسيح ثم سرد قصة مولده بكل تفاصيلها وكيف أتي (لكي ينفذ مهمة إنقاذ الإنسان من الخطيئة والشر ثم استطرد المذيع) (أجل صديقي المستمع إن الله من فرط محبته لنا ارتأي أن يتنزل هو نفسه من خلال كلمته الأزلية لينقذ الإنسان وهكذا تجسدت كلمته الأزلية عن طريق الروح القدس في شكل يسوع المسيح المخلص هل تريد صديقي المستمع أن تستفيد من خلاص الله الذي أعلن بواسطة شخص المسيح ؟ لم لا تكفر الآن عن ذنوبك و تؤمن بهذا الشخص الفريد وعمله الكفاري وهكذا تنال هبة الغفران ويملك المسيح علي قلبك وتضمن دخولك إلي الامجاد السماوية) .

٩- الحكمة السرمدية :

برنامج أسبوعي مدته ربع ساعة يركز علي نماذج بشرية اهتدت إلى الطريق الصحيح بعد أن تخبطت طويلا في ظلمات الجهالة ويحكي البرنامج قصص هؤلاء الأشخاص ثم يعرج بالحديث عن المسيح والمسيحية وضرورة الإيمان بهما فيقول مثلا في إحدي القصص الذي يعرض فيها بالإسلام (تلميحا فالمسيحي يجد أن الصلاة هي الحديث مع الله وتقديم المشاكل الخاصة له وهي تسبيح قلب المؤمن الشاكر المتهلل هي كلام تلقائي صادر من القلب ، لاترديد عبارات معينة مرارا وتكرارا (يقصد صلاة المسلمين) والمدهش أن هذه الصلاة تستجاب ... والكتاب المقدس ليس فقط كتاب قوانين يجب أن تطاع (يقصد القرآن) بل هو كتاب عن محبة الله) .

١٠ - صوت أكاديمية العلوم :

برنامج يهتم بالموضوعات العلمية وثيقة الصلة بالإنسان وخاصة صحة الجسد ويستثمر البرنامج الحديث عن الصّحة والجسد ويتحدث أيضا عن صحة الروح وصلة ذلك بالمسيح والمسيحية .

١١- نهر الحياة :

برنامج أسبوعي يقدمه أحد القساوسة ويستمر لمدة ربع ساعة ويتعرض كل أسبوع لمشكلة اجتماعية كالزواج وتربية الأولاد والإنفاق والادخار والخ .. ثم يوضح رأي المسيحية في المشكلة .

١٢- كلمة معك :

برنامج أسبوعي يقدمه أحد القساوسة يستمر لمدة ربع ساعة وهو موجه للشباب ويبين لهم القدوة من الرموز المسيحية .

١٣- أنباء سارة :

برامج أسبوعي يبدأ بالقول إنه يسعي (للتعرف علي ما يسعد قلوبنا ويثير عقولنا من معلومات عن الله مع جنسنا البشري) ويعرض بعض نصوص الإنجيل ويتناولها بالشرح والتفسير .

١٤ - من ألقاب السيد المسيح :

برنامج أسبوعي لمدة ربع ساعة وهو مخصص لسيرة السيد المسيح .

١٥ - ترانيم في الليل :

برنامج أسبوعي يقدم مجموعة من الأناشيد الدينية المسيحية القصيرة تصاحبها الموسيقي وبين كل ترنيمة و أخري مقتطفات وعبارات من الحكم والأمثال والطرائف .

ومن هنا يتضح أن هذه المحطة تسعي للتعريف بالنصرانية والدعوة للدخول فيها من خلال تقديمها علي أنها عقيدة الخلاص للبشر و أن (يسوع المسيح) هو الله المخلص وهو (الذي نزل من السماء علي هذه الصورة وصلب من أجل أن يخلص الإنسان من خطاياه) وجميع برامج الإذاعة قد أعدت لتحقيق هذا الهدف فهي إما برامج دينية صرفة ومباشرة أو أنها برامج تتناول صورا من واقع الحياة (أو الخيال) ولكنها تعود في النهاية لنتيجة واحدة هي (يسوع المخلص) .

أساليب إغراء المستمع :

هناك ثلاثة أساليب تعتمدها هذه الإذاعة لترغيب المستمعين فيها :

١- إرسال نسخ مجانية من الكتب الدينية للمستمع وبذلك تكون قد وزعت الكتب وأغرت المستمع بمتابعة الإذاعة - أي أنها نشرت رسالتها المكتوبة والمسموعة في أرجاء المعمورة في آن واحد .

٢- إشراك المستمعين بإذاعة مقترحاتهم وآرائهم والإجابة علي أسئلتهم مع ذكر الاسم والعنوان لإرضاء المستمعين وإ شباع رغباتهم .

٣- إرسال هدايا أخري غير الكتب

الخاتمة :

يقول زويمر رئيس إرسالية التبشير السابق في البحرين ومؤسس معهد زويمر

للدراسات الإسلامية في كاليفورنيا)

(.. إن الوصول للمسلمين بالمسيحية ليس مستحيلا - إنه يحدث اليوم وإن ما بالحقول قد استوي وحان قطافه والله قد لمس قلوب الكثيرين للاستعداد لهذا القطاف) .

وضح لنا من خلال هذا العرض الجهود الكبيرة والأموال الضخمة التي تبذلها الهيئات والمنظمات والمؤسسات الكنسية لغزو المسلمين في عقر دارهم عبر موجات الأثير الهادئة التي تتسلل لملايين الآذان المسلمة ليلا وعليه لابد من أن يتحمل المسلمون مسئولياتهم ويفعلوا شيئا أمام هذا الغزو الفكري المنظم والمخطط بدقة وعناية :

{ قال تعالي وهو أصدق القائلين (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدو ا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلي جهنم يحشرون (٣٦) الأنفال

{ وقال (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون) (١١٠) آل عمران .

وأقل مايمكن أن تفعله أجهزة الإعلام الإسلامية :

١) تزويد الجماهير المسلمة والنصرانية وغيرها بحقائق الإسلام لدحض المفاهيم المغلوطة التي تبثها أجهزة الإعلام النصرانية عن الإسلام.

٢) تزويد الرأي العام العالمي بالرؤية الإسلامية الصحيحة للقضايا المعاصرة

٣) توضيح موقف الإسلام من الأديان والعقائد الأخري

٤) تقديم الحلول الإسلامية للمشكلات الدولية الراهنة

٥) تحصين الشباب المسلم ضد هذا الغزو الآثم .

ولايتأتي هذا إلا بما يلي :

١) تدريب كوادر من العناصر المسلمة المؤمنة بقضايا الأمة والمؤيدة لها للعمل علي التخطيط للإعلام الإسلامي ومتابعة التنفيذ .

٢ استثمار كافة الإمكانات المتاحة للمسلمين لنشر الدعوة الإسلامية علي أوسع نطاق عبر أحدث وسائل الاتصال الجماهيري ومنها الإذاعة المسموعة والمرئية .

٣) تبادل الخبرات والمعلومات بين الأجهزة الإعلامية الإسلامية في الدول الإسلامية المختلفة .

والله المستعان ...

المراجع والمصادر:

١- د. كرم شلبي - الإذاعات التنصيرية الموجهة إلي العرب والمسلمين - مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة ١٩٩١م

٢- ماجي الحلواني - مدخل إلي الإذاعات الموجهة - دار الفكر العربي - ط ١ : - القاهرة ١٩٨٣م

٣- شاهيناز بسيوني : الإذاعات الدينية والصراع الدعائي الدولي في إفريقيا - مجلة بحوث الاتصال - جامعة القاهرة - العدد الثالث ١٩٩٠م

٤- عبدالمجيد شكري الإذاعة الإسلامية المسموعة والمرئية وطموحات المستقبل - مركز صالح كامل لدراسات الاقتصاد الإسلامي - القاهرة ١٩٩٢م

٥- محمد السماك - الإعلام الديني في الشرق الأوسط مجلة الدراسات الإعلامية - العدد ٦٦ يناير مارس ١٩٩٢م القاهرة

٦- د. عبدالرحمن أحمد عثمان مشروع تنصير قبيلة الفولاني - المركز الإسلامي الإفريقي - شعبة البحوث والنشر دار المركز الإسلامي الإفريقي للطباعة -١٩٩٠

٧- د. محي الدين عبدالحليم : إشكاليات العمل الإعلامي بين الثوابت والمعطيات العصرية - كتاب الأمة العدد ٦٤ - ربيع الأول ١٤١٩هـ

٨- 8. Head , Sydney , Broadcasting in Africa , Temple Universiy Press , Philadelphia , 1974

٩- 9. David , Bareth , WorldChristian Encylopedia , Oxford UnivesityPress , ١٩٨٣

١٠- 10. Jones , Clarance , Radio : The New Missionary , Mody Press , Chicago , ١٩٦٤,

١١- 11. Armstrong, Ben, The Electric Church, Thomas Nilson Publishers , 1979

١٢- 12. Jackson , B. F . Television , Radio , Film for Churches , Nashville T.V. Arlington Press . 1969.

١٣- 13. Hilton , Robert , Vatican Radio , The Catholic World , April 1970

التعقيب علي الأوراق المقدمة من الآستاذ بابكر قدرماري - والدكتور مختار عثمان - والأستاذ عبدالله علي الصافي

(١) رئيس الجلسة بروفيسور يوسف فضل

إذا سمحتم أن أبدأ أنا بإثارة موضوعين أو ثلاثة حتي يستعد الآخرون لإبراز ماعندهم من نقاط الأورراق في الحقيقة جيدة إذ أن بعضها يتحدث عن الإعلام وبعضها يبسط صورة بعض المسلمين في قارة إفريقيا لكنها عموما تكمل بعضها ومن هذه الناحية أعتقد أنها عمل جيد وفيه تنبيه لنا في أكثر من قضية وقد كنت أتمني أن تثير هذه الأوراق الثلاث الأثر النفسي وغلبة روح الإحباط والفشل علي المسلمين عموما . فكلنا يتكلم ويقول إنه يريد أن يعمل ولكنا أثبتنا بما لايدع مجالا للشك أننا نترصد أخطاء الغرب في كل شيء نعمله وهذا يترك أثرا سيئا جدا في نفوس المسلمين ومن يريدون الإسلام أو يودون أن يلتحقوا بركب المسلمين .

كنت أتمني أن نثري هذه النقطة بالنقاش علي أي مستوي إعلاميا كان أم غيره

النقطة الثانية كنت أتمني أيضا أننا إذا تكلمنا عن الجمعيات التنصيرية البحتة وجمعيات مسلمة أو إسلامية أخذت بالنهج الكنسي في التبشير ولنا رأي فيها ويمكن أن يكون توجهها الإسلامي مشبوها مثل القاديانية والأحمدية فقد عملوا عملا كبيرا جدا في إفريقيا خاصة في نيجيريا وفي ليبيريا وفي سيراليون فكنت أتمني أن يشير بعضنا في هذه الأوراق إلى هذه النقطة .

اتفق مع البروفيسور مختار فيما قاله من أن هناك تعتيما لعملية الترغيب واتباعنا للمنهج التقليدي في تقديم البرامج الدينية ويكاد لايختلف تقديمنا للبرامج الدينية عما يقدم في داخل الخلوة أو الزوايا أو المساجد .

إننا نجد أنفسنا في مواجهة عشر محطات فضائية تنافسنا والخطر الفضائي ليس هو فقط أن ننقل ماعندنا للخارج وإنما يأتينا مافي الخارج بصورة مكثفة أكثر مما كان في الماضي فأصبحنا لذلك مكشوفين بصورة أكبر .

وأتقدم للبروفيسور بهذا السؤال ماذا أعددنا لمواجهة هذا الخطر ؟ هل أعددنا شيئا مثل الأثر النفسي ؟ وهذا النهج التقليدي يحتاج إلي دراسة أكثر وليس فقط أن نقول إن نهجنا تقليدي ثم نعدل فيه . أحيانا نحن نتحدث - قبل يومين كنت في منظمة الدعوة الإسلامية وذكر أحد الإخوة حقيقة هامة وهي أنه لايكاد يمضي يوم حتي ينتسب إلي الإسلام حوالي مائة شخص ، لكنه قال إن هؤلاء المائة يرتدون عن الإسلام بعد ثلاثة أيام .

والسؤال الذي يتحرك في داخلي هل لدينا إحصائيات دقيقة تبين عدد من يسلمون في أول كل شهر أو في كل سنة ؟

ومن يتتبع المسيحية يتهيأ لي أحيانا والله أعلم أن هناك دعاية مغرضة تظهر المسلمين وكأنهم في حالة

لضعف حتي يفتروا بهذه الحقيقة وينشغلوا بها ويطمئنوا إلي مايفعلونه وفي واقع الحال فإن التوسع للعقيدة المسيحية وليس العكس وقد أكون مخطئا ولكن الحقيقة أن هؤلاء الأخوة الثلاثة قد درسوا الموضوع دراسة دقيقة . وأتوجه إليهم بهذا السؤال هل لدينا إحصائيات دقيقة تمكننا من الإجابة عن مثل هذه الأسئلة ؟ وإذا لم يكن لدينا فكيف نعد العدة لتوجه الآلية التي تمكننا من الحصول علي الإحصائيات المطلوبة . و أفتح الباب للمناقشة

(٢) الشيخ عطية محمد سعيد

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله .

جزي الله الإخوة الكرم كل خير علي هذا الجهد الذي بذل في توضيح آثار الإعلام وأهميته وآثاره في الدعوة وإن كانت الدعوة إلي العقائد غير الإسلامية .

وفي الواقع فإن هذه الأوراق مهمة جدا وتستحق دراسة مستوفاة وتستحق وقفات يجب أن نقف عندها فالعالم الغربي والمنظمات الإرساليات الكنسية تركز تركيزا واضحا ومكثفا علي إيصال صوتها إلي كل الدنيا في الإذاعة وفي وسائل الإعلام الأخري كالتلفزيون والسينما وقد وصل الآن الانترنيت وحتي الصور العادية فكل شيء يصنع من أجل الكنيسة ، فالجوانب الفنية والديكور كلها وسائل تتخذ لخدمة التنصير فإذا نظرنا إلي نوافذ هذه القاعة فسنجد أن الصلبان موجودة فيها وحتي الرسومات في المســاجد والسجاجيد وكل التصميمات سيكون الصليب واضحا فيها ، فهذا الإعلام الكثيف الذي يواجهنا في كل مكان ويؤثر علينا سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر يستحق منا وقفات قوية وعلمية ، وافلام العنف وبرامج الأطفال والصور المختلفة كلها تقتضي منا أن نقف إزاءها لنري كيف نُوجه برامجنا الإسلامية نحوها وفي مقابلها .

ولقد قال الدكتور يوسف فضل إن برامجنا لاتختلف تقريبا عما يقدم داخل الخلاوي والزوايا ومما يروي عن المرحوم الدكتور عوض دكام أنه قيل له افتح التلفزيون قال لا أنا ما متوضيء ولايمسه إلا المطهرون ونحن محتاجون فعلا إلي فهم إعلامي وإلي مسّ ومعرفة بالنفسية البشرية والترويح بين القلوب ساعة فساعة شيء لازم للإنسان ولكن يجب أن يكون في صورة مقبولة إسلاميا ونبتعد عن الإسفاف الذي نراه في بعض مسلسلاتنا أن نبتعد كذلك عن البرامج الجافة حتي لايسأم الناس ويملوا وهذه كلها أشياء نلفت نظر أهل الإعلام إليها حتي نجد وزنها واعتبارها .

قبل أيام ذكر أحد الباحثين أن إذاعة من الإذاعات قد أخرجت مصحفا جديدا ونسب للنبي صلي الله عليه وسلم بالصورة والصوت وتقلد فيه القراءة القرآنية فتوخذ اللهجة والفقرة والنبرة ، وعن طريق الكومبيوتر يخرجون أيضا كلاما وكأنه قرآن ، وكتب وكراسات الأطفال التي نوزعها في مدارسنا مطبوعة في اندونيسيا ومع الأسف في ذلك البلد المسلم وفيها صورة محمد وصورة كابتن ماجد وهو واقف وتحت قدمه مرسوم اسم محمد المهم إن آثار الإعلام في التلفزيون وفي الإذاعة أصبحت طاغية ولا نستطيع مجافاتها ودخلت البيوت وسيدخل لك الدش الصورة التي لا تريدها وأرجو من إخواننا علماء الإسلام وإخواننا في

الجامعات وأصحاب المال أن يساهموا في حمل رسالة الإعلام الإسلامي بوعي ودراسة وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم .

(٣) الطيب عبدالرحيم

لقد ذكر الاخ قدرماي أن اليهودية دين مغلق وكلنا يعلم ذلك ولكنه الآن بدأ ينفتح عندما بدأ التسلسل الخفي وبدأ يظهر الادعاء بأن كثيرا من القبائل الإفريقية يهودية في الأصل ومنهم التامبل في أسيا والفلاشا والإيبو في إفريقيا ، فالتاميل عدوهم يهودا أصلا وكذلك الفلاشا أما الإيبو فلهم تاريخ قبل حرب بيافرا وتاريخ بعدها فتاريخهم قبل حرب بيافرا يقول إنهم عرب أما تاريخهم بعدها فيقول إنهم يهود لأن العرب والمسلمين وقفوا مع الحكومة الفدرالية واليهود مع الإيبو والمقصود اليهودية بمعني الدين وليس العنصر وكان هناك عدد من الديانات اعتنقتها هذه القبائل اليهودية والعربية .

وما أريد أن أنبه الإخوة إليه هو أن هناك تسللا خفيا ودقيقا يجب أن يدرسه المؤتمرون ويخرجوا باقترحات واضحة في الأوراق المقدمة عن كيفية الاستفادة من هذه الاقتراحات .

وهناك خط يهودي معين بدأ يسلك خطا مسيحيا وهو شهود يهو وهم بارعون جدا في التبشير حيث يدخل عليك البيت ويطلب منك السماح له بمناقشتك ويكرر هذا الطلب مرات ولو أننا تعلمنا كيف نجرؤ للتبشير بالاسلام بذات هذا المستوي حتي نبشر ضدهم لكان ذلك خير .

ذكر الأخ قدرماري التعدد عند المسيحيين وأذكر أنني حضرت جلسة في نيجيريا كانت تضم اثنتين من المسيحيات واثنين من المسلمين وكان عنوان هذه الجلسة التعدد وعدم التعدد أما المسلمان وهما قد درسا في بريطانيا فقالا إنه لا حاجة بنا إلي التعدد والمسيحيتان إحداهما اسمها كشولا قالت ماذا يضيركم لو وافقنا علي أن نتزوج رجلا عنده عشر نساء ؟ فهل أنتم تحسّون بآلام المرأة غير المتزوجة؟ فرد عليها أحدهما قائلا ولكن هناك ضائقة اقتصادية فردت عليه أي اقتصاد تتكلم عنه؟ فأيهما أفضل خمسة مرتبات أم مرتب واحد ؟ خمس أياد عاملة أم يد واحدة ؟ فسكتا وهذا في القرن العشرين وفي نيجيريا فما تطرق إليه الأخ قدرماي صحيح .

وأخيرا أسلمة الأسماء فهناك تسلل خفي فقد ذكر الاستاذ قدرماري أنه كان عنده في نيجيريا طالب اسمه محمد وكنت أتحمس إليه وأتكلم عن الإسلام حتي جاءني طالب آخر ليخبرني بأن هذا الطالب مسيحي ولا حول ولا قوة إلا بالله .

وقد استمعت مرة إلي الإذاعة فسمعت برزرم محمد في نيجيريا وبرزم محمد هذا قسيس وهذا تسلل خفي وأرجو من المؤتمر أن يركز علي دراسة هذه الأمور دراسة وافية حتي يخرج باقتراحات مفيدة في هذا الموضوع نستفيد منها ونفيد المسلمين .

وهناك أبحاث كثيرة وإذاعات متعددة في العالم كما ذكر الاستاذ الصافي فماذا نفعل نحن الآن ؟

وتكلم الدكتور مختا ر عن الإعلام . والإعلام الإسلامي يبدأ بالشك فإذا رفضه الإعلاميون فأذكر لهم أنه الإعلام الذي أنتجه (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) فأين التبيين الذي وجهنا إليه؟ فإذاعة لندن تخلق ازمة بين السودان وليبيا من لندن وتخلق قضية بين السودان وغيره من لندن أيضا ونحن مسلمون ولابد من دراسة هذه الظاهرة في مؤتمرنا هذا وأن نركز تفكيرنا لنخرج بتوصيات قوية تمكننا من تفادي هذه الأخطار وشكرا للمتحدثين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ,

مداخلـــة

بمبا يوسف من ساحل العاج مركز البحوث والدراسات الإفريقية بسم الله والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وصحبه ومن والاه أشكر الأساتذة الإجلاء الذين تقدموا بهذه الأوراق القيمة .

وأركز حديثي في الوسائل التي يتخذها الغرب لنشر أفكاره في أوساط المسلمين وربما نسي الاستاذ وسيلة المنهج لأن المنهج الذي ندرسه في مدارسنا الإسلامية استطاع المسيحيون أن يخترقوه ليدخلوا فيه بابا من أبواب التنصير ، تلك هي المناهج الوافدة إلينا فالنظريات التي ندرسها في علم الاجتماع مثلا أو علم النفس كلها نظريات غربية والذين قاموا بوضع هذه النظريات كلهم مسيحيون ، ونحن لدينا علماء أجلاء أمثال الإمام الغزالي وشيخ الإسلام ابن تيميه ، ولكن قلما نجد في دراستنا أفكارا لمثل هؤلاء الشيوخ ، فعلينا أن ننظر إلي هذا الجانب لأن هذا هو مايريده لنا الغرب ، وكثير من أساتذتنا درسوا علم النفس في الغرب وجاءوا إلينا بهذه النظريات وأصبحنا متفاعلين جدا معها ، وهي دليل علي حربهم للمسلمين فعلنا إذن أن ننظر بجدية لمنهج التعليم في مدارسنا وجامعاتنا .

ثانيا : تحدث الاستاذ عن اللغات القومية ، وإنني أجد أن الغرب يساعد الأفارقة علي تطوير لغاتهم المحلية بترجمة الانجيل بهذه اللغات وإنني لا أعارض في كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي ، كما رأت ذلك منظمة الايسيسكو وتدربنا فعلا علي ذلك ولكن إذا كانت هناك شعوب إفريقية أرادت أن تكتب لغاتها بحروفها فأري أن واجب المسلمين أن يقدموا لها المساعدة الممكنة طالما هي شعوب اسلامية ، فمثلا لغة الماندنقو التي تحدث عنها الاستاذ ، فنحن في غرب إفريقيا كثيرون جدا وهذه اللغة مطبوعة ولدي كتب مكتوبة بها وقد حدث أن أحدا من كندا درس هذه اللغة وكتب بها الأناجيل في كتيبات صغيرة فجاء بعض الإخوة وأخذوا هذه الكتيبات وجاءوا بها إلينا لكي نرد عليه ،

لأن الإخوة الموجودين هناك ليس لهم وسيلة للرد عليه ، فعلينا نحن المسلمين أن نستفيد من هذه الجهة ، وأخيرا أريد أن أسال ماهو دور المنظمات الإسلامية في التصدي لمثل هذه الأنواع ؟ ولقد عشت في كثير من المناطق في غرب إفريقيا ولم أر حقيقة دورا للمنظمات الموجودة هناك ، وأريد أن أسال الأساتذة أن يذكروا لنا دور هذه المنظمات والإذاعات .

مداخلة : الدكتور إبراهيم عكاشة

أولا أتقدم بالشكر للإخوة المحاضرين وعلي رأسهم البروفيسور يوسف فضل

الموضوع الذي تعرض له الإخوة الثلاثة مرتبط بعضه ببعض كما ذكر البروفيسور يوسف فضل وأبدأ حديثي بورقة الأستاذ بابكر التي تعرض فيها إلي وسائل تنصير المسلمين فقد ذكر في هذه الورقة أشياء متعددة وهي ورقة جيدة ولكنه نسي بعض الأشياء الهامة التي يعدها المنصرون جزءا هاما في عملية ووسائل التنصير مثل وسيلة صناع الخيام وهي من الوسائل الهامة جدا التي يركز عليها المنصرون في كل المناطق المغلقة التي لا يستطيعون الدخول إليها إلا عن طريق التنكر وهذه الوسيلة قد أتت أكلها في منطقة الخليج ، حيث قامت هناك كنائس كثيرة متعددة ، والمنّصر لا يأتي منصرا يلبس زي الرهبان ولكنه يأتي بوصفه عالما واستاذا ومنقبا عن البترول وغيره ، ويعكس بذلك صورة قشيبة للنصرانية حتي يطمئن إليه أهل البلاد وبذلك تخف وطأة الشعور بوجود النصرانية في الجزيرة العربية والنقطة التالية التي لم يشر إليها بوصفها وسيلة من الوسائل الإعلامية الإعلامية ولكن أغناه الإخوان عن هذه المسألة وغطوا هذا الجانب كليا .

وبالإضافة إلي المؤتمرات الكونية التي يحضرها المنصرون وإنني لا أشك مطلقا في أن مؤتمري المرأة اللذين عقدا مرة في القاهرة وأخري في الصين كانا يهدفان لعمل تنصيري لخلخلة المرأة المسلمة – وإدخال كثير جدا من الشكوك في نفسيتها حتي ينهدم البيت المسلم . والمنصرون استهدفوا في تنصيرهم المسلمين لابقصد تحويلهم إلي نصاري ولكن بقصد إضعاف أثر الدين في نفوسهم حتي لايبقى عندهم من الإسلام إلا الأسماء الإسلامية فقط . وندلف إلي موضوع آخر وهو موضوع التجارة وهي مصدر من المصادر الأساسية لتمويل الإرساليات التنصيرية وهناك كثير من الشركات الأمريكية والبريطانية لا عمل لها سوي إيجاد التمويل للإرساليات التنصيرية ، وهذه الشركات معفاة من الضرائب ولذلك لاتقف أمامها مشكلة تعترض طريقها وتمنعها من أداء رسالتها ، ولكن الدعوة عندنا تتساقط كل وسائلها عندما تحدث أيَ إشكالية سياسية بين دولة وأخري ورغم أن هناك كثيرا من الشركات التجارية في الغرب قد خصصت لنشر النصرانية ولكننا نجد أن المذهب الكاثوليكي لايرتبط بهذا الجانب التجاري لأنه يري أن التعامل مع التجارة كالتعامل مع الشيطان ، ومن ثم كان رفضه واضحا وصريحا لهذه العملية التجارية .

أما النقطة الثانية التي أود الحديث فيها ، فإنني أوجه حديثي لاستاذنا مختار وللأخ عبدالله ، فقد عرضا موضوعا جميلا وبطريقة سلسة ومسهبة . ولكن لدي تساؤلات مفادها لا يري إخواننا الإعلاميون أن العولمة آتية سواء رضينا أم أبينا ؟ وهذا سؤال أعرضه بصورة واضحة وصريحة لأن أول باب تطرقه العولمة هو باب الإعلام ثم تتجه منه إلي السياسة وبعد ذلك إلي الأمن والي الأنشطة كلها وحتي كرة القدم دخلت العولمة مجالها في هذا الإطار العام . وثمة سؤال آخر ألا يري الإعلاميون أيضا بأن عولمة الدين آتية لا ريب فيها ؟ فالغرب يفكر في ذلك بكل جدية ، فهو كما عولم الاقتصاد وعولم السياسة ، وعولم كل شيئ بعولم الدين ويجعل الدين النصراني هو الدين السائد والدين الوحيد في هذا الكون فما هو موقفنا من هذه العولمة ؟

(٦) مداخلة من أحد الحضور:

ما أثير عن الإعلام كثير وقد كنت أود أن يكون هناك زمن حتي أستطيع أن أعالج فيه بعض القضايا .

ولعلي أوفق الآن في التعرض إلي قضيتين :

الأولي هي عملية العولمة أو مفهوم النظام العالمي الجديد ، وإن لم يفهمه الناس فهما صحيحا فهو يشمل جميع حياتنا إعلاميا واقتصاداً أو سياسة واجتماعـــا ودينــا فيكـون النـــاس مثل بعضـهم ومتســاوين في كل هذه الأشياء .

لقد بدأ الدكتور إبراهيم حديثه بالإعلام وكلامه صحيح في هذا الجانب لأن الإعلام هو الواجهة التي تحرك كل هذه الأشياء .

وهذا ينقلني إلي القنوات الفضائية لأنها تعتبر من ظواهر العولمة التي اكتسحت كل الأشياء وسيتمدد أثرها وسوف يكون لها تأثير كبير .

وقد أتيح لي أن أزور انجلترا في زمن قريب فوجدت أن الإنجليز يتخوفون من البث التلفزيوني الفرنسي لاعتقادهم أن الفرنسيين أكثر خلاعة منهم وأكثر انفتاحا ، فالخوف إذن ليس مقصورا علينا وحدنا وإنما هو موجود في كل العالم وهذا تحدّ كتب علينا أن نواجهه إذ أنه لا أحد يستطيع أن يقف أمام القنوات الفضائية وهناك تكنولوجيا آتية تسمح لك بمشاهدة كل شيء عبر التلفزيون دون الاستعانة (بدش) كبير فالتكنولوجيا متقدمة جدا في هذا المجال .

وهناك جانب آخر يمكن معالجته من خلال القنوات الفضائية المتخصصة فلدينا في السودان قناة خاصة وتحاول أن توجه المشاهد إلي برامج معينة ولعل المملكة العربية السعودية قد اتجهت نفس هذا الاتجاه ، فهي تحدد قنوات معينة ليتعامل معها الناس بعيدا عن الدش المفتوح الذي يسمح بمشاهدة كل شيء .

ويتساءل بعض الناس هل المسلم لديه حصانة طبيعية من كل مايحدث ؟ ونستطيع أن نقول إن الإنسان المسلم بعد كل تلك التحديات التي واجهته عاد مرة أخري الي الالتزام بالإسلام وهذا يوضح بأنه ربما كانت للإنسان المسلم حصانة طبيعية يستطيع بها أن يقاوم إلي حد ما وهذه المقاومة ليست مقاومة مطلقة ، إذ أننا نحتاج إلي أن نقوي أساليبنا الإعلامية وأن نوجّه رسالتنا .

ولكن يبدو لي أنه ليس هناك حل لهذه القضية ، فسنواجه بمد إعلامي يؤثر علينا ولاشك في ذلك ويؤثر في سلوكياتنا ولكن هذه الأجهزة التكنولوجية قد أتاحت لنا كذلك فرصة أن نبعث برسائلنا ، فما المانع أن تكون رسالتنا قوية وذات تأثير يكون بنفس القدر الذي يؤثر به الآخرون .

و أختتم حديثي بأنه ليست لنا حلول جاهزة لهذا الموضوع ، وهذا الأمر يحتاج إلي جهد وإلي بحث وإلي مؤتمرات متخصصة .

واعتقد أن الإنسان المسلم له ما يحميه من هذا المد الصليبي وإكتفي بهذا القدر .

النشاط الكنسي في إفريقيا

بإشارة خاصة لاستراتيجية النشاط الكنسي في السودان

عطا محمد أحمد كنتول *

تمثل هذه الدراسة محاولة متواضعة لتلمس مسيرة النشاط الكنسي في إفريقيا وبصفة خاصة في السودان بهدف التعرف علي حجمه وطابعه في ظل التطورات السياسية التي برزت في الساحة السودانية ، وتوضح إلي أي مدي أثرت تلك المتغيرات في مسيرة النشاط الكنسي ، وتمثل محاور التناول في استعراض بواكير النشاط الكنسي في إفريقيا وواقعه واستراتيجيته في السودان في ظل الاستقلال .

بواكير النشاط الكنسي في إفريقيا :

لقد انتشرت المسيحية في نهاية القرن الثاني الميلادي في ثلاثة أقطار في إفريقيا هي مصر والشمال الإفريقي وإثيوبيا وظهرت بعد ذلك بضع ممالك مسيحية في الإقليم المتاخم لإثيوبيا ، وقد ظلت شعوب تلك الأقاليم تلتف حول تنظيم كنسي إلي أن جاء العرب إلي مصر في القرن السابع الميلادي ، ولما كان النفوذ المسيحي لم يتجاوز النشاط الإفريقي إلا قليلا فقد حل الإسلام محل المسيحية في تلك الأقاليم الساحلية ولم تبق إلا الكنيسة القبطية في مصر كما بقيت الكنيسة الحبشية في شبه عزلة عن العالم الخارجي ، وقد اختفت المسيحية في الشمال الإفريقي لأنها لم تتعمق في القارة الإفريقية ولم يحاول دعاة المسيحية دخول إفريقيا من الشمال بعد ذلك في الغالب رغم أن الإسلام قد دخل من هذا الباب وانتشر انتشارا بعيدا إلي الغرب والجنوب ، ربما كان وقوف المسيحية علي الساحل يرجع إلي أن قبائل الصحراء لم تعتنقها في حين أن تلك القبائل حينما اعتنقت الإسلام حملته معها في كل صوب واتجاه (١) ورغم أن المسيحية قد سبقت الإسلام في إفريقيا بما لايقل عن ستة قرون وتمكنت في بلاط الملوك والحكام إلا أن الإسلام استطاع في أقل من نصف قرن أن يحتويها ، وهكذا انكمشت مسيرة المسيحية في إفريقيا ، فقد تقلصت في مصر إلا عددا يسيرا واختفت في النوبة في السودان ووادي النيل بسبب الهجرات العربية واستعراب النوبة وفي الحبشة تلاشت إلا بين الطبقة الحاكمة وفي مقابل تدهور المسيحية كان الإسلام يحرز انتشارا عريضا واستقطابا واسعا بين الإفريقيين وشكل دولا وممالك فقد قامت دولة الفاطميين في مصر والأدارسة في المغرب والأغالبة في تونس والمرابطين في المغرب العربي (٢) .

---

* رئيس قسم الاتصال والعلاقات العامة بكلية الدعوة والإعلام جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية والباحث في الدراسات الإستراتيجية

رغم أن المسيحية توقفت خلال فترة الفتح الإسلامي الأول في منتصف القرن السابع الميلادي إلا أنها عادت ثانية إلي الظهور بعد الاتصال الأوربي فكانت البرتغال هي أولي الدول الأوربية احتكاكا بإفريقيا ، فاندفع المغامرون البرتغاليون تحت زعامة البرنس هنري يدورون حول الساحل الإفريقي ووصلوا إلي الكنغو سنة ١٤٨٣م وإلي موزمبيق ١٥٠٥ م وقد حملوا معهم المسيحية إلي تلك الأصقاع ونجحوا في استقطاب بعض الإفريقيين إلي المسيحية(٣) ، ولما كانت البعثات التبشرية تعتمد بصورة كبيرة علي الهيبة المستمدة من الأسطول البرتغالي فما إن أخذت سطوة البرتغال في الاضمحلال بعد مائتي سنة من نزول البرتغاليين في الساحل الشرقي والغربي لإفريقيا حتي أخذت العقيدة المسيحية تزول شيئا فشيئا حتي اختفت من الوجود ٤) ، ولم تتجدد المحاولات التبشيرية بعد ذلك إلا في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي حينما تجددت الحركات الاستعمارية من أمم أخري منها المحاولات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإيطالية لاستعمار إفريقيا ، وخلال تلك التحركات الاستعمارية جاء الدور الأخير للتبشير المسيحي وأخذت جماعات من المبشرين الأوربيين تتسابق إلي الاحتلال الروحي وتتخذ مناطق نفوذ ، ولم يكن الطريق ذلولا أمام تلك البعثات التبشيرية ، وتمثلت الصعاب التي واجهتهم في الأمراض الفتاكة والحروب القبلية فحتي عام ١٨٤٠م – أي بعد جهود استمرت أكثر من خمسين سنة – لم يكن للبعثات التبشيرية علي الساحل إلا مركزان أحدهما في الغرب علي مقربة من سيراليون والآخر في الشرق علي مبعدة من مصب الزمبيزي غير أن ظهور بعض المستجدات كان عوناً للإرساليات علي تجاوز تلك العقبات منها رحلة لفنجستون التي رفعت الستار لأول مرة عن إفريقيا الوسطي ، ثم رحلة ستانلي في الكنغو وتوغله إلي منطقة البحيرات الكبري وهي الرحلة التي تعد نهاية الكشوفات الجغرافية والراجح أنه عند وفاة لفنجستون في عام ١٨٧٣م كانت منافذ إفريقيا الرئيسية مفتوحة أما م البعثات التبشيرية الأوربية (٥)

والراجح أن الإرساليات والرحلات التبشيرية لم تحقق ما قدر لها من النجاح في إفريقيا وذلك لأسباب أهمها وجود الاستعمار في حد ذاته فمفاهيم المسيحية لم يكن من السهل علي الشعب الإفريقي العادي أن يفهمها وحينما بدأت تظهر النخبة المتعلمة بين الإفريقيين كانت المسيحية لمصاحبتها المستمرة للاستعمار ترمز له بطريقة أو بأخري ولهذا بدأت بين المسيحيين الإفريقيين حركة أفرقة الدين المسيحي بما تبعها من تعدد الكنائس الانفصالية التي عملت علي أن تأخذ من المسيحية بقدر محدود من ناحية وعلي أن تحتفظ بالعادات والتقاليد الإفريقية من ناحية اخري ، ولعل من أهم عوامل إخفاق المسيحية أو تحقيق ما كان يرجي لها من نجاح هو عدم تفهم المبشرين أنفسهم – عدا قلة منهم – للعقلية الإفريقية وللديانات الإفريقية القديمة (٦) والراجح أن الإفريقيين قد تعلقوا بالإسلام أكثر من المسيحية وقد وجه إدوارد بلايون في كتابه (المسيحية والإسلام والجنس الزنجي) الاهتمام إلي بعض مزايا الإسلام الدقيقة فيما يختص بالعنصر وأشار إلي أنه عكس المسيحية إذ ليس للإسلام تماثيل لرب أو مسيح أو ملائكة بيضاء أو مريم العذراء وليس له نصب أو تماثيل أو قصص مصورة توحي بأن أبطال الخلاص المقدس جميعهم غير سود ومع عدم وجود هذا الحاجز النفسي كان من السهل علي الإفريقيين تقبل الإسلام باعتباره دينا وطنيا حقيقيا ولم يتكلم المبشرون

المسلمون أبدا عن دفاعهم عن القيم الإسلامية العربية كما تكلم الكثير من المبشرين المسيحيين واضعين قدر القيم المسيحية الغربية ، وعامل أخر هو اختيار الشباب الإفريقي للتدريب في القاهرة والخرطوم على الدعوة الإسلامية ، وقبل أن تعطي الجماعات المسيحية أي فرص ذات قيم للإفريقيين في دراسة الإرساليات بزمن طويل كان الإسلام ينتشر بواسطة رجال شاركوا الشعوب الإفريقية أحاسيسها الرئيسية لأنهم كانوا من هذه الشعوب وقد تدخلوا بدون أي قيود عنصرية أوطبقية كما أن الإسلام لم يثقل كاهل مهتديه بطلبات نابعة من طريقة حياة أجنبية (٧) ، لذا نجد أن معظم الثورات الإفريقية الوطنية والمقاومة القومية ضد الاستعمار الغربي في إفريقيا استهدفت البعثات التنصيرية والمنظمات التبشيرية باعتبارها أوكارا للاستعمار والمثال علي ذلك ثورة الماجي التي قام بها أهالي الجزء الجنوبي من تنجانيقا ضد القوي الألمانية عام ١٩٠٥ فقد طردوا وقتلوا كل من وصل إلى أيديهم من أهل الكنائس ومبشريها وفي ثورة الماو ماو في كينيا ضد الاستعمار الإنجليزي بين عامي ١٩٥٢م - ١٩٦٠م وفي كتاب (في مواجهة كينيا)يذكر مؤلفه :(أن المبشرين جاءونا والأرض بأيدينا وبأيديهم الأناجيل ثم شغلونا بقراءتها وفجأة تركوا معنا الأناجيل بينما أحتجزوا أراضينا) (٨) فهذه ملامح عامة لمسيرة النشاط الكنسي في إفريقيا .

واقع النشاط الكنسي في السودان :

إن المسيحية التي تسربت إلي بلاد السودان خلال عدة فترات زمنية متفاوتة تعد ضمن موجات التواصل الحضاري التي انسابت إلي بلاد السودان من مصر (٩) .

وقد ارتبط دخول المسيحية في بلاد السودان إلي حد كبير بالاضطهادات التي تعرض لها المسيحيون المصريون من قبل الرومان إذ قام الرومان من خلا ل الفترة بين سنة ٢٠٠م و٣٠٠م باضطهادات عديدة استهدفت المسيحيين في الإمبراطورية الرومانية بما في ذلك القطر المصري وقد أدي ذلك إلي خروج الكثير من المسيحيين من المدن العامرة إلي الصحاري المقفرة غربي النيل وشرقه (١٠) ، واستقر بعضهم في أجزاء من المنطقة جنوب الشلال الثاني حيث وجدوا نهر النيل بين الشلال الثاني والرابع آكثر ملاءمة للاستقرار من النوبة السفلي القاحلة (١١) ، فكان من الطبيعي أن تنتقل مع هؤلاء رسالة المسيحية إذ نشر المصريون الهاربون من اضطهاد الرومان إلي جنوب الشلال الأول تعاليم المسيحية كما أسهم العاملون في التجارة بين البلدين في تركيز العقيدة الدينية التي حملها المهاجرون بيد أن جهود أولئك كانت في أضيق الحدود ويعزي ذلك إلي عدة أسباب : يتصل بعضها بالسكان الذين يؤلهون ملوكهم ويدينون لهم بالطاعة والولاء المطلق (١٢) وبالنظر إلي تركيبة المجتمع المحلي يتأكد أنه لم يكن من المستطاع اجتذاب أعداد كبيرة من السكان إلي الدين الجديد لأن السكان وقبل كل شيء كانوا يدينون بالعبودية للحاكم الذي كانت له قدسية وسلطة مطلقة علي شعبه وقد ظلت تلك الصور إلي أواخر العصر الإسلامي وكان الملك المنتخب لا يتولي العرش إلا بعد أن يعتكف فترة من الزمن يكتسب خلالها طهارته وقدسيته وقد أسهم ذلك التقليد في تشكيل عقبة أمام المسيحية (١٣) .

أما عن الواقع السياسي في بلاد السودان خلال الأيام الأولي للمسيحية فيتمثل في قيام ممالك علي

انقاض مملكة مروي تمثلت في مملكة نبتة في الشمال والتي أسست في عام ٥٤٣م وامتدت من الشلال الأول إلي الشلال الثالث ، واتخذت فرس عاصمة لها ، ومملكة المقرة وتقع بين نبتة وعلوة وأسست في عام ٥٦٩م واتخذت دنقلا عاصمة لها ومملكة علوة في الجنوب وأسست عام ٥٨٠م واتخذت سوبا عاصمة لها (١٤) وقد تم تأسيس مملكة نبتة لدعم نشاط المحتلين الرومان في مصر ضد غارات البجة في الحدود الجنوبية للإمبراطوية وتبني حكام نبتة المسيحية في منتصف القرن السادس الميلادي (١٥) والراجح أن دخول المسيحية في صورتها الرسمية إلي بلاد السودان لاسيما إلي النوبة السفلي والوسطي والعليا ثم بفضل البعثتين اللتين أرسلتا إلي ممالك النوبة وكانت البعثة الأولي بعثة الإمبراطورة ثيودورا والثانية بعثة الإمبراطور جستنيان وكانت البعثة الأولي تدين بالمذهب اليعقوبي مذهب الكنيسة المصرية والثانية تدين بالمذهب الملكاني مذهب القياصرة وقد شقت البعثة الأولي طريقها عبر حوض النيل إلي المنطقة جنوبي الشلال الأول وسافرت البعثة الثانية عبر درب الأربعين إلي دنقلا حيث نشرت رساتها الملكانية ، وقد اهتم ملوك علوة برسالة المسيحية التي جاءت إلي النوبة السفلي كما حاول ملوك النوبة الوسطي (المقرة) أن يرسلوا إلي علوة من يبشر بالمذهب الملكاني لكن لم يقبل ملوك علوة ذلك بل طالبوا بإرسال المبعوث اليعقوبي الذي نجح في تحقيق رغبته(١٦) .

وقد اعتبرت المسيحية الدين الرسمي للممالك السودانية في منتصف القرن السادس الميلادي وقد ازدهرت المسيحية في بلاد السودان قرابة ألف سنة (١٧) ، أما عن الفترة التي تلت القرن السادس الميلادي فلم تصل خلالها أخبار عن وصول جماعات من المبشرين اللهم إلا بعثة الدومينكان التي وفدت إلي المقرة عن طريق مصر في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي أو قبل ذلك بقليل ثم لم تصل أي بعثات أخري حتي أوائل القرن السابع عشر الميلادي (١٨) ، ولقد حافظت الممالك المسيحية علي علاقتها مع قسطنطينية زهاء مائة سنة من جملة ألف سنة ، وذلك نظرا للاحتلال الغربي لمصر (١٩) ، والراجح أنه لم يمض علي دخول المسيحية إلي المناطق جنوب الشلال الأول مائة عام حتي ظهرت رسالة الإسلام في الجزيرة العربية وتدفقت موجات العرب إلي مناطق النيل الأوسط ثم إلي مصر قبل نهاية القرن السابع الميلادي فأصبحت مصر ولاية إسلامية الأمر الذي أدي إلي قيام وحدة بين النوبة السفلي والوسطي (نبتة) و(المقرة) لمواجهة تيار المد العربي الإسلامي (٢٠) ، ورغم توحد مملكتي المقرة ونبتة في وجه الخطر المشترك فقد ظلتا مملكتين مستقلتين حيث فشلتا في تكوين أي نوع من الوحدة بينهما بل برز نزاع بين ملوكهما أدي إلي تضاؤل قوتيهما كما عزل انتشار الإسلام في شمال إفريقيا بلاد السودان تدريجيا عن البلاد المسيحية وأخيرا وضعت القبائل العربية نهاية لتلك الممالك المسيحية فيّ الفترة مابين القرن الثالث والخامس عشر الميلادي وفقد السودان اتصاله بالمسيحية خلال فترة الفونج في القرن السادس عشر الميلادي لكن ظلت علاقته مع إثيوبيا مستمرة حتي الاحتلال المصري (٢١) .

لقد تزايد اهتمام المبشرين المسيحيين ببلاد السودان في فترة العهد التركي المصري ولم يكن الدافع وراء ذلك نشر المسيحية وتعميقها في بلاد السودان بل في اتخاذ بلاد السودان معبرا رئيسيا لنشر المسيحية في

مختلف مناطق إفريقيا (٢٢) ، وقد ازدهر التبشير المسيحي بصفة واضحة في فترة العهد التركي المصري وذلك للدعم الذي وجده من السلطات لاسيما من الجنرال غردون وأمين باشا إلا أن اندلاع الثورة المهدية في عام ١٨٨٢م قد أعاق المشاريع التنصيرية إذ ألقي القبض علي مجموعة المبشرين العاملين في محيط العمل التبشيري في بلاد السودان ، غير أن التبشير ازدهر مرة أخري في فترة العهد البريطاني (٢٣) .

إستراتيجية النشاط الكنسي في ظل الاستقلال :

لقد تزامن اجتياح المد التنصيري للقارة الإفريقية مع موجة التوسع الأوربي الذي أطلق له العنان مؤتمر برلين ، وقد استعانت الكثير من الكيانات السياسية بالإرساليات التبشيرية وأطلق لها العنان في تنفيذ مشاريعها التنصيرية حتي أصبح من الصعوبة وضع فواصل بين أهدافها الإمبريالية ومراميها التنصيرية وعند وقوع السودان تحت وطأة الإستعمار البريطاني وفدت مجموعة من الإرساليات التبشيرية إلي السودان وتمكنت من كسب مواقع في الكثير من مناطقه الوثنية لاسيما جنوب السودان ومنطقة جبال النوبا والأنقسنا وجنوب النيل الأزرق (الفونج) وغيرها من مناطق التداخل اللغوي والثقافي (٢٤) .

إن التطورات السياسية التي برزت علي الساحة السودانية بعد الحرب العالمية الثانية والتي دعمت اتجاه الاستقلال ابتداء من مؤتمر جوبا حيث اتفق قادة الشمال والجنوب علي وحدة السودان وتكوين الجمعية التشريعية التي دعمت ذلك الاتجاه ثم التوصل إلي اتفاق في وضع فترة زمنية لتحقيق الاستقلال والتي هيأ لها تغير النظام في مصر ١٩٥٢م الذي أسهم في تحويل إدارة السودان من المستعمرين إلي الوطنيين وإجراء انتخابات وافتتاح أول برلمان سوداني في يناير ١٩٥٤م ثم الإعلان الكامل للاستقلال في مستهل عام ١٩٥٦م كان لها أثرها في مسيرة النشاط الكنسي بصفة عامة ، وقد كان لذلك التغيير أثره علي المؤسسات العاملة في محيط العمل الكنسي – إذ بتغير السلطة السياسية التي كانت رهن إشارتها زهاء الخمس والثلاثين سنة فقدت المؤسسات التنصيرية السند السياسي والمادي(٢٥) ، وقدرأت بعض الإرساليات (إرسالية السودان المتحدة) في تلك التطورات السياسية اتجاها إلي عرقلة نشاطها وإجهاض سياستها وقد تاكد لبعضها بصورة واضحة في عام ١٩٥٨م عندما أخطرت الحكومة السلطات الكنسية أن مركز تدريب الكتاب المقدس Bible Seminary لم يسجل عبر حكومة السودان ، وأصبح من الواضح أن رياح التغير قد وصلت وتاكد للذين يستبعدون الطرد أن أيامهم في السودان أصبحت محدودة (٢٦) ، وفي خضم سيادة ذلك الشعور برزت ظاهرة إيجابية في نظر الإرساليات حيث برز اتجاه إلي سودنة الكنائس عبر تكوين خلايا إدارية من الوطنيين تتولي النشاط الكنسي في حالة طرد المبشرين الأجانب ، وتجسيدا لذلك الاتجاه اهتمت الإرساليات بالتدريب لتحويل المسئولية الكاملة للوطنيين ، كما شرعت في تكوين خلايا إدارية لرعاية التبشير المسيحي في فترة غياب المبشرين الأجانب ، واهتمت بتكثيف ترجمة الكتاب المقدس إلي اللغات المحلية حتي يسهل استيعاب مفاهيم التبشير المسيحي (٢٧) .

لقد اهتمت الإرساليات في سبيل تجسيد فكرة السودنة التي سيطرت علي تفكيرها عقب الاستقلال بما يلي :

أ- تكوين الخلايا الإدارية :

وذلك بتكوين عدة مجالس وخلايا إدارية علي مستوي الكنائس فيتم تكوين مجالس كبيرة تنبثق منها أوعية إدارية (٢٨) ، وتنضوي تحت لجنة مركزية عليا عليها الإشراف علي اللجان الفرعية ومن اختصاصها وضع خطط أعمال التبشير وقد أثيرت عدة تكهنات حول فكرة تكوين مجالس للكنائس فيري بعض المسئولين الحكوميين أنها تمثل ظلالا للتبشير المسيحي في حالة طرد المبشرين الأجانب ، وأنها اتخذت مظلة للنشاط الكنسي وأنها مجالس أريد بها فقط زيادة وزن التبشير في نظر الحكومة الوطنية (٢٩) ، عموما فإن تكوين مجالس للكنائس يعد واحدا من التطورات الحيوية في مسيرة العمل التنصيري في ظل الاستقلال . لقد اهتمت الإرساليات المسيحية في سبيل ترسيخ مفاهيم المسيحية في السودان الذي تصدت له زهاء ثلاث واربعين سنة (إرسالية السودان المتحدة) بترجمة العهد الجديد The New Testament إلي اللغات المحلية المختلفة ، وقد شهد ذلك العمل تكثيفا بعد الاستقلال ربما لضمان استمرار انتشار المسيحية في فترة غياب المبشرين الأجانب وفي سبيل تحقيق تلك التطلعات اهتمت الإرساليات باستقطاب الدعم الخارجي كما توصلت الإرساليات العاملة في جبال النوبة إلي اتفاق مع الإرساليات العاملة في جنوب السودان للتعاون في تحويل اللغة العربية إلى الدارجية كما دعم معهد استراليا للغات مسيرة الترجمة في جبال النوبة إذ أوفد فريقا من ذوي الكفاءات للمساعدة في تنقيح بعض المخطوطات كما دعمت الإرسالية الأمريكية في منطقة ملكال في جنوب السودان إرسالية السودان المتحدة بآلة طباعة لمقابلة متطلبات طباعة الكتاب المقدس الأمر الذي اسهم في تكثيف الترجمة حيث ذكر أنه عند مغادرة إرسالية السودان لجبال النوبة في ديسمبر ١٩٦٢م كان كتاب العهد الجديد قد اكتملت ترجمته إلي خمس من لغات النوبة ، إذ ترجم إلي لغات الكواليب وهيبان وأطوروا وكرنقو ومورو ويأتي ذلك علي هدي الاستراتيجية التي تبنتها إرسالية السودان المتحدة في ظل العهد الوطني (٣٠) .

لقد اهتمت الإرساليات في السنوات التي تلت الاستقلال بتوسيع وتعميق صلاتها مع سائر المؤسسات التنصيرية العاملة في جبال النوبة ، والإرساليات العاملة في جنوب السودان حيث أقامت جسور العلاقات وقد تمثلت بعض مظاهر تلك العلاقات في دعوة أبناء جنوب السودان المسيحيين لحضور الاجتماعات الكنسية التي كانت تعقد في مناطق جبال النوبة لاسيما الذين ينتمون إلي أعالي النيل وبحر الغزال كما كانت ترسل النوبا المسيحيين إلي جنوب السودان لتلقي الكورسات اللازمة للعمل التبشيري ، هذا بجانب دعوة الطلاب الجنوبيين لتلقي دروس اللغة العربية (٣١) . بل ووصل الأمر إلي أبعد من ذلك مع إرسالية السودان الداخلية (C.I.M) حيث اقترح مستر لن (Mr. Lunn) المشرف الميداني لإرسالية السودان المتحدة علي مستر مالكون فورسبنق (Makoln Farsveng) ممثل إرسالية السودان الداخلية دمج عمل الإرساليتين في إرسالية واحدة غير أن مستجدات الأحداث صرفت النظر عن ذلك الاقتراح ، أما علي الصعيد الخارجي فقد أقامت الإرساليات علاقات مع الهيئات الكنسية العاملة في المحيط العالمي وذلك لاستقطاب الدعم لتحقيق تطلعاتها التنصيرية (٣٢) ، فهذه ملامح عامة لاستراتيجية النشاط الكنسي في ظل استقلال السودان .

الخاتمة :

رغم أن المسيحية قد سبقت الإسلام في إفريقيا بما لايقل عن ستة قرون وتمكنت في بلاط الملوك والحكام إلا أن الإسلام استطاع في أقل من نصف قرن أن يحتويها .

ويمكن القول إن النشاط الكنسي في السودان شهد ازدهارا كبيرا في ظل الإدارة البريطانية التي تبنت خططه ودعمت مشروعاته ، كما حافظ علي قدر من الوجود في ظل العهد الوطني رغم الأعاصير التي هبت عليه ويرجع الفضل في ذلك إلي الاستراتيجية التي تبنتها الإرساليات والتي تمثلت في سودنة الكنائس وتكوين خلايا إدارية تتولي رعاية النشاط الكنسي في حالة طرد المبشرين الأجانب كما اهتمت بتكثيف ترجمة الكتاب المقدس إلي اللغات المحلية وتوسيع وتوثيق الصلات مع المؤسسات الكنسية في المحيطين المحلي والعالمي ، بيد أن النشاط الكنسي أخذ في الانحسار منذ وقت قريب وذلك نظرا لإنشاء المدارس والمراكز التي أضحت ساحات للتفاعل الثقافي والاجتماعي ومنافذ لانتشار الإسلام بين المجموعات السودانية .

الفهرست :

١- محمد عبدالعزيز إسحق : نهضة إفريقيا ، الهيئة المصرية ١٩٧٢م ، ص ١٠٢
٢- أمباي لو بشير قضايا اللغة والدين في الأدب الإفريقي ، دار جامعة إفريقيا العالمية ١٩٩٥م ، ص ١٢٣
٣- جالك مندلسون : الرب والله وجوجو ، (الأديان في إفريقيا المعاصرة) ص ١١ - ١٢
٤- محمد عبدالعزيز ، المرجع السابق ص ١٠٢
٥- المرجع نفسه نفس الصفحة
٦- مندلستون ، المرجع السابق ص ١٣
٧- المرجع نفسه ص ١٣٨
٨- أمبابي ، المرجع السابق ص ١٢٣
٩- الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط ، الهيئة المصرية ١٩٧٢م ، ص ٩١
١٠- فانتني ، ج ، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديث ١٩٨٧م ص ٤٣
١١- God alla , f.f , The Egyptian contribution to Nbian Christianity , S. N. R Vol xi (1959)P. 38
١٢- الشاطر بصيلي ص ٩٢
١٣- المصدر نفسه ص ٩٥
١٤- Rl Rayah , Mubak Babikir , Sudan Civilization(Khartoum 1979) P. 52
١٥- Al Rayah op . cit P. 5
١٦- الشاطر بصيلي ص ١٠٨
١٧- Al Rayah , op. cit P. 5 ١
١٨- الشاطر بصيلي ص ١٠٨
١٩- Al Rayah , op. cit P. 51
٢٠- الشاطر بصيلي ص ١١٩
٢١- Musad , Mustafa M. The Down fall of Christian Nubian Kingdom S. N. R Vol Xl (1959) P. 124
Stock : The History of the Church Missionary Society .P. 137
Fr. Eliolacniolo . F. S. C. (Verona Fathers) P 125
٢٢- طا محمد أحمد (النشاط الكنسي في جبال النوبا) مجلة دراسات إفريقية ، العدد العاشر ديسمبر ١٩٩٣م
٢٥- Spatils P. J : The work of the Sudan United Mission , to the Nile and Beyond , 1981 , {. 125
٢٦- Ibid. {. 132
٢٧- Ibid .P. 132
٢٨- (Re the Sudanisation of churches of the Nuba Mountains)
٢٩- (District Commissioner Kadogli Distrct To D. C D. District 18th May ١٩٦٠
٣٠- Spartalis , op. cit p 127
٣١- Monthly intelligence Report , June 1957
٣٢- Lunn to Forsbeng , August 1960 , cited by spartalis op. cit P. 137

التنصير الحديث في إفريقيا
خلفيته التاريخية وبعض وسائله

د. الناصر أبوكروق *

تهدف هذه الورقة إلي شرح ومعرفة بعض الوسائل الحديثة التي اتخذتها المنظمات التنصيرية والكنائس فى إفريقيا لتنصير المسلمين وغيرهم بالتركيز علي المسلمين خاصة وذلك أولا بمعرفة الخلفيات التاريخية التى أدت إلي هذه الوسائل العصرية الحديثة ثم معرفة بعض هذه الأساليب ثم بعد ذلك تحاول الورقة اقتراح بعض التوصيات التي يمكن أن توقف هذا الزحف التنصيري علي ديار المسلمين وسوف تتخذ الورقة ثلاثة محاور : المحور الأول هو الخلفية التاريخية التي قد تؤدي إلي فهم المقاصد والدوافع والأساليب التي تتخذها حركة التنصير في إفريقيا والمحور الثاني يتحدث عن بعض وسائل التنصير الحديث والمحور الثالث يتناول المقترحات والتوصيات التي يمكن أن تساعد في مواجهة هذا الخطر التنصيري الداهم علي بلاد المسلمين في إفريقيا .

(١) الخلفية التاريخية :

يبدأ تاريخ التنصير في إفريقيا ، ربما منذ ظهور المسيحية أي في القرن الأول الميلادي ، منذ أن أسس القديس ماركس الأنجيلي كنيسة الاسكندرية وقد مرت حركة التنصير بتطورات ومراحل عدة منذ ذلك الزمن ولازالت حتى الوقت الحاضر تتطور وتتفاعل وتغيّر في أسلوبها مع تغير الظروف والمستجدات والأحداث ولكنها مع ذلك ظلت في جوهرها هي حركة التنصير والتي عناها النصاري الأول وهي نشر (بشارة الملكوت) أي الإنجيل وإيصالها لغير المؤمنين بها بغية إدخالهم في بيت (المسيح الرب) وتعميدهم وتنصيرهم ومنذ أن ظهر الإسلام في القرن السابع الميلادي في جزيرة العرب ثم بدأت حركة انتشاره الكبري في العالم القديم بدأ الصراع بينه وبين النصرانية وخاصة في الميدان الإفريقي ، وهو صراع مستمر لم تخمد جذوته يوما من الأيام ولاتزال هذه الجذوة متقدة .

اتصل الإسلام بإفريقيا منذ سنواته الأولي حيث مثلت هجرة المسلمين الأوائل إلي الحبشة أول اتصال بالأرض الإفريقية وكان ذلك قبل أن يدخل الإسلام يثرب (المدينة المنورة) نفسها ثم بدأت موجة الفتوحات الإسلامية الأولي في عهد الراشدين والعهد الأموي فعم نور الإسلام مصر والشمال الإفريقي ثم نفذ عبر

---

* استاذ مساعد بكلية التربية بجامعة إفريقيا العالمية

الصحراء إلي غرب إفريقيا بواسطة الدعاة والتجار والفاتحين والهجرات وكذلك اتخذ سبيله عبر البحار إلي شرق إفريقيا بواسطة الهجرات التي تدفقت نحو ساحل السواحيلي في شرق إفريقيا. ولم يمض زمن وجيز حتي كان كل حزام السودان من المحيط الأطلسي إلي البحر الأحمر وساحل السواحيلي من الحبشة وحتى (صوفالا) قد أصبحت أرض إسلام شيدت فيها دول وممالك ومؤسسات إسلامية وتأصلت فيها دولة الإسلام وشريعته وفكره وتقبلت القبائل الوثنية الزنجية دين الإسلام في سهولة ويسر وترحاب حتي إذا مابدأت حركة التنصير الحديث بعد الكشوفات الأوربية لإفريقيا في غربها وشرقها وجدت الإسلام قد أصبح (دينا إفريقيا) تأصلت مبادئه وشرائعه ، دوله إفريقية وطنية ودعاته وعلماؤه إفريقيون سود وسمر ولذلك ما فتيء أن بدأ الصراع المستمر في الأرض الإفريقية ولكن بدأ واضحا أن الخيار الإفريقي كان خيارا إسلاميا وفي صالح الإسلام وذلك للأسباب الآتية :

* بساطة الإسلام التي تتماشي مع بساطة الطبع الإفريقي فهو لايحتاج إلي طقوس وتعقيدات خاصة بالتعميد كما في النصرانية فيكفي أن ينطق الشخص بالشهادة ليدخل الإسلام وهو أمر خارج عن التعقيدات والحيل اللاهوتية ولايحتاج لأي مستوي ذهني معين من الذكاء والفطنة بل يمكن أن يفهم مدلوله أي شخص .

* شعائر الإسلام المبسطة والملازمة للشخص يوميا مثل الصلاة والوضوء تؤدي إلي ارتباط الإنسان به فالمرء كما يذكر (مونتسيكو) في روح القوانين ، أكثر ارتباطا بالدين الحافل بالشعائر لأنها تذكرة يومية مستمرة له .

* سماحة الإسلام ومبدأ الحرية السائد فيه وعدم إكراهه للناس ليعتنقوه جعلت الإفريقيين الذين يعشقون الحرية والتي جبلوا عليها ، إذ هي جزء من فطرتهم ، يقبلون الإسلام ولعل التاريخ يدلنا علي سماحة الإسلام وعدم إكراهه للناس ، خاصة في إفريقيا ، في قصة موسي بن ميمون اليهودي الذي أكرهه الموحدون علي الإسلام ثم ارتد وفرّ إلي مصر فبرأه عبدالرحيم بن علي القاضي الأيوبي ولم يقم عليه حكم الردة لأنه أصلا أكره علي الإسلام .

* الديانات الوثنية التقليدية في إفريقيا بها مايشابه المعتقدات الإسلامية فمعظم القبائل الوثنية في إفريقيا جنوب الصحراء تؤمن بإله واحد يسيطر علي الكون ولكنهم يتخذون الأوثان والطوطمية والأسلاف وسطاء ، لهذا الإله المتكبر في عليائه فنجد مثلا قبائل الباميرا في كينيا تسمي هذ الإله الأعظم (فارو) وتسميه قبائل الأشانتي في غانا (نانا) وتسميه الكيوكيو في كينيا (مولونجو) ويسميه الدينكا في السودان (نيال) كما يسميه (الزولو) في جنوب إفريقيا (كانكوكو)

أضف لذلك أن هنالك قصصا وأساطير عند هذه القبائل الإفريقية نابعة من ديانتهم الوثنية هذه تشبه قصص القرآن مع الوضع في الاعتبار أن قصص القرآن هي الحق وتلك أساطير ، ولكن تقارب هذه القصص للهدي القرآني يدل علي أن الفطرة السليمة تحاول أن تصل إلى الهداية الفطرية السليمة حتي قبل أن يصل إليها دين التوحيد فمثلا قبائل التشاجا في تنزانيا تري أن الله غضب علي أعمال البشر فأهلكهم

ماعدا قلة وهذه تشبه قصة طوفان سيدنا نوح عليه السلام كما أن قبائل البامبورت والميرو في كينيا تعتقد أن الله حر م أكل شجـرة معينة علي الإنسان ولكنه عصي وهذه تشبه قصة سيدنا آدم عليه السلام وإلي غير ذلك من هـذه القصـص التي كانت منتشـرة فـي الأديـان الإفريقيـة ولذلك ربما قـربت هـذه الحقيقـة الشقة بين الإفريقي والإسلام .

* اندمج الإسلام في العادات الإفريقية وأبقي علي عاد ة التعدد في الزواج بعد تنظيمها وأعطي المرأة مكانة سامية ولم يحاول تحطيم الوحدة القبلية الإفريقية كما أنه جعل الإفريقي يحس أنه مساو لأخيه المسلم خارج إفريقيا وأنه أصبح مرتبطا بعالم متوحد مترابط ربه واحد وقبلته واحدة يمتد خارج إفريقيا إلي مكة المكرمة والمدينة المنورة .

كل هذه المعطيات جعلت الأفارقة يندفعون نحو الإسلام ويعتنقونه في حرية وسهولة ويسر ثم يتغلغل في أفئدتهم وتتعمق جذوره في أنفسهم مما جعلهم يتحمسون له ولدعوته ويستشهدون في سبيل نصرته ومن هذا المنطلق فإن الإسلام يبذ النصرانية في كل شيء فهذه معقدة في طقوسها وغريبة عن الطبع الإفريقي ويحملها قوم بيض يختلفون عن الأفارقة في كل شيء حتي كانت عندهم هي (ديانة الرجل الأبيض) المتعالي في كل شيء وقد شهد بذلك جاك مندلسون في كتابه (الله والرب وجوجو) – لقد اندمج الإسلام بسهولة في الثقافة التقليدية الإفريقية إذ أبقي علي التعدد في الزواج مع تنظيمه ، إذ أنه لاتوجد مكانة اجتماعية لا مرأة غير متزوجة في إفريقيا .. والهوة ليست سحيقة بين المسلم في إفريقيا والمسلم خارج إفريقيا مثل ماهو موجود بين المسيحية الأوربية والمسيحية الإفريقية وكان الاتصال برجال الدين الإسلامي سهلا وميسوراً لوجود المساواة في الإسلام فليس للإسلام تماثيل لرب أو مسيح أو ملائكة بيضاء أو مريم العذراء أو نصب أو كتب قصص توحي بأن أبطال الخلاص المقدس غير سود .. ويضيف كاتب آخر هو موريلي (E. J .Morale) أن الإسـلام قد طالب الإفريقي بستر العورة ، وارتداء الملابس ونظم الأسرة بتنظيم علاقات الزواج والطلاق والميراث ومكانة الأب وعلاقته بالابن واحترام الكبير وأدخل فن القراءة والكتابة .

* ثم دخلت النصرانية في التاريخ الحديث بعد الكشوفات الجغرافية يحملها الرجل الأبيض (البرتقال) في غرب إفريقيا وشرقها ومرت في صراعها مع الإسلام بمراحل وتطورات عدة وقد فشلت فشلا ذريعا في تنصير المسلمين في غرب إفريقيا وشرقها في مرحلتها الأولي منتصف القرن الخامس عشر وحتي منتصف التاسع عشر حين مارست التنصير المباشر لديار المسلمين ولم ينجح البرتغال الكاثوليك المتعصبون في مهمتهم التنصيرية في ديار المسلمين شرقا وغربا وكان أبلغ دليل علي فشلها ثورة السلطان يوسف بن الحسن سلطان ممباسا ١٦٣٠م والذي أخذه البرتغاليون صغيرا إلي مستعمرتهم (قاو) في الهند ونصروه ثم أعادوه شابا إلي ملك آبائه بعد أن فرضوا عليه التنصير ولكنه ما إن عاد حتي رجع إلي دين آبائه الإسلام وثار ثورة كبري ضد البرتغال وبهذا ورغم الحرب الصليبية التي شنها البرتغاليون شرقا وغربا فإنهم فشلوا فشلا ذريعا طيلة أربعة قرون من الزمان وإن أصابوا قليلاً من النجاح وسط الوثنيين

علي سواحل غرب إفريقيا وبعض مناطق الداخل في موزمبيق والجنوب الإفريقي .

* بعد ذهاب البرتغال ودخول مذاهب وجنسيات أخري وبعد ظهور تطورات أخري في أوربا الغربية أهمها ظهور الثورات الكبري كالفرنسية والصناعية وظهور تطورات اقتصادية وأجتماعية وثقافية كبري تبعا لذلك مثل حركة تحرير الرق تغير أسلوب التنصير في غرب وشرق إفريقيا ودخلت انجلترا و أمريكا بمذهبهما البروتستانت وكنائسها الحديثة التي بدأت تنافس روما والبابوية في استقطاب المنصرين الجدد ورغم تغيير الأسلوب حيث استعانت كنائس انجلترا بطبقة (الكيرول) الجديدة في غرب إفريقيا وهي طبقة مهجنة ثقافيا ومكونة من الأرقاء المحررين في انجلترا وامريكا ورغم الأسلوب المرن المنفتح الذي اتخذه القس جون لويس كرابق والذي أوفدته الكنيسة الاسقفية الانجليزية في شرق إفريقيا حين استفاد من أخطاء البرتغاليين ورمي إلي مهادنة المسلمين وخطب ود زعمائهم بل والاتجاه إلي مناطق الوثنيين إلي الداخل إلا أن التنصير مرة أخري لم يؤت أكله في ديار المسلمين وكان الإسلام هو الصخرة التي تكسرت عليها كل محاولات المبشرين لغرس بذرة المسيحية وسط المسلمين و إن أفلحوا هذه المرة بفضل دهاء كرايف وأتباعه وحلفائه مثل لفنجستون وستانلي في شرق ووسط إفريقيا في بذر بذرة المسيحية وسط القبائل الوثنية في كينيا ويوغندا وبعض مناطق وسط وشرق إفريقيا كما أن إرسالية الكنيسة التبشيرية التي ينتمي إليها كرايف ثم إرسالية الجامعات لوسط إفريقيا والجمعية الجغرافية الانجليزية التي ينتمي إليها لفنجستون وستانلي كلها قامت بمجهود ضخم في سبيل دراسة البيئة الاجتماعية والطبيعية إضافة لدراسة اللغات واللهجات المحلية والديانات التقليدية الإفريقية ، إضافة للدراسات الإثنية والانثروبلوجية للقبائل الإفريقية المختلفة في المنطقة كل ذلك قدم خدمة ممتازة للجهود التنصيرية الحديثة وهيأت المناخ المناسب لغرس النصرانية بأسلوب (علمي) حديث يختلف عن كل الأساليب السابقة .

* ثم بدأت الهجمة الاستعمارية الشرسة علي إفريقيا والعالم الإسلامي بعد أن مهد لها المبشر وعميل الشركة والأنثروبولجي الذين كانوا ينظرون جميعهم للإفريقي مشروعا مشتركا وإن اختلفت أسبقياتهم فكان الإستعمار الأوربي الحديث حلقة من حلقات التنصير ومرحلة من مراحل الحرب الصليبية علي الإسلام ولعل هذه الحقيقة تظهر بوضوح في استعمار فرنسا للجزائر إذ دون مواربة أو تمويه يصرح كليرمون وزير الحربية الفرنسية غداة احتلال الجزائر سنة ١٨٣٠ بما نصه : (لقد أرادت العناية الإلهية أن تتأثر حمية جلالتكم للقضاء علي ألد أعداء النصرانية ، ولعله لم يكن من باب المصادفة أن يدعي لويس (التقي) لكي ينتقم للدين وللإنسانية وربما يسعدنا الحظ لنشر المدنية بين السكان الأصليين وندخلهم النصرانية) .

* ما أن ألقي الاستعمار ظله علي ديار الإسلام حتي بدأت القوي الأوربية النصرانية المستعمرة سواء كانت كاثوليك أو بروتستانت تضرب بمعاولها الهادمة بكل قسوةفي قلب الأصالة والهوية الإسلامية للشعوب المسلمة في شتي البقاع التي استعمرتها وخاصة في إفريقيا ولاشك أن ذلك الحصان الأسود للحقد الصليبي علي الإسلام الذي مارسته الدول المستعمرة في إفريقيا لايمكن حصره كاملا في هذا الحيز الضيق ولكن يمكن إيراد أمثلة ومعالم وخطوط عريضة :

١) وضع حد لحركة الإصلاح الإسلامي بالقوة المسلحة وإجهاض كل حركة وطنية أساسها الدين في مهدها وذلك لإدراك الاستعمار أن القوة الأساسية التي تواجهه في بلاد الإسلام هي الإسلام نفسه وقد جرب ذلك في طول القرن التاسع عشر في حركات عبدالقادر الجزائري في الجزائر والسنوسي في ليبيا والخطابي في المغرب والمهدي في السودان وعثمان دان فوديو في نيجيريا وغيرها ولذلك هدف إلي الحيلولة بين المسلمين واتخاذ الإسلام سبيلا لجهاد الأعداء بالطريقة الواضحة أو المستترة أي بالتخلص من القيادات الدينية بالقتل والنفي أو بإجهاض روح الدين بضرب التعليم الإسلامي والحياة الاجتماعية الإسلامية المستندة في كل تفصيلاتها علي الإسلام وهذا يتسني بعزل التعليم الإسلامي وتهميشه وإبعاد الإسلام ما أمكن عن الواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والمعيشي للمسلمين .

٢) إعادة تشكيل الخريطة السكانية والبنية الاجتماعية لسكان البلاد كما فعلت فرنسا في الجزائر حين استقدمت المستوطنين الفرنسيين إلي الجزائر التي اعتـــبرتها جزءا منهـــا وطردت المسلمين من ديارهم وأراضيهم الخصبة وملكتها الفرنسيين بل سعت إلي اقتــلاع الهويــة الإســلامية مباشرة حين سنت قانون (التجنس) في تونس والذي كان يعني اتخاذ الجنسية الفرنسية ومن ثم تنويب الهوية الإسلامية وقطع الصلة بين المسلمين ودينهم وتراثهم .

٣) محاولات الفصل العرقي بين القوميات الإسلامية وإحياء النعرات القبلية في كل مكان دنسته القدم الاستعمارية وقد تخصصت انجلترا في ذلك بقاعدتها المعروفة (فرق تسد) ولعل قانون المناطق المقفولة في السودان كون مثالا حيا لذلك وكذلك محاولات فرنسا في السنغال لفصل الجنوب عن الشمال ومحاولات ايطاليا في الصومال .

٤) ضرب اللغة العربية الظهير المساند للدين الإسلامي ولغة القرآن والتي من غيرها لايمكن أن ينتشر الإسلام ويزدهر وقد عرف المستعمرون الصليبيون هذه الصلة العضوية فحاولوا كل جهدهم لإقصاء اللغة العربية من الميدان بجعل لغاتهم الانجليزية والفرنسية والايطالية هي اللغة الرسمية للدولة واللغة الفاعلة في المجتمع ولغة الطبقات الحديثة الفاعلة والقائدة في المجتمع وضربوا اللغة العربية في شمال وغرب وشرق إفريقيا كما فعلت فرنسا حين أصدرت (الظهير البربري) وأحيت (الأمازيقية) عند البربر وطمست اللغة العربية وكما حدث في منطقة الهوسا حين استبدلت بالحروف العربية الحروف اللاتينية وفي شرق إفريقيا حين كتبت السواحيلية بالأحرف اللاتينية .

٥) فتحت القوي الاستعمارية الباب علي مصراعيه للمبشرين النصاري من كل مذهب وملكتهم وسائل التعليم لحد كبير حتي كان ٩٥٪ من النظام التعليمي في إفريقيا جنوب الصحراء تحت إشراف الكنائس والبعثات التبشيرية وقد هدفت البعثات التبشيرية في تلك المرحلة إلي عدة اهداف منها (أ) المساهمة الفاعلة في تعليم المسيحيين في الدول الإفريقية مختلف أنواع المعارف الإنسانية التي تمكنهم دون سواهم في المستقبل من تسيير دفة الأمور في البلاد (ب) إعداد طبقة من سكان البلاد الإفريقية إعدادا فكريا ونفسيا واجتماعيا ليكونوا في خدمة المستعمرين والمبشرين وذلك حتي يمكن نشر المسيحية علي أوسع

نطاق (ج) تنصير أكبر عدد ممكن تنصيرا مباشرا وذلك حتي تتغير التركيبة السكانية نهائيا في صالح النصرانية وقد وضعت القوي الصليبية مخططا حاذقا لهذا الأمر كما يبين مؤتمر القاهرة التنصيري الذي عقد سنة ١٩٠٦ والذي وضع توصيات محددة للتنصير الصريح للمسلمين في إفريقيا حين أوجب علي المنصر أو المنصرة واجبات ملزمة نذكر بعضا منها وهي (١) تعلم اللهجات المحلية ومصطلحاتها (٢) مخاطبة العوام علي قدر عقولهم (٣) العلم بآيات القرآن وبمعرفة الإنجيل (٤) دراسة القرآن للوقوف علي مافيه (٥) إقناع المسلمين بأن النصاري ليسوا أعداء لهم (٦) زيارة المنصرات لبيوت المسلمين والاجتماع بالنساء وتوزيع المؤلفات والكتب التنصيرية .

كذلك في ذات السياق كان الأسقف(ديل) قد خاطب المؤتمر السادس لإرسالية الجامعات لوسط إفريقيا (UMCA) المنعقد سنة ١٨٩٦ بضرورة تعلم القرآن وقراءته بطلاقة كما يفعل المسلمون وذلك حين لمس جهل المبشرين الفاضح في شرق إفريقيا حين كان يواجههم علماء المسلمين في الاجتماعات العامة في ممبسا وغيرها من بلدان شرق إفريقيا .

٦) من أهم ما قام به المستعمرون في محاولة طمس الهوية الإسلامية للدول الإفريقية المسلمة وغيرها هو فرضهم لطريقة حياتهم ونظمهم الغربية (العلمانية) المنفلتة عن الدين أصلا فأشاعوا طريقة حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في تلك البلاد المغلوبة علي أمرها بغية تغريبها و(علمنتها) وفصلها عن تراثها الإسلامي وهذا أمر يطول شرحه ولكن المستعمرين أفلحوا حقيقة في تغريب كثير من المجتمعات الإسلامية وهز ثوابتها وذرع إسفين بينها وبين ماضيها العريق حيث كان الإسلام يشكل نظام الحياة كلها وكان هو الدين والدولة حيث كانت الدنيا مطية الآخرة والطريق لها وقد حاولت الحركات الإسلامية الجادة في القرن التاسع عشر والتي أشرت إليها أعلاه وصل المسلمين بماضيهم ولكن الصليبيين أدركوا ذلك فسلطوا عليها الاستعمار وأجهضوا المحاولة التي كادت أن تنجح خاصة في الجزائر .

* كل ماذكر أعلاه يصلح لأن يكون خلفية للوسائل الحديثة التي اتخذت لتنصير المسلمين خاصة ولاختراق صفوفهم في الفترة الاستعمارية ومابعدها .

٢) بعض وسائل التنصير الحديثة في إفريقيا :

أولا : قبل البحث في هذه الوسائل لابد من الإشارة لبعض التنبيهات :

* الوسائل التي اتخذها النصاري للتنصير وسط المسلمين كثيرة ومتعددة ومتنوعة وتشمل طيفا واسعا يكاد يعجز عنه الحصر ويمكن يرد (خاصة في الوقت الحاضر) (تحت قاعدة إن لم تستطع تنصيرهم فدمرهم) وكذلك اتخذ المبشرون كل وسيلة ممكنة لإبعاد المسلمين عن دينهم .

* رغم كل هذا الجهد الجبار من قبل الحلف التنصيري الاستعماري ضد المسلمين فإنهم لم يفلحوا في تحقيق النتيجة التي يصبون إليها فرغم كل شيء استغلت الجزائر ١٩٦٢ وطردت الفرنسيين ورغم اللسان العجمي الذي أفلح الفرنسيون في فرضه خلفا للسان العربي المبين خرجت جماهير الجزائر المسلمة غداة اتفاقية (ايفيان) في مسيرات هادرة وهي تنشد (يا محمد مبروك عليك الجزائر رجعت إليك) وكذلك

نجحت ثورة الدراويش بقيادة الثائر العالم المسلم محمد بن عبدالله الحسن في شمال الصومال بسنة ١٩١٢ وأجبرت الانجليز علي ترحيل المبشرين من شمال الصومال إلي مناطق أخري كما أن الثقافة الإسلامية رغم كل شيء ظلت هي ثقافة الناس القومية وكانت سلاحهم في مقاومة الاستعمار بل الأغرب من ذلك أنه في واقع الأمر قد ازداد انتشار الإسلام في بعض مناطق إفريقيا خاصة في مناطق كينيا ويوغندا وتنزانيا تحت الوضع الاستعماري مستغلا استقرار الأمن وازدهار التجارة وتعبيد الطرق ، وانتشر بقوته الذاتية بواسطة التجار والعلماء وربما تمثل مجهودات الشيخ محمد الأمين القرشي في جبال النوبة في السودان دليلا ساطعا علي ذلك .

* هذا التمسك من جانب المسلمين بدينهم وهويتهم رغم كل ماحدث يفسر إلى حد كبير اتخاذ المنصرين لوسائل خفية وغير مباشرة لتحقيق مآربهم ويفسر يأس أكبر رواد التنصير في العصر الحديث صمويل زويمر الذي ترأس مؤتمر القدس التبشيري ١٩٣٥ ذلك المؤتمر الذي أعقب مؤتمر المسلمين الذي قاده الحاج أمين الحسيني في القدس ايضا بسنة ١٩٣١ ، حيث يذكر ذلك المبشراي صموئيل زويمر بالنص (إن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ، ليست إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريما ، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ، ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية) .

* إذن تغير الدافع من نشر النصرانية إلي تدمير المسلمين وقطعهم عن هويتهم بأي وسيلة ممكنة وفي الواقع أن النصاري ينطلقون من الحقد الصليبي الأسود علي الإسلام الذي مثلته ايطاليا في طرابلس الغرب وفرنسا في تونس والجزائر وانجلترا في جنوب السودان والغريب في الأمر أن النصرانية ليست لها سلطة تذكر في اوربا فقد انقلبت عليها الدولة وسحبت من تحتها البساط منذ أن رفع ثوار الثورة الفرنسية شعار (اشنقوا آخر إقطاعي بأمعاء آخر قسيس) ومنذ الانفصام الشهير بين الكنيسة والعلم في أوائل عهد النهضة كما أن الكنيسة فشلت في تقديم أي حلول للمشكلات الاجتماعية والأخلاقية الخطيرة في المجتمعات الأوربية فوقفت عاجزة أمام سيل العلمانية الجارف والانحدار الأخلاقي المريع ووقفت عاجزة أمام انتشار جرائم القتل والمخدرات والانتحار والتفكك الأسري والاغتصاب واللواط بل إن كثيرا من دول أوربا ومنها إنجلترا قننت الشذوذ وأباحته بإصدار القوانين التي تبيح زواج الرجل بالرجل الخ ورغم عجزها هذا لم تفلح إلا في عداء الإسلام والكيد للمسلمين ومحاولة تنصيرهم حتي ولو أدي الأمر إلي تحالفها مع اليهود أعدائها التاريخيين والعقائدين كما يحدث الآن ، وتركت أوربا نهبا للإلحاد والفساد .

* يلاحظ أن حركة التنصير المعاصرة وخاصة بعد مؤتمر جلين آري بولاية كلورادو ١٩٧٨ قد قيمت الوضع من جديد وأدت مرة أخري لمحاولة التنصير المباشر في ديار المسلمين وذلك بعد أن كادت تيأس في مؤتمر القدس ١٩٣٥ ويبدو أن تكتيك القدس قد نجح في ضخ جرعة علمانية مركزة وسط المسلمين ساعدت في هز ثوابتهم وصرفتهم عن الانتباه لما يحاك لهم كما أن الوسائل التنصيرية الخفية قد باتت تؤتي أكلها

خاصة فيما يختص بالاحتواء السياسي لصانعي القرار وتكوين الطبقة العلمانية النافذة في الدول الإفريقية المسلمة وكذلك التصاق المسلمين بالحياة الغربية والتحديث والتقنية الحديثة الغربية مما جعل حركة المجتمع تسير وفق التخطيط الاستعماري الماكر حتي بعد خروج المستعمر نفسه ولذلك نجد مؤتمر كلورادو يعلنها صراحة أن(الفرص مواتية لتنصير المسلمين في العالم خاصة وأن المسلمين متفرقون ويعانون من عدة مشاكل وأن هناك انفتاحا جديدا بين كثير منهم نحونا)

ولعل هذا يفسر الطفرة الكبيرة للتنصير في إفريقيا وسط المسلمين وغيرهم حيث تذكر الإحصائيات أن النصاري الذين كان عددهم في أول القرن حوالي المليون فقط في إفريقيا كلها قد وصل الآن (التسعينيات) إلي أكثر من ثلاثمائة مليون وكل هذا النجاح في غالبه علي حساب الديانات الوثنية التقليدية التي كانت فيما مضي ميدان النجاح الإسلامي وقوته الذاتية التي لاتباري كما أنها تفسر الجهد الخارق للمبشرين الذين يدافعون عن باطلهم مستغلين غفلة المسلمين كما انها تفسر نجاح الوسائل الخفية الحديثة التي هي في معظمها عملية (غسل دماغ) لتنفير الإفريقيين من الإسلام الذي لم يجد القوة الفاعلة التي يمكن أن نقدمه لأولئك الذين أوقعهم حظهم في براثن النصرانية وإن كانت هذه الإحصائيات قد تكون نوعا من الدعاية والمبالغة المقصودة كغيرها من الفريات الكثيرة التي أطلقها المنصرون .

* أخيرا ينبغي أن نذكر أن وسائل التنصير قديمة وكثيرة ومتعددة ولكن نكتفي هنا بتلك الوسائل الحديثة التي اتخذها التنصير في الفترة الأخيرة الحديثة والتي تبدأ من الهجمة الاستعمارية في القرن التاسع عشر وحتي وقتنا الحاضر وحتي هذه سوف نأخذ قدرا يسيرا منها مركزين علي الأهم كما أنه تجدر الإشارة إلي أن هذه الوسائل تنقسم إلي صريحة وتقليدية كتلك التي تتخذ سبيل الجدل المباشر والسفسطة والتشكيك والاقتضاب أو الطريقة القسرية المتمثلة في الحروب الصليبية ومحاكم التفتيش والغزوات والاحتلال والإختطاف و إن كان بعض من هذه كان قبل فترة الاستعمار إلا أن بعضها مورس في العهد الاستعماري ،وأيضا هناك الوسائل الخفية كتلك التي تعتمد علي التنصير غير المباشر الذي تقوم به البعثات الدبلوماسية ومنظمات الخدمات الاجتماعية والجمعيات الطوعية التي تتخذ أسماء عدة تخفي نشاطها التنصيري تحتها ومن أهم هذه المنظمات تلك التي تقوم بالخدمات الصحية والتعليمية وتعمل في ميادين درء الكوارث وغير ذلك من المسميات وينبغي كذلك أن أنكر هنا أن التنصير الصريح المباشر في الوقت الحاضر موجه إلي حد كبير لغير المسلمين وإن لم تخل منه ديار الإسلام بينما يوجه التنصير الخفي والمستتر للمسلمين أكثر من غيرهم وهنا تنبغي الإشارة إلي عدم الاستهانة بالتنصير وسط المسلمين فهو خطر داهم حقيقة

ورغم أن الله سبحانه وتعالي وعد بحفظ كتابه ودينه القويم إلا أنه لم يضمن للمسلمين أن يقيهم جميعا خطر الردة والكفر ورغم الإيمان القاطع بأن الخير في أمة المصطفي صلي الله عليه وسلم إلي يوم القيامة و أن الله سبحانه وتعالي لن يسلط عليها عدوا يستبح بيضتها (اي قلبها في مكة والمدينة وحولها عدا أطراف ديار الإسلام) إلا أنه يمكن أن يرتد بعض المسلمين الذين لم يتعمق الإيمان في قلوبهم والذين يعتنقونه اسما ولايمارسونه شعائر أو يطبقونه سلوكا وهؤلاء قد يوجدون في بعض بلاد الإسلام خاصة

أولئك الذين انسلخوا من جلدتهم الإسلامية بفعل (غسيل الدماغ) المستمر الذي تقوم به الهجمة العلمانية الشرسة هذه الأيام وحتي في الأيام الأولي للإسلام حدث أن تنصر عبيدالله بن جحش في الحبشة وجبلة بين الأيهم ملك الغساسنة في عهد عمر رضي الله عنه في القصة المعروفة كما تنصر بعض من العرب (المورسيكيين) في الأندلس الذين أوقعم حظهم العاثر في قبضة محاكم التفتيش الاسبانية بعد سقوط مملكة غرناطة ١٤٩٢م .

ثانيا : بعض الوسائل الحديثة :

١) الاحتوا ء السياسي : دأبت الإرساليات المسيحية في إفريقيا للتأثير علي القادة السياسيين لكسب عطفهم ومن ثم يفسحون المجال لهم للعمل بحرية كما أن أغلب الدفعات الأولي من الطلبة في مدارس التبشير كانت من أبناء الزعماء والشيوخ والرؤساء المحليين و من الطبقات المتميزة في المجتمع وبعد التخرج يعمل هؤلاء رؤساء وموظفين مسئولين ونافذين في حركة الدولة خاصة بعد أن خرج المستعمر وخير مثال لذلك ليوبولد سنغور في السنغال وجولويوس نيريري في تنزانيا وتحت مظلة أمثال هؤلاء تستطيع الكنائس أن تمارس التنصير الظاهر والخفي وسط المسلمين وغيرهم ومن أمثلة الدعم والاحتواء السياسي والتي برع فيها الكاثوليك أخيرا ، زيارات البابا المتكررة لإفريقيا منذ عام ١٩٦٩ وهذه الزيارات أظهرت أنه أصبح لإفريقيا أولوية معتبرة لدي البابوية وقد أعطت هذه الزيارات زخما للنشاط الكاثوليكي في إفريقيا .

٢) أموال الكنائس : لعل الكنائس الإفريقية في بعض أقطار إفريقيا تعتبر أغني المؤسسات فقد حصلت هذه الكنائس علي الأراضي الشاسعة الخصبة في فترة الاستعمار حتي أصبحت من أكبر ملاك الأرض في كل من يوغندا ورواندا وكينيا والكنغو وانجولا وموزمبيق وملاوي وغيرها ثم بعد الاستعمار أصبح يأتيها الدعم الخارجي من الكنائس والبلدان الأم في ايطاليا وفرنسا وانجلترا أو امريكا وغيرها والمال هو عصب الحياة والنشاط وهو أكبر معين للحركة وقد استعاد الكاثوليك الذين يتمتعون بالتنظيم الحسن أكثر من غيرهم هذه الأموال فغمروا إفريقيا من ر أس الرجاء الصالح حتي الصحراء الكبري بأضخم جهاز كنسي عرفته القارة حددته بعض الإحصائيات (١٩٨٠) بأنه بلغ أكثر من ٣٢٧ وحدة أو أسقفيات لكل منها قساوستها وحدودها المرسومة التي تعمل بها ويمكن أن تتضح لنا ضخامة الأموال التي تمتلكها الكنائس إذا علمنا أن مجموع دخلها في منتصف عام ١٩٩٨ بلغ ٩٧ بليون دولار ولكن لكل العالم .

ولاشك أن لإفريقيًا نصيب الأسد من هذا الدخل المهول وذلك لاهتمام الكنيسة بإفريقيا ولاشك أن هذه الأموال استخدمت في دفع حركة التنصير فازدادت عددية الإرساليات العاملة في إفريقيا عاما بعد عام ويكفي أن أشير للجدول أدناه والذي يرصد النشاط البروتستانتي في إفريقيا و إذا علمنا أن هذا النشاط دون الكاثوليكي في المقدرة والتنظيم والحماس ومن ثم المحصلة النهائية لعرفنا كيف أفادت تلك الأموال الطائلة الكنائس في عملية التنصير في إفريقيا والجدول هو :

الجمعية	عدد الإرساليات عام ١٩٥٨
كنيسة الميثاق المعمداني	٤٠٧
الكنيسة المشيخية المتحدة	١٢٩٣
كنيسة المشيخية الامريكية	٥٠٤
كنيسة المثوبين المتحدة	١٤٣٣
الكنيسة الأسقفية	٣٩٥
كنيسة يسوع المتحدة	٤٩٦
كنيسة الميثاق الجنوبية	١١٨٦
جمعية الإرسالية الأجنبية الانجيلية	٤٦٨٨

ويلاحظ أن هذا الجدول قديم نسبيا وقد رصدته نشرة أصدرها المركز الإفريقي بالخرطوم في عام ١٩٨٥ ورغم بعض المؤثرات السالبة التي بدأت تظهر في إفريقيا بالنسبة للنشاط الكنسي حيث نما شعور وطني مضاد في بغض الأقطار الإفريقية إلا أن أموال الكنائس كانت ولاتزال قوة دفع للنشاط التنصيري .

٣) وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري :

وهذه من أهم الميادين التي استغلتها حركة التنصير في إفريقيا لتنصير المسلمين وغيرهم وهي تشمل الإذاعة والتلفاز والسينما والفديو والكاسيت والنشرات والدوريات والمجلات وكافة أنواع المطبوعات ووجهت كلها بطريقة مدروسة ودقيقة بحيث تتجه نحو الإفريقي موضوع التنصير في كثافة وتنوع منقطع النظير ومن ثم تخضعه لعملية إعادة تشكيل عقلي أو غسل دماغ مستمر لايفيق منها ليل نهار بل وأكثر من ذلك بكل لهجاته المحلية والقبلية ولغاته المعروفة ومن الصعب متابعة هذا الجانب من وسائل التنصير ولكن يكفي للتدليل على مدي خطورته أن نعرف أنه في وقت من الأوقات وحسب الإحصائيات كان نصيب كينيا وحدها من النشرات والدوريات الكنسية الموجهة ٢٧ نشرة بعضها شهرية وبعضها نصف شهرية وبعضها ربع سنوية ونصيب تنزانيا ٣٠ نشرة و نصيب يوغندا ٢٢ نشرة وهذا عدا الإذاعات ومحطات التلفزيون الموجهة الرسمية منها وغير الرسمية والتي تعمل كلها في اتجاه التنصير الصريح والخفي ويمكن ان نقيس علي ذلك بقية الأقطار الإفريقية خاصة جنوب الصحراء .

٤) التعليم :

وهذا هو أنجع وسيلة اتخذتها الكنيسة للتنصير الظاهر والخفي وقد لجأت إليه الكنائس في المقام الأول وكانت تقدمه للمتنصرين خدمة مجانية إذ كان يساعد في قراءة وفهم الانجيل ولم يكن التعليم للتعميد فحسب بل كان يضمن للدارس الوظيفة الحكومية فعند دخول الاستعمار كانت مدارس الكنائس تخرج

الأطباء والمهندسين والمعلمين وقادة المجتمع وقد انقسم التعليم في العهد الاستعماري إلي ثلاثة أقسام في بلاد المسلمين في إفريقيا قسم غايته التنصير الصريح في مدارس الإرساليات وقسم هو التعليم المدني الحديث الذي استحدثه الاستعمار في بلاد المسلمين وغايته ذات شقين فمن ناحية يخرج الكوادر المساعدة التي تقوم بالأعمال الوسيطة في الجهاز الحكومي تحت قيادة الأجانب ومن ناحية يفصل المتعلم عن تراثه القومي الإسلامي والسعي لصبه في قالب الحضارة العلمانية الاوربية التي لاتعتمد علي الدين ولاتأبه له ومن ثم تخرج طبقة هجينا في ثقافتها وميولها بل أشبه بالمنبت لا أرضا قطع ولاظهرا أبقي فلا هو واقف علي أرضية ثقافته الإسلامية التي نشأ عليها بما فيها من نقص في العلوم التجريبية الحديثة ولا هو متأطر تأطرا كاملا في ثقافة وحياة الغرب ولذلك ظهرت طبقة مترددة في مواقفها وميولها بل وأخطر من ذلك أن الاستعمار ربط هذا النوع من التعليم بالتطور الاجتماعي والمادي والثقافي للمتعلم ولهذا فقد اتجهت إليه جموع الشباب المسلم طلبا للوظيفة والمراكز الاجتماعية المرموقة وقد اقتضت برمجة التعليم المدني الحديث وضعه في سلم معين يبدأ من رياض الأطفال وينتهي بالتعليم العالي في الجامعات وقد وضعت مناهجه بطريقة حانقة بحيث تكسب الشاب المسلم قشور الثقافة الوافدة دون النفاذ إلي لباب التقدم العلمي الأوربي أي دون تخريج علماء حقيقيين في علوم الطب والفلك والرياضيات بحيث يستطيعون منافسة علماء اوربا في مجال الاختراعات والفتوحات العلمية الحديثة التي اتصلت الآن بثورة التقنية الحديثةبل كان العالم الإسلامي ولايزال عالة علي الحضارة الغربية في هذا الميدان وغاية ماوصلنا إليه هو تحصيل الفلسفة الغربية العلمانية وإجادة لغاتهم ثم اقتضي ذلك بالضرورة التشبه بهم في الزي والكلام والعادات مما زاد من غربة المتعلمين وغربة الطبقة النافذة في المجتمع عن جذورها الإسلامية السامية بل إن المبشرين ومن معهم الذين وضعوا أسس هذا التعليم في ديار الإسلام حرصوا علي تغيير نفسية الطفل المسلم لتتجه اتجاها غربيا نصرانيا ، فكانت المدرسة وطريقة الجلوس فيها أشبه بالجلوس في الكنيسة وقبتها اشبه بقبة الكنيسة و أجراسها التي تنبه للمواعيد أشبه بجرس الكنيسة ، أما القسم الثالث فهو التعليم الإسلامي التقليدي الذي انحصر في دراسة القرآن وعلومه في الخلاوي والمساجد وعزله عن حركة المجتمع الفاعلة في الدولة والاقتصاد والنفوذ وهمش حملته عن قصد وانعكس الوضع في ديار الإسلام فبعد أن كان العلماء قديما هم أهل الحل والعقد أصبح لانفوذ لهم في دول الاستعمار العلمانية في إفريقيا حتي بعد أن استقلت هذه الدول سياسيا .

رغم هذ ه الصورة فإنه بحمد الله ابتدأت الآن بعض دول الإسلام وشعوبه تتحسس طريقها للرجوع لأصالتها وتراثها الإسلامي المجيد فبدأت حركة صحوة إسلامية وردة علي الهجمة العلمانية الغربية وبدأ يظهر أمام الناس أنه لاخلاص إلا بالرجوع إلي الإسلام ولايعني ذلك إغفال مفاتح القوة والتقدم الموجودة الآن في العلم التجريبي الأوربي الذي كانت أوربا نفسها قد ورثته من المسلمين وعلي كل فإن التعليم المدني الحديث ومعه تعليم الإرساليات كان ولايزال من أخطر أسلحة النصرانية إما لبّث التنصير الصريح أو لتغريب المجتمعات المسلمة وعلمنتها وفصلها عن تراثها ودينها الإسلامي .

٥) الخدمات الصحية والاجتماعية :

وهذه تشمل المصحات والمستشفيات التي تقدم الرعاية الطبية مقرونة بالتنصير وقد حرصت الإرساليات المسيحية أن تلحق بكل أسقفية مستشفي للعناية بالمرضي وأحسن المستشفيات في يوغندا مثلا كانت تلك التي تتبع للكنائس وهذه المستشفيات توجه همها للمسلمين وتعني بهم عناية فائقة ولكنها تدس السم في الدسم فتعرض عليهم جرعات تنصيرية بواسطة أشرطة الكاسيت والنشرات الدعائية وربما المحاضرات. وهذه المستشفيات التي أنشأها المستعمر تقتبس أطرها التنظيمية والعلاجية من الكنيسة والغريب في الأمر أننا حتي الآن وفي بلد كالسودان نسمي المرضة (أخت) SISTER وتسمي الطبيب الاخصائي مستر MR وعلي كل فإن الخدمات الصحية كانت ولاتزال في بعض بلاد الإسلام في إفريقيا بابا من أبواب التنصير فبجانب ما أشرت إليه نجد زيارات الراهبات المنتظمة للأسر بدعوي العلاج والتطبيب وتوزيع الغذاء واللبن للأطفال والتلاميذ في الفترات الصباحية وتقديم الهدايا واللعب والملابس السنوية ، خاصة كسوة الشتاء وفي أيام الأعياد وخلاف ذلك من الخدمات الصحية والخدمة الاجتماعية المتصلة بها ونختم هذه الفقرة بتأكيد مؤتمر جلين آري بكولورادو المذكور أعلاه ، علي أهمية الخدمات الصحية والاجتماعية بوصفه مدخلا ممتازا للتنصير وسط المسلمين .

٦) الكوارث :

وهذه تنقسم إلي طبيعية كالزلازل والفيضانات والجفاف والتصحر وأخري من صنع البشر كالحروب وقد استغلت المنظمات الكنسية هذه الكوارث لتحقيق مآربها التنصيرية وسط المسلمين مستغلة لحظة الضعف الإنساني التي يكون دافع الحياة فيها هو الأقوي ، خاصة عند ضعفاء الإيمان وحديثي العهد بالإسلام ، فما حدثت كارثة في ركن من أركان إفريقيا إلا تنادت هذه المنظمات المسماة طوعية وإنسانية وإغاثية من كل حدب وصوب واتجهت نحو ضحاياها تقدم لهم المعونة المادية مقترنة (بالنهب الروحي) التنصيري وقد تسترت هذه المنظمات تحت أسماء كثيرة ولها بريقها الخادع مثل (أطباء بلا حدود) وغيرها من الأسماء ولابد من الإشارة هنا إلي أن مؤتمر كلورادو ١٩٧٨ ، المشار إليه أعلاه قد نص صراحة علي استغلال ظروف الحروب الداخلية والخارجية في إفريقيا وغيرها لدفع جهود التنصير .

الخاتمة : توصيات ومقترحات :

يقول سبحانه وتعالي (ولن ترضي عنك اليهود ولا النصاري حتي تتبع ملتهم) ولذلك فإن المستقريء لتاريخ الصراع بين المسلمين والنصاري كما توضح هذه النبذة المبتسرة يتضح له كيف تتجلي هذه الآية الكريمة التي هي قلب الحقيقة فإن النصاري كانوا ، ولايزالون ، يكيدون أشد الكيد للإسلام والمسلمين وقد بلغ بهم الحقد حد التحالف مع أعدائهم اليهود وهم لايزالون سادرون في عداوتهم ومحاولاتهم الخفية والظاهرة لضرب الإسلام وتنصير المسلمين معتمدين في ذلك علي صولجان القوة وسلطان المال ولاسبيل لمواجهتهم إلا بتكاتف المسلمين ووقوفهم صفا واحدا ضد أعدائهم ومواجهتهم بشتي الأسلحة المتاحة في المعركة الشرسة الدائرة ولعل من المفيد تذييل هذه الورقة ببعض المقترحات والتوصيات وهي :

(١) القوة السياسية والمادية : لابد أن تستند القوة السياسية الفاعلة في المجتمع والموجهة له ، علي الإسلام ولابد من وجود الحاكم المسلم بأي مسمي جاء سواء كان خليفة أو اماما أو رئيسا فلو استطاع هذا الحاكم حسب الظرف المتاح له أن يطبق شرع الله ويجعل من الإسلام دينا ودولة ، كما كان أصلا ، فذلك هو المبتغي والمطلوب وإذا عجز عن ذلك فليكن توجهه إسلاميا أو له تعاطف مع الإسلام ، حتي ولو كان من دافع الوطنية ، بحسبان أن الإسلام هو دين السواد الأعظم من مواطنيه وياحبذا لو اقتنع بأن تأييده للإسلام هو نوع من حسن السياسة حتي لو كانت بغيته هي السلطة لذاتها فلو اقتنع أن تأييده للإسلام من صالح استمراره في السلطة فهذا خير من لاشيء وخير من الحاكم المعادي أصلا للإسلام والمتشرب نهائيا بثقافة الغرب حتي لو حمل اسما إسلاميا وبالطبع فإن صلاح الرعية من صلاح الراعي والله يزع بالسلطان مالايزع بالقرآن كما قيل ، فإن السلطة التي بيدها القرار الناجز تستطيع أن تمهد وتمكن للإسلام وعند ذلك يمكن أن تنتهي كل المظاهر السالبة في المجتمع من تنصير وعلمنة خاصة و أن التركيز الآن من جانب النصاري علي تغريب المجتمع المسلم و إغراقه بالمفاسد مستغلين ثورة التقنية والاتصالات الحديثة التي من أخر صيحاتها شبكة الاتصالات Inter Net

٢) من المهم جدا توحيد برامج التعليم ومناهجه في ديار الإسلام فلا بد أن تعتمد هذه المناهج علي قيم الإسلام فالمناهج هي التي تصنع الرجال وقيم الإسلام هي وحدها الكفيلة بتخريج جيل يعتمد عليه وهي وحدها التي يمكن أن تكبح جماح هذا التقدم المادي الجامح والجانح ولكن هذه النقطة ربما لا تتأتي كاملة في هذا الزمن إلا إذا تحققت النقطة الأولي وأول أبجديات الإصلاح في هذا الحقل هو العناية بكتاب الله إن لم يكن حفظا وفهما فليكن حفظا وخاصة بالنسبة للأطفال حتي تنار قلوبهم بنور القرآن فتكون محصنة من كل زيغ وضلال ولذلك لابد من الرجوع للخلاوي ومدارس القرآن تلك الركيزة التي حفظت الإسلام عبر القرون ولايصلح هذا الأمر إلا بما صلح به أوله ، فالسلف الصالح كانوا يوجهون همهم الأول للقرآن وبالقرآن سادوا الأرض وحملة كتاب الله هم قوام الليل وفرسان النها ر وهم الذين دكوا حصون الجبابرة عبر التاريخ فلماذا لانجتهد في تعليم أطفالنا آلقرآن أولا وقبل أي شيء آخر ؟ وقد كان من الممكن حتي وقت قريب أن يحفظ الطفل القرآن عن ظهر قلب وهو دون الثامنة فلماذا نستعجل النتائج في التعليم ؟ إذ يمكن بل ومن الأحسن لو تخرج الطالب من الجامعة وعمره سبعة وعشرون عاما ولكنه يخرج صالحا عاملا حافظا لكتاب الله ثم بعد ذلك طبيبا أو مهندسا او عالما فلابد إذن من الرجوع إلي أسبقيات الأمة الإسلامية ، فما عني الله سبحانه وتعالي بالعلماء المهندسين والأطباء بل عني بحملة كتابه وعلماء دينه عندما قال وهو أجل من قائل (إنما يخشي الله من عباده العلماء) وما سمي صلي الله عليه وسلم أحداً بالشريف إلا حملة كتاب الله إذ ورد في الحديث مامعناه (أشراف أمتي حملة القرآن) أو كما قال .

(٣) الإعلام : لابد من إنشاء جهاز إعلامي فاعل مستند علي معطيات العصر المسموعة والمرئية والمقروءة وبطريقة علمية راشدة تواجه إعلام الضلال وتناطحه حتي في عقر داره فالنصاري الآن لايواجهون الإسلام بتعاليم النصرانية بل بالحقد وتشويه الحقائق والكذب والتلفيق ويمكن أنه لو وجد إعلام إسلامي راشد أن يستغل ظروف ثورة الاتصالات الحديثة فيبين حقائق الإسلام الرشيدة لغير المسلمين خاصة

الوثنيين أو الذين انفلتوا من النصرانية في اوربا وأصبحوا ملحدين أو حتي حائرين لايدرون ماهم فاعلون فالنصرانية حقيقة ليس لها ما تعطيه وحتي لو كانت هي المسيحية التي نزل بها سيدنا عيسي عليه السلام فهي علي حد اعتقادنا نحن المسلمين دين فترة ودين منسوخ جبه الإسلام في تعاليمه فلا يصلح للبشرية جمعاء ولا لكل زمان بل هو أساسا دين مؤقت في حيز معين ولذلك فهو لا ولن يصلح إذ أنه قد فقد سره وتأثيره الإصلاحي مع رفع سيدنا عيسي إلي السماء و أفسح المجال للرسالة الخاتمة وهذه حقيقة جوهرية وعلي كل فإن الإعلام الواعي يمكن أن يوضح الحقائق الثابتة وهي حقائق تظهر بجلاء أن الخلاص الفردي والجماعي للأمم والشعوب في الدنيا والآخرة هو الإسلام خاصة في زمننا هذا فقبد عم الوعي وتكسرت أمواج الزيف والضلال علي صخر الحقائق الثابتة إذ انتهت كل الأفكار التي من صنع البشر كالشيوعية والوجودية والنازية والدارونية وحتي القومية المتعصبة وحتي الديمقراطية الليبرالية و إلي غير ذلك وهذه حقيقة جعلت الكثيرين خاصة في أوربا يتلفتون يمنة ويسرة بحثا عن الإنقاذ ولعل إسلام بعض العلماء الأوربيين وحماسهم لهذا الدين أمثال روجيه جارودي ، يكون دافعا لبث إعلامي رشيد بين الأوربيين وعندئذ يواجه الإسلام النصاري في عقر دارهم بما يمكن من سحب البساط من تحت أرجل المبشرين في إفريقيا وديار الإسلام .

٤) لابد من الدعم المالي والقوة المادية لها أهميتها في هذا الصراع ومانجحت المنظمات الكنسية في إفريقيا إلا بالقوة المادية التي فاقت ميزانيات دول البترول العربية مجتمعة والمال هو عصب الحياة لكل شيء وهو الذي يمكن منظمات الدعوة الإسلامية المختلفة من مواصلة عملها .

٥) وهذه تعتمد علي النقطة (٤) أي توفير المال اللازم الذي يمكن أن تنفذ بواسطته أساليب مبتكرة لأسلمة المجتمعات الإفريقية ومحاربة التنصير والتغريب فيها خاصة تلك المجتمعات الإفريقية الهامشية والرخوة في إسلاميتها وفي تفكيري أن أهم هذه الأساليب المبتكرة هي المسجد الشامل الذي يخلط الدين بالدنيا فيكون به المسجد للصلاة وبه المستشفي للعلاج ويكون مستشفي كامل التخصصات وبه المخازن والحوانيت التعاونية المليئة بكل مستلزمات المواطنين التموينية وبه مكتبه غنية بشتي الكتب والمجلات الرصينة المفيدة وبه قاعات محاضرات وخلافه . كذلك فإنه ينبغي مواجهة حركات التنصير بنفس سلاحها أي وجود الفريق المتكامل من علماء الإسلام والأطباء والمهندسين والمتخصصين كل في مجاله والذين يعملون فريقا واحدا متجانسا ومنسجما ولعل من أهم الأساليب الحديثة التي أشار إليها مؤتمرجلين آري بكلورادو ، المشار إليه أعلاه وجود هذا الفريق المتكامل لدفع عمليات التنصير في إفريقيا .

٦) يتبع ذلك تقديم خدمات ثقافية من محاضرات وندوات وأفلام وكتب ونشرات وكذلك إنشاء مستوصفات علاجية وخدمات مياه و إنشاء صيدليات شعبية في مناطق فقراء المسلمين وغيرهم وتوفير الدواء والغذاء بأسعار زهيدة فالجائع لا منطق له .

٧) أخيرا يمكن استنفار الدول والهيئات والمنظمات والجماعات الإسلامية للقيام بدورها لنصرة الإسلام فالحرب الصليبية لم تنته بعد وقد كذب اللورد اللنبي عندما قال ذلك ، وياحبذا لو دعمت منظمة المؤتمر الإسلامي ووعت دورها التاريخي الماثل .

المصادر

أولا : المراجع العربية :

١- د.. أحمد شلبي : موسوعة الحضارة والتاريخ الإسلامي
٢- الشيخ محمد أبوزهرة محاضرات في النصرانية
٣- د. حسن مكي محمد أحمد : المشروع التنصيري في السودان
٤- ن ، س ارنولود (ترجمة حسن إبراهيم حسن : الدعوة إلي الإسلام
٥- حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في افريقيا
٦- هو بير دثنيان (ترجمة أحمد صادق) الديانات التقليدية في إفريقيا السوداء
٧- د. مجمد عثمان صالح : النصرانية والتنصير ام المسيحية والتبشير
٨- إسماعيل علي أحمد ياغي ومحمود شاكر : تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ج ٢
٩- جاك مندلسون (ترجمة إبراهيم أسعد محمد (الرب والله ووجود الأديان في إفريقيا المعاصرة
١٠- د. عبدالرحمن أحمد عثمان : ورقة مقدمة للمركز الاسلامي الخرطوم ١٩٨٥ بعنوان النشاط المسيحي في إفريقيا
١١- د. محمد أحــمد عبدالهــادي : الخدمة الاجتماعية في مجال الدعوة والإغاثة الإسلامية - القاهرة ١٩٩٥
١٢- التنصير : خطة لغزو العالم الإسلامي : الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة جلبن ايري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة سنة ١٩٧٨ نشرته دار مارك لنشر بعنوان : The Gospel and Islam A 1978 Compedium
١٣- معجم السرمدين : بغداد ٨٦ /١٩٨٧
١٤- صحيفة الرأي العام العدد ٢٢٣و العدد ٢٣٠ الخرطوم مارس ١٩٩٨
١٥- مجلة دراسات إفريقية مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية الأعداد :
- الخامس يونيو ١٩٨٩
السادس يناير ١٩٩٠م
السابع يونيو ١٩٩٠
الحادي عشر يونيو ٩٩٤م
السابع عشر يونيو ١٩٩٧
- التاسع عشر يونيو ١٩٩٨

ثانيا : المراجع الأجنبية

1- A. Symposium : African Religions

2- George Bond : African christianity - 1979

3- World Christian Encyclop 1978

4- Encylop Britanica , Vols. 1. 15

5. The New Caxton Encyclop - Vol No

6- Historical Atlas of Africa

المنظمات والجمعيات السرية اليهودية والاختراق الأستعماري فى افريقيا

د . حسنات عوض ساتي *

ينقسم العمل في هذه الورقة إلي قسمين :

القسم الأول :

أ- يتحدث عن بداية العمل السري والمنظم وأسبابه عند اليهود

ب - قائمة بأسماء عدد من المنظمات والهيئات اليهودية الهامة

القسم الثاني :

يتحدث عن عملية الاختراق الإسرائيلي للقارة الإفريقية .. الفكرة ، الأهداف والمقاصد مع توضيح للوسائل وآليات التنفيذ التي اتبعتها إسرائيل لتحقيق أهدافها في القارة ثم الحديث عن عوامل نجاح مخطط الاختراق الإسرائيلي مع الإشارة لبعض الوقائع التاريخية والأحداث .

القسم الأول :

(أ) كيف بدأت التنظيمات السرية عند اليهود :

جاء في البروتكول الحادي عشر من بروتوكولات حكماء صهيون ..(والله قد أنعم علينا نحن شعب الله المختار بنعمة السبي والجلاء والتفرق والشتات في الأرض فهذا الأمر الذي كان فيما مضي مصدر ضعفنا أصبح مصدر قوتنا التي أفضت بنا الآن إلي أن نلج الباب الذي منه نبسط سيادتنا وسلطاننا علي العالم كله

يتضح من هذا الكلام أن السبي البابلي لليهود والذي حدث حوالي عام ٥٨٦ - ٥٣٨ ق (١) . م كان نقطة تحول هامة في تاريخ اليهود لأن البابليين حطموا هيكل سليمان ومزقوا الدولة وأسروا أهلها ، وتوالت عليهم الأحداث والغزوات وتحطمت الدولة اليهودية تماما بعد انتشار المسيحية وهام اليهود علي وجوههم في العالم إلا أن الأشواق الدينية والمجد السليماني لازم الوجدان اليهودي فأخذ اليهود ينسجون الأساطير حول التعاليم التوراتية حتي خرجوا بالتلمود الذي أصبح مقدسا عندهم أكثر من التوراة لأنهم وجدوا فيه رجاءهم بالعودة لسابق مجدهم ، وأصبح الفكر الديني اليهودي يرتكز علي مفهوم العودة لأرض الميعاد وأنهم شعب الله المختار ، وقد أخذ هذا المفهوم بعدا سياسيا يقول بأحقية اليهود في حكم العالم وتنويب الديانات سوي اليهودية وتفتيت الشعوب وتسخيرها لخدمة اليهود . وجاءت هذه الأفكار نتيجة طبيعية لضياع ملكهم

---

* رئيس قسم الدراسات الإفريقية بمركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة إفريقيا العالمية

وحرمانهم وتشردهم في الأمصار واحتقار الناس لهم فصاروا عناصر شغب وتخريب في كل بلد يحلون فيه واستمروا في تنظيم الحركات والجمعيات السرية لتحقيق أهدافهم فكانوا وراء كل فتنة في التاريخ (٢) ، وقد استطاع اليهود أن يحافظوا علي لغتهم ومعتقداتهم التلمودية وأقاموا فيما بينهم تعاونا وثيقا رغم انتشارهم في البلاد المختلفة فكان زعماؤهم يعقدون الاجتماعات السرية ليضعوا الخطط والبرامج التي توصلهم إلي أهدافهم (٣) .

وقد نقل اليهود مركز قياداتهم ونشاطهم من فرنسا إلي انجلترا ثم إلي الولايات المتحدة الأمريكية حسب تطور البلاد وقدرتها علي التأثير في الأحداث العالمية (٤) .

(ب) المنظمات اليهودية الكبري .. أقسامها وطبيعة عملها :

تنقسم المنظمات اليهودية إلي :

١- منظمات وحركات سياسية :

* الصهيونية العالمية وروافدها مثل الوكالة اليهودية .
* الهستدروت وهو نقابة العمال الإسرائيليين

٢- منظمات اجتماعية :

* الماسونية العالمية
* نوادي الروتاري
* نوادي الليونز
* جمعية بناي برث B'nai B'rith

٣- منظمات دينية :

* الصوفيراشيد الكونية :

منظمات تتخفي تحت أديان أخري وهي يهودية الصنع والابتكار والدعم مثل جماعة الدونما - حركة مون التوحيدية - شهود يهوه

٤- منظمات إرهابية :

وقصد من إنشائها أن تكون عصابات إرهابية منظمة وهي المسؤلة عن تخطيط وتنفيذ المجازر في فلسطين وغيرها مثل مجزرة دير ياسين ومجزرة قنا وأهمها :

أ/ القبالا : ومعناها اللغوي القبول أو التلقي الشفوي وهي مصطلح يراد به التعليم الباطني المتعلق بالله والكائنات وكانت تدعي في مراحلها الأولي الحكمة المستوردة The Hidden Wisdom وتقوم علي علم التنجيم السحري ودعي أصحابها بالحكماء ،

إما اصطلاحا فهي تشير إلي الشرذمة التي تحيك المؤامرات في الخفاء والدسائس وتعمل بالتجسس وقد ورد ذكر القبالا صراحة في البروتوكول الذي يتحدث عن نظام التجسس في مملكة داود القادمة وتعاليم القبالا نابعة من التلمود وقديمة جدا في تاريخ اليهودية : (٥)

ب/ الهاغاناه Haganah

ج/ الإراغون Irgun

د/ ليحي شتيرن Lihi Stern

هـ/ بالماه Palmah

و/ مست أفريم Mist Svarim وهي الفرع العربي الذي يتبع ل (بالماهـ)

٥- منظمات التجسس :

أ/ الموساد Mossad

وهو جهاز المتابعة في الخارج ويوجد له مكاتب وعملاء في كل عواصم العالم يتسترون تحت مسميات وصفات مختلفة مثل التجار ورجال الأعمال والصحفيين ووكلاء سياحة .. الخ ويتم اختيار عناصره بدقة متناهية .

ب/ جهاز الأمن الداخلي (أمان)

وهو قسم المخابرات العسكرية الذي يتبع لجيش الدفاع الإسرائيلي ومن مهامه رصد الجيوش العربية تسليحا وإعدادا وتدريبا .

ج/ جهاز الشين بيت :

وهو الأمن الداخلي (شاباك)

د/ جهاز (كاتام) وهو مكتب المهمات الخاصة الإسرائيلي(٦)

الصهيونية العالمية :

وهي حركة سياسية عنصرية متطرفة ترمي إلي إقامة وطن لليهود في فلسطين عاصمته القدس ويحكم اليهود من خلاله العالم (مملكة داود) ويعيدوا بناء هيكل سليمان . وللصهيونية يد مهيمنة في معظم الأنظمة السياسية في العالم وتتبع لها الكثير من الجمعيات في أوربا وأمريكا مثل الوكالة اليهودية وغيرها، (٧) والصهيونية لها جذور تاريخية وفكرية وسياسية أبعد من هرتزل بكثير ، وقد تبلور الفكر الصهيوني في مؤتمر جامع لزعماء وقادة اليهود في العالم في مدينة (بال) بسويسرا عام ١٨٩٧م وخرج ببروتوكولات حكماء صهيون والتي وصفها (وايزمان) بأنها (المؤامرة الشريرة للتسلط علي العالم) وقد أحيطت بسرية شديدة وكتمان علي طريقة اليهود ، ولكن أمرها انكشف ولم يتأثر اليهود بهذا الكشف وانطلقوا في تطبيق بنود البروتوكولات بخطى حثيثة وجدية وصرامة .

أ) الماسونية : Free- Massonary

من أقدم المنظمات في العالم ، تتسم بالغموض وموغلة في السرية والرمزية لذلك فمنشؤها بالتحديد لازال غامضا وأما الرمزية فلئلا يعرف الناس طبيعتها وحقيقة أهدافها ، وخطورتها تكمن في أهدافها المعلنة التي تجذب الناس وهي أعمال الخير والإحسان والتعاون بين الأفراد وتنادي بالحرية والمساواة والإخاء والقناعة الشخصية وتلزم أتباعها باحترام القوانين ،

أما أهدافها غير المعلنة فهي أنها لاتعترف بالأديان وتعمل علي إزالتها من الوجود وقد ذكر الحاخام (لاكويز) أن الماسونية يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات سرها وإيضاحاتها .. يهودية من البداية إلي النهاية .. وعلي الرغم من أن عضويتها مفتوحة دون التقيد بجنس أو دين إلا أن زعماء اليهود هم علي رأسها وهم القوة المحركة والغرض من فتح العضوية هو استخدام كافة البشر لخدمة أهداف اليهود دون علم منهم أو دراية تحت ستار شعاراتهم الإنسانية المرفوعة (٨) .

ب) الروتاري :

تأسس أول ناد للروتاري عام ١٩٠٥م في مدينة شيكاغو وفي فلسطين ١٩٢١م وفي المغرب والجزائر برعاية فرنسا وأهدافه هي الأهداف العامة للماسونية ، ويستقطب الأشخاص ذوي المكانة الاجتماعية والمادية المرموقة ويعتمد نشاطه علي الحفلات المختلطة لوجهاء المجتمع وفيها يتم تبادل المعلومات وتفشي الأسرار بجانب العمل علي نشر عادات ومفاهيم معينة وكل مظاهر الرفاهية والترف في العالم من نوادي الميسر والاوكازيونات والسفن والرحلات الترفيهية السياحية والطائرات الخاصة .. الخ ، كل هذا من صنع الروتاري ، ويعمل النادي علي جمع الأموال من أصحابها باسم المشروعات الخيرية (٨) وكما قال أحد المفكرين إذا أردت أن تعرف أين تؤول ثروات الأمم فابحث عنها في أقبية الروتاري بلندن وباريس ونيويورك حيث التحكم باقتصاد العالم وصناعة القرار (٩) .

ج) الليونز :

يسير علي نفس منهج الروتاري وبنفس الأهداف وتضم عضويته الشباب من الجنسين وزوجات كبار المسؤولين والساسة وتجمع المعلومات منهم دون علمهم وترسل إلي المراكز الرئيسية لتحليلها ووضع الخطط حيالها. وتقسم البلد إلي مناطق وكل منطقة لها ناد يجب أن يقوم بنشاطه ويرفع تقاريره وقد نشطت نوادي الروتاري والليونز في مصر بعد. توقيع اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل ، والمركز الرئيسي لمجموعة نوادي الليونز يوجد في ولاية إلينوي بأمريكا.

د) جمعية بناي برث Bnai Brith (أو أبناء العهد)(١٠)

- إحدي الجمعيات التابعة للماسونية إلا أن عضويتها مقصورة علي اليهود أسسها يهودي ألماني يدعي هنري جونز عام ١٨٤٣م وهاجر إلي نيويورك ولها فروع في جميع أنحاء العالم . ومن أعضائها فرويد ١٨٥٦ - ١٩٣٩م وجون فوستر دالاس وزير خارجية أمريكا ١٩٥٨م مع أنه بروتستاني ولها تمثيل في الأمم المتحدة من خلال عضويتها في المجلس التنسيقي للمنظمات اليهودية . (١١)

أ) جماعة شهود يهوه :

منظمة عالمية سرية التنظيم علنية الفكرة ظهرت في أمريكا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ويمكن اعتبارها فرقة مسيحية ولكنها واقعة تحت سيطرة اليهود وقد أسسها سنة ١٨٧٤م الراهب شارلس راسل وكانت تعرف باسم (الراسلية) أو الدارسون الجدد للإنجيل) . وأهم أفكارهم الإيمان ب (يهوه) إلها وعيسي رئيسا لمملكة الله ، ويعتقدون بقرب قيام حرب تحريرية يقودها عيسي وهم جنوده يزيحون بها

جميع حكام الأرض ، يبثون من الكتاب المقدس الأجزاء التي تتحدث بايجابية عن إسرائيل واليهود ، ويعادون جميع الأديان إلا اليهودية وجميع رؤسائهم يهود يقولون بالتثليث (يهوه الابن والروح والقدس) شعاراتهم (المينورا) وهي الشمعدان السباعي والنجمة السداسية وهما الرمزان الوطني والديني لليهود . (١٢)

ب) جماعة الدونمة :

هم جماعة من اليهود الأتراك أظهروا الإسلام وأبطنوا اليهودية للكيد بالمسلمين وأسهموا بفاعلية في تقويض الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة الإسلامية عن طريق انقلاب جماعة الاتحاد والترقي ويمارسون حتي الآن نشاطهم العدائي للإسلام ، ويسيطرون علي الإعلام والاقتصاد والمؤسسات التعليمية وهي جماعة قديمة أسسها سباتي زيفي في القرن الخامس عشر وهو يهودي أسباني الأصل تركي المولد والنشأة وكان قد أعلن أنه مسيح بني إسرائيل ومخلصهم الموعود وأمر أتباعه أن يظهروا الإسلام ويبطنوا اليهودية ولاصيام لهم ولاصلاة ويتزوجوا من المسلمين ويدعوا إلي السفور والاختلاط ، وقادة الدونمة من كبار الماسونيين ويعملون ضمن مخططات الصهيونية العالمية . (١٣)

ج) المونية أو حركة صن مون التوحيدية :

وهي حركة تدعو إلي توحيد الأديان وصهرها في بوتقة واحدة ومؤسسها هو القس الثري (صن مون) من كوريا الذي أدعي أنه تلقي الوحي وأنه علي اتصال بالمسيح الذي كلفه بتوحيد الأديان ، ونقل مون نشاطه إلي الولايات المتحدة الأمريكية وأنشأ المجلس العالمي للأديان والكنيسة الموحدة وعقد عدة مؤتمرات عالمية منها مؤتمر توحيد اليهود في سويسرا ، مؤتمر اتحاد العالم المسيحي في إيطاليا ، مؤتمر البوذيين في اليابان ، مؤتمر الهندوس في سيرلانكا ومؤتمر اتحاد العالم الإسلامي في تركيا في الفترة من ١٩ – ٢٢ سبتمبر ١٩٨٥م بالتعاون مع كلية الإلهيات في إحدي الجامعات التركية وكان المشاركون في المؤتمر يصورون الخلافات بين الأديان علي أنها لاتعدو أن تكون مثل الخلافات المذهبية أو الفقهية الموجودة في الدين الإسلامي وقد وجدت حركة مون قبولا وانتشارا لأنها تستعمل شعارات فضفاضة تخص كافة البشر مثل دعوة الناس من كل الأديان إلي نوع من الوحدة الروحانية ، مع احترام خصوصية كل دين والدفاع عن حقوق الإنسان بما في ذلك حق حرية المعتقدات وممارستها . (١٤) ويتمتع مون بثراء فاحش فهو يملك عقارات وفنادق ضخمة ومطاعم ودور نشر وأسس جريدة الواشنطن تايمز ولديهم كتب وإصدارات منتظمة .

د) الصوفيراشيد الكونية :

أسسها حنا أبي راشد الذي ادعي النبوة عام ١٩٠٧م وألف كتابه (الموسوعة المثالية) وينادي بتوحيد الأديان ويستعمل الرمز مثل الماسونية سماه (السر الأسمي للدرجة ٩٩) (١٥)

هذه باختصار أهم المنظمات اليهودية في العالم القديمة منها والحديثة والتي لاتزال تعمل بنشاط وجدية ليس في إفريقيا وحدها بل في العالم أجمع ولايقف نشاط اليهود علي هذه المنظمات بل لديهم طرق وأساليب اخري كثيرة يحققون بها مآربهم .

القسم الثاني : الاختراق اليهودي لإفريقيا :

علي الرغم من أن معظم الأوراق في هذا المؤتمر تتحدث عن التنصير إلا أنه من الضروري الحديث عن التحالف والتنسيق بين النصاري واليهود ، فاليهود هم الذين ساندوا بقوة حركة الإصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر كنج ووجدوا فيها فرصة لضرب الهيمنة الكاثوليكية التي تعادي اليهودية وآخر ما يمكن القول به بأن اليهود نجحوا في اختراق المسيحية وتهويد الكنيسة(١٦) خاصة إذا علمنا أن هناك حركة أو تحالفا من المتطرفين المسيحيين تدعي Radical Christians يعتقدون بالنبوات التوراتية بعودة المسيح وإعادة هيكل سليمان ويتحدثون عن حرب كونية قادمة سموها (هرمجدون) ولا ننسي أن اليهود نجحوا في انتزاع اعتراف من الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم عيسي (عليه السلام) هذا التحالف النصراني – اليهودي نتج عنه تنسيق مواقف كثيرة جدا علي مستوي المنظمات الدولية وتنسيق للأدوار في العالم الثالث خاصة إفريقيا . (١٧)

ولليهود علاقات قديمة بإفريقيا منذ عهد موسي (عليه السلام) ويقول التراث الإسرائيلي إن أبناء سليمان (عليه السلام) من بلقيس استقروا في بلاد الحبشة لذلك فاليهود يدعون حقا توراتيا في تلك المناطق الإفريقية المشاطئة للبحر الأحمر ، كما دخل أعداد من اليهود إلي إفريقيا مع رحلات الاستكشاف الأوربية في القرون الوسطي وعمل اليهود بالسمسرة والتجارة ، أما العلاقات الإسرائيلية الإفريقية المعاصرة فقد بدأت رسميا بعد قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨م علي المستوي الدبلوماسي والسياسي وقد أخذت بعدا خاصا بعد مؤتمر دول عدم الانحياز الذي انعقد في باندونج سنة ١٩٥٥م وقد عزلت إسرائيل عن هذا المؤتمر بل إن من أجندته مناقشة القضية الفلسطينية وتأييد حقها المغتصب ، وقد برز في هذا المؤتمر دور مصر بقيادة عبدالناصر بوصفه قائدا للأمة العربية وأنموذجا لحركات التحرر الإفريقية خاصة وأن معظم الدول الإفريقية تنادي بالاستقلال هذا بجانب الدور الذي تلعبه بعض الدول الآسيوية مثل الهند ، فخافت إسرائيل من قيام تكتلات عربية – إفريقية – أسيوية تعمل علي إجهاض المشروع الصهيوني (١٨) وأدركت أنه لابد من حركة دبلوماسية وسياسية نشيطة علي المستويين الإقليمي والدولي تؤمن بها وجودها ، وقد تزامن هذا مع بداية استقلال الدول الإفريقية وكانت الدول الإستعمارية قد وضعت بدائل للاستعمار بصورته التقليدية تضمن بسط الهيمنة والنفوذ داخل القارة الإفريقية فمثلا عمل الاستعمار علي تربية كوادر إفريقية وتأهيلها فكرا وعلما ومنهجا وسلوكا لتولي القيادة السياسية أو الزعامة الوطنية في بلادها ، ثانيا خرج الاستعمار وترك الأوضاع السياسية والاقتصادية في إفريقيا مترديه للغاية ، وتعصف بالمجتمعات العصبيات القبلية التي أدت إلي تكوين جماعات التمرد والمليشيات المسلحة فما تكاد دولة إفريقية تستقر سياسيا ويستتب أمنها إلا وتعصف بها الحرب الأهلية والانقلابات العسكرية هذا بجانب افتقار المجتمعات للبني التحتية من صحة وتعليم ومنشآت ومؤسسات .. وتحت ظل هذه الأوضاع المأساوية في إفريقيا كان التقاء مصالح الدول الاستعمارية مع المصالح الإسرائيلية وأصبحت الرغبة ملحة لاحتواء إفريقيا وضمان تبعيتها لهذه الأسباب :

١- الاستفادة من خيراتها الجمة ومصادر الثروة المتنوعة والمواد الخام

٢ - إيجاد سوق دائم للمنتجات الاستعمارية خاصة تجارة السلاح

٣- لئلا تنهض القارة الإفريقية اقتصاديا وحضاريا وتقوي شوكتها فتناكف الحضارة الغربية وتضر بمصالح الدول الكبري .

فأصبحت اسرائيل اليوم تمثل ركيزة الاستعمار في صورته الجديدة داخل إفريقيا وقد اتخذت لنفسها طرحا سياسيا وكيانا ذاتيا داخل هذا التخطيط الاستعماري الجديد في محاولة جادة منها لتحقيق أهدافها علي حساب الغرب ، فالاختراق الإسرائيلي لإفريقيا يجري علي قدم وساق وبصورة علنية ولم تعد إسرائيل في حاجة للعمل السري والتخفي لأسباب كثيرة منها أن :

١- إسرائيل أصبحت دولة لها كيان وسيادة ومعترف بها دوليا

٢- لها قوة عسكرية ضاربة في المنطقة بل علي المستوي العالمي

٣- استجابة الدول الإفريقية لدعوة إسرائيل وعروضها في العمل داخل الدول الإفريقية في المجالات المختلفة

٤ - انضمام عدد كبير من القادة والزعماء الأفارقة لمنظمات الماسونية

٥ - هناك عدد من المشروعات الإفريقية تتبناها المنظمات الصهيونية والماسونية

ولإسرائيل داخل إفريقيا أهداف استراتيجية وأهداف سياسية وأهداف اقتصادية وأهداف أمنية وعسكرية .

وإذ بدأنا الحديث عن الأهداف الاستراتيجية يتضح لنا مدي تغلغل إسرائيل في القارة الإفريقية وتدخلها في الشأن الإفريقي وإدارتها للصراع الدائر في منطقة القرن الإفريقي وحوض النيل وبكفاءة عالية مكنتها من التحكم في مصائر الشعوب والهيمنة علي الأنظمة السياسية الحاكمة .

شعار إسرائيل المأخوذ من التوراة يقول إن الدولة العبرية من النيل إلي الفرات ، فهو يربط بين حدود إسرائيل مع مصادر المياه بشكل واضح وستواجه إسرائيل في القرن القادم مشكلة المياه فالمياه آله حرب استراتيجية بالنسبة لإسرائيل وقد كان هناك مشروع هرتزل/ كرومر ١٩٠٣م لتحويل مياه النيل إلي صحراء سينا لتوطين اليهود فيها وذلك لأن فلسطين لن تسع اليهود المنتشرين في العالم ولابد من امتداد جغرافي للدولة العبرية مؤمن من جانب المياه، وإسرائيل هي التي تخطط سيناريو الصراع الدائر الآن في منطقة القرن الإفريقي ومنطقة حوض النيل فأولا تجري مفاوضات متعددة لمد ترعة السلام إلي الأراضي الإسرائيلية وقد تم الجزء الأول منها بطول ٨٧ كلم بعد اتفاقية السلام ، ثانيا هناك تعاون إسرائيلي أثيوبي وأيضا مع باقي دول الحوض لرفع كفاءة هذه الدول في استغلال مواردها من مياه النيل بشكل يؤثر علي موارد السودان ومصر ، ثالثا هناك تعاون إسرائيلي - إثيوبي لإقامة ٤٠ مشروعا مائيا علي النهر لتنمية وزراعة الأراضي الواقعة علي الحدود الإثيوبية السودانية تضم ٢٦ سدا لري مساحة ٤٠٠.٠٠٠هكتار رابعا شيدت شركة (تاهال) الإسرائيلية للحفريات سد (أماراتي) وأماراتي هو أحد الروافد الأساسية التي تمد النيل الأزرق ب ٨٣٪ من المياه وذلك بارتفاع سد يبلغ ٧٠٠ متر وكان ذلك في عهد منقستو وقد انحسرت

مياه النيل الأزرق في السودان في الموسم الزراعي ٨٤ -١٩٨٥م ورفضت أمريكا تجديد بروتوكول القمح للسودان وتزامن ذلك مع موجة الجفاف والتصحر التي أصابت المنطقة وحلت بالسودان مجاعة لأن وزارة الري عجزت عن الوفاء باحتياجات الدولة من المياه لإنجاح الموسم الزراعي فحلت المجاعة وكان هذا أحد أسباب سقوط النظام الحاكم في ذلك الوقت ، ونفذت إسرائيل في الفترة من ١٩٧٤م - ١٩٨٥م العديد من مشرعات تطوير الري في كينيا وزائير ودربت عليها عددا من أبناء الأفارقة وقد قامت بالضغط علي السودان ومصر وذلك بدعم حركة التمرد في جنوب السودان ، واستمرار الحرب في الجنوب يعتبر سببا مباشرا لوقف العمل في قناة جونقلي الذي كان سيضيف لرصيد السودان ومصر مليارات الأمتار من المياه .

وفي واقع الأمر فإن الحديث في هذا الأمر يطول وذلك لأن إسرائيل لاتطمع فقط في مياه النيل ولكن في المياه المحيطة بالعرب والشرق الأوسط ، وقد أدرجت قضية المياه بندا سياسيا ثابتا في أي محادثات أو إتفاقيات بشأن الصراع العربي الإسرائيلي وقد تم بالفعل تخصيص لجنة لمناقشة هذا الموضوع في إطار محادثات السلام المتعددة الأطراف .

ننتقل للحديث عن الأهداف السياسية لإسرائيل والتي بدأت بإقامة شبكة علاقات دبلوماسية كبيرة مع الدول الإفريقية وتوطيد علاقة حكومة تل أبيب مع حكومات هذه الدول وذلك لحاجة إسرائيل الملحة للدعم والتأييد الدولي في المحافل والمنظمات الدولية والإقليمية مثل الأمم المتحدة وغيرها والتي تتمتع الدول الإفريقية بعضويتها .

ثانيا : قصدت إسرائيل تحطيم الحصار العربي وطوق العزلة الذي كان مفروضا عليـــها وفرض كيانها علي العرب من خلال إقامة علاقات قوية مع الدول الإفريقية .

ثالثا : إثارة القلاقل بين الـدول العربيــة والــــدول الإفريقيــة منعا لقيــام أي تكـتل عربي إفريقي أو عربي - عـربي خاصــة بين الدول التــي تربطـها عوامـل طبيعـية وجـغرافية مثـل دول حـوض النـيل ودول القرن الإفريقي (١٩) .

أما من الناحية الإقتصادية فقد أرادات اسرائيل أن تكون في مأمن من الحصار الاقتصادي العربي وذلك بالبحث عن مصادر للمواد الخام وسوق لتصدير منتجاتها ومجالات للنشاط الاقتصادي من إنشاء شركات ومؤسسات اقتصادية وكسب عطاءات إلخ ..

وأما أمنيا وعسكريا فإسرائيل تحرص علي البحر الأحمر لأنه يمثل اهم مجري ملاحي لها ومن خلاله تتمكن من التحكم في قناة السويس شمالا وباب المندب جنوبا وقد تنبهت إسرائيل لأهمية هذه المنافذ حينما أغلقت مصر قناة السويس أيام الحرب أمام الملاحة الدولية . .

ثانيا : تريد إسرائيل البقاء بالقرب من أعلي مخزون نفطي في العالم في الخليج نسبة لاحتياجها للنفط العربي وكذلك الدول الكبري لذلك يزداد ارتباط اسرائيل والدول الكبري بأمن البحر الأحمر خاصة في غياب استراتيجية أمنية عربية موحدة للمنطقة كما أن نسبة كبيرة من النفط تمر من الخليج عبر مضيق هرمز إلي خليج عمان ومنه إلي خليج عدن وباب المندب إلي البحر الأحمر وعبر قناة السويس إلي البحر الأبيض

المتوسط فأوربا كما أن أهمية البحر تعود إلي تقصير المسافة وبالتالي تخفيض نفقات ترحيل النفط من مناطق الإنتاج إلي مناطق الاستهلاك .

ثالثا : أسست إسرائيل قواعد عسكرية ومراكز استخبارات علي الجزر الواقعة علي البحر الأحمر (١٩) للسيطرة علي كل دول المنطقة وتهديدها عسكريا إذا هددت أمن إسرائيل أو حاولت مرة أخري التحكم في المنافذ البحرية ونجحت إسرائيل في إخضاع إرتريا وإثيوبيا مستخدمة ورقة الضغط المادي والمعونات بشتي أشكالها سواء أكانت المساعدات العسكرية من تزويد بالأسلحة وتدريب الجيوش وتحديثها أم المساعدات في الجوانب الأخري مثل التنمية الزراعية .

رابعا : يتمتع البحر الأحمر وشواطئه بثروات هائلة من الأسماك والمعادن

ولتحقيق أهدافها نجد أن إسرائيل اتبعت عدة وسائل وآليات منها :

١- النشاط الدبلوماسي المكثف للسفارات والقنصليات والملحقيات الصهيونية وقد ورد في جريدة معاريف الإسرائيلية بتاريخ ٢٤/١٠/١٩٦٦ (أن السفارات الإسرائيلية في القارة الإفريقية لايقتصر دورها علي العمل الدبلوماسي الصرف كتقديم أوراق الاعتماد والحفلات الخ.. بل دورها أوسع من ذلك بكثير .. عليها كسب الحكومات والشعوب الإفريقية وتسهيل دور إسرائيل في القارة والذي أصبح من الاتساع والشمول بحيث فاق دور أية دولة أخري) .

ومن وسائلها أيضا النشاط الاقتصادي المكثف : ويدخل فيه إنشاء الشركات التي تقوم بتأسيس البني التحتية للمجتمع من مستشفيات ومدارس وطرق وجسور ومنشآت حيوية أخري مثل الموانيء البحرية والجوية ويدخل في هذا المجال أيضا شركات الزراعة والري والتنمية الريفية والتعاونيات الزراعية وشركات التنقيب .

كما اتخذت اسرائيل مجال المعونات العسكرية وسيلة ضغط على الدول الإفريقية لتحقيق أهدافها فقامت بتدريب الجيوش الإفريقية وتحديثها ومدها بالسلاح وإقامة وحدات عسكرية مختلفة من طيران وبحرية ومظلات إلخ .. وإنشاء الأكاديميات والكليات العسكرية .

من أهم أليات التنفيد الإسرائيلية لعملية اختراق القارة نشاط " الهستدروت" وهو نقابة العمال الإسرائيلية وله نشاط ثر وهمته لا تفتر ، فهو يعمل علي إيجاد علاقات مع النقابات العمالية الإفريقية وتنظيم الدورات التدريبية للعمال الأفارقة ويملك الهستدروت مؤسسات اقتصادية كبيرة برأس مال إسرائيلي داخل الدول الإفريقية ويتحكم بالتالي في تسيير واستثمار أموال طائلة وأيد عاملة كثيرة من أبناء القارة هذا بجانب إنشائه لعدد كبير من المدارس المهنية والفنية والإشراف عليها وامتلاكه لنواد اجتماعية وثقافية ورياضية ودور للشباب ودور للعجزة والمسنين والأطفال وإقامة دورات دراسية للشباب من الجنسين وباللغات الفرنسية والإنجليزية (٢٠) ونشاطات أخري كثيرة لذلك يعتبر الهستدروت من أخطر المؤسسات العاملة في إفريقيا ومكلف من قبل الكيان الصهيوني باختراق القارة وقد نجح نجاحا لايشق له غبار في تكليفه الجبار هذا ..

ومن أهم وأنجح وسائل الاختراق التي اتبعتها اسرائيل هي عملية الاستقطاب فاليهود ليست لديهم نزعة تبشيرية ولكنهم أخذوا يستميلون القبائل مثل الفلاشا في اثيوبيا والتوتسي الذين يدعون الآن أن لهم

أصولا يهودية فإن صح هذا الكلام ففكرة دولة البحيرات التي تضم يوغندا ورواندا وجزء من الكنغو ويسيطر عليها التوتسي تضمن لليهـود السـيطرة علي جزء كـبير وهـام من القارة الإفريقية يؤمن لها المياه قبل الثروات الآخري .

نختم هذه الورقة بالحديث عن بعض عوامل نجاح اليهود والاختراق للقارة الإفريقية ويتمثل بعضه في وجود كوادر وكفاءات إسرائيلية علمية وأكاديمية وفنية تلقت تعليمها في جامعات الغرب وسخرت علمها لخدمة الكيان الصهيوني .

ثانيا : امتلاك إسرائيل للتكنلوجيا الحديثة التي أمدتها بها الولايات المتحدة ودول اوربا الغربية فبسطت بها قوي صناعية وعسكرية كبري .

ثالثا : القروض والمعونات المالية التي تتلقاها إسرائيل من امريكا والغرب خاصة ألمانيا التي لازالت تدفع تعويضات النازية هذا بجانب وضع اليهود لاستراتيجيات وخطط وبرامج مدروسة بعناية والعمل الدؤوب الجاد علي تنفيذها بدقة تماما كما تلزمهم بروتوكولات حكماء صهيون .

لابد هنا من الإشارة إلي أن الموقف العربي السلبي تجاه الدول الإفريقية ساعد في نجاح المخطط الإسرائيلي . فالتمثيل الدبلوماسي بين الدول العربية والإفريقية ضعيف .

ثانيا : عدم قدرة أو استجابة الدول العربية خاصة النفطية للمطالب المادية للاقتصاد الإفريقي المتردي (٢١) وأضف إلي ذلك أن كل عوامل النجاح الإسرائيلي التي ورد ذكرها ، تعتبر عوامل فشل بالنسبة للجانب العربي . والجدبر بالذكر أيضا أن اسرائيل استطاعت التغلغل داخل المنظمات الدولية والإقليمية للأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية وأصبح لها تأثير مباشر عليها استثمرته لإنجاح مخططها داخل إفريقيا بل لإنجاح المشروع الصهيوني في العالم أجمع ولا ننسي ضغط أمريكا والدول الغربية علي الدول الإفريقية وإجبارها علي التعاون مع إسرائيل وإن استدعي ذلك قطع علاقاتها مع دول جوارها والدخول معها في حروب مثلما هو حاصل اليوم من قبل إثيوبيا وإريتريا ويوغندا وتوتر علاقاتها مع السودان .

ومثال أخير أختم به هذه الورقة يبين لنا مدي تدخل اسرائيل في الشأن الإفريقي ماجاء في كتاب (الجمهورية الإسرائيلية) لمؤلفه اليهودي (أشيرأريان) وهو عميد كلية العلوم الإنسانية بجامعة تل أبيب يقول الكاتب عن فضيحة (لافون) إن المخابرات الإسرائيلية أصدرت تعليمات لخلية يهودية في مصر لتفجير مؤسسات أمريكية في القاهرة لضرب العلاقات المصرية- الأمريكية وتم اعتقال ثلاثة عشر يهوديا وشنق اثنين منهم وفي المقابل نفذت إسـرائيل عملية انتقاميـة في غزة أدت لمصرع ٤٠ جنديا مصريا ولم تنجح إسرائيل في تحويل الأنظـار عنها ممّا أدى إلي تقـديم بن جـوريون رئيس الحكومة آنـذاك استقالته في يناير ١٩٦١م .

كلمة أخيرة أقولها وهي وباختصار ضرورة إنشاء مركز للدراسات العبرية أو الإسرائيلية تقوم بالبحث الاستراتيجي والتدريس عن كل مايختص بإسرائيل .

ثانيا نشر الوعي بالمخططات الصهيونية والاستخدام الأمثل لأجهزة الإعلام في هذا الموضوع .

المصادر :

* الكتاب المقدس : دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط
* ظفر الإسلام خان (التلمود)

(A'Lods, (Israel , from its Baginning to the . Middle of the Eighth Century)

The Jewish Encyclopedia "

1)Tun & Wagralls Company , New York & London

(The New Encyclopedia Britanica) Published H. H. Benton , Printed in U.S.A Uni.of Chicago .

* الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض ١٣٩٢ – ١٩٧٢م
* هالسل ، غريس (النبوءة والسياسة) ترجمة محمد السماك ، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ١٩٨٩م
* أتلخان ، جواد رفعت (أسرار الماسونية – ترجمة سليمان محمد أمين القابض ونرر الدين رضا الواعظ . كركوك ١٣٧٦هـ .
* نويهض ، عجاج (بروتوكولات حكماء صهيون ، نصوصها رموزها أصولها التلمودية)
دار الإستقلال للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الرابعة
* سبيريدوفتش ، شيريب (حكومة العالم الخفية) ترجمة مامون سعيد (١) ص ١٩
الطبعة الخامسة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م
دار النفائس – بيروت ١٩٨٤م
* بلاك ، إيان وبيتي ، موريس (حروب إسرائيل السرية ، تاريخ الأجهزة الاستخبارية الإسرائيلية) ترجمة محمد جولاق وعبدالرحيم الفرا . الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان . الطبعة الاولي ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢م .
* الزغبي ، الأرقم (حقائق عن اليهودية) الدار المتحدة للطباعة والنشر . الطبعة الأولي ١٩٩٠م.
* وثائق مؤتمر البحر الأحمر ، مركز دراسات الشرق الأوسط الأردن .
* الزغبي ، حلمي (مخاطر التغلغل الصهيوني في إفريقيا) كاظمة للنشر والترجمة – الكويت ١٩٨٥م .

المصادر :

1- The New Eencyclopoedia Britarica

٢- سيريدروفتش تشيريب حكومة العالم الحفية " ترجمة مأمون سعيد

٣- المصدر السابق ص ١٩ الطبعة الخامسة ١٩٨٤م ص ١٩

٤- المصدر السابق ص ١٩

٥- نويهض ، عجاج " بروتوكولات حكماء صهيون " دار الاستقلال للدراسات والنشر ، بيروت الطبعة الرابعة ص ٩٠٢

٦- بلاك ، أيان – بيتي " موريس " حروب اسرائيل السرية ، تاريخ الأجهزة الاستخبارية الاسرائيلية ترجمة محمد بولاق وعبدالرحيم الفرا .. ص (٢٩)

٧- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة – الندوة العالمية للشباب الإسلامي الرياض ١٩٧٢ ص ٣٢٩

٨- المصدر السابق ص ٤٤٧

٩- - الزغبي الارقم " حقائق عن اليهودية" الدار المتحدة للطباعة والنشر ، الطبعة الأولي ١٩٩٠ ص ١٧٣

١٠- الموسوعة الميسرة ، مصدر سابق ص ٤٢٩

١١- الموسوعة الميسرة - مصدر سابق ص ٩٧

١٢- المصدر السابق ص ٢٩١ .

١٣- الزغبي ، الأرقم ، حقائق عن اليهودية ، مصدر سابق ص ١٨٠

١٤- الموسوعة الميسرة مصدر سابق ص ٤٨٩

١٥- الزغبي ، الأرقم ، حقائق عن اليهودية ، الدار المتحدة ١٩٩٠ ص ٧٥

١٦- هالسل ماغريس " النبؤة والسياسة " ترجمة محمد السماك جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الطبعة الأولي ١٩٨٩ ص ٩

١٧- المصدر السابق ص ١١

١٨- الزغبي حلمي مخاطر التغلغل الصهيوني في إفريقيا " كاظمة للنشر والترجمة - الكويت ١٩٨٥م ص ١٥

١٩- المصدر السابق ص ١٨ -١٩

٢٠- ثائق مؤتمر البحر الأحمر ، مركز دراسات الشرق الأوسط الأردن

٢١- الزغبي ، حلمي مخاطر التغلغل الصهيوني في إفريقيا " مصدر سابق " ص ٨٣

٢٢- المصدر السابق ص ١٠٧ - ١١٠

التبشير .. والاستشراق أداتان استعماريتان للاختراق الحضاري

د . عبد الله بريمة فضل *

(أ) التبشير :

التبشير ، والاستعمار كلمتان عربيتان ، استعملتا في اللغة العربية وهما يحملان من المعاني أرقاها ، ومن المشاعر أنبلها ومن الأمل والتطلع إلي المستقبل أوسعها أفقا و أبعدها مدي وهكذا استمرا يرتقيان في مدارج الرقي والتطور الدلالي للكلمات والمعاني حتي بلغتا أوجه فقد استخدمت العرب كلمة (البشارة) و (البشير) و (البشرى) وكل ما اشتق من (الباء) و(الشين) و (الراء)(١) كما جاء في القرآن الكريم قال عز من قائل (فبشر الذين آمنوا ... (٢) وقال (فبشرناه بغلام عليم .. (٣) وقال :(مبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه أحمد .. (٤) ووصف الرسول (صلي الله عليه وسلم) في أكثر من موضع في القرآن بأنه (البشير النذير) (٥) . وإذا رجعنا إلي الوراء قليلا وجدنا للكلمة جذورا وامتدادا في الأديان السماوية الأخري علي الرغم مما دخلها من اجتهادات ففي العهد الجديد - مثلا - نجد الكلمة ذات دلالات روحية كما جاء في الإصحاح (الثامن والعشرين ، من إنجيل متي : (اذهبوا وعلموا جميع الأمم وعمدوهم باسم الأب والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به وها أنا معكم كل الأيام إلي انقضاء الدهر (٦) كما جاء في إنجيل مرقص علي لسان يسوع : (وقال لهم اذهبوا) للعالم بالانجيل وللخليقة كلها : من آمن واعتمد خلص ، ومن لم يؤمن يدن) (٧) والبشارة المفرحة من العنوانين البارزة في هذا الانجيل - انجيل مرقص - حيث جاء قوله (وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلي الجليل يكرر بشارة ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل (٨) بل إن كلمة (انجيل) نفسها تعني أول ماتعني (البشارة) كما ترجمت عن اليونانيين (euaggetion) كما قرر ذلك شراح الأناجيل (٩) ثم تتوالي عليها من المعاني ماينطوي تحت الإيمان والبشارة . كإنجيل الحق ، وإنجيل الرجاء وإنجيل السلام ، والخلاص والخلود (١٠) .

هكذا عرف التبشير وشاع الدين المسيحي وكان لهم مبشروهم من الأنبياء والرسل وكتاب الأناجيل : مثل (لوقا) الذي عرف ب (لوقا البشير) (١١) وممن ورد اسما في العهد الجديد (فليب) وبرنابا ومارك وبول الذي ترتب علي رحلاته إنشاء كنائس في أماكن متعددة من آسيا الصغري واليونان وأمر التأصيل لعملية التبشير الكنسي ليأخذ شكله الاكلروسي الحديث (١٢) مع شيء من الخلاف والاختلاف بين الكنيستين (الكاثوليكية) و (البروتستانتية في مفهوم التبشير ومداه (١٣) طبقا لانفتاح دعوتها نحو العالمية في التبليغ وقد سبقت (المسيحية) أيضا في هذا المضمار . مضمار التبشير و أهمية كل من (الزرادشية

---

* جامعة القرآن الكريم رئيس إدارة النشر والتأليف

القرن ٦ ق . م والبوذية من بعد بوذا - ٤٨٣ - ٥٦٣ - ولم يشذ في هذا الصدد سوي اليهود الذين كانوا ولايزالون يعتبرون اليهودية دينا خاصا وإرثا أبويا لاتنبغي فيه المشاركة لذلك كان التبشير عندهم غير ذي موضوع .

(ب) الاستعمار :

والاستعمار كالتبشير تماما في حسن مفهومه ودلالته اللغوية كما ورد في القرآن الكريم في الآية الكريمة من سورة هود عليه السلام (وإلي ثمود . أخاهم صالحا ، قال ياقوم : أعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الارض واستعمركم فيها ، فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (١٥) واستعمركم فيها أي جعلكم معمرين لها ..)

ولكن سرعان ما انتهي مدلول هاتين الكلمتين - وما إليهما من الكلمات - من الضّد إلي الضّد من النقيض إلي النقيض - حتي لاتكاد تنعت أحدا او تصفه بأنه (مبشر أو مستعمر.) إلا واستقبل منك هاتين الصفتين بشيء من التحفظ غير قليل ، إن لم يقابله بالرفض ، والاستنكار ، فلما ذا وما الذي حدث لهاتين الكلمتين وماشابههما من الكلمات حتي تنتهي إلي هذه النهاية العكسية لهذا التطور .

الواقع إن الكلمات في تطورها ودلالاتها علي معانيها المتطورة تسلك طريقا منتظما فتراكم المعاني المتماثلة والمشابهة حول الدال الواحد - لأسباب - فيستخدم كلها في موضعه وفق ما تتطلبه المواقف أو المقام ،، أو تدل عليه القرائن حتي تصير مصطلحا محتفظة بكل تلك المعاني والمدلولات متقدمة عليها بمضمونها الاصطلاحي ، مالم يعترض سبيلها معترض قوي - مناقض لتلك المدلولات - فيؤثر علي اتجاهها التطوري ·- خارج إطار اللغة - سياسيا كان أم اقتصاديا أم اجتماعيا أم نفسيا .. إلخ فينحرف بها عن السواء بنسبة الضغط الواقع عليه ، فإن كان الضغط يسيرا كان الانحراف كذلك وقد تعود الكلمة إلي طريقها الطبيعي في التطور إلي مداه وان كان الانحراف قويا انتهي بها الانحراف من النقيض إلي النقيض كذلك الذي حدث لتلك الكلمتين سالفتي الذكر (التبشير والاستعمار) .

وهذا أمر طبيعي وذلك لأن (اللغة) و (الفكر) وجهان لعملة واحدة فلا لغة بغير فكر ولا فكر بغير لغة ، فإن كان الفكر مستقيما استقامت الكلمات وسارت في تطورها إلي نهاية الشوط و إن كان الفكر منحرفا انحرفت بنسبة ذلك الانحراف ، فلما كان الفكر مستقيما في استخدام تلك الكلمتين فيما و ضعتا لهما هو التبشير (بعناية الله بالبشر بإنزال الكتب والرسل لهدايته إلي الطريق القويم وأداء وظيفته في الأرض علي الوجه الأكمل وهي العبادة وتعمير الأرض لأمنه واستقراره ولإستمراره في أداء تلك الوظيفة حسنت وعظمت شخصية المبشرين والمستعمرين للأرض الأقوياء والمستضعفين علي السواء فسعدت البشرية بعمار الأرض وتفاءلت بدلالات التبشير ومدلولاتها . وكان يمكن أن تستمر الكلمة علي تلك الحالة فتزدهر الأرض عمرانا وبشرا كلما توالي المبشرون من الأنبياء والرسل وكتاب الوحي وغيرهم ولكن عندما اعترض معترض فسرعان ماتحول مدلولهما شيئا فشيئا حتي انتهيا إلي النقيض لصياغة المؤتمر .

ومن الواضح أن الضاغط المؤتمر علي الكلمتين كلتيهما كان سياسيا حيث أساء المستعمرون معاملة الشعوب المستضعفة فكانت أعمالهم نقيض ما ادعوه لرسالة الرجل الأبيض المتحضر تجاه العوالم المتخلفة فاستغلوها ونهبوا ثرواتها وديارها بدلا من تعميرها ولم يال المستعمرون جهدا في استخدام المبشرين

للوصول إلي أهدافهم غير المشروعة وبذلك انقلب المدلول اللغوي والاصطلاحي لكلمة التبشير وبالتالي غض ذلك من شخصية المبشرين التي تحولت لتكون أداة من أدوات الاستعمار وأصوله من أحابيلهم بعد أن كان ذا شخصية قوية مؤثرة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا بل لغويا وأدبيا .

أما من الناحية السياسية قد اتسمت المسيحية بقوة شخصية رجل الدين مع الملوك فشطرت الدولة فكانت لها السلطة الروحية في مقابل السلطة الزمنية التي تقرر بمقتضاها الحق الإلهي الملكي كما كانت للكنيسة خزينتها وميزانيتها التي تنفق منها علي التبشير أما من الناحية الاجتماعية فقد كان ينظر لأي رجل دين في أوربا نظرة تقترب من التقديس ويكفي في الدلالة علي ذلك ما أنيط به من طقوس كنسية كالتعميد وصكوك الغفران .. الخ ونتيجة لما سبق فقد توحدت أوربا أو كادت تحت ظل المسيحية بعد أن توحدت اللغة الثقافية - اللاتينية - قبيل عصر القوميات وهي في الوقت نفسه كانت لغة الدين.وذلك إبان ازدهار الدولة الفرنسية ومحاولة هيمنتها علي القارة الأوربية ، فألقت شخصية رجل الدين بظلالها علي الأدب فأثري بذلك القواعد الأدبية والنقدية التي أقام عليها أرسطو (لنظرية الأدب) من خلال تأصيله للمسرحية اليونانية ، التي أراد لها الأدباء والنقاد الأوربيون وفي مقدمتهم ايطاليا ففرنسا فانجلترا فالمانيا - أن تكون أداة صالحة للدعاية للمسيحية ، الأمر الذي يقتضي أن يكون لرجل الدين دوره البارز في البطولة لما قام به من دور إيجابي في هذا المضمار ، غير أن البطل المسرحي بمواصفاته الأرسطية لاينطبق علي رجل الدين فكان من صفات الإيطاليين علي المسرحية اليونانية تعديل البطل الأرسطي كان يجب أن يكون وسطا بين رذيلتين إما جريا مع النماذج الموروثة لدي اليونانيين التي استنبط منها ارسطو قواعده المسرحية وإما جريا مع فلسفته التي تقوم علي الوسطية في كل شيء ، فكان ذلك من الإضافات الطيبة التي قام بها الإيطاليون في سبيل تطور الفن المسرحي - إلي جانب الوحدات الثلاث والفصول الخمسة للمسرحية - وقد أمدهم بالنماذج المسرحية الضرورية لتطبيق تلك النظرية . وبدأ الخروج أو كسر البناء الأديب المسرحي الفرنسي كورني ، كما توج الأديب الناقد الفرنسي (بوالو) تلك الاجتهادات بكتابته فن الشعر الذي قعّد فيه للمدرسة الكلاسيكية الأوربية فكان كل ماتقدم يعتبر عملا إيجابيا لرجل الدين ومشرفا له مضافا إلي رصيده الحضاري لكن ماذا بعد ؟ فقد تقدم الزمن وتقدمت اوربا حتي أدركت عصر النهضة وكان علي رجل الدين أن يتقدم ، ولكن بقي رجل الدين قابعا في صومعته يحلل ويحرم شارعا من الدين مالم يأذن به الله ، حتي انتهي به الأمر إلي محاكم التفتيش التي كان وقودها أولئك النفر من المبدعين - من العلماء والفلاسفة والفنانين - الذين خرجوا علي معتقدات الكنيسة ، فلم تكد تنطفيء تلك النار إلا بعد أن اصطلي بها رجال الدين أنفسهم بثورة العلماء علي الكنيسة الأمر الذي انتهي بهم ليس إلي إنهاء وظيفة رجل الدين بل إلي إنكار قدرة الدين علي حل مشاكل الإنسان ومحاولة إحلال الدين محله عند بعض المتطرفين من العلماء والفلاسفة والمفكرين حتي نهض نفر من المخلصين فاقاموا المصالحة بين الدين والمعطيات الإنسانية - الفلسفة ، العلم والفن - حيث إنهم لم يروا هناك تناقضا بين الدين الصحيح والعلم والفلسفة الصحيحة والفن الصحيح طالما لكل منهم وظيفته التي لايغني فيها غيره غناءه

ومع ذلك بقيت قضية رجل الدين معلقة وشخصيته مرفوضة وإن كان لابد له من دور فخارج القارة

الأوربية .. إلي الشعوب الذين هم أقل حضارة ، وأقل علما والشعوب البدائية الجاهلة كل الجهل بما حولها من العوالم العاجزة كل العجز عن الوصول لحاجاتها الضرورية في الحياة الإنسانية فضلا عن العلم بعلاقة الأرض بالسماء الأمر الذي يستوجب علي رجل الدين المسيحي القيام بواجبه الديني تجاه هؤلاء الكائنات الاجتماعية .. ومن هنا استجدت فكرة التبشير وانطلق المبشرون نحو آسيا وإفريقيا ومن البداهة بمكان ألا تكون خزينة الكنيسة القائمة أساسا علي مساهمة الأعضاء المتحمسين لفكرة التبشير والدعوة إلي الإصلاح الديني ومراعاة حقوق الإنسان - بعد تلك الضربة القوية التي تلقتها من الثورة العلمية وموقف العلماء والمفكرين منها - بقادرة علي الإنفاق اللازم تجاه هذه المهام الكبيرة ومن هنا وقع التبشير والمبشرون فريسة سهلة في يد الاستعمار لتملي عليه ما يريد متي ما اختلفت النوايا أو الأهداف .

التبشير والصراع الحضاري :

لاجرم أن وظيفة الإنسان في هذه الحياة هي العبادة ، وأن الإنسان بما هو حيوان ناطق - أي مفكر - امتاز علي بقية الكائنات الطبيعية بمقتضي هذا التفكير فلابد أن يسعي - تلقائيا - للقيام بأداء تلك الوظيفة التي ما وجود الأرض إلا رهن بأدائها فيصيب أحيانا ويخطيء أخري حتي تدركه العناية الإلهية لمساعدته في جميع أطوار حياته الدنيوية التي تختلف زمانا ومكانا ومضمونا ، وإن اتفقت في الاتجاه والهدف ومن هنا كانت وظيفة الرسل عليهم صلوات الله وأتم التسليم - لتبليغ الأديان السماوية في حلقات الحلقة تلو الأخري حتي جاء الإسلام فكان خاتم الرسالات وكان الرسول محمد صلي الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين فكان مثله ومثل الأنبياء والمرسلين من قبله كمثل ذلك البناء الذي أكمل فلم يبق إلا موضع للبنة فكان صلي الله عليه وسلم تلكم اللبنة التي أكملت ذلك البناء .

وبناء علي ماتقدم فإن ما يسبق إلي تصورنا لتلك الأديان الكبيرة التي تحدثت عنها الكتب السماوية - اليهود ية والمسيحية والإسلام - أن تعمل متعاونة لحل مشاكل الإنسان أينما كان في هذه الكرة الأرضية وذلك لأنها جاءت في صورة ثلاث حلقات متتالية يكمل بعضها بعضا ، وتتناسب والأطوار الثلاثة التي مرت بها المجتمعات الإنسانية - الطفولة ، الشباب ، الكهولة أو الرجولة فمرور هذه الحلقات الثلاث في مراحلها وأزمنتها و أمكنتها الموقوتة لاتشكل مشكلة خطيرة ، إذ أن لكل طور بسماته وملامحه ومشاكله التي تنجم عن تلك السمات والملامح ومايكتنفها من وقائع و أحداث وما تتطلب من حلول ولكن الأمر يبدو جد مختلف وخطير عندما تلتقي هذه الحلقات الثلاث في لحظة تاريخية محددة وزمان ومكان محددين ، حيث يبدو لكل أصحاب دين أنهم أصلح من غيرهم للبقاء طبقا لما تؤمن به من قواعد ومعايير استنبطتها من دينها طالما كان الدين هو أس الحضارات الإنسانية علي اختلاف مشاربها وفق مايقرره الدين الإسلامي .

الحلقة : الأخيرة من تلكم الحلقات - كما جاء في قوله تعالي .. (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله ...) صدق الله العظيم .

وهنا يقتضي الأمر ويقضي العقل والمنطق والدين أن يكون الوصول إلي الحقيقة عن طريق الحوار لقوله تعالي (وجادلهم بالتي هي أحسن) لأن أساس الحوار أن يقوم علي السماحة وسعة الصدر وهو أمر أول مايفيضه - (التجرد وخلوص النية إلي الله والبعد عن شرك النفس في هذا الأمر فضلا عن الغير من أصحاب الهوي بقوله صلي الله عليه وسلم : لن يؤمن احدكم حتي يكون هواه تبعا لما جئت به ، ولقوله تعالي

:(فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) لأنه بغير هذا الطريق يتحول الحوار إلي صراع والصراع إلي قتال . فهل كان الزمان والمكان يسمحان بمثل هذا الحوار أما الزمان فقد كان إبان انهيار الدولة العثمانية أو الخلافة الإسلامية بقيادة الآتراك العثمانيين وهو ماعرف بتركة الرجل المريض الذي كانت تنتظره دول أوربا بشقيها الشرقية والغربية بكنيستيهما ليأخذ كل نصيبه في تلك التركة فمن النزاهة بمكان ألا تنتظر تعاونا ما .. بقدر مايكون التنافس علي أشده ليس بين – الحلقتين الأخيرتين – اليهودية والمسيحية – بل الكنسيتين الكبيرتين في الحلقة : الوسطي المسيحية – الشرقية والغربية دينا والمعسكرين الكبيرين في اوربا الشرقية والغربية سياسيا . أما المكان فقد كان الشرق الأوسط حيث بيت المقدس أول القبلتين وثالث الحرمين حيث تصبو آمال اليهود إلي إقامة دولتهم علي هيكل سليمان (عليه السلام) ولما يتحقق الأمل بعد وهنا أيضا لانتوقع تعاونا من هذه الحلقة بقدر ما ننتظر الترقب والحذر أن لم يكن التاهب والانقصاض .

لم يعد أمامنا إلا منطق القوة بفرض الأمر الواقع الحلقة الغالبة عسكريا والغازية فكريا ومن هنا يأتي دور التبشير والمبشرين الذين أخذوا يخططون للمدارس الإرسالية بصور محكمة للناشئة منذ نعومة أظفارهم – من الرياض حتي الثانوية التي كانت نواة للجامعات مع مراكز الثقل الإسلامي فكلية في (استانبول) هي كلية روبرت – وأخري في إزمير وهما من كبريات المدن الإسلامية في دولة الخلافة وكليتان في الشام هما (الكلية الإنجليزية) والجامعة الأمريكية ببيروت والكلية الأمريكية بالقاهرة وكلية في لاهاي عاصمة البنجاب وكلية غردون التذكارية جامعة الخرطوم حاليا في العاصمة السودانية التي تعتبر قلب إفريقيا حيث يبدأ الصراع الحضاري علي أشده نتيجه لنشاط الإرسالية وتنافسها في المجال التبشيري وكان إلي جانب الكنيستين الكبيرتين الارثوذكسية والبروتستانتية عديد من إرساليات الدول الغربية وهي :

(١) الإرسالية الايطالية ١٩٠١م (ب) الإرسالية البريطانية ١٩٠٥

(ج) الإرسالية الأمريكية ١٩٠٢م (د) ارسالية السودان المتحدة ١٩١٣م

(هـ) إرساليةالسودان الداخلية ١٩٣٨م

وقد رصدت هذه الإرساليات حسب نشاطها التبشيري في المنطقة الإفريقية التي أخذت تتوغل فيها بحجة حقوق الإنسان تارة ومنع الاتجار بالرقيق تارة وهكذا بغية التدخل في شئون الآخرين الأمر الذي لاتزال تنتهجه امريكا ضد السودان .

خطـــة الاحتـــــواء :

أما خطة الاحتواء فقد وضعت علي ثلاثة مرتكزات تعليمية هي :

(١) المنهج : وهو مجموعة النشاط الذي يقوم به الطالب داخل وخارج الفصل وقد تضمن الطقوس الدينية كالصلاة حتي تكون في إطار المنهج وبالتالي يجبر الطلاب بمختلف أديانهم على حضورها وهو ضرب من التنصير غير المباشر في البداية .

(٢) الكتاب المدرسي ويتضمن نصوصا انجيلية أجمعت عليها جميع الكنائس الإرسالية

(٣) المدرس : ويفضل بل يفرض أحيانا أن يكون مسيحيا وإلا فمسلم غير ملتزم

(٤) الداخليات : وقد تفرض علي بعض الطبقات التي لم تكن في حاجة كأبناء السلاطين والباشوات.

الإستشراق والصراع الحضاري :

إذاً كل ماتقدم هو دور التبشير والمبشرين وعلاقتهم بالاستعمار في الصراع الحضاري مع الأمم والشعوب الإسلامية إفريقية كانت أم آسيوية لاختراق حضاراتها حتي تجد التعاليم الكنسية مستقرا لها في ضمائر تلك الشعوب وأن العلاقة بينها وبين الاستعمار كانت علاقة قسر ، فإن العلاقة بين الاستعمار والاستشراق كانت علاقة رضي واتفاق وذلك لإكمال ماعجز عنه المبشرون وتقاصرت عنه خطاهم في مناهجهم التعليمية النظامية والعناية .بالكبار ممن فاتهم ركب التعليم النظامي ومن تجاوزوا المراحل الثانوية إلي الجامعات التي كفلت لهم ثقافتهم الانخراط في هيئات تدريسها حيث تبث الأفكار الكنسية عن طريق الإيحاء وبذلك تستطيع إخراج جيل من المستشرقين الذين يحملون الفكر الصليبي وهذا أبلغ ضررا علي الإسلام من التبشير والاستعمار معا ولا أدل علي ذلك مما فعله الاستشراق في مصر وهي دولة إفريقية تأثرت بالاستعمار والاستشراق فكانت أول دولة علمانية انفصلت عن دولة الخلافة ثم طبقت القوانين الفرنسية بقصد إقامة دولة حديثة وجيش حديث فعجلت بذلك علي تفتيت دولة الخلافة وسقوط السلطان عبدالحميد فخرج بعد ذلك مباشرة جيل قد تشرب الفكر الاستشراقي ليقوم بدوره علي أكمل وجه فعملت علي التشكيك في ثوابت المجتمع الإسلامي من خلال مؤلفات كالشعر الجاهلي لطه حسين والإسلام وأصول الحكم لعلي عبدالرازق وتحرير المرأة الجديدة لقاسم أمين والحروف اللاتينية لعبدالرحمن فهمي ثم أثاروا بعد ذلك قضايا أهمها :

(١) العامية والفصحي لمحاربة اللغة العربية

(٢) الترجمة لانتقاء الأفكار المؤصلة والمذاهب الهدامة

(٣) التحقيق وتناولوا كتب التراث والفرق المتطرفة كالمعتزلة وغلاة الشيعة

(٤) المؤتمرات التي يقيمها المستشرقون للتأكد من تأثيرها علي الأمم لأن الإستعمار جعلت منهم رأس الرمح إلي جانب المستشرقين لاختراق الأمم فما العمل .

المقترحات :

(١) الصراع الحضاري يقوم علي شقين نظري وعملي فيجب أن يواجه كلا بطريقته فالجوانب النظرية لايمكن الرد عليها إلا بفهم الإسلام فهما جيدا وتقديمه تقديما عصريا ووضع قواعد للنقاش بغرض الوصول إلي الحقيقة .

(٢) اما الجانب العملي فيجب أن يقابل بالعمل الجاد الواعي فإذا كان التبشير قد أقام منهجه التعليمي لاختراق الثقافة الإسلامية علي مرتكزات منهجية فيجب أن يقابل كل مرتكز بما يضاهيه فالمنهج الإنجيلي يجب أن يقابل بالمنهج القرآني والاستاذ المسيحي أو المسلم غير الملتزم باستاذ مسلم ملتزم وكذلك الطقوس وهكذا ولعلّ هذا قد بدأ فعلا بإنشاء جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية التي تعمل علي تعميم الدعوة الإسلامية في جميع المرافق الحيوية وذلك بتأهيل الطبيب الداعية والمهندس الداعية وغير هم من رجال الحرف والأعمال .

(٣) ومما قامت به جامعة القرآن الخلوة النمونجية التي تجمع بين تحفيظ القرآن والعلوم الحديثة .

تعقيب علي ورقة الدكتور الناصر ثم الدكتورة حسنات

(أ) حسن علي الشايقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله

نشكر الأخ الدكتور الناصر أبوكروق علي هذه الورقة

وألاحظ أن بعض الإحصائيات التي ذكرها ترجع إلي تاريخ بعيد حيث أن هناك إحصائيات قد أعدت عام ١٩٥٨ وهذا تاريخ يعود إلي أربعين سنة ولاشك أنه قد حدث تغيير كبير في هذه الفترة ، وكان الأحري أن تؤخذ هذه الإحصائيات من وقت قريب خاصة وأن وسائل الاتصال والإحصائيات والمعلومات قد أصبحت في متناول اليد ويسهل الوصول إليها .

وجاءت الورقة من قسمين :

القسم التاريخي وذكر فيه خلفية تاريخية عن المسيحية في إفريقيا ، وتحدث عن بعض وسائل التنصير ، وذكر أن الإسلام قد انتشر في شمال وشرق إفريقيا في وقت وجيز ووصفه بأنه دين سهل ويتسم بالبساطة بحيث يفهمه الإفريقي بسهولة ويسر وهذه حقيقة يعرفها الجميع ، وبالرغم من وجود أغلبية مسلمة في هذه البلاد فإن المسلمين مازالوا يعيشون في تخلف شديد ، وما أود أن أضيفه في هذه النقطة هو أننا مازلنا نعتمد علي الماضي في الجهد الذي بذله المسلمون في نشر الإسلام في أنحاء القارة .

أما في العصر الحديث فالواضح هو أن نشر الدعوة الإسلامية ضعيف مقارنة مع جهود المبشرين الذين جاءوا إلي إفريقيا وبذلوا جهودا كبيرة لتحقيق أهدافهم حيث يمكث أحدهم في مكان واحدا لا يغادره لمدة قد تصل إلي عشرين عاما يتعلم فيها بعض اللغات الإفريقية ، ويكتب هذه اللغات بالحروف اللاتينية ، ولا يسعفنا التاريخ بأمثلة بالنسبة للدعاة المسلمين أو للمؤسسات الدعوية الإسلامية ، وليس هذا الأمر مقصورا علي الأفراد فحسب بل يشمل حتي المؤسسات وهي رغم قلتها وضعف إمكاناتها تفتقر إلي التنسيق فيما بينها ونفرض مثالا لذلك المؤسسات الدعوية في السودان فإننا نجد أن التنسيق بينها غير موجود ، وهذا بشهادة بعض الذين يعملون في هذه المجالات ومن أبسط عوامل النجاح أن تنسق المؤسسات مع بعضها حتي لايحدث تضارب بينها ومن ثم نصل بذلك إلي نتائج إيجابية في مجال عملها في النهاية . من الأشياء التي ذكرت في هذه الورقة ذلك الجهد المبذول لنشر اللغة العربية في إفريقيا وبالرغم من أن هناك حوالي ٣٣٪ من سكان إفريقيا يتحدثون باللغة العربية فإن الجهد المبذول لنشرها يعتبر ضعيفا بالمقارنة مع المعاهد الكثيرة المنتشرة لتعليم اللغات الأوربية وهذا يعتبر تقصيرا واضحا من العرب والمسلمين في هذا الجانب ، ولا تخفي علينا أهمية اللغة العربية باعتبارها المدخل لفهم القرآن وتعاليم الإسلام ويبدو كذلك واضحا ضعف التعاون العربي الإفريقي بالرغم من إنشاء المصرف العربي في إفريقيا والبنك الإسلامي في جدة .

وفـي حـديث الدكتورة حسنات في هذا الجـانب نـري أن إسـرائيل قـد اسـتطاعت أن تمـد يدها وذراعها الاقتصادي إلي إفريقيـا نتيجـة تقاصـر الـدول فـي هـذا المجـال ، ويعتـبر هـذا نجـاحا للسياسة الإسرائيلية في إفريقيا . وأخيرا نعود للدكتور أبوكروق حيث ذكر أن المنصرين لم ينجحوا في تنصير المسلمين ولكنهم نجحوا في إفراغ المسلمين من روح الإسلام وهذا هو المخطط الذي وضع لضرب الإسلام وعندما لما يحرزوا نجاحا اتجهوا إلي علمنة الدولة ووجدوا مقاومة شديدة ولكنهم وجدوا في النهاية من يؤمن بآرائهم بل ويبشر بالدولة غير الدينية من بين المسلمين .

(٢) دفع الله حسب الرسول

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله صلي الله عليه وسلم

يبـدو أن الزمن يسـابقنا وودت لو أنـه كـان كـافيا حتـي نستعرض ورقـة الدكـتورة حسـنات بالطريقة التي أعدت بها . والورقة عنوانها المنظمات والجمعيات السرية والاختراق الإستعماري في إفريقيا ، وفي اعتقادي – حقيقة – أن الصراع في إفريقيا ليس دينيا وإنما هو صراع تدفع إليه المصالح وهذا بالنسبة لليهودية وبالنسبة للمسيحية لأن اليهود أصلا لا يدعون أحدا لأن يدخل في دينهم والمسيحية لا تشترط شروطا لأن تدخل هذا الدين ، فلا تكن مسلما وكن أي شيء بعد ذلك ولو أن المسيحية كانت تزن أمورها بميزان الدين لرأت أن المسلمين هم الأقربُ إليها لأنهم يؤمنون بعيسي واليهود لايؤمنون به – بل إن النصاري يعتقدون أن اليهود قد قتلوا عيسي ، فكيف يمكن أن تقرب من قتل نبيك وتبعد منْ يؤمن بنبيك وعداوة اليهود للإسلام بدأت قبل ظهور الإسلام وكانوا يستفتحون علي الذين كفروا فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به .. أي لما جاءهم محمد صلي الله عليه وسلم كفروا لأنهم لم يستطيعوا أن يسخروه لخدمة مصالحهم

والآن نري أن هناك اتفاقيات أبرمت مع اليهود كاتفاقية أوسلو فهل نفذها اليهود ؟

وقد كان لهذه الاتفاقيات أثر كبير حيث إن الأفارقة وحتي العرب أصبحوا يتهافتون علي اسرائيل ويطبعون علاقاتهم معها . واعتقد أن المسلمين والعرب هم السبب في أن يجد اليهود هذا المجال بينهم وواهم من يظن أنه ستكون هناك علاقة ودية مع اسرائيل أو عهد مع اسرائيل لأن الله سبحانه وتعالي قد قال (كلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم) فإذا كان بيريز قد صالح فهذا نتنياهو قد نقض ماصالح عليه ذاك .

ونسأل الله سبحانه وتعالي أن يعين المسلمين علي فهم دينهم حتي يعلموا أنه من أشد الناس عداوة لهم اليهود والذين أشركوا وهؤلاء لايزالون يقاتلونكم حتي يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) .

(٣) الدكتور أبومنقة

تعليق علي ورقة الدكتورة حسنات

أعتقد أن ورقة الدكتورة حسنات ورقة جيدة ولقد أثارت اهتمامنا ولفتت انتباهنا بما قالته عن منطقة

البحيرات ، وعن امتلاك التوتسي زمام أمرها من قبل اليهود وربط كل ذلك بالأصول اليهودية للتوتسي .

ولكن هناك ايضا موضوع لايقل أهمية وهو حرب المياه الذي يعتبر موضوع القرن القادم وسؤالي أو مصدر توجسي هو ماكنت قد سمعته في العام الماضي أو قبله حول ملتقي النيلين النيل الأبيض والنيل الأزرق حيث ذكر أنه كان ملتقي سيدنا موسي عليه السلام بنبي الله الخضر وجميل أن يلتقي سيدنا موسي هنا في مجمع النيلين ألا تتفق معي أن يكون هذا ادعاء نقدمه إلي اليهود في صينية من ذهب ؟

(٤) الاستاذ الدكتور الطيب

انني حقيقة أدعم ولا اناقش ورقة الأستاذ عطا

الغرب النصراني واليهودي يحارب السودان وإفريقيا ومناطق متعددة فلماذا ؟

تكلم الاستاذ عطا عن تداخل القبائل وتداخل القبائل في السودان جعل السودان خطرا جدا لأن أي فكرة إذا انتشرت في السودان ستغطي إفريقيا كلها حيث نجد في الشمال النوبة وهم يقطنون من الشمال إلي السنغال وإذا وصف ليوبولد سنقور بأنه غير نوبي لاعتبر هذا تحفيزا له ومثل ذلك القبائل الأخري كالبني عامر والحلنقة في الشرق . ومن ثم فإن أحدا لايستطيع أن يفصل بين ارتريا والسودان باستخدام القوانين الحديثة لأن البلدين يمثلان كتلة واحدة وبالتالي فإن كل مايؤثر علي النبي عامر والحلنقة يؤثر بصورة مباشرة علي ارتريا ومايؤثر علي قبائل الزاندي والدينكا وغيرها من القبائل الأخري يؤثر علي الجنوب كله وعلي إفريقيا كلها ويعد السودان مكونا من مكونات الوحدة الإفريقية ولذلك فإنه يتعرض لهذه الحرب الشديدة والشرسة لقد تكلم الأخ بريمة عن الاستشراق ولكن كنا نتوقع منه أن يمدنا باقتراحات عملية لكي تفيدنا في هذا المؤتمر ماذا نفعل ؟ فلا زال التشكيك موجودا ولازال التآمر مستمرا فماذا نفعل لكي نجد فرصة للخروج من هذا الحصار الصليبي ؟ أو نغزوهم كما غزونا .

لقد قدمت الأخت حسنات بحثا جيدا وأشاركها في تساؤلها عمّادا نفعل لكي نتجنب مؤامرات ومخططات المستشرقين العلمية والسياسية أشاركها في هذا التسلّل الخفي الذي يمثله كوهين الذي تسلل من البرازيل وقتل في سوريا سنة ١٩٩٢ وهو أصلا من الأسكندرية ونعلّم اللهجة السورية في حيفا ثم ذهبوا به إلي منطقة أخري واتخذ لنفسه اسما رمزيا وهو كامل أمين ثابت ، فهو كامل علي المنهج اليهودي وأمين علي سره وثابت علي مبدئه هذا هو كوهين وعلينا أن نعي هذا جيدا حتي لانفاجأ بكوهين آخر يأتي للعالم العربي والإسلامي .

لأن هناك منظمات سرية تعمل عملا دوبا وعلي الناس أن يتهيئوا لذلك وشكرا والسلام عليكم .

(٥) مداخلـــــــــة :

من خلال المسوحات التي قمت بها اتضح لي مدي الجهد الذي تقوم به المنظمات الطوعية وماينبغي لذلك

أن نقلل من هذا الجهد . وفي تقديري أن المدارس تعد من أميز المؤسسات التي اضطلعت بريادة التبشير في كثير من بلدان القارة الإفريقية .. وهذا يقتضي من الإخوة القائمين بأمر هذه المنظمات الطوعية أن يهتموا بفتح هذه المدارس ويولوها عناية واعتبارا . وهذا أولا أما الشيء الثاني فأري أنه لابد من تكامل أدوار المؤسسات الدعوية في مواجهة التنصير سواء كان ذلك من جانب تحصين إنسان إفريقيا من خطر التنصير علي المستويين القريب والبعيد أو من دعم بعض القيم الإسلامية في أوساط المسلمين ، فلابد إذن من وضع هذين الجانبين في الاعتبار .

الشيء الثالث أري أنه لابد من توجيه أنشطة المركز البحثية إلى ما يخدم مصالح الأمة الإسلامية ، ولابد من الاهتمام بمسألة الدراسات الاستراتيجية ، لأن هذه الدراسات تساعد في صياغة بعض الاختصاصات في الجانب الاقتصادي وفي الجانب السياسي والاجتماعي .

ويجب أن تقوم المراكز البحثية بدعم وتنشيط هذا الجانب وتقوم بتوجيه الباحثين حتي لايتجهوا في بحوثهم إلى مواضيع عديمة الفائدة علي المستويين القريب والبعيد .

الشيء الرابع في تقديري أري أن يكون هناك اهتمام بمواجهة مخاطر التنصير . ومن أجل ذلك يجب أن نهتم بفلسفة التشريع الإسلامي حيث نجد فيه الحماية لمقاصد الشريعة لأن الاهتمام يحدث فيه من جانبين : درء الخلل الواقع أو التوقع والتشبث ، فيكون هناك اهتمام من بعض السياسات بمسألة التحصين وبعضها يهتم بمسألة دفع الأمة الإسلامية لتعيش التصور الإسلامي بكلياته .

فعلى المنظمات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية أن تهتم بهذه المسألة ما أمكن .

(٦) الدكتور عبدالله برمة

نشكر الأخ الطيب علي هذه المداخلة ومن المعروف أن التبشير وضع منهجا كنسيا ، وقلنا أنه يجب أن نقابله بمنهج قرآني والمسيحي بالمسلم الملتزم ، أما الاستشراق فقد قلنا إنه يدور في دائرة أوسع من دائرة التبشير ،، إذ أنه يترجم الكتب التي يمكن أن تضلل ويحقّق التراث الإسلامي الذي قاموا بسرقته من قبل – ونسبوا بعض النظريات إليهم ، ولهم أيضا من المقدرة والإمكانات مايجعلهم أساتذة في الجامعات وبالتالي يمكنهم أن يوجهوا وأن يؤثروا في عقول غيرهم بأفكارهم .

والرد الطبيعي والعملي علي هؤلاء المستشرقين أن نفهم الإسلام فهما حقيقيا وعصريا أو بتعبير آخر أنه لابد أن يكون هناك تأصيل وتنظير ومعايشة لهذه الصحوة الإسلامية معايشة دائمة ، إذ أن الدعوة إلي التأصيل والوقوف عنده تجميد للإسلام ، وهذا يعني أننا إذا أردنا أن نرجع بمجتمعنا إلي مجتمع الرسول صلي الله عليه وسلم ونقف عند هذا نكون بذلك قد جمدنا أنفسنا لأننا لا نستطيع أن نكون صحابة إذ أن الرسول ليس معنا – ولكننا نستطيع أن نعود إلي عهد الرسول صلي الله عليه وسلم وأصحابه لنتأسي بهم ونعرف كيف فهموا القرآن ؟ وكيف طبقوه علي أنفسهم ، وكيف حلوا المشاكل التي واجهتهم ؟ ثم نتخذ من كل ذلك عبرة لمواجهة مشكلتنا الحالية .

وكما أن الإسلام صالح لكل زمان ومكان فالفكر الإسلامي كذلك يجب أن يكون مستمرا ومتجددا لأن القضايا والمشاكل التي يتعرض لها في كل عصر تختلف عن المشاكل السابقة . الإمام الغزالي مثلا أفضل عقلية في الإسلام وفي رد الهجمات التي واجهت الإسلام ولكن لوجئنا بقضايا الإمام الغزالي فإنها لاتحل لنا مشكلة القطب الأحادي فرجوعنا للإمام الغزالي هو تأصيل وراجع لأصولنا الحضارية لنري كيف فكر الإمام الغزالي ولننقل أو نمد هذا التفكير لكي نستفيد منه في الرد علي القطب الأحادي بنظرية حديثة تحل المشاكل التي نتعرض لها مثل القول بأسلمة الأدب فقد كنا نعتبر ماكتبه المستشرقون في الأدب الإسلامي جزء من الأدب الإسلامي لأنهم مثلا وضعوا القاموس المفهرس للحديث وهذا عمل قيم بلاشك ولكن لو رجعنا إلي تراثنا فسنجد نظام الفهارس ، فالنظام الذي وضعوه ربما أخذوه من المسلمين ولكنهم أخفوه علينا .

وعندما نطالب اليوم بأدب إسلامي فيجب أن نخرج آداب المستشرقين لأنها ليست آدابا إسلامية وليس لأنها حديثة وذاك قديم فأدب الأخطل لانعتبره أدبا إسلاميا ولكن يمكن أن نقول إنه من آداب القومية العربية لأن في أدبه مايخدش شعور المسلم ، ولو أنه ظاهر الأمويين ولكنه في لحظة من اللحظات يقول :

ولست بصائم رمضان عمري ولست بآكل لحم الأضاحي
ولست بقائم كالعير أدعو قبيل الصبح حي علي الفلاح

وإذا أردنا أن نفهم الأدب الإسلامي فيجب أن نفهمه بالمعني الأيدلوجي وهذا يعني أنه إذا كان هناك أدب وفلسفة وعقيدة واقتصاد للرأسماليين ، وللوجوديين مثل ذلك فلابد أن يكون للإسلام أدبه الخاص الذي ينطلق من الالتزام بالعقيدة والقيم الإسلامية ، فلابد إذن من أن نفهم الإسلام فهما عصريا بالتأصيل لقضايانا وحل مشاكلنا مثل أسلمة البنوك حتي لايذهب اقتصادنا لإسرائيل ولأمريكا فتحاربنا به فبأسلمة الأدب وأسلمة الاقتصاد نستطيع أن نضرب حصارا شديدا علي أعداء الإسلام .

مداخلة : الدكتورة جسنات

حول ما أثير من أن موسي عليه السلام التقي بنبي الله الخضر عند ملتقي النيلين وأن ذلك ربما يتخذه اليهود ذريعة للمطالبة بمقرن النيلين .

فهناك حقيقة هي أن بعض التفاسير تقول بالتقاء سيدنا موسي عليه السلام مع سيدنا الخضر في هذه المنطقة ولكن الاختلاف أيضا وارد في هذا ، ولكنني لا أظن أن ذلك يكون مبررا لليهود للمطالبة بمقرن النيلين ، وهم يعتمدون حقيقة علي ماورد في التوراة. علي لسان الرب ، وتحديد صحيح تاريخيا حيث ذكر أن موسي عليه السلام كان أولا في مصر في إفريقيا وعبر الصحراء وقد أقام طويلا في هذه المنطقة .

ويقال إن إمبراطورية سيدنا سليمان اتسعت حتي وصلت بلاد الأحباش والتقي ببلقيس وأن منليك الثاني أمبراطور الحبشة من أحفاده وهم سلالة الفلاشا فهل يمكن أن يدعي اليهود ويبنوا علي ذلك حقهم في اغتصاب الأرض فنحن يمكن أن يكون لنا أيضا إدعاءات مثل هذه .

التبشير المسيحي في إفريقيا

أ. عطية محمد سعيد *

تهدف هذه الورقة إلي بحث الوسائل النصرانية لزعزعة عقائد المسلمين في إفريقيا والعالم الإسلامي ، والميادين التي تعمل بها المنظمات الكنسية ، ولكنها تبدأ أولا بتعريف التبشير .

التبشير هو الدعوة إلي عقيدة ما وسط قوم لايؤمنون بها بقصد إيصالها إليهم عن طريق إبراز محاسنها والدفاع عنها .

ولكل عقيدة أتباع يتحمسون لها ويدعون غيرهم إلي اعتناقها وأولئك هم المبشرون بها الداعون إليها.

وعندما تطلق الآن كلمة التبشير Mission فإنها تعني الدعوة إلي اعتناق المسيحية والتبعية الفكرية لنظام الحياة الغربية الممثل في الخلفية المسيحية والوجدان الديني للشعوب النصرانية.

كما تعني أيضا الهياكل والأجهزة الإدارية التي تخطط لعمليات التبشير وتضع له الأسس والبرامج وتعقد له المؤتمرات وترصد له الميزانيات وتحشد له القوي البشرية التي تقوم بهذه المهام .

وأول من فكر في تنظيم العمل التبشيري هو القس الأسباني ريمون لول الذي وضع خططا مدروسة لحرب الأمة الإسلامية بعدما فشلت الحروب الصليبية – وقد أطلق علي مشروعه التنصيري اسم The spritual Crusades الصليبية الروحية .

قال المؤرخ النصراني الأمريكي ذو الأصول اللبنانية فليب حتي Philip Hitti في كتابه الإسلام والغرب (بعدما فشلت الجهود الصليبية للسيطرة علي الإسلام والقضاء عليه في الحروب الصليبية قامت نزعة جديدة في الدوائر المسيحية وهي أن ينال الهدف عن طريق التبليغ ونشر التعاليم المسيحية وجاء الغزو العقيدي مكان الغزو الحربي وهنا ك ظهرت الحركة التبشيرية إلي حيز الوجود) .

وأشار فيليب حتي إلي شخص صليبي اسمه برثولود الذي أسس دائرة الرهبان الكارملين بسنة ١١٥٤م وإلي آخر اسمه فرانسسكين .

ثم قال : ولكن أكبر الحركات التبشيرية المسيحية في هذا العصر قد أسسها ريمون لول المسيحي الأسباني الشهير الذي وضع خطة دقيقة للغاية للحروب الصليبية الروحية التي يمكن بها غزو المسلمين (١)

هدم الإسلام هو الهدف :

رغم أن التبشير النصراني يعمل في كل أنحاء العالم الثالث – إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية وجزر

---

* الاستاذ بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

التبشير المسيحي في إفريقيا

أ. عطية محمد سعيد *

تهدف هذه الورقة إلي بحث الوسائل النصرانية لزعزعة عقائد المسلمين في إفريقيا والعالم الإسلامي ، والميادين التي تعمل بها المنظمات الكنسية ، ولكنها تبدأ أولا بتعريف التبشير .

التبشير هو الدعوة إلي عقيدة ما وسط قوم لايؤمنون بها بقصد إيصالها إليهم عن طريق إبراز محاسنها والدفاع عنها .

ولكل عقيدة أتباع يتحمسون لها ويدعون غيرهم إلي اعتناقها واولئك هم المبشرون بها الداعون إليها.

وعندما تطلق الآن كلمة التبشير Mission فإنها تعني الدعوة إلي اعتناق المسيحية والتبعية الفكرية لنظام الحياة الغربية الممثل في الخلفية المسيحية والوجدان الديني للشعوب النصرانية.

كما تعني أيضا الهياكل والأجهزة الإدارية التي تخطط لعمليات التبشير وتضع له الأسس والبرامج وتعقد له المؤتمرات وترصد له الميزانيات وتحشد له القوي البشرية التي تقوم بهذه المهام .

وأول من فكر في تنظيم العمل التبشيري هو القس الأسباني ريمون لول الذي وضع خططا مدروسة لحرب الأمة الإسلامية بعدما فشلت الحروب الصليبية – وقد أطلق علي مشروعه التنصيري اسم The spritual Crusades الصليبية الروحية .

قال المؤرخ النصراني الأمريكي ذو الأصول اللبنانية فليب حتي Philip Hitti في كتابه الإسلام والغرب (بعدما فشلت الجهود الصليبية للسيطرة علي الإسلام والقضاء عليه في الحروب الصليبية قامت نزعة جديدة في الدوائر المسيحية وهي أن ينال الهدف عن طريق التبليغ ونشر التعاليم المسيحية وجاء الغزو العقيدي مكان الغزو الحربي وهنا ك ظهرت الحركة التبشيرية إلي حيز الوجود) .

وأشار فيليب حتي إلي شخص صليبي اسمه برثولود الذي أسس دائرة الرهبان الكارملين سنة ١١٥٤م وإلي أخر اسمه فراسسكين .

ثم قال : ولكن أكبر الحركات التبشيرية المسيحية في هذا العصر قد أسسها ريمون لول المسيحي الأسباني الشهير الذي وضع خطة دقيقة للغاية للحروب الصليبية الروحية التي يمكن بها غزو المسلمين (١)

هدم الإسلام هو الهدف :

رغم أن التبشير النصراني يعمل في كل أنحاء العالم الثالث – إفريقيا وآسيا وأمريكا الجنوبية وجزر المحيط الهادي وسط مختلف الملل والنحل الإسلامية والبوذية والهندوسية والوثنية – إلا أن الفرض الأساسي من نشاته والأهداف الرئيسية لأنشطته هو غزو الاسلام وتحطيمه ومحوه من الوجود عقيدة ونظاما وحضارة حتي لاتقوم له قائمة إلي الابد . ومن أجل هذه الغاية تكثف الجهود وتعقد المؤتمرات وتتدارس الكنائس أنجع السبل لتحقيق هذه الغاية المنشودة .

ويكفي أن نعلم أن مايبذل من مجهودات لتنصير المسلمين في العالم العربي وإفريقيا وأندونيسيا

---

* الاستاذ بجامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

والباكستان يعادل كل مايبذل في أنحاء العالم الأخري ويزيد عليه . كيف لا وهو الهاجس الذي يغلق منامهم والخطر الذي يهدد حياتهم ويحطم حضارتهم وينهي سيادتهم في المستقبل القريب .

وقد ظل ساستهم ومفكروهم ينذرونهم من الزحف المرتقب الذي ربما يقوم به الإسلام فجأة فيقوّض بنيانهم وينهي وجودهم الحضاري وقوتهم المادية وتقدمهم .

قال المستشرق روبرت باين في كتابه السيف المقدس : Robert Payne : The sacred Sword

إن لدينا أسبابا قوية لدراسة العرب والتعرف علي طريقهم فقد غزوا الدنيا كلها من قبل ، وقد يفعلونها ثانية . (إن النار التي أشعلها محمد ماتزال تشتعل بقوة)

(وهنالك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء)

وقال ولفرد كانتول سميث في كتابه الإسلام في التاريخ المعاصر.

(إن الغرب يوجه كل أسلحته الحربية والعلمية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية لحرب الإسلام .

(وإنه خلق اسرائيل في قلب العالم الإسلامي لتكون جزء من هذا البرنامج المخطط المرسوم .

وكتب المستشرق الالماني باول شمتز محذرا العالم من احتمال عودة الإسلام قال ذلك في كتابه الخطير : الإسلام قوة الغد العالمية : (إن العالم الإسلامي قد بدأ يصحو وينفض النوم من عينيه) .

وقال جي موليه رئيس وزراء فرنسا الاسبق .

(إن الحركة الإسلامية التي تتسع في إفريقيا ، هي التي تهدد الإمبراطورية الفرنسية في المغرب)

ميادين التبشير :

تعمل المنظمات التبشيرية في إفريقيا في مجالات متنوعة ومتعددة تشمل جميع أوجه النشاط الديني والاجتماعي والثقافي والإعلامي والطبي . وهي تعمل وفق خطط مدروسة ومناهج واضحة وأهداف مرسومة في جميع أنحاء العالم الثالث بقصد تنصير المسلمين أو علي الأقل انتزاعهم من ملتهم و تشكيكهم في دينهم ومعتقداتهم الإسلامية . والمجالات التي تعمل فيها المنظمات التبشيرية هي :

١/ بناء الكنائس وتنشيط دورها في المجتمعات

٢/ التعليم الكنسي من رياض الأطفال ومراحل الأساس إلي الجامعات ومافوق الدراسة الجامعية .

٣/ الرعاية الاجتماعية وتشمل :

١- دور الحضانة للأطفال اللقطاء

٢- ملاجيء الأيتام والمشردين

٣- ملاجيء العجزة

٤- رعاية المكفوفين والمعوقين

٥- مستعمرات الجذام

٦- رعاية الشباب

٧- السجون

٨- ضحايا الحروب

٤/ الطب :

١- المستشفيات

٢ - نفط الغيار

٣ - توفير الأدوية

٤ - المستشفيات المتنقلة

٥- الطب البيطري

الكتب ودور النشر :

١- طباعة وتوزيع الكتاب المقدس بأكثر من ٢٠٠ لغة ولهجة محلية

٢- طبع وتوزيع الكتاب المسيحي

٣- إصدار الكتيبات والنشرات

٤- المجلات والدوريات

٥- المكتبات العامة

٦- إنشاء وتمويل دور النشر

٧- معارض الكتاب المسيحي

٨- المكتبات العائمة

الإذاعـــــــــات :

للمنظمات التبشيرية أكثر من عشرين إذاعة متخصصة تبث إرسالها بمختلف اللغات واللهجات كما أنها تساهم ببرامج دينية مع عدد من الإذاعات العالمية .

ومن الإذاعات المتخصصة :

إذاعة منروفيا - ليبيريا - غرب إفريقيا -

مونت كارلو - فرنسا

مانيلا - الفلبين

جولو - الفلبين

نيوجرسي - الولايات المتحدة

كويتو - الإكوادور

ملاكا - أسبانيا

المعمدانيون الجنوبيون

اللوثريون

ولهذه الإذاعات استوديوهات للبث في معظم أنحاء العالم كما أنها استخدمت أخيراً الأقمار الصناعية وهذه كلها إذاعات المؤسسات البروتستانية ، أما البعثات التبشيرية الكاثوليكية فلها ما يقارب هذا العدد أو يزيد عليه تبث من روما والبرازيل وفرنسا واسبانيا وغرب إفريقيا و أندونيسيا وغيرها من بلدان العالم .

الفيـــديو :

تهتم المؤسسات التبشيرية بالإرسال المصور عبر موجات الأثير مستخدمة أحدث الأجهزة وشبكات البث بواسطة الاقمار الصناعية لعرض برامجها الدينية وبرامجها المكثفة إلي العالم أجمع وخاصة دول الشرق الأوسط وإفريقيا وآسيا واميركا اللاتينية .

الانترنيت :

وعن طريق بنوك المعلومات وشبكات الانترنيت استطاعت المؤسسات التبشيرية شحن كل مالديها من معلومات عن رسالتها ودعوتها ومخططاتها ورسالتها إلي العالم لتكون جاهزة عند الطلب .

ولم تنس أن تضع في هذه الشبكات برامج حملاتها لحرب الإسلام وتنصير المسلمين من تشويه للحقائق وتزوير في الوقائع وتلفيق واتهام بالباطل .

ومن ذلك أنها وضعت قرآنا مزعوما مفتريء تزعم أنه مما أنزل علي محمد رسول الإسلام شحنته بتصوراتها ودعوتها للتجسيد والثالوث وهجومها علي الإسلام والمسلمين والطعن في عقيدتهم ودينهم وبثت هذه السموم من خلال شبكة الانترنت America On line HTTP/WWW Answering

المؤتمرات التبشيرية :

وهي مؤتمرات هامة يدعي لها اهم الشخصيات ، وممثلي الهيئات العاملة في مجالات التبشير للتداول وإبداء الرأي ووضع الخطط والأهداف وسنخصص لها صفحات في هذه الورقة .

ميادين أخري لايجوز الإفصاح عنها :

للتبشير أغراض ووسائل أخري غير معلنة ولايجوز الإفصاح عنها لأنها في غاية الحساسية كما يقول (دون ماكري العضو البارز بمؤتمر كلورادو ومنسق أعمال المؤتمر) .

(هذا ولخصت التقارير التي قدمتها قوي العمل في تقرير المؤتمر الذي يتضمنه هذا المجلد ولكننا لن ننشر هذه التقارير كاملة نظرا لاحتوائها علي معلومات حساسة للغاية) .

تري ماهي هذه المعلومات الحساسة للغاية : وهم قد نشروا وطبعوا كل أنواع المؤامرات والخطط والأساليب التي تقود المسلمين إلي التنصر ؟ لم يبق بعد ذلك من سر إلا ... وأقولها بصراحة .

إلا .. الأعمال العسكرية
والتصفيات الجسدية
والانقلابات
وتزويد المغامرين بالسلاح ومعسكرات التدريب .

وهذا كله يقوم علي قدم وساق وينفذ فعلا في أجزاء متفرقة من العالم الإسلامي كما حدث في نيجيريا والصومال وارتيريا وجنوب السودان

المؤتمرات الكنسية التبشيرية :

عقدت عشرات المؤتمرات للهيئات التبشيرية النصرانية خلال هذا القرن لمدارسة أوضاع المسلمين ووسائل اختراقهم وتنصيرهم .

وأهم هذه المؤتمرات هي :

١- مؤتمر القاهرة ١٩٠٦م - ١٣٢٤هـ
٢- المؤتمر التبشيري العالمي ، ادنبرا - اسكوتلاندا ١٩١٠
٣- مؤتمر التبشير - لكنو - الهند ١٩١١م
٤- مؤتمر بيروت ١٩١١م
٥- مؤتمر القدس ١٩٢٤م
٦- مؤتمر القدس ١٩٢٨م
٧- مؤتمر القدس ١٩٣٥م
٨- مؤتمر القدس ١٩٦١م
٩- مؤتمر الكنائس البروتستانتية - لوزان - ١٩٧٤
١٠- مؤتمر كلورادو ١٩٧٨م

وهنالك عشرات المؤتمرات الأخري عقدت في أجزاء متفرقة في العالم لوضع الاستراتيجية وإحكام الخطط لتنصير العالم الإسلامي.

هذا في محيط الكنائس البروتستانتية فقط وللرومان الكاثوليك نشاط مماثل يعتبر أكبر حجما من هذا.

مؤتمر كلورادو التبشيري لتنصير المسلمين :

لعل أخطر المؤتمرات التبشيرية التي عقدت في العالم خلال هذا القرن هو مؤتمر كلورادو لتنصير المسلمين The Gospol and Islam المنعقد بمدينة جلين ايري بولاية كلورادو بالولايات المتحدة الأمريكية ١٩٧٨م . وقد نشرت مؤسسة مارك Marc أعمال المؤتمر كاملة وترجمتها إلي عدة لغات منها العربية وعنوان الترجمة العربية هو : التنصير ، خطة لغزو العالم الإسلامي .

وقد ظل التفكير في تنصير المسلمين هو الشغل الشاغل للكنيسة البروتستانتية منذ مؤتمر أدنبرة سنة

١٩١٠م وإلي مشارف القرن الحادي والعشرين هذا وقد سبق مؤتمر كلورادو مؤتمرات لنفس الغرض كانت تمهيدا لمؤتمر كلورادو منها :

١- مؤتمر لوزان سنة ١٩٧٤

٢- مؤتمر باسادينا للمشاورات المنعقد في ١٩٧٧

٣- مؤتمر بالويانك سنة ١٩٧٨

وهذه المؤتمرات كانت للتشاور والتمهيد لما كان يجري الاستعداد له في مدينة جلين آيري لمواجهة الإسلام وغزوه في دياره .

جاء في تقرير مؤتمر كلورادو : (وضمن هذا التعاقب (في المؤتمرات المشار إليها) تمت التهيئة لمؤتمر امريكا الشمالية لتنصير المسلمين) .

الإعداد للمؤتمر :

لقد تم الإعداد للمؤتمر بعناية فائقة ودقة متناهية وحشدت له كل الإمكانيات المادية والمعنوية ودعيت له كل الكفاءات المتخصصة . وكما جاء في تقرير المؤتمر :

(تم اختيار المشاركين في المؤتمر من بين قطاع واسع من التقاليد الكنسية والتجارب التنصيرية والدوائر المهتمة في مجال التدريب المتخصص والالتزام بالعمل من أجل التنصير حيث انصب اهتمام الجميع علي مهمة تنضير المسلمين (كان هؤلاء المؤتمرون يمثلون قطاعات متباينة ويحتلون مراكز مختلفة ، فقد كان بينهم

إداريون لإرساليات تنصير

ومنصرون عاملون

وأساتذة إرساليات تنصير

ومتخصصون بالشئوون الإسلامية

وعلماء أجناس بشرية

ولاهوتيون

وخبراء في وسائل الاتصال والإعلام

إضافة لذلك فقد وجه منظمو المؤتمر الدعوة إلي عدد كبير من الرجال والنساء من أعضاء الكنائس المختلفة في الشرق الأوسط و آسيا وافريقيا . وكان هؤلاء يمثلون قطاعات متباينة ويحتلون مراكز مختلفة بينهم كهنة ولاهوتيون ومتخصصون بالشئون الإسلامية وأشخاص لديهم بعض النشاط في مجال التنصير .

موضوعات المؤتمر :

قدمت في المؤتمر ٤٠ ورقة تمثل أهم الموضوعات لحملة تنصير المسلمين كتبت بواسطة رجال لهم خبرات واسعة في العمل التنصيري والإلمام بواقع الإسلام والمسلمين

ومن هذه المواضيع :

١- إبلاغ الكتاب المقدس إلي المسلمين في بيئات ثقافية مختلفة دونالد- ن - لارسون

٢- استمالة المسلم عن طريق تجسيد شمائل وسلوك المسيح ..... بشير عبدالمسيح

٣- المسلم المتنصر وثقافته ..... هارني - م - كون

٤- كنائس ملائمة للمتنصرين في المجتمع الإسلامي .... تشارلز كرافت

٥- صراع القوي في عملية تنصير المسلمين بروس - ح - نيكولز

٦- الظرفية والتحول تشارلز - ر - تيبر

٧- منطلقات لاهوتية جديدة في عملية تنصير المسلمين ... بروس - ج - نيكولز

٨- تطبيق مقياس اينكل في عملية تنصير المسلمين ...... ديفيد - ا - فريزر

٩- تحليل المقاومة والاستجابة لدي الشعوب المسلمة ... دون - ماكري

وهنالك ١٦ ورقة عن أوضاع المسلمين والمسيحيين في العالم الإسلامي تضمنت دراسات ومقارنات وإحصائيات عن واقع المسلمين والنصاري الحالي والنظرة المستقبلية لتنصير المسلمين .

كما تضمنت البحوث ١٤ موضوعا عن وسائل تبليغ الدعوة للمسلمين كتبت بطريقة تحليلية نقدية لجهود المبشرين ووسائلهم في تنصير المسلمين والمقترحات والمستجدات لاستخدامها في دفع مسيرة التنصير لتحقيق أهدافها في أقصر مدة ممكنة .ومن هذه الموضوعات الأوراق الآتية :

- الدعوة إلي التجدد الروحي

- ادوين أور

- تطوير أدوات جديدة تساعد في عملية تنصير المسلمين دونالد - د - ريكاردز

- مستويات وأشكال ومواقع البرامج التدريبية فيفان - ستيس

- بناء شبكة من مراكز الأبحاث ... رونالد - أ - ميلر.

- أهمية ومنهجية التخطيط الاستراتيجي .... ادوارد - ا - دينق

- مهام تنصيرية يقوم بها منصرون غير متفرغين (أصحاب الخيام) إلي جانب عملهم الرسمي في البلاد الإسلامية

- كريستي - ويلسن

- الحاجة إلي مركز للقيادة في امريكا الشمالية رالف - د - ويتر

- الحوار بين النصاري والمسلمين وصلته الوثيقة بالتنصير .. دانيال بروستر

- روابط امريكا الشمالية مع إرساليات العالم الثالث التنصيرية العاملة في أوساط المسلمين والدرون - سكوت

- الحاجة إلي مجلة جديدة خاصة بارساليات التنصير .... جورج قراي

- الغذاء والصحة بوصفها وسائل لتنصير المسلمين ...روبرت بيكيت - ريفييوب ماكاكبا

- دور الكنائس المحلية في خطة الرب لخلاص المسلمين...فرانك - . س . خير الله

- المداخل النصرانية إلي المرأة المسلمة وأسرتها ..فاليري هوفمان

- الوصول إلي أولئك الذين لم يتم الوصول إليهم
- التقرير المقدم إلي لجنة لوزان للتنصير العالمي من قبل المجموعة العاملة لإعداد الاستراتيجيات في اللجنة .

التعليم والإرساليات الأجنبية :

لقد ظل التعليم في العالم الإسلامي منذ فجر الإسلام يسير وفق المناهج الإسلامية من الكتاب والسنة وماوضعه المسلمون من أصول وقواعد في العقيدة والسلوك والعلوم الشرعية والفقهية والمسائل الكونية من دراسة الظواهر المختلفة في الأرض والسماء .

ووفق هذا المنهج تخرج رجال الفقه والطب والفلك والتاريخ وعلوم النبات والفلاحة والرياضيات ومخترعو المراصد وواضعوا أسس الحضارة التي بلغت قمتها علي أيدي المسلمين في الوقت الذي كانت فيه اوربا تعيش في الظلمات وترسل بأبنائها وبناتها ليتلقوا العلم في الجامعات الإسلامية في قرطبة واشبيلية والقاهرة وبغداد ودمشق والقيروان .

ولمّا ضعف المسلمون وتكالبت عليهم قوي البغي والعدوان من الدول الاستعمارية الاوربية كان أول مافكر فيه دهاقنة الاستعمار الغربي هو استبدال ذلك الفكر الإسلامي الأصيل بالفكر الغربي البديل الذي يمكنهم من السيطرة علي العالم الإسلامي .

ولكي نعطي صورة واضحة لهذه المخططات التي وضعت لتبديل وتحويل العقلية المسلمة إلي مايرمي إليه أعداء الإسلام والمسلمين فإننا سوف نلقي نظرة علي ماتم في مصر في منتصف القرن الماضي منذ عهد محمد علي باشا وإلي فترة حفيده توفيق لتتضح لنا أبعاد هذه المخططات التي عم تطبيقها في العالم الإسلامي في حقل التعليم والمناهج المدرسية .

فترة الحكم	الإرساليات التبشيرية	المعاهد والمدارس الأهلية الإسلامية
محمد علي باشا ١٨٠٢ - ١٨٤٦ سعيد باشا	مدرسة الجالية الأزمنية ببولاق سنة ١٨٢٦م مدرسة بون ماستير ١٨٤٦ مدرسة الغرير بالاسكندرية ١٨٤٧ وصلت الإرسالية الامريكية المدرسة الأمريكية بالأزبكية ١٨٥٤ إرسالية الغرير مدرسة سانت فام للبنات مدرسة سان جوزيف للبنين	كل مدارس القطر ومعاهده

	المدارس الانجيلية - امريكية١٨٥٦ مدارس الراهبات - كاثوليك - الفرانسسكان إنشاء مدارس محلية لأبناء الجاليات مدرسة يهودية بحارة اليهود ١٨٦١	
إسماعيل باشا ١٨٦٣ -١٨٧٩	٤٣ مدرسة للبنين والبنات الارسالية الأمريكية افتتحت مدرسة انجيلية في أسيوط ١٨٦٥ (لأول مرة خارج القاهرة)	٨ مدارس للبنين ٣ للبنات ١ للبنات الاقباط
الخديوي توفيق ١٨٧٩ - ١٨٩٢	٨٩ مدرسة أجنبية للبنين والبنات سمح بتعليم أبناء المسلمين ٥٦٪ انسبة الطلاب المسلمين زيدت حصص اللغات الأجنبية١٠٠٪ تقرر تدريس العلوم والتاريخ والجغرافيا باللغات الأجنبية ،شكلت لجنة عليا لإدارة التعليم بنظارة المعارف من ١٤ عضوا ٨ اجانب ٥ مصريين تعلموا في الخارج	٣١ مدرسة اهلية للبنين والبنات خفضت حصص القرآن الكريم بالمدارس الابتدائية ٥٠٪ بموجب منشور خديوي بتاريخ ١١/١١/١٨٨٨م

التعليم في المؤسسات التبشيرية :

بذلت الهيئات التنصيرية مجهودات كبيرة لإيجاد أنظمة سياسية تحمل افكارها وتقبل توجيهاتها لكي تقوم بحكم و إدارة العالم الإسلامي نيابة عنها .

ومن أجل هذا قام النظام التعليمي الكنسي الذي يبدأ مع الطفل في سن الرابعة أو الخامسة ويتدرج معه إلي الجامعة ومافوقها من دراسات عليا .

وقد وضعت المناهج لكل مرحلة تمهد لما بعدها حتي إذا أكمل الطلاب دراساتهم في الداخل انتدبوا لبعثات في الخارج لتلقي بقية التعليمات وحتي يتم التعميد الفكري والروحي الكامل بحيث يصير الشخص

غريبا عبر مجتمعه مقطوعا عن تراثه الفكري والروحي وقد تمت أثناء تربيته ودراسته عملية (غسيل المخ المطلوبة) فصار انتسابه لأمته ولدينه انتسابا شرفيا فقط يكتب في البطاقة والجواز أما التجاوب الروحي والعاطفي مع الأهداف السامية والمقاصد الكريمة التي يزخر بها تاريخنا وتزدهر بها حضارتنا فهي في واد غير واديه وعالم بعيد عن دائرة أفكاره وتصوراته وقد اعترف دهاقنة التبشير بما قصدوا من رراء مناهجهم التربوية وخططهم وسياساتهم التعليمية في المراحل المختلفة من الروضة إلي الجامعة .

كتب المستر هنري جسب رسالة إلي صديقه ستيوارت دودج جاء فيها :

إن التعليم في الإرساليات المسيحية إنما هو واسطة إلي غاية فقط هذه الغاية هي قيادة الناس إلي المسيح وتعليمهم حتي يصبحوا أفرادا مسيحيين وشعوبا مسيحية .

وقال المستر نبروز Neprose الذي تسلم رئاسة إدارة الجامعة الأمريكية في بيروت سنة ١٩٤٨م

(لقد أدي البرهان إلي أن التعليم أثمن وسيلة استغلها المبشرون الأمريكيون في سعيهم لتنصير سوريا ولبنان) (٢)

وقال : إنه يجب تحويل المسلمين إلي نصاري فإن المقصود الأول بالجهود التبشيرية هو العمل علي افتتان المسلمين عن دينهم .

وقال الفونس دي لامارتين الفرنسي في سنة ١٨٣٤م.

(إن الحرب المقدسة الصليبية سواء أكانت صداما مسلحا أم عن طريق التبشير هي المهمة الكبري التي تشغل بال الرأي العام الأوربي) .

وقال مستنهضا همم الأوربيين .

(إن الشرق ينادينا)

وقال زعيم المبشرين صامويل زويمر وهو يخاطب موتمر التبشير في القدس سنة ١٩٢٨ .

(أيها الابطال ... لقد سيطرنا منذ ثلث القرن التاسع عشر علي جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ونشرنا فيها مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والامريكية) ومضي زويمر يذكر ثمرات عملية التبشير فقال :

(لقد أعددتم في ديار الإسلام شبابا لايعرف الصلة بالله ولايريد أن يعرفها وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي جاء النشء طبقا لما أراده الاستعمار لايهتم للعظائم - ويحب الراحة والكسل ولايعرف همة في دنياه إلا في الشهوات) .

أيها الزملاء : (إن مهمتكم قد تمت علي أكمل الوجوه ، وانتهيتم إلي خير النتائج وباركتكم المسيحية ورضي عنكم الاستعمار) .

إعداد الزعماء والقادة :

ولكي تنجح عمليات التحول الحضاري والعقائدي لابد من توفير القيادات التي تسير بالشعوب الإسلامية

نحو الأهداف المنشودة والتحولات المطلوبة في إقامة القواعد المسيحية علي أنقاض الديانة الإسلامية التي يجب أن تزول من الوجود .

ولبيان هذه المخططات نقرأ الآتي :

قال هوارد بلايس الرئيس الأسبق للجامعة الأمريكية في بيروت :

(الواقع أن الفائدة الرئيسية التي تقدمها الكلية للمنصر كحقل غني لنشاطاتها هي في الحقيقة أن بدائرته جسما مختارا من الشباب قادة المستقبل في بلادهم ينفرون بالاستجابة لفكر جديد في الأخلاق والدين والمثل .

(ولقد نجح التنصير في (طبخ) قادة كثيرين تسللوا - ولايزالون - إلي مراكز السلطة في العالم المسلم كله تقريبا .

(ولقد وصل فعلا خريجو الجامعة الأمريكية ممن غسلت أدمغتهم - إلي المناصب القيادية في أكثر البلاد العربية .

ويواصل بلس الكشف عن المخطط الكنسي في صناعة القادة والزعماء عن طريق جامعة بيروت وأمثالها فيقول :

(إن الجامعة توفر مناخا نفسيا لايستطيع واحد الإفلات من تأثيره .

(والطالب لايعي حقا التغييرات الحاصلة دائما في داخله) :

(وقد ينكر بكل نية حسنة أنه يتأثر تأثيرا شديدا بمحيطه. وثمرة هذه البذرة قد لا تأتي إلا بعد مدة طويلة من مغادرة الطالب للكلية) .

(وحيّثما يذهب هذا الرجل يمهّد الطريق للتربية ويهدم الطغيان)

يقصد التربية المسيحية أما الطغيان فهو الإسلام في نظره .

ويقول بلس أيضا وهو يفصح عن النتائج الكبري التي يسعي لها المبشر أو المنصر :

(ولكن مبشرنا يسعي إلي أمور محددة أكثر من التأثيرات الحاصلة بطريقة لاشعورية فبين الآف الطلاب وكلهم يستحقون التربية - فئة صغيرة من المتحمسين الجادين قادة المستقبل في الشرق الأوسط) .

(هؤلاء هم الذين يدربهم مبشرونا ليصبحوا أساتذة وأطباء وتجارا الخ . من الرجال والنساء الذين يتجاوبون بوعي أكثر واستعداد أكثر من باقي زملائهم مع المناخ النفسي للكلية وهم يحضرون بطريقة محددة ليصبحوا مركز الأضواء والقيادة في كل هذه المنطقة .

وقال سارتر في مقدمة صدّر بها كتاب المفكر الإفريقي فرانس فانون المعذبون في الأرض .. موضحا أسلوب صناعة الزعماء والقادة :

(كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء من إفريقيا وآسيا ونطوف بهم بضعة أيام في أمستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس ، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ويتعلمون منا طريقة جديدة في الرواح والغدو ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا وركوب عرباتنا .

(وكنا ندبر لبعضهم زيجات أوربية ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية .

(كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في اوربا ثم نرسلهم إلي بلادهم وأي بلاد ؟

(بلاد كانت أبوابها دائما مغلقة في وجوهنا ولم نكن نجد منفذا إليها كنا بالنسبة إليهم رجسا ونجسا .

(لكن منذ أن أرسلنا المفكرين الذين صنعناهم إلي بلادهم كنا نصيـــح من امستردام او برلين أوباريس : الإخاء البشري .. فيرتد إلينا رجع أصواتنا من أقاصي إفريقيا أو الشرق الأوسط او شمال إفريقيا ..

كنا نقول :

(ليحل المذهب الإنساني أو دين الإنسانية محل الأديان المختلفة وكانوا يرددون .

(هذه أصواتنا من أفواهم وحين نصمت يصمتون إلا أننا كنا واثقين من أن هؤلاء المفكرين لايملكون كلمة واحدة يقولونها غيرما وضعنا في أفواهم وفي هذه الجامعات وتلك المعاهد والكليات تخرج زعماء وقادة العالم العربي والإفريقي الذين نفذوا تعليمات سادتهم من وراء البحار.) انتهي .

ها هنا تخرّج كبار السياسيين والمفكرين والعسكريين وزعماء الأحزاب وحتي زعماء الانقلابات العسكرية والأمثلة كثيرة والقوائم كبيرة جدا وما علي القاريء إلا أن يفتح المذياع أو يشاهد التلفاز في أي بلد عربي أو إفريقي فيري ويسمع (صوت سيده) His master's voice الذي يعمل بطريقة ال ريموت كنترول Remote Control

ترجمة الكتاب المقدس إلي اللغات الإفريقية :

قامت الهيئات التبشيرية بترجمة الكتاب المقدس إلي كل لغات ولهجات العالم الإسلامي المكتوبة منها وغير المكتوبة وهذا بيان بأهم الترجمات إلي اللغات الإسلامية حسب تواريخها :

اللغة	الاقطار المستعملة فيها	عام الترجمة
السواحيلية	يوغندا - كينيا - تنزانيا رواندا - بوروندي - زائير	١٨٨٦
البنغالية	الهند الشرقية وبنجلايش	١٨٠١
الأرنو	باكستان وأجزاء من الهند	١٨١٤
البنجابية	لبنجاب - الهند - باكستان	١٨١٥
الفارسية	البشنو - ايران - افغانستان	١٨١٨
السندية	السند - باكستان	١٨٩٠
الجاوية	اندونيسيا	١٨٢٩
الاذربيجانية	ازربيجان وأجزاء من آسيا الصغري	١٨٧٨
السندانية	اندونيسيا	١٨٧٧
الكورمانجية	لغة الاكراد الشماليين	١٨٧٢
الهوسا	نيجيريا والنيجر والكميرون	١٨٨٠

النوبية	شمال السودان وصعيد مصر	١٩١٥
اللهجة العربية المصرية	مصر - والعالم العربي	١٩٣٢
المورية		١٩٣٩
الفلانية	مالي ونيجيريا وفولتا العليا	١٩٦٣
اللهجة العربية التشادية	تشاد - وشرق نيجيريا وغرب السودان	١٩٦٧

ويقول المبشر / وليام د. رايبرن :

(في إندونيسيا اليوم اكثر من ٥٠ مشروعا لترجمات الإنجيل إلي لغات المسلمين باندونيسيا منها.

الاندونيسية - الجاوية - الميناكابية السندانية والانجكولية والباهاسا

والمتحدثون بهذه اللغات في إندونيسيا :

لغة الباهاسا ١٢٠ مليون مسلم - في اندونيسيا

الجاوية ٥٥ مليون مسلم

السندانية ٢٠ مليون مسلم

وفي جنوب الفلبين أكملت ترجمة العهد الجديد مؤخرا إلي اللغة السوبانينية

ونشر سفر التكوين بالمارانوية وانجيل يوحنا بالحروف العربية واللاتينية باللغة المجوندانونية ؟

وهذا كله حتي ١٩٧٨

وهناك لغات ولهجات كثيرة تمت الترجمة إليها في خلال العشرين سنة الماضية

استراتيجية جديدة لتنصير المسلمين :

استعرض المبشرون كل الوسائل والأساليب القديمة التي بها استفزاز لمشاعر المسلمين وحاولوا أن يوجدوا معادلة جديدة يتعاملون بها مع المسلمين .

وقد تدارسوا في موتمر كلورادو هذه المسألة وأولوها عناية خاصة .

جاء في تقرير المؤتمر :

(قال أحد المسلمين الذين تحولوا إلي النصرانية في الهند مايلي:

(إذا تقبل المسلم المسيح كمخلص ورب ، ينظر إليه كمرتد وشخص يجب أن ينبذ أخلاقيا ، وفي العديد من البلدان كخائن سياسي).

أورد هذا المثال المبشر و . ستانلي موينهام في الخطاب الرئيسي للمؤتمر ثم أردف قائلا :

(فهل يمكننا عدم إلقاء عبء زخارفنا الحضارية والثقافية علي أعناق أولئك المتحولين حديثا عن الإسلام وعلي سبيل المثال .. هل من تعاليم الإنجيل أن نفرض أساليب عبادتنا علي ثقافة أخري ؟

ألا توجد هنالك بعض التقاليد والصيغ الإسلامية التي يمكن استخدامها بمحتوي نصراني ؟

(هل سعينا إلي إيجاد مؤلفين للترانيم بين صفوف المسلمين المتحولين إلي النصرانية أو طلبنا منهم أن

يؤلفوا ترانيم تناسب ثقافتهم) .

وأورد بعض النماذج الناجحة في هذا فقال :

لقد حدثنا أحد باحثي مؤتمرنا عن كاهن قبطي يعمل في مجالات التنصير ويؤدي الصلاة والطقوس الدينيةبطريقة تشابه مايجري في الجامع واكتشف أن صلواته قد أصبحت أكثر شعبية ويحضرها الكثير من الناس) .

وذكر أيضا :

(وفي بنغلاديش توجد حركة بين الشباب المسلم المتنصر بمتابعة لقائهم في الجامع كل يوم جمعة لممارسة عبادتهم النصرانية حيث يستعملون أشكالا إسلامية في محتوي نصراني . وهذه الأشكال التي أشار إليها المبشر ستانلي قد نوقشت في أكثر من موضع في المؤتمر وتشتمل علي الآتي :

١/ إنشاء مساجد تسمي المساجد العيسوية

٢/ تسمية المتنصرين باسم - المسلمين العيسويين

٣/ وضع صلوات وترانيم باسم الصلوات العيسوية

٤/ محاكاة الأناشيد والمدائح الإسلامية

٥/ محاكاة مجالس الذكر الصوفي

٦/ الوعظ العام بين المسلمين

٧/ استعمال آلات كالطبل والطار.

٨/ أعمال الدجل والشعوذة من السحر وطرد الشياطين واستخدام الأرواح .

وأنا شخصيا - مقدم الورقة - قد رأيت حلقتين للدرس إحداهما أمام مكتبة القبة الخضراء بالخرطوم والثانية قرب الكنيسة الإنجيلية بالخرطوم بحري (حيث يعرض كثير من الجنوبيين الكتب للبيع).

ورأيت في هاتين الحلقتين وعظا مسيحيا يشبه دروس الوعظ الإسلامي ورأيت الجماهير المسلمة تحيط بالواعظ المسيحي وتستمع إليه .

التبشير المسيحي في إفريقيا :

تركز الإرساليات التبشيرية علي العمل المكثف في إفريقيا لضمها إلي العالم المسيحي .

وهي لا تفتأ تحارب الإسلام في هذه القارة حربا بغير هوادة - وهذا يثير تساؤلات كثيرة عن أهمية إفريقيا والصراع الإسلامي المسيحي فيها .

فما هي أهمية إفريقيا حتي يدور حولها هذا التنافس المرير ؟

تتمثل أهمية إفريقيا في عدد من النقاط أهمها :

أولا : إن إفريقيا من أقدم البقاع التي استوطنها الإنسان علي الأرض .

ثانيا : إن الديانات الكتابية - اليهودية والنصرانية والإسلام لها تاريخ طويل من الصراع العقائدي في هذه القارة .

ثالثا : إن الديانات الوثنية لاتزال تشكل قاعدة كبيرة من سكان القارة تتجاوز الخمسين مليونا من البشر

رابعا : إن معظم أهالي إفريقيا بدائيون يعيشون علي الفطرة .

خامسا : إن إفريقيا تذخر بالخامات الأولية ومصادر الثروة الزراعية والمعدنية والحيوانية والغابية والحياة البرية إلي جانب البترول الذي أخذ يتدفق في أجزاء متفرقة منها .

لهذه الأسباب وغيرها تتنافس الدول الاستعمارية والكنائس المختلفة من كاثوليكية وبروتستينية ولوثرية وأرثوذكسية في كسب أرضية لها في هذه القارة كما أنها مجتمعة ومتفرقة في حرب ضروس ضد الإسلام .

لماذا يستهدف الإسلام في إفريقيا :

الأسباب التي جعلت العالم الغربي المسيحي في أشكاله المختلفة يستهدف الإسلام ويحاربه بكل ضراوة كثيرة ومتعددة منها :

١- إن المسيحية سبقت الإسلام إلي إفريقيا في مصر وشمال الصحراء والحبشة .

٢- إن الإسلام دخل إفريقيا وانتشر فيها واستولي علي كل الممالك والبلدان المسيحية فيها ولم يبق غير أقليات نصرانية في أماكن محدودة .

٣- أن الثورات التي واجهت الاستعمار الأوربي كانت إسلامية النزعة والتوجه منها :

حركة الشيخ عثمان دان فوديو في نيجيريا والثورة المهدية بالسودان . والشيخ عمر الفوتي السنغال وساموري توري غينيا وعلماء الأزهر في وجه نابليون وعبدالقادر الجزئري في الجزائر وعبدالكريم الخطابي في المغرب وأحمد بن حسن في الصومال ورابح فضل الله في تشاد والكميرون ونجيريا .

٤- إن الإسلام يسجل تقدما مطردا ويجد قبولا واسعا في أوساط الأفارقة .

٥- إن المسلمين يشكلون أكثر من نصف سكان إفريقيا ويمثلون معظم السكان في مصر والسودان والمغرب العربي ، ونيجيريا والسنغال وتشاد ومالي واريتريا والصومال .

كما أنهم موجودون بنسب متفاوتة في إفريقيا الاستوائية والحبشة وشرق وجنوب إفريقيا.

لهذا كله وجدت الكنائس النصرانية التي تدعمها الدول الاستعمارية الأروبية نفسها في تحد سافر ومواجهة ساخنة مع الإسلام .

الإرساليات التبشيرية المسيحية

تعج القارة الإفريقية بمئات المنظمات التبشيرية التي تضم في مسيرتها جيوشا ضخمة من الرهبان والراهبات والإطباء وغيرهم يزيد عن نصف المليون بينما كانوا ١١٩ر٠٠٠ قبل عشرين سنة حسب إحصاءات سن ١٩٨٠م ، وهي تمثل مختلف الكنائس من كاثوليكية وبروتستانتية ولوثرية وميثود وأرثوزكس .

وتعتبر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية هي الأولي في إفريقيا ورئيسها الأعلي هو البابا ومقرها في دولة الفاتيكان بايطاليا . وتليها الكنيسة البروتستانتية وهي مجموعة كنائس أمريكية وانجليزية واسكندفاية .

وأكبر تنظيم فيها هو مجلس الكنائس العالمي ومقره في الولايات المتحدة ويضم أكثر من مائتي منظمة

تبشيرية تعمل في أجزاء متفرقة من العالم ومن أهمها إفريقيا .

ونظرا لأهمية هاتين الكنيستين وخطورة عملهما في إفريقيا نفرد واحدة منهما بشيء من التفصيل .

الكنيسة الكاثوليكية الرومانية :

تعتبر الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الأصل الذي تفرعت منه معظم الكنائس العالمية .

وهي القسم الأكثر اتباعا وأوسع انتشارا في العالم . ويرأسها بابا الفاتيكان وهو اليوم بولس الثاني .

والفاتيكان هو دولة دينية مسيحية تقع في داخل جمهورية ايطاليا ومقرها وعاصمتها في روما عاصمة ايطاليا ولها تمثيل دبلوماسي مع كثير من دول العالم .

وهي أقدم الكنائس المسيحية التي مارست التبشير في إفريقيا منذ القرن الحادي عشر الميلادي .

وتضم في سلطانها الديني مجموعة كبيرة من دول العالم منها :

ايطاليا وفرنسا واسبانيا والبرتغال ومعظم دول أمريكا الجنوبية وثلث سكان الولايات المتحدة.

وفي إفريقيا تضم ثلثي المسيحيين الموجودين بالقارة ولها نشاط مركّز في كل أجزاء إفريقيا خاصة نيجيريا والكنغو وانجولا ومالي والسنغال وداهومي والنيجر وتشاد والكمرون والسودان وموزمبيق ومدغشقر .

وكان لها نشاط واسع وهيمنة تامة في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر والمغرب وتونس وغيرها من دول الكتلة الفرنسية والإسبانية في إفريقيا .

وتقوم الكنيسة الكاثوليكية بنشاط مكثف في مجالات الخدمات الصحية والتعليمية والإغاثية .

فلها آلاف الكنائس والمراكز التبشيرية وعشرات الآلاف من المدارس ومئات الجامعات وآلاف المستشفيات والمراكز الصحية وملاجيء العجزة والمعوقين ومستعمرات الجذام .

كما لها منظمات للشباب ودور للمرأة ومعاهد فنية ومعسكرات ومراكز تدريب وكليات لاهوت .

وهـــي تمـتلك مـــوانيء بحـرية ومطـارات وأساطيل نقل جـوية وبحـرية وبـرية فـــي عـدد كبير من بلدان القارة الإفريقية .

إلي جانب ماتقوم به من نشاط ثقافي تبشيري في طبع الكتاب المقدس وترجمته إلي اللهجات واللغات المحلية وتأسيس المكتبات والمطابع ودور النشر والتوزيع.ولها أنشطة غير ذلك تديرها في الخفاء .

زيارات البابا :

ومما يدل علي اهتمام الكنيسة الكاثوليكية بإفريقيا الزيارات العديدة التي قام بها البابا بولس الثاني للقارة والتي بلغت عشر زيارات في خلال خمسة وعشرين عاما وكان لهذه الجولات أهداف بعيدة في دعم وترسيخ الكنيسة الكاثوليكية حتي تتمكن من زحزحة الإسلام والانتصار عليه .

نشرت صحيفة هيرالد تربيون Herald Tribun في عددها الصادر بتاريخ ١٩٨٥/٨/٨ تقريرا حول رحلة البابا لإفريقيا بقلم لورين جنكز جاء فيه :

(يقوم البابا بولس الثاني بثالث رحلة له لإفريقيا في غضون خمس سنوات) بأمل أن يرسي قواعد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ضد النهضة الإسلامية المتزايدة في القارة الأمر الذي يعده الفاتيكان أمرا هاما

من أمور هذا القرن) . (ومن المتوقع أن يقوم البابا خلال رحلته بحث رجال الدين المسيحي بإفريقيا وأتباعهم بزيادة نشاطهم الكهنوتي في القارة لمقاومة المد الإسلامي الجديد جنوبا) .

الكنيسة البروتستانتية :

ظهر المذهب البروتستاني في القرن السادس عشر علي يد مارتن لوثر بوصفه حركة تجديدية خارجة علي الكنيسة الكاثوليكية .

وانتشر المذهب في بريطانيا ودول اسكاندنيفيا – السويد والدنمارك والنرويج – وفي أجزاء أخري من اوربا . ونشره الإنجليز في الولايات المتحدة وكندا واستراليا ومجموعة المستعمرات البريطانية وجنوب إفريقيا . وتعتبر الكنيسة الإنجليزية الكنيسة الأم لهذا المذهب ومقرها في بريطانيا ويرأسها أسقف كانتربري

ومنها الكنيسة التجديدية الإصلاحية في الدنمارك والسويد والنرويج وجنوب إفريقيا والكنائس الأمريكية المتعددة – المشيخية والميثودية وغيرها .

وأهم وأكبر تنظيم في الكنائس البروتستانتية هو مجلس الكنائس العالمي الذي يتزعم وينظم ويمول نشاط هذه الكنائس التبشيري في العالم .

وتعتبر الولايات المتحدة الممول الرئيسي لهذه الأنشطة المختلفة ، ويضم مجلس الكنائس العالمي أكثر من مائتي منظمة مسيحية بروتستانتية ، يعمل عدد كبير منها في إفريقيا .

وهي إلي جانب عملها في بناء الكنائس والمدارس والجامعات والمستشفيات والخدمات الإنسانية تقوم بأعمال أخري في توجيه السياسة والاقتصاد والفلسفات الاجتماعية والأجهزة الإدارية وغيرها من المؤامرات والدسائس .

والذي يتابع الحياة السياسية في إفريقيا منذ استقلال بلدانها في الستينيات يلحظ ذلك التدخل المباشر لمجلس الكنائس العالمي في شئون البلاد الداخلية .

التبشير والاستعمار في إفريقيا

التبشير أداة من أدوات الاستعمار التي استخدمها لإذلال الشعوب واسترقاقها ومن أجل هذا كان التنسيق التام بين الحكومات الاستعمارية والهيئات الكنسية حيث تتقدم الكنيسة برجالها من الرهبان والأطباء تحمل الدواء والغذاء لتمهد الأرض وتهيىء الناس لاستقبال جنود الاحتلال حتي إذا تمكن المستعمرون من إخضاع الشعوب المغلوبة علي أمرها إلي سلطانهم شرعوا في استخدام كل الوسائل وتسخير جميع الطاقات لخدمة الكنيسة وإطلاق يدها لبناء الكنائس والمدارس والمستشفيات والملاجيء ودور العجزة ومحاضن الأطفال وغير ذلك من الأعمال والمشروعات الخيرية وكل ذلك في إطار التنصير وتوجيه الحياة وجهة غربية ، وجر شعوبها إلي التبعية الذليلة للسياسات الاستعمارية الأوربية . وهم في عملهم هذا

يهدفون إلي محاصرة الإسلام وإيقاف تقدمه ومحوه من الوجود لإقامة وبعث الممالك المسيحية التي طواها الإسلام في السابق . قال المبشر الفرنسي لا فيجري :

إن فرنسا حارسة المسيحية في إفريقيا و إن عليها ليس فقط استغلال الثروات و إقامة السلطة علي العبودية والقضاء علي المنهزمين بل تعمل علي إنشاء شعب حر ومسيحي من المغرب الأقصي وحتي مصر ، وإحياء بقايا أمة مسيحية قد انقرضت .

ويحدو الأمل مبشرا آخر هو كاميرون الذي نزل في مقديشو بالصومال أواخر القرن الماضي وقال كلمته المشهورة (يجب أن نعمل علي إقامة سلسلة من الكنائس تمتد من مقديشو إلي داكار ومن القاهرة الي كيب تاون) (We Should build chains of churchs expending from Magdisho to Dacar and from Cairo to Cape Toun)

وماذكره كاميرون هو الهدف الذي تعمل له جميع الإرساليات بحيث تشكل سلسلة الكنائس هذه صليباً ضخما يطوّق القارة الإ فريقية .

تصفية الحسابات مع الإسلام :

ومن أجل تحقيق هذه الغاية - إخراج الإسلام من الساحة الإفريقية - تعاونت السلطات الاستعمارية مع الارساليات التبشيرية في جميع الأقطار التي وقعت تحت نير الاستعمار .

ومن أشهر المستعمرين الذين بذلوا جهودهم في حرب الإسلام بقصد التمكين للمسيحية :

الجنرال ليوتي والجنرال جو ولافيجيري في الجزائر واللورد النبي واللورد كرومر في مصر وكتشنر ووينجت في السودان وغرازياني في ليبيا .وقد عمل هؤلاء وغيرهم علي تصفية الحسابات مع الإسلام وذلك باتباع سياسات ومخططات تعسفية تدل علي الحقد والتصعب الأعمي . ومن هذه المخططات :

١) هدم المساجد أو تحويلها إلي كنائس كما حدث في الجزائر
٢) محاربة اللغة العربية
٣) كتابة اللغات الإفريقية - الهوسا - الصومالية - السواحلية - بالحروف اللاتينية
٤) التضييق علي العلماء ومعلمي القرآن
٦) استمالة مشائخ الطرق الصوفية ورؤساء القبائل بالمال للسير في ركاب الاستعمار
٧) اشعال الحروب و إثارة العداوات والنعرات العنصرية والقبلية للقضاء علي وحدة البلاد كما حدث في نيجيريا = بيافرا - والصومال وجنوب السودان .
٨) إخماد الثورات الإسلامية وقتل الزعماء المخلصين أمثال الخليفة عبدالله وعلي دينار في السودان ومحمد بن حسن في الصومال وحسن البنا وقادة الإخوان المسلمين في مصر وأحمدو بيلو في نيجيريا
٩) إشاعة الفساد والتحلل الخلقي بين المواطنين .
١٠) استغلال المرأة بتحريرها من التقاليد والأعراف الإسلامية وتبنيها لأساليب الحياة الغربية فكرا وسلوكا .

التبشير في بعض البلدان الإفريقية

الجـــــــــــــزائر :

كانت الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي ولاية من ولايات الخلافة العثمانية يحمكها وال من قبل الخليفة في الآستانة (اسطمبول) .

وكانت الخلافة نفسها في القرن التاسع عشر تخوض حروبا في جبهات متعددة مع روسيا ومع دول اوروبية متعددة - بروسيا (المانيا) وفرنسا وبريطانيا وقد استمات الجزائرون في مقاومة الاحتلال الفرنسي طيلة فترة الاحتلال التي امتدت إلي مائة وثلاثين عاما . واحتلال الجزائر رغم أنه توسع استعماري إلا أنه في حقيقته حملة صليبية أريد بها ضرب الإسلام وتنصير المسلمين وضمهم إلي مملكة الرب يسوع.

وقد وجدت الكنيسة الكاثوليكية يدعمها بابا الفاتيكان مجالا خصبا للعمل في الجزائر لتنصير المسلمين .

كما كان كبار القادة العسكريين متحمسين لموضوع التنصير ومحاربة الإسلام واقتلاعه من جذوره .

وتاريخ كل من المارشالات جو وليوتي ولافيجيري ومن جاء بعدهم مليء بالمخططات التنصيرية إلي جانب الإرهاب والتعسف في قتل الأبرياء وإحراق القري وإبادة رجال القبائل وهدم المساجد ومصادرة الأوقاف الإسلامية .

وكل هذه الفظائع شهد بها الفرنسيون أنفسهم وتضمنتها تقاريرهم الرسمية وأقوال مؤرخيهم

ففي سنة ١٨٣٣م تلقت الحكومة الفرنسية شكاوي من الجزائر تندد بالإرهاب والظلم وإهدار الحقوق الإنسانية وهدم المساجد ومصادرة الحريات الدينية للجزائريين المسلمين .

فأرسلت الحكومة الفرنسية لجنة للتحقيق في الشكاوي وتقديم تقاريها إلي الملك شارل ملك فرنسا .

وزارت اللجنة الجزائر ودرست الأوضاع وكتبت تقريرها ورفعته إلي الملك .

ومما جاء في ذلك التقرير :

(لقد أهدرت السلطات الفرنسية حقوق الشعب وداست مقدساته وسلبت حرياته وضمت السلطات الفرنسية أعيان الأوقاف الدينية إلي مصلحة الأملاك ، واعتدت علي الملكية الفردية .

ودنس جنودنا المساجد ، ونبشوا القبور وانتهكوا حرمات منازل المسلمين .

و أعدمت السلطات الفرنسية شيوخا من أولياء الله الصالحين لأنهم تجرأوا علي الشفاعة لمواطنيهم وألقت السلطات في السجون بعض شيوخ القبائل الأبرياء لأنهم آووا جنودا فرنسيين كانوا قد فروا من المدينة وأنعمت السلطات بالأوسمة علي الخونة الذين باعوا بلادهم باسم المفاوضة).

وختم التقرير بهذه الجملة :

(وجملة القول إن السلطات الفرنسية فاقت في تصرفاتها الوحشية جرائم البرابرة الذين ذهبت قواتنا - فيما تزعم - لتحمل إليهم نور المدنية .

فكيف يجوز لنا بعد ذلك أن نشكوا من مقاومة الجزائريين للاحتلال الفرنسي ؟ .

وعندما عرض هذا التقرير علي مجلس الأمة الفرنسي علق أحد النواب قائلا :

(إننا قد ارتكبنا في ثلاثة أشهر من الفظائع وأعمال التنكيل أكثر مما نسب إلي الأتراك خلال ثلاثمائة سنة (٢) .

الأبادة الوحشية :

قال المؤرخ الفرنسي كريستيان في كتابه (إفريقيا الفرنسية) (تلقي الجند أمرا من القائد العام الجنرال - رفيقو بالخروج من مدينة الجزائر ليلة ١٦ أبريل سنة ١٩٣٢م ، ففاجأ بهم قبيلة العوفية عند الفجر وهي نائمة تحت خيامها وأمعن في ذبح أولئك المساكين الذين لم يستطع أي واحد منهم الدفاع عن نفسه وهكذا وقع قتل كل نفس حية في القبيلة ، دون تمييز بين جنس وسن .

وعند الرجوع من هذه الحملة المخجلة كان الفرسان الفرنسيون يحملون رؤوس القتلي علي أسنة رماحهم (٣)

هدم المساجد أو تحويلها إلي كنائس :

كان في مدينة الجزائر العاصمة وحدها إبان الغزو الفرنسي سنة ١٨٣٠م، ١٧٦ مؤسسة اسلامية منها :

٣٠ مسجدا كبيرا

١٠٩ مسجد صغير

وكان بها ٨٠٠ من المباني والأملاك العقارية التابعة للمساجد

وبعد شهرين فقط من الاحتلال أصدرت السلطات الفرنسية أوامر بمصادرة الأملاك والعقارات الوقفية ، وتدمير المساجد أو تحويلها إلي كنائس أو ثكنات للجيش أو أماكن للخدمات والمرافق العامة وطبقت الأوامر فعلا حيث لم يبق من هذه المؤسسات الإسلامية سوي ٤٨ فقط بما يعادل ٢٧٪.

وتم مثل ذلك في جميع المدن والقري الكبيرة . واستهدفت العمليات اقتلاع الإسلام من جذوره ومحو آثاره الممثلة في المساجد والمآذن والأوقاف التي تدر عليها أموالا تضمن لها الاستمرارية في أداء رسالتها الإسلامية .

ولم تطق السلطات الفرنسية صبرا وهي تبصر المساجد قائمة والآذان يتردد من مناراتها خمس مرات في اليوم فما قرتّ لها عين حتي رأت المساجد تهدم والأجراس تجلجل من تلكم المنارات تدعو الناس إلي القداسات النصرانية في أعياد الفصح وفي أيام الأحاد للترانيم وتعليق الصلبان .

ومن هذه المساجد التي اتخذتها فرنسا كنائس مسجد تشاوه الذي كان يعتبر من أجمل مساجد الجزائر وأكبرها .. هجمت عليه القوات الفرنسية في سنة ١٨٣٢م وكان به ٤٠٠ مصل من المسلمين الجزائريين فأبادتهم عن آخرهم .

واتخذت المسجد كنيسة هي كاتدرائية الجزائر .

وهذه بعض المساجد التي بدلت إلي كنائس أو ثكنات عسكرية :

اسم المسجد	المدينة	الكنيسة
مسجد كاتشاوة	الجزائر	كاتدرائية الجزاء
مسجد وهران	وهران	كاتدرائية سان لوي
مسجد وهران	وهران	كنيسة سانت اندريه
مسجد سيدي الصواري	وهران	كنيسة سانت ميري
جامع المشوار	تلمسان	كنيسة
جامع الصين البيضاوي (جامع عبدالقادر الجزائري)	تلمسان	مخزن للقمح
مسجد القصبة	بجباية	ثكنة للجيش
مسجد سيدي الموهوب	بجباية	كنيسة سان جوزيف
مسجد مروان	بونة	ثكنة عسكرية
مسجد السيدة الجزائر	كنيسة	نوترادام دي فيكتور Notre Dame Victores
مسجد سيدي مبارك	القليعة	مستوصف صحي

السـودان :

دخل التبشير بالمسيحية في منتصف القرن التاسع عشر علي يد قس اسمه لويجي منتوري سنة ١٨٤٨ حيث أسس مدرسة وبني كنيسة وتحصل علي أرض لتكون مقبرة للنصاري.

وتلاه دانيال كمبوني سنة ١٨٧٣م ، الذي قام بجولات في أجزاء متفرقة من السودان وبدأ أعمالا تبشيرية في الخرطوم وجبال النوبة والبحر الأحمر والجنوب .

ولم تنجح هذه المحاولات الأولية بسبب موت كثير من رجالها بمرض الملاريا ثم بعد ذلك بظهور المهدية في السودان حيث توقفت تماما .

وبعد احتلال السودان بواسطة كتشنر سنة ١٨٩٩م جاءت أفواج المبشرين ممثلة في جمعية الكنيسة للتبشير C.M.C بالخرطوم والكنيسة المشيخية الأمريكية Pryberiams التي بدأت أعمالها في منطقة الشلك بأعالي النيل . ثم جاءت منظمة آباء فيرونا Veronal Fathers التي أسسها دانيال كمبوني بمدينة فيرونا بايطاليا لتواصل مابدأه هو من قبل .

وتوالت الإرساليات التبشيرية علي السودان في أوائل هذا القرن ووجدت من المستعمر الإنجليزي كل أنواع التسهيلات وفتحت لها جميع الأبواب للعمل في المناطق الوثنية لأن كتشنر كان يتحفظ في السماح بالتبشير في الشمال المسلم ثم سمح به خلفه وينجت بعد ذلك .

فقامت الإرساليات ببناء الكنائس وإنشاء المدارس والمراكز الصحية في الجنوب وجبال النوبة وسواكن علي البحر الأحمر .

ثم مارست العمل في الشمال المسلم فانشأت مدارس كمبوني في الخرطوم وعطبرة والأبيض وبورتسودان وقامت كلية غردون التذكارية إحياء لذكري غردون الذي تعتبره الكنيسة شهيد المسيحية في الخرطوم لكي تعمل في تعليم وتدريب كوادر علي النمط الغربي في التعليم والنظم الغربية .

وبعد الاستقلال وجدت الارساليات التبشيرية كل تعاون من الحكومات الوطنية فتوسعت كثيرا في الشمال وفي الجنوب ولم يقف أمامها غير الرئيس ابراهيم عبود الذي تنبه لخطورتها فأصدر أوامره بطرد بعض القسس الذين ثبت تدخلهم في إثارة الفتن كما أصدر قوانين ولوائح لتنظيم التبشير .

وجاءت الأحزاب بعد ثورة اكتوبر ١٩٦٤م فتساهلت مع الإرساليات . وفي فترة حكم جعفر نميري وبعد اتفاقية اديس ابابا نشطت الإرساليات نشاطا كبيرا مستغلة بنود الاتفاقية .

وعندما أعلن جعفر نميري الشريعة الإسلامية تنبهت الإرساليات لخطورة ذلك فعملت علي إلغائها وشنت عليها حربا شعواء في الداخل والخارج وساعدتها وسائل الإعلام وضعاف النفوس من قادة الأحزاب الشمالية

وبعدما ذهب النميري وعادت الأحزاب لحكم البلاد استمرت الإرساليات في حملتها ضد ما أسماه أعداء الإسلام قوانين سبتمبر .

ثم جاءت حكومة الانقاذ التي أعلنت التزامها بتطبيق الشريعة الإسلامية فكان من أمرها وأمر الهيئات التبشيرية مالايكاد يصدقه الإنسان حيث قدمت من التسهيلات والتصديقات الرسمية ببناء الكنائس والمؤسسات النصرانية والسماح لها بمزاولة نشاطها بصورة مكثفة في أوساط الشباب والمرأة والطفولة والمشردين وإقامة المعسكرات وإرسال البعثات وتدريب الكوادر وإقامة المعارض وتسيير المواكب في قلب الخرطوم وإفساح المجال لها في الإذاعة والتلفزيون والصحف .

البابا في الخرطوم :

وأخطر من ذلك قيامها بدعوة البابا بولس الثاني وتكريمه وتعظيمه بالاحتفالات والمهرجانات التي يخيل للمشاهد لها عبر أجهزة الإعلام أن هذا السودان جزء من دولة (الفاتيكان)

الخرطوم والنشاط الكنسي :

إن الداخل للخرطوم من أي اتجاه شاء برا أو جوا يخيل إليه أنها مدينة نصرانية عريقة بما يقابله فيها من الكنائس والمدارس والهيئات والمنظمات والشعارات الصليبية الصارخة .

فقصر الملك - القصر الجمهوري - الذي يمثل سيادة الأمة تقوم إلي جـــانبه مباني الكاتدرائية الانجليكانية التي بناها الحكام الانجليز ولم يجرأ أحد علي إزالتهـا رغم أنها أعطيت مكانا أخر تمارس فيه نشاطها في حي العمارات .

وعلي شاطيء النيل وعلي مقربة أيضا من القصر الجمهوري تقوم كاتدرائية القديس متي الكاثوليكية والتي يسكنها ويدير أعمال التبشير بها القاصد الرسولي مندوب البابا بالسودان وأجزاء أخري من إفريقيا .

وعلي مقـربـة أيضـا من القــصر الجمهــوري تقــوم كاتدرائية السيدة العذراء التي تضم مطرانيتي السودان ويوغندا .

وفي وسط الخرطوم تقوم مدارس كمبوني ومدارس الراهبات ومدرسة فيلا جلدا ومدرسة سان فرانسيس وملاعب كمبوني ومدارس الاتحاد العليا ال Unity H. Schools الانجليكانية والمكتبة الإنجيلية والمكلية القبطية والنادي القبطي وكنائس أخري ومستشفي الراهبات ومقبرة النصاري . وعدد الكنائس والمؤسسات التعليمية المسيحية بالخرطوم القديمة(من النيل الي المحطة ومن القوات المسلحة الي المقرن) أضعاف عدد المساجد والمدارس الإسلامية .

ففيها ٨ كنائس و١٠ مدارس وكليات يقابلها ٦ مساجد ومدرستان وجامعة السودان ، أما جامعة الخرطوم وجامعة النيلين فقد انشئتا علي اعتبار أنهما مؤسستان تعليميتان اجنبيتان (كلية غردون التذكارية وتضم مدرسة كتشنر الطبية ومعمل استاك) وجامعة القاهرة الفرع .

أما في الخرطوم العاصمة المثلثة لجمهورية السودان فإليك الإحصائيات .

١٥ إرسالية تبشيرية عالمية

- الإرسالية الكاثوليكية
- الإرسالية الاسقفية الانجليزية
- الإرسالية الامريكية
- المطرانية القبطية الارثوذكسية
- مجلس الكنائس العالمي
- مجمع مشيخة السودان
- جمعية الكتاب المقدس
- إرسالية التبشير الداخلي الإفريقي Arican Inland Mission
- جمعية السودان المتحدة للتبشير Sudan United Mission

الجمعيات الخيرية ٦ جمعيات منها :

- غوث السودان Sudan Aid
- إنقاذ الطفولة Sake Children
- مساعدة الكبار وغيرها Sudan Plan وجمعيات أخري .

٤٠ كنيسة رسمية

٥٠ كنيسة عشوائية بأطراف الخرطوم

٨٠ مدرسة رسمية من مرحلة الأساس إلي الثانوية

٦٠ مدرسة عشوائية

١٠ مستشفيات

١٠ أندية

هذه هي المؤسسات الظاهرة وماخفي أعظم

نيجيــــــريا :

نشطت الإرساليات التبشيرية في نيجيريا نشاطا واسعا في أوساط القبائل الوثنية منذ أواخر القرن الماضي و أخذت تتقدم شيئا فشيئا إلي المسلمين في الشمال مستخدمة وسائل مختلفة كتقديم المعونات والغذاء والكساء والعلاج والتعليم ..

ورغم النشاط الدائب المكثف فإن حصيلتها في أوساط المسلمين تبدو ضعيفة جدا .

فقد جاء في أوراق مؤتمر كلورادو أن الذين أسلموا من الهوسا حتي عام ١٩٨٧ لايتجاوزون الألف ومن قبيلة النوب ١٥٠٠ .

وجاء فيها أيضا أن مجموعة من المسلمين تنصروا وتسموا باسم العيسو أو العيسي وأنهم يؤدون شعائر نصرانية في قالب إسلامي .

كما ورد أيضا أن قبيلة الفلاني العريقة قد تنصّر جزء منها بواسطة الإذاعات النصرانية الموجهة إليهم .

أما في جنوب وغرب وشرق نيجيريا فقد استطاعت الإرساليات أن توجد لها أرضية في أوساط قبائل الأيبو وقبائل اليوربا والقبائل الوثنية الأخري .

وفي الوقت الذي رفض مسلمو الشمال التعليم الغربي ونظم الحياة الأوربية سارع الوثنيون إلي قبول ذلك .

ونتيجة لهذا تخرجت منهم أعداد غفيرة من المثقفين الذين عملوا في حقول التعليم والقضاء والإدارة والجيش . وكانت الحكومة الانجليزية المستعمرة والكنائس المسيحية تدفعهم دفعا وتشد من أزرهم لتؤهلهم لقيادة نيجيريا .

ولكن المسلمين في الشمال تنبهوا لهذا وأخذوا يرسلون أولادهم إلي المدارس ويتعهدونهم حتي تخرجت منهم أجيال مؤمنة أخذت بنصيبها من الثقافة الحديثة إلي جانب التراث الإسلامي .

وبعد الاستقلال سنة ١٩٦٠ عمل رئيس وزراء الشمال السارد ونا أحمد بيلو حفيد الشيخ عثمان دان فوديو علي الرقي بمسلمي الشمال وتبني نشر الدعوة الإسلامية في نيجيريا وربط بلاده بالعالم الإسلامي والعربي فثارت ثائرة الاستعمار والتبشير وكانت المؤامرة والانقلاب الذي راح ضحيته المجاهد الشهيد أحمدو بيلو وزميله الرئيس أبوبكر تفاوا بليوا .

وكان هذا الانقلاب العسكري بقيادة المتمرد أجوكو والقائد العسكري ايرونزي ايذانا بفتح الباب أمام الوثنية والصليبية لحكم البلاد . غير أن القائد العسكري الشمالي يعقوب قاون الذي أسندت إليه السلطة قد تنبه للخطر و أفشل الخطة وحارب المتمردين ببسالة حتي اضطر أجوكو إلي الهرب .

ويعقوب قاون هذا من قبائل الشمال وقد تربي في مدارس التبشير واعتنق المسيحية ولكنه رغم ذلك كان حريصا علي وحدة بلاده وإنقاذها من المخطط الصليبي المتمرد .

نتائج وثمار الأنشطة التبشيرية في إفريقيا

نتجت للنشاط والتبشير في إفريقيا آثار سالبة كثيرة أثرت في حياة الأفارقة السياسية الاجتماعية منها

١) إثارة الفتن والنزاعات العنصرية والقبلية كما حدث في الصومال ونيجيريا والسودان ويوروندي

٢) تغذية وتمويل وتدريب الجماعات المنشقة علي الحكومات الوطنية

- جنوب السودان
- بيافرا في نيجيريا

٣) إعداد حكام غير مسلمين لحكم البلاد الإسلامية

- سنغور في السنغال ٩٥٪ مسلمون
- تمبل باي في تشاد ٨٥٪ مسلمون
- سياسي افورقي في اريتريا ٨٥٪

٤) ضرب الحركات والجماعات الإسلامية

- مجازر زنجبار بأيدي يوليوس نيريري وعبيد كرومي ١٩٦٤
- مجازر الموريتانيين العرب في السنغال ١٩٩١م
- مذبحة جنوب السودان ١٩٥٥م

٥) ضرب الإسلام في الحبشة ويوغندا

٦) الفصل العنصري واضطهاد السود - جنوب إفريقيا

٧) تصفية الحكام المسلمين أو عزلهم

- أحمدو بيلو في نيجيريا
- أبوبكر تفاوا بليوا ـ نيجيريا
- عيدي أمين - يوغندا
- الرئيس البوروندي - وحادث الطائرة
- الرئيس بوكاسا - الذي أعلن إسلامه فكان سببا في إبعاده

٨) تشويه الإسلام في نفوس أبنائه بواسطة التعليم الكنسي وإعدادهم ليكونوا زعماء وقادة

- صادق المهدي - خريج كمبوني و اكسفورد الذي دعا إلي تعطيل وإلغاء الشريعة الإسلامية
- منصور خالد - سليل الشيخ عبدالماجد والشيخ الصاوي - تخرج فى جامعة الخرطوم ودرس أيضا في الخارج من أكبر المعادين للشريعة الإسلامية

٩) إفساد المرأة وإشاعة الانحلال والفساد الأخلاقي

١٠) مصادرة الأوقاف الإسلامية وتشغيل مابقي منها في الأعمال الربوية والاستثمارات المحظورة شرعا

المراجع :

١- القرآن الكريم
٢- الكتاب المقدس
٣- التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي - أوراق ومقررات مؤتمر كلورادو
٤- معركة التبشير والإسلام - الدكتور عبدالجليل شلبي
٥- الاستشراق السياسي د. مصطفي نصر المسلاتي
٧- حركة الجامعة الإسلامية - أحمد فهد الشوابكة
٨- المستشرقون والمبشرون د، شوقي خليل
٩- الإسلام والعرب - روم لاندو
١٠- التنصير والاستعمار في إفريقيا - عبدالعزيز الكحلوت
١١- قراءة في وثائق البهائية - دكتورة عائشة عبدالرحمن - بنت الشاطيء
١٢- التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة د. حسن مكي
١٣- التبشير في إفريقيا - عبدالجليل ريفا
١٤- التبشير والاستعمار د. مصطفي الخالدي ود. عمر فروخ
١٥- الغزو الفكري في مناهج التعليم في السودان - رسالة دكتوراة جامعة أم القري د. عبدالله عبدالحي
١٦- النشاط الكنسي في السودان - رسالة دكتوراه د. خضر عبدالرحيم - جامعة أم القري
١٧- تاريخ المغرب - روم لاندو
١٨- موسوعة التاريخ الإسلامي - د. أحمد شلبي
١٩- الزحف إلي مكة د. عبدالودود شلبي
٢٠- جاهلية القرن العشرين - محمد قطب
٢١- الإسلام والحضارة - د. عبدالمنعم خفاجة
٢٢- أخطار الغزو الفكري علي العالم الإسلامي - د. صابر طعيمة.

الصراع الإسلامي - المسيحي في إفريقيا

بروفيسور عون الشريف قاسم *

رغم الحديث الكثير عن الحوار بين الحضارات والأديان وسعي أعداد متزايدة من المفكرين نوي النوايا الحسنة الحادبين علي مستقبل الإنسانية لإبراز القيم الإنسانية الجامعة بين البشر التي تدعو لها مختلف الديانات وترتكز عليها كل الحضارات ، فإن واقع الحال يشير إلي غلبة التنافس الذي يصل في بعض جوانبه إلي الصدام بين الحضارات والأديان ، وبلغ ذلك غايته في العلاقة بين حضارة الإسلام والحضارة الغربية المعاصرة ، وليس من مكان تشتد فيه المواجهة بينهما أعظم من قارة إفريقيا .

وقد دخلت المسيحية إلى إفريقيا منذ القرن الرابع الميلادي تقريبا بدءا بالمذهب القبطي اليعقوبي وكانت عاصمته الإسكندرية وكان ينافس المذهب الملكاني الكاثوليكي في روما ، ومن الإسكندرية دخلت المسيحية إلى الحبشة ، ومنها ومن روما دخلت المسيحية إلى الدويلات النوبية في نوباطيا والمقرة وعلوة (١) .

وقد دخل الإسلام في إفريقيا منذ أوائل الدعوة وكانت إرهاصاته قبل الهجرة حين احتمي بعض مسلمي مكة بنجاشي الحبشة كما هو معلوم ، ودخل الإسلام في مصر منذ حوالي عام ٢٧ هـ ورأينا آثاره في السودان منذ عام ٣١ هـ في مسجد دنقلا الذي ورد ذكره في معاهدة البقط بين عبدالله بن أبي السرح وملك دنقلا النوبي . وقد أدي انتشار الإسلام إلي سقوط المقرة بعد حوالي خمسة قرون وبعد حوالي القرنين والنصف من ذلك سقطت علوة وقامت للإسلام دولة في وسط إفريقيا بعد حوالي الثلاثة عشر عاما من سقوط الأندلس في أيدي الفرنجة ، وكان الإسلام قد عمّ شمال إفريقيا منذ منتصف القرن الهجري الأول وبدأ زحفه في العمق الإفريقي وانتهي بقيام الدول الإسلامية في غانا (القرن الرابع حتي السابع الهجري) ومالي (من القرن السابع حتي العاشر) والسنغاي (من القرن العاشر الهجري) وامتد أثر الإسلام إلي معظم دول غرب ووسط إفريقيا مما يعرف الآن بنايجيريا والنيجر والكمرون وإفريقيا الوسطي وتشاد وما إليها إلي جانب المناطق القديمة في غانا ومالي والسنغال وما إليها (٢) وكان للإسلام انتشاره الواسع في القرن الإفريقي(٣) في اثيوبيا وإرتريا والصومال وموزمبيق وماجاورها في الجنوب الإفريقي بحيث جري القول في منتصف القرن العشرين بأننا نكاد نجد من بين كل ثلاثة أفارقة اثنين منهم مسلمين ، وصحّ في وجدان المسلمين وحسابهم أن إفريقيا قارة الإسلام ، وكان الإسلام في الواقع ينتشر في إفريقيا انتشار النار في الهشيم كما عبّر عنه كثير من المراقبين (٤) .

---

* الخبير السابق بمعهد الخرطوم الدولي

وقد كان للغزو الأوربي لإفريقيا وإرهاصاته التي بدأت منذ أواخر القرن الخامس عشر الميلادي أثره الواضح في شحذ روح المقاومة لهذا التدخل الأوربي الذي اتخذ من نشر المسيحية ومحاربة الإسلام أداته الفاعلة للتغلغل في إفريقيا ومن ثم كانت حركات الجهاد الإسلامية هي سلاح المسلمين لرد عادية المستعمرين سواء أكان ذلك في الشمال الإفريقي في الجزائر والمغرب وتونس وليبيا أم في غرب إفريقيا ٠ وتمثل في جهاد عمر الفوطي في مالي والشيخ عثمان دان فوديو في أرض الهوسا والفلاني وكان معظم ذلك في شمال نايجيريا ، وحدث مثل ذلك في الصومال والحبشة والسودان ومصر أيام عرابي (٥) .

وقد اتسمت فترة الإستعمار في إفريقيا التي امتدت لما يقرب من القرن من الزمان بظاهرتين : أولاهما فتح المجال للحركات التبشيرية للتغلغل في المناطق التي لم ينتشر فيها الإسلام وتشجيع أبناء المسلمين في المناطق الإسلامية علي الانخراط في المدارس الحديثة التي تقوم اساسا علي مناهج غربية ولا تهتم بالمعارف الإسلامية إلاّ في مستواها الأدني مع سعي دائب لتهميش المؤسسات القرآنية والإسلامية عامة ، وكان التركيز في التعليم المدني الحديث علي السعي لفصل أبناء المسلمين عن تراثهم في المدارس أولا وفي تحويل لغات المسلمين التي كانت تكتب بالحرف العربي إلي الحرف اللاتيني ثانيا (٦) وكانت نتيجة ذلك نشوء طبقة مثقفة في كثير من أقطار إفريقيا تدين بالمسيحية وهي علي قلتها فاعلة لامتلاكها للوسائل العصرية في الهيمنة علي أجهزة الحكم وهياكل المجتمع الثقافية والاقتصادية وكانت النتيجة في أوساط المسلمين كثرة جاهلة رفضت دخول أبنائها في مدارس المستعمرين ومن دخل منهم فيها خرج منها وهو غريب من وجوه كثيرة عن موروثه الإسلامي . ولكن روح المقاومة للمستعمر حفظت علي المسلمين دينهم في معظم الأحوال إذ كان سلاح الدين هو أقوي الأسلحة لمجابهة مخططات المستعمرين في مجال التربية وحياة الناس الاجتماعية والثقافية ، فلم يفلح المستعمرون رغم جهودهم المتصلة لصرف الناس عن منابع حضارتهم وإحلال حضارته محلها ، ولكن المستعمرين نححوا في أمرين : شق معظم المجتمعات الإفريقية في معظم الأحوال بين جنوب مسيحي أو مايشبهه وشمال مسلم مع تفاوت النسبة العددية بين هؤلاء وأولئك . والأمر الثاني خلق طبقة من المسيحيين والمسلمين تشربت أفكار الغرب واغتربت عن أصول مجتمعها التقليدي مسلما كان ذلك المجتمع أم غير مسلم ، وعندما تمّ الإستقلال لمعظم هذه الدول في الفترة ١٩٥٠ - ١٩٧٠ كانت هذه الطبقة هي التي ورثت المستعمر كطبقة حاكمة وكانت بالتالي في مجملها أكثر حرصا علي حراسة ماتركه الاستعمار من نظم ومخططات من الاستعمار ذاته ، ومن البديهي أن روح المقاومة التي كانت مستعرة في مواجهة الدخيل ومخططاته وتحفظ علي الناس بعض معالم مجتمعهم الموروث ، من البديهي والطبيعي أن تفتر بعد جلاء المستعمرين ، ولعله من المفارقات أن كثيرا مما حاوله المستعمرون وفشلوا في تنفيذه من مخططات لخوفهم من الاصطدام بالشعور الوطني ، قد تمّ تنفيذه علي أيدي خلفائهم من الحكام الوطنيين الذين وقف معظمهم بحكم تكوينه الثقافي دون انتقال مرحلة الاستقلال من مجرد تحرر سياسي إلي تحرر ثقافي وحضاري ، فغلا بعضهم في توجهه العلماني فكان أنكي علي الإسلام والمسلمين من عدوهم المستعمر الأصيل ، وغير خاف أن عددا كبيراً من الأقطار الإفريقية ذات الأغلبية المسلمة قد وجدت نفسها وهي محكومة برئيس

مسيحي في عهد الاستقلال ، وكانت نتيجة ذلك أن الصراع قد احتدم داخل معظم هذه المجتمعات بين توجهات الحاكمين العلمانية وتوجهات الجماهير المتطلعة إلي التعبير عن شخصيتها الإسلامية مما أفرز ماهو معلوم من حركات التطرف التي عجزت عن اختراق السياج الرسمي المضروب علي التحرك السياسي فتحولت إلي حركات سرية أو علنية مناهضة للأنظمة القائمة (٧) .

الزحف المسيحي :

تذكر المصادر المسيحية أن (الخط الإسلامي ظل يتقدم جنوبا بشكل مطرد منذ القرن السادس حتي حوالي عام ١٩٥٠ حين وقف هذا التقدم تماما عندما واجهه تاثير العمل النصراني في كافة أرجاء المنطقة الوسطي والجنوبية في إفريقيا – والنصرانية تحقق الآن نجاحا في التنصير في وسط أصحاب الديانات التقليدية بصورة أكبر من الإسلام أما الاسلام فهو مستمر في الازدياد نسبة لكثافة النمو السكاني ولكن النصرانية تزداد بصورة أسرع (٨) ويقول نفس المصدر في مكان آخر (لقد أوقفنا انتشار الإسلام في جنوب ووسط إفريقيا ومانحتاج إليه الآن هو العمل الجاد لإيجاد منافذ إلي داخل الإسلام (٩) . والسؤال المطروح هو كيف تهيأ للمسيحية أن تحقق من المكاسب في عهود الاستقلال مالم تحققه في عهود الاستعمار ؟ ولعلّ السرفي ذلك يكمن في القواعد الراسخة التي أرسي دعائمها المستعمرون في الحياة الاجتماعية والمتمثلة في الجمعيات التبشيرية وما ترتكز عليه من بنيات اقتصادية وتربوية وإعلامية ضخمة وتضافر الجهود في كافة أرجاء الغرب المسيحي علي صب أكبر قدر من التمويل لدعم جهود التبشير في إفريقيا مع العمل المباشر أحيانا لهدم دعائم التحرك الإسلامي مثلما حدث في شمال نايجريا أيام ثورة الإيبو التي انتهت بالقضاء علي أعظم القيادات المسلمة في نايجريا بقتل الساردونا أحمد بلو ورئيس الوزراء طفاوة بليوة وغيرهما من أكابر القادة المسلمين مما لاتزال نايجيريا والإسلام عامة يشعرون بفداحة فقدهم ، وقريب من ذلك حدث في زنزبار حين تم القضاء علي الوجود العربي المسلم وإدماج زنجبار في الاتحاد التنزاني .

ومن الواضح أنه في مواجهة هذه الهجمة الغربيـــة المضادة علي إفريقيا في أعقاب خروج جيوش الاحتلال ، وهي هجمة فكرية مدعومة بالأموال والمعدات الإعلامية والتربوية الضخمة ، لم يكن لدي معظم الدول الإفريقية من الإمكانات مايقف في وجهها ، بل إن معظم الجماهير المسلمة في هذه الأقطار كانت بين شقي الرحي فحكامها لايهتمون بإسلامهم ولا بإسلام قومهم ولايقدمون الدعم للمؤسسات التي تعمل في مجال التعليم الإسلامي والدعوة الإسلامية إن لم يكونوا مناوئين لها ، في حين أن قواعد التبشير الراسخة تجد دعما متصلا من الدول الغربية ويمكن أن نستعرض بعض الإحصاءات في هذا المقام ، فقد أصدرت الهيئة الدولية لبحوث الإرساليات المسيحية نشرة عن التنصير وأنشطته في العالم لعام ١٩٩١م ذكرت فيها أن عدد المؤسسات التنصيرية ووكالات الخدمات المسيحية بلغ ١٢٠ر٨٨٠ وأن دخل الكنائس العاملة في حقل التنصير ٣٢٠ بليون دولار وأنها أنفقت لخدمة المشاريع المسيحية ١٦٣ بليون دولار حققت منه الإرساليات الأجنبية دخلا قدره ٩و٨ بليون دولار ويعمل في مجال التنصير ٨٢ مليون جهاز كمبيوتر لحفظ ونشر المعلومات وصدر ٨٨ر٦١٠ كتاب و٢٤ر٩٠٠ مجلة إسبوعية للتبشير ووزع من الأناجيل بالمجان ٥٣ مليون

نسخة وبلغت محطات الإذاعة والتلفزة الخاصة بالتبشير ٢٣٤٠ محطة وإذا جمعت الأرقام الخاصة بالتبشير لعام ١٩٩١ بلغت ١٨١ بليون دولار (١٠) .

ومن المفيد أن نستعرض في هذا المقام مانشرته مجلة تايم الأمريكية قبل مايزيد علي عشر سنوات من تاريخ هذه الإحصائية إذ ذكرت في عام ١٩٨٠ أن سكان إفريقيا البالغ عددهم ٤٦٠ مليون منهم ٥٣ مليونا من الروم الكاثوليك وأن المسيحية عامة تزداد بمعدل ٦ مليون نسمة أو يزيدون قليلا كل عام أي بنسبة ٥٪ في العام وهي نسبة زيادة لم تشهدها المسيحية في كل تاريخها ومن المتوقع أن يبلغ عدد المسيحيين ٤٠٠ مليون من جملة سكان إفريقيا ال ٨٠٠ بنهاية القرن ولذلك قال البابا جون بول الثاني إن (إفريقيا قارة ناضجة للحصاد) وقالت التايم (إن من المدهش عن نمو المسيحية في إفريقيا إنه تمّ بطريقة دراماتيكية بعد نهاية الاستعمار ففي حين كان عدد المسيحيين لايتجاوز ال ٣٠٪ عام ١٩٦٠ أصبح عام ١٩٨٠ حوالي ال ٥٠٪ (١١) .

ومن الواضح أن المخططات التبشيرية الموضوعة منذ بداية هذا القرن والتي حددت نهاية هذه القرن لوضع حدّ لانتشار الإسلام جنوب خط الاستواء تسير بخطي حثيثة على طريق التنفيذ ، وكان من ضمن ذلك كما يعلم دارسو هذه المخططات تقسيم السودان إلي مناطق تبذل بمقتضاها الجمعيات التبشيرية في جبال النوبة والانقسنا والجنوب أقصي جهودها لتحضيرها لهذه المرحلة وتنتهي بإقامة دولة مسيحية في الجنوب تحول دون أي مدّ إسلامي جنوبا ، بينما يكون سعي المبشرين في مناطق المسلمين إلي زعزعة إيمان المسلمين بدينهم وصرفهم عن طريق المدارس والإعلام عن أي توجه إسلامي وتحييدهم .

وقد كان هذا التوسع النصراني علي حساب الإسلام يتم في صمت ودون ضجة بل وكان يصحبه دعاية ضخمة بأن الإسلام ينتشر بسرعة في إفريقيا بغرض تطمين المسلمين ودفعهم إلي الاستكانة والدعة والحكم بأن الإسلام يتقدم بقوته الذاتية أمام المسيحية .

الدور الإسلامي العربي :

وأمام هذه النتائج المذهلة لمعركة الإسلام والنصرانية في إفريقيا لانكتفي بجهود النصاري وحدهم في تحقيق هذه الانتصارات بل لابد أن نضيف إليها جهود الصهيونية التي هي أعظم ظهير لهذا التوسع النصراني وتقف وراءه بالدعم المادي والمعنوي (١٢) .

ولكن السؤال الملحّ ماهو دور الشعوب الإسلامية والأمة العربية في هذه المعركة المحتدمة؟ . وكلنا يعلم ماقامت به كثير من الدول العربية من تقديم العون المادي والمعنوي للأمم الإفريقية في أعقاب حركة الاستقلال فقام بنك التنمية في إفريقيا الذي مقره الخرطوم وقدم الملايين لكثير من المشاريع الإفريقية كما قام البنك الإسلامي بجدة بجهد كبير وأنشأت منظمة المؤتمر الإسلامي بعض الجامعات وأقامت بعض الدول مراكز ثقافية ومؤسسات تربوية ودعوية مثل السعودية والسودان ومصر وليبيا والعراق ، ولكن هذا التعاون العربي الإسلامي سرعان ما انحسر وتوقفت معظم المشاريع المشتركة ، وكانت النتيجة لكل ذلك سالبة إذ دخل في روع كثير من الأفارقة عدم مصداقية من بدوهم بالإعانة ثم قطعوها عنهم .

وقد صاحب هذا الجهد العربي والإسلامي في إفريقيا كثير من المظاهر السلبية خاصة في مجال العمل الإسلامي إذ كان ينقص هذه الجهود التنسيق بحيث لايحدث الصدام أو التنافس بينها ، وكان من هذه المظاهر السالبة إرسال مجموعات غير مدربة من الاقطار المانحة أو الاستعانة بكوادر محلية ما كانت في معظمها فوق مستوى الشبهات فبددت الأموال في غير ماخصص لها ، ولعل أسوأ هذه المظاهر الفتن الدينية التي أحدثتها بعض هذه المجموعات التي بعث بها للدعوة فاثارت بعض المسلمين علي بعضهم الآخر بالتركيز علي بعض القضايا الحساسة مثل محاربة التصوف في مجتمعات تقوم في جملتها علي الطرق الصوفية أو التركيز علي بعض المسائل الفقهية غير الأساسية مثل السدل والقبض واستعمال السبحة وما إليها وقد أثار بعض ذلك حروبا شغلت المسلمين بأنفسهم عن دعوة غيرهم للإسلام .

وبالتالي فقد انتهت هذه الجهود المبعثرة رغم صدق النية إلي نتائج لاتقارن بما تحققه المؤسسات الكنسية والتبشيرية من إنجازات ويحدث ذلك في وقت تحتاج فيه الأمم الإفريقية أكثر من أي وقت آخر إلي الدعم وهي تعاني من انحسار مواردها القومية وتدني إنتاجياتها بفعل الظروف الطبيعية من شح الأمطار وماتبعه من جفاف وتصحر إضافة إلي فشل مشاريع التنمية في معظم هذه الدول بسبب تورطها في استجلاب المعدات العالية التقنية العالية الثمن مع ضعف الكوادر الفنية التي تقوم عليها وما جرّه ذلك من ديون باهظة قعدت باقتصادياتها وانتهت بمعظمها إلي العجز عن الوفاء بما عليها من التزامات مالية للدول الغربية الدائنة مما جعلها رهينة لهذه الدول وذلك في جوهره استعمار في شكل جديد ، ومن الواضح أن أسلوب التنمية الذي سعت به هذه الدول مثل معظم دول العالم الثالث إلي تقليد الدول الصناعية الكبري في إحداث التنمية بهذه الصورة المتقدمة بدل الاستعانة بالتقنيات المتوسطة القائمة علي تطوير أساليب الإنتاج المحلية كان شركا أوقعت فيه الدول المصنعة لأدوات هذه التنمية دول العالم النامية في قبضتها باستنزاف دخولها القومية في شراء مصانع ومشاريع انتهت في جملتها بالفشل ففقدت الدخول مضافا إليها عبء الديون مع ضياع فرص التنمية في زمان كانت معظم هذه الدول تملك الإمكانات لإحداثها حينذاك ويصعب عليها إن لم يستحل تعويض مافاتها في زمان ارتفعت فيه أسعار السلع المصنعة وتدنت أسعار المواد الخام التي ترتكز عليها اقتصاديات الدول النامية .

أدت هذه الأوضاع إلي تدني المستويات الاقتصادية والاجتماعية في معظم دول العالم الثالث وبالذات في إفريقيا مما نجم عنه كثير من الاضطراب والارتباك في هذه الدول وبالذات الإسلامية منها ، وقد كان هذا الارتباك والاضطراب بالذات هو مدخل الحركات التبشيرية لاقتحام حصون هذه المجتمعات المسلمة وأدبيات المبشرين تذكر ذلك بوضوح إذ يقولون في إحدي مطبوعاتهم (لقد تحوّلت الأوضاع النصرانية - الإسلامية خلال ربع القرن الماضي (وكان ذلك عام ١٩٧٨) من وضع كان فيه الإسلام ينتشر سريعا بتحويل الناس إليه إلي نمو سببه الرئيسي هو الزيادة السكانية والكتاب المقدس النصراني يصل الآن إلي المجموعات الأزدواجية كما تتوطد الكنيسة بسبب ارتباك الإسلام وهزيمته . ويعزو هذا المصدر سبب التحول إلي ثلاثة أسباب هي عرض الكتاب المقدس بصورة ملموسة والعلمانية التي تجذب الكثيرين وانتشار التعليم الغربي

بصورة واسعة لايستطيع الإسلام أن ينافس فيها ذلك العالم الحديث (١٣) .

في مثل هذا الوقت الذي تحتاج فيه الدول الإسلامية في إفريقيا إلي دعم إخوانهم في العالم الإسلامي والعربي تنحسر هذه المساعدات ويصبحون نهبا مباحا للحركات التبشيرية التي تقدم لهم الدواء في مستشفياتها وتقدم لهم الطعام في ملاجئها إلي جانب الخدمات الأساسية في المياه والمدارس وما إليها وبذلك لا تكسب الارواحيين وغير المسلمين فحسب بل تكسب كثيرا من المسلمين المحتاجين وبذلك يتبدي لهؤلاء المسلمين عجز إخوانهم المسلمين عن نصرتهم في حين يقدم لهم المسيحيون الدعم وقت حاجتهم إليه يقول المصدر النصراني عن ذلك (لقد أصبح من المعروف الآن في معظم تلك المناطق أن النَصاري قوم يلتزمون بكلمتهم ويمكن الوثوق بهم وسوف تجد الكثير من المسلمين الذين يقولون لك : إن مايقوله النصراني صحيح ..) (١٤) .

خاتمــــــــة :

لقد مضي عشرون عاما منذ أن انعقد مؤتمر التبشير بكولورادو بأمريكا عام ١٩٧٨ الذي وضع خطته المحكمة لغزو العالم الإسلامي وأبانت مجلة تايم الأمريكية وضع المسيحية في إفريقيا بعد ذلك بقليل اي في عام ١٩٨٠ كما أسلفنا وتنبأت بانه بنهاية القرن – أي في أيامنا هذه ونحن علي بعد عام وبضعة أشهر من القرن الجديد – سيصبح واحد من كل اثنين في إفريقيا مسيحيا وقد كانت نسبة المسلمين في إفريقيا قبل مايقرب من نصف القرن حوالي مسلمين اثنين من كل ثلاثة أفارقة، وهي نقلة بعيدة المدي في هذا الصراع المصيري بين النصرانية والإسلام في إفريقيا .

ومن الواضح أن مايعانيه المسلمون في كل أقطارهم من اضطراب في أحوالهم الاجتماعية والثقافية والسياسية وهم يواجهون عصر العولمة بأدواته الفاعلة في غزو العقول والقلوب ومعظمهم مستهلك لمنتجاته غير مشترك في تصنيعها كل ذلك يدعوهم إلي وقفة يراجعون فيها حساباتهم ويعيدون النظر في مناهجهم التي أدت بهم إلي هذا الوضع المزري الذي يهددهم بالذوبان والفناء في حضارة الغرب الكاسحة .

إن قضايا المسلمين لايمكن حلها إلا بجهد مشترك بين المسلمين جميعا مما يقتضي التوحد علي المستوي الإقليمي وصولا إلي التوحد علي مستوي العالم وسبيلهم إلي ذلك ابتكار مؤسسات ذات فعالية يسهم فيها أكبر عدد من المسلمين بالتمويل والإدارة لمواجهة الزحف الغربي في مجالات الدعوة والإعلام والتربية وتقديم المعونات المادية والمعنوية للمحتاجين علي مستوي العالم مع الاستفادة من تجارب المبشرين الذين تدعمهم دول الغرب مجتمعة خلال مؤسساتها الكنسية المعروفة من مثل اتحاد الكنائس العالمي وغيره من المؤسسات الكبري ، وهم في نشاطهم يركزون علي تلبية احتياجات المحتاجين ولايكتفون بمجرد الدعوة والتبشير كما يفعل كثير من المسلمين والله من وراء القصد مسددا ونصيرا .

الهوامش :

١- أنظر فانتيني : المالك المسيحية في السودان
٢- أنظر ارنولود : الدعوة إلي الإسلام (طبعة لاهور الانجليزية) ص ٣١٢ - ٣٦٢
٣- انظر ترمنجهام : الإسلام في شرق إفريقيا وكتابات الدكتور حسن مكي عن القرن الإفريقي
٤- انظر د. عون الشريف قاسم : الإسلام والبعث القومي ص ٨٥- ١٠٠
٥- انظر بحوث الندوة العالمية عن الشيخ عثمان بن فودي جامعة إفريقيا العالمية ص ١٥ و١٠٠ و٣١٣
٦- انظر الدكتور مصطفي خالدي والدكتور عمر فروخ : التبشير والاستعمار ، ومحمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام والدكتور عبد الجليل شلبي : معركة التبشير والإسلام
٧- انظر د. عون الشريف قاسم : الدعوة الإسلامية في إفريقيا مجلة دراسات إفريقية العدد ٦ فبراير ١٩٩٠ ص ١٩ - ٣٥
٨- انظر التنصير : (خطة لغزو العالم الإسلامي ، أعمال مؤتمر كلورادو التبشيري عام ١٩٧٨م ، الترجمة العربية ص ٣٤٩
٩- نفسه ص ٣٦٤
١٠- انظر جريدة الشعب المصرية عدد ٦٥٤ بتاريخ ٩٢/٦/٢٣ ومحمد الغزالي : (هذا ديننا ص ١٢
١١- انظر مجلة تايم الأمريكية عدد ١٢ مايو ١٩٨٠م ص ٤٥
١٢- أنظر كامل الشريف : المغامرة الإسرائيلية في إ فريقيا
١٣- التنصير ، مرجع سابق ص ٣٦٥
١٤- نفسه ص ٣٥٤

مابين الاستشراق والتنصير في إفريقيا

د. الفاتح الزين الشيخ إدريس *

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدي ، وأنزل القرآن مصدقا لمابين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ، وبدأ الوحي بكلمة (اقرأ) ، وجعل الجهاد الفكري والمجادلة الفكرية هي أعلي أنواع الجهاد وأعظمها ، إذ أن الساحة الفكرية هي ميدان المعركة الحقيقي ، وجعل الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن الطريق الأمثل لنشر الدعوة ونصرها ، بغية تحقيق الاقتناع الذي يتشكل في الأعماق ، وهذا بدوره يولد الإيمان الذي لايمكن أن يكون بالإكراه .

والصلاة والسلام علي سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) القدوة الحسنة الذي كانت سيرته وقيادته أنموذجا لدولة الشوري السياسية والعدالة الاجتماعية والحرية الإنسانية ، فهذا الموضوع الذي أطرحه أمامكم الآن ، اخترته من بين محاور هذه الحلقة الدراسية مبينا فيه دور الناحية الثقافية والإعلامية والفكرية في عملية التنصير والاختراق الاستعماري لقارة إفريقيا بصفةعامة وللعالم الإسلامي بصفة خاصة ، مساهمة في تحقيق الوعي الحضاري والتحصين الثقافي وإعادة بناء الشخصية الإسلامية ، وترقيم الأفكار وتنقية الموارد الثقافية وخلق روح القدرة علي الاجتهاد ، وإيجاد الأوعية الفكرية لحركة الأمة العربية والإفريقية ، وتنزيل الإسلام علي الواقع المعيش ، وتقويم السلوك به ، بعد أن ضاعت الهوية وافتقدت الشخصية الكثير من فعاليتها ، ومنهجيتها وعجزت هذه الأمة الإسلامية عن التعامل مع قيم الكتاب والسنة ، وآلت إلي التقليد الجماعي ، والتخاذل الفكري .

ومما لاشك فيه أن الاستشراق كان ولايزال يشكل الجذور الرئيسية ، التي تقدم الدعم والعون للتنصير والاستعمار ويغذي عملية الصراع الفكري ، ويشكل المناخ الملائم لفرض السيطرة الاستعمارية علي الشرق الإسلامي ، فالاستشراق هو المصنع الفكري الذي يمد المنصرين والمستعمرين بالمواد التي يسوقونها في العالم الإسلامي ، بغية تحطيم عقيدته وتدمير أفكاره والقضاء علي شخصيته الحضارية التاريخية الضاربة في القدم .

والشاهد أن الوسائل تطورت ، وتعددت طرق المواجهة الثقافية بصورة أفضل من السابق ، ويجدر بنا أن نشير إلي أن مراكز البحوث والدراسات ، سواء أكانت قائمة بذاتها ، أم أقساما للدراسات الشرقية في الجامعات العلمية ، ومايوضع تحت تصرف هذه الهيئات من الإمكانات المادية ، أو الابتكارات العلمية والاختصاصات الدراسية تمثل هذه صورا حديثة في تطور الاستشراق ، حيث يتمكن أصحاب الشأن في

---

* جامعة الخرطوم - كلية الآداب - قسم التاريخ

مثل هذه الأمور من الاطلاع والرصد لما يجري في العالم يوميا . والجدير ذكره أنه توجد الآف من مراكز البحوث والدراسات شقها الأكبر مخصص لشئون العالم الإسلامي ، لمتابعة ورصد كل مايجري في العالم ومن ثم دراسته وتحليله ومقارنة ذلك مع الأصول التاريخية ثم مناقشة كل هذه الأمور مع صانعي القرار النهائي ، ثم تبني الخطط وتوضع الاستراتيجيات الثقافية والسياسية وتحدد وسائل التنفيذ ، والثابت أن كل شيء أصبح خاضعا للدراسة والتحليل بصورة علمية مدروسة ، لوضع النتائج بكل دقة وعناية مع توضيح كيفية تطبيق ذلك علي الواقع ، وبذلك نلاحظ أنه لم يعد هناك مجال للتراجع والنكوص في عالم اليوم .

مع ملاحظة أن العالم الإسلامي اكتفي بمواقف الرفض والإدانة للاستشراق والتنصير - والانحياز العاطفي للإسلام - إذ يتباري الخطباء بالعبارات الرنانة - ولكني أحذر من الغارة علي العالم الإسلامي القادمة إليه من الشرق والغرب ، ومن المخططات الصهيونية الغادرة ، والصليبية بصورة أشمل ، و أصبح ذلك بشكل عام مناخا ثقافيا ، وإرثا فكريا وطريقا للوصول لزعامة أو منصب دون ان تكون لدينا القدرة لبحث هذه الأمور بصورة ذات قيمة أو إيجاد خطة أو وسيلة مدروسة للمواجهة - أو علي الأقل محاولة لوضع حد بصورة علمية لهذا السيل الفكري والثقافي والإعلامي القادم من هناك .

إن الأمة الإفريقية والإسلامية بصفة خاصة - لاتزال في مرحلة العجز وعدم القدرة لتمثيل التراث الإسلامي بشكل واضح وصحيح ، ومن ثم افتقدت القدرة أيضا على فهمه والاستفادة منه بمنهجية ، أو علي الأقل بإنتاج فكري معاصر يوازيه ، من خلال الاقتداء بالقيم المحفوظة في الكتاب والسنة ، حيث لازلنا نعمل جميعا بالأقوال والاجتهادات الفكرية والفقهية وبذلك نكون قد عطلنا دور العقل البشري تماما ودخلنا في شبكة التقليد ، نمجد ونعظم ذلك الإرث الحضاري للاعتزاز والمفاخرة ، دون أن تكون لنا القدرة للعودة إلي الأصول ولو فعلنا عكس ذلك نستطيع تقديم الحلول لحركة الحياة ونستطيع أن نطبق الإسلام واقعاً معيشا . مع ملاحظة أننا لانزال مولعين بالمعارك القديمة ، التي انتهت بأصحابها و أهدافها وزمانها ، رغم ذلك ندور في محورها ، ويأخذ منا الحديث عنها زمنا ويستنزف طاقاتنا وطاقات من يستمعون إلينا عنها . ونحاول أن نحقق انتصارات في شيء أمره انتهي بوقته علما بأن الساحات تغيرت والمعارك تطورت والأسلحة تعددت والمؤسف أننا لاندخل هذه الساحات إلا بعد أن تكون حققت أهدافها . والثابت أننا انخرطنا داخل هذه المعارك ولانزال بداخلها و تأخذ كل وقتنا علي حساب حاضرنا ومستقبلنا ، وقد سوقنا لأفكار المستشرقين بحسن نية ، وروجنا آثارهم ومجدناها دون أن نحسب حسابات دقيقة لآثارها السلبية ، ومايترتب علي ذلك من تدهور لنا وتمكين للاستشراق الذي انفرد بالتخطيط لتحقيق الأهداف وأصبحنا نحن في موقف الدفاع وظللنا في تلك المواقف الدفاعية علي حساب البناء الداخلي لأمتنا .

مقاصد الاستشراق :

عموماً نجحت العقلية الاستشراقية في فرض آليتها علي مناحي الحياة ، علي التحقيق والنقد والتقويم وسيطرت علي مراكز و مصادر التراث العربي الإسلامي ، وبادرت بتحقيق المخطوطات وطبعها ونشرها كل ذلك يتم عن طريق الاستشراق والمستشرقين ، والثابت أن الاستشراق بكل مقوماته ، قام وتأسس ضمن

المناخ الاستعماري وبدأ خطواته لدرء العقل الأوربي ليحول بينه وبين الإسلام ، لذلك ظهرت الكتابات باللغات الأوربية لمخاطبة أبنائها والمعروف أن القضايا الفكرية والثقافية بشكل عام تمثل شيئا طبيعيا للثقافة التي نشأ وتربي فيها الكاتب ، فالمفكر رهين الثقافة التي ينشأ فيها لذلك لايستطيع أي باحث أن يتناول موضوعاته دون أن تخضع للأطر والحدود الفكرية والعلمية المحيطة به ، أو قل المفروضة عليه مسبقا بسبب نشأته الثقافية التي من الصعب الإفلات منها .

وتقديرا لكل ذلك نجد من الصعوبة وضع فواصل واضحة بين الاستشراق والتبشير والاستعمار وكم من الذين طرقوا هذه المجالات وحاولوا اقامة أن يفرقوابين هذه الكلمات أعتقد أنهم مثل الذين يحاولون إيجاد فوارق بين الصهيونية واليهودية والثابت أن الاستشراق بدأ خطواته الأولي تجاه العقل الاوربي فكانت الترجمات الاوربية مبكرة للقرآن والسيرة وبدأت الدراسات التاريخية والاجتماعية والتراثية في المعاهد والجامعات والمراكز العلمية وذلك لتأهيل الأوربي لتأمين مصالح بلادهم ، وتوفير المعلومات عن بلاد العالم الإسلامي وقامت مراكز متخصصة لتحليل هذه المعلومات لتكون مرشدا ودليلاً للحركات الاستعمارية .

وبذلك خططت الخطط الاستشراقية لتشكيل العقول وفق النسق الغربي الأوربي ٠ مع مراعاة أن الأهداف والأساليب تطورت واهتم هؤلاء بالتشكيل الثقافي للأمة المسلمة في ضوء رؤية معينة وخطط علمية مدروسة : ونتيجة ذلك دخلوا كل المجالات وبحثوا ونقبوا وطبعوا ونشروا ووزعوا هذه المطبوعات بصورة إعلامية موسعة حققت أهدافهم القومية والبعيدة وجاءت هذه المطبوعات في الأدب واللغة والتاريخ والثقافة العامة محاولين بناء العقلية الإسلامية وفق النمط الغربي ، والواضح الآن أنه لم يعد في وسع الكثيرين منا أن يكتب عن التراث والأدب والتاريخ وخلافه دون الرجوع إلي كتابات المستشرقين ، إذ أصبحت المناهل الفكرية الخارجية أساسا في صنع الثقافة الداخلية ، إذ أصبح الإنتاج الفكري الذي وضعه المستشرقون يملأ المكتبات العامة والخاصة مع ملاحظة أن هذا الإنتاج الذي عم الساحة الفكرية اليوم وأصبح مصدرا لنا جاء نتيجة لغياب الأمة الإسلامية علميا وثقافيا ، وإذا أردنا أن نضع أنفسنا في مستوي الحوار الفكري والتبادل المعرفي ونبني سدا قويا أمام الغزو الفكري لابد أن نترك البكاء علي الأطلال والاكتفاء بعبارات الفخر والاعتزاز بالماضي وبذلك نستطيع أن نعمل لامتلاك ناصية الفكر وننتج إنتاجا فعليا نابعا من ثقافتنا ونحصن مؤسساتنا ونزودها بالمقاييس الثقافية السليمة وفق مناهج مدروسة بصورة علمية ونستطيع بذلك أن نقيم سدا منيعا ضد الغزو الفكري المنظم لأمتنا الإسلامية .

أهداف الاستشراق :

من خلال ماذكرت تتضح أهداف الاستشراق والتي أجملها في غايتين

أولاهما :

الحيلولة دون وصول نور الإسلام للعقلية الأوربية كما حدث من المسيحيين في الشام ومصر وشمال إفريقيا وأسبانيا من قبل ، حين دخل الإسلام هذه المناطق ، قد دخل أهلها في الإسلام أفواجاً وأصبحوا من دعاة الدين الإسلامي (١) وعموما هذا الهدف أراد به المستشرقون تصوير الإسلام وأهله بصورة

بشعة حتي لايدخل من بقي من رعايا الكنيسة في الإسلام مثلما فعل بعض أهل تلك البلاد المذكورة أعلاه

– وثاني هذه الأهداف هو معرفة الشرق بصورة عامة ودراسته من كل الجوانب وكيفية الوصول والاستفادة منه علاوة علي أن المستشرقين جند المسيحية (٢) الذين وهبوا أنفسهم للجهاد الأكبر في نشر المسيحية في قارة إفريقيا بصفة عامة . ويؤكد هذه الغايات ماكتبوه بأنفسهم ، فهذا هو المستشرق الأمريكي (روبرت بين) في مقدمة كتابه (السيف المقدس) يقول (إن لدينا أسبابا قوية لدراسة العرب والتعرف علي طريقتهم فقد غزوا الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية ، إن النار التي أشعلها محمد لاتزال تشتعل بقوة وهناك ألف سبب للاعتقاد بأنها شعلة غير قابلة للانطفاء (٣) .

ومستشرق آخر يبرز هذه النواحي بصورة أشد من تلك إذ أن أميرا ايطاليا جهز علي حسابه الخاص قوافل علمية لتصل مناطق الفتح الإسلامي وتدرسها دراسة جغرافية وجمع كل الأخبار المتصلة بهذا الفتح وكتب كتابا ضخما بعنوان (حوليات الإسلام) وقد حدد هذا الأمير كايتاني لماذا قام بهذا العمل بقوله (إنه أراد أن يفهم سر الجاذبية الإسلامية التي انتزعت من الدين المسيحي ملايين من الأتباع في شتي أنحاء الأرض مايزالون حتي اليوم – يؤمنون برسالة محمد ويدينون به نبيا ورسولا (٤) .

هذا بوضوح يكشف عن نوايا المستشرقين و أهدافهم وغاياتهم التي يعجز الموقف الآن عن الخوض فيها بصورة أشمل ، نقف وقفة تأمل مع هذه العبارات والتي لا أود الخوض في أكثر منها ، إذ أنها تمثل الوجه الحقيقي للصورة الغرائزية في نفس هؤلاء المستشرقين إذ يقول الدكتور جلوور) في كتابه (تقدم التبشير العالمي) . قال : (إن سيف محمد والقرآن أشد عدو و أكبر معاند للحضارة والحرية والحق ، ومن أخطر العوامل الهدامة التي اطلع عليها العالم إلي الآن) (٥)

وقال أيضا :(القرآن خليط عجيب من الحقائق والخرافات ومن الشرائع والأساطير ، كما هو مزيج غريب للأغلاط التاريخية والأوهام الفاسدة ، وفوق ذلك هو غامض جدا لايمكن أن يفهمه أحد إلا بتفسير خاص له) (٦) والواضح أن أهداف الإستشراق راجعة لطبيعته ونشأته التي قامت لأهداف محددة ، وفق استراتيجية مدروسة بأسس وضوابط محددة ، إذ كان هؤلاء المستشرقون مبشرين نصاري يعملون في البلاد الإسلامية ، وكل هذه المؤثرات التي ظهرت في معظم كتاباتهم استهدفت الإسلام ، وجلها يقوم علي تلك المؤثرات التي خلفتها الحروب الصليبية بكل ما لها من خيوط في عقول الغربيين .

مراجعة التاريخ :

تأتي أهمية الأمم بالمحافظة علي تاريخها ، والمحافظة علي تراثها وهويتها وقوتها ، ويحدد ذلك مقدرة الأمة علي الصمود والوجود ، فالتراث والتاريخ وتحديد الهوية إرث حضاري لأنه عمق الأمة وجذرها الضارب في أعماق تاريخها وأصالتها ، وبذلك تصبح الأمة قوية لاتهددها الأنواء ولاتؤثر فيها الأعاصير وبذلك تستطيع الأمة ، أن تستشرف حاضرها وتستشرف مستقبلها .

فلا عجب لكل ذلك إذ كان جل وقتنا في تحقيق تاريخنا وخاصة التاريخ الإسلامي ، وتأتي أهمية التاريخ الإسلامي في أن الإسلام مطبق علي الواقع المعيش لأمة كانت لها السيادة ردحاً من الدهر ، فتشويه التاريخ

الإسلامي يؤدي بالضرورة إلي تشويه صورة الإسلام والأمة الإسلامية جمعاء .

ولأهمية ذلك اتجه المستشرقون في أبحاثهم إلي التاريخ ، وجاءت معظم مؤلفاتهم وأعمالهم ،سواء أكانت تحقيقا أو نشرا أو ترجمة جلها في مجال التاريخ - بمختلف معانيه تاريخيا عاما ، سياسيا أو حضاريا أو اجتماعيا وحدثوا عن الفرق الإسلامية والمذاهب والبلدان فكان لهم منهج خاص ، اتخذوا فيه طرقا مختلفة للوصول لمقاصدهم ومن خلال بعض المؤلفات نستطيع أن نتبين بعض الملامح لهذه المؤلفات :

(أ) اهتمت هذه المؤلفات في منهجها من ناحية صورتها العامة :

١) الاهتمام بتاريخ الفرق الإسلامية والصراع بينها ونشأتها وقد وضعت هذه المؤلفات ذلك الصراع في صورة إثارة وخلاف وذلك لتشتيت وحدة الأمة الإسلامية

٢) اعتني هؤلاء الكتاب بتاريخ الزنادقة وإظهارهم في صورة أصحاب الفكر الحر وهؤلاء الزنادقة هم قادة الفكر وأنهم يحكمون العقل فيما يقولون ويكتبون .

٣) الاهتمام بالتاريخ القديم : وقد بذلوا جهدا مضنيا في البحث والتنقيب عن هذه الحضارات القديمة وأشادوا بها وربطوا كل إقليم في ديار الإسلام بماضيه القديم ومن ثم بدأت الصراعات داخل الإقليم الواحد في البلاد الإسلامية ، عن هوية وشخصية الفرد (٧) والحديث عن ذلك يطول .

٤) تمزيق تاريخ الأمة الإسلامية : ظهرت من خلال هذه الكتابات مناخ القصد منها تمزيق شمل الأمة الإسلامية وذلك بتقسيم تاريخ هذه الأمة إلي دويلات وأقاليم ومناطق لإثارة عوامل الانقسام والفرقة والاختلاف وذلك بالتذكير بالصراعات والحروبات والخصومات .

٥) اختصار تاريخ الإسلام : كتبت مؤلفات كثيرة في تاريخ الحضارة الإنسانية ومعظم مؤلفيها من المستشرقين ، مع ملاحظة أن تاريخ الإسلام والمسلمين موجز مختصر بصورة تجعلنا نتصور مكانة الإسلام في نفوس هؤلاء المؤلفين .

ومثال ذلك المؤلف (هـ . ج) ويلز تحت عنوان (معالم تاريخ الإنسانية) تحدث فيه عن تاريخ الجاهلية وتناول الوثنية ، ولم يذكر تاريخ الإسلام وأثره الحضاري إلا في فصل واحد من ٥١ صفحة (٨) فقط من جملة ٨٥٠ صفحة من هذا المؤلف واعتقد أن تاريخ الإسلام والمسلمين يمثل حقبة تاريخية طويلة أحدثت تغيرا جذريا في تحديد مسار الشعوب والأمر متروك لكم فهل تكفي هذه الصفحات لهذه الحقبة التاريخية .

ويتضح أنهم يكتبون وفق استراتيجية موجهة فيذكرون مايشاءون ويتركون مايشاءون ، وإذا أرادوا ذلك يكون بمقدار . وصفوة القول إن الاستشراق كان يعمل من أجل التنصير والاستعمار وكما ذكرت فإن هذه الكلمات ، لاتوجد فواصل دقيقة تحدد معانيها بل إنها متداخلة وكل واحدة منها تؤدي إلي الأخري بالصورة المطلوبة والمدروسة .

ومن خلال ذلك نستطيع تحديد بعض المعالجات والتي تحد من خطورة الاستشراق أو علي الأقل تقليل خطره علي أمتنا :

١) لابد من دراسة مؤلفات المستشرقين بصورة جادة والرد علي ماورد فيها بصورة مؤلفات تدحض ماورد في

كتاباتهم وتظهر الحقيقة المطلوبة بصورة صحيحة .

٢) تسخير طاقات العلماء لإظها ر التاريخ الإسلامي بصورته المشرقة وتوفير الإمكانيات المادية لذلك .

٣) إقامة مراكز متخصصة للدراسات الإسلامية لخدمة الإسلام وفق أسس وضوابط معينة للقيام برسالة نشر تعاليم الإسلام .

٤) الاهتمام بالدعاة الإسلاميين ومساعدتهم في رحلاتهم العلمية لإبراز الوجه الحقيقي لتعاليم الإسلام

٥) تكوين لجان متخصصة من العلماء في مجالات تاريخ الإسلام لوضع الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحضارية بصورة تلائم واقع الأمة الإسلامية .

٦) الاهتمام بالناحية الإعلامية بدرجة كبيرة واستغلال الاعلام والعمل علي تطويره بأحدث الأحهزة الإعلامية حتي يتثني للعلماء توصيل ماالديهم من أفكار الي كل العالم .

٧) العمل علي إعادة تاريخ الأمة الإسلامية واستخلاص الشوائب التي لحقت به في بعض عهود التاريخ الإسلامي .

٨) الاهتمام بالنواحي الحضارية للأمة الإسلامية والمحافظة عليها و إبرازها بصورة مشرقة .

٩) تنشيط المنظمات الدعوية ودعمها ماديا للحد من خطورة المنظمات التبشيرية .

١٠) توعية أبناء الأمة الإسلامية في إفريقيا ومساندتهم ومساعدتهم وإقامة المؤسسات الدراسية ودعمها والإشراف عليها حتي تقوم بتبصير المسلمين بأمور دينهم .

١١) مراقبة المنظمات الطوعية المسيحية وتحديد مسار هذه المنظمات وفق أسس وضوابط معينة ومحددة .

١٢) الاهتمام بالمجتمعات النائية والبدائية وتوفير كل احتياجاتها من تعليم وصحة ومتابعة ومراقبة ذلك حتي لا تكون بذرة للتنصير .

١٣) صياغة المناهج الدراسية بصورة تضمن للدارس معرفة أمور دينه وبالمقابل تمكنه من معرفة خطورة المستشرقين ودورهم في حركة التنصير .

١٤) ضرورة الاهتمام بالمؤرخين والباحثين لأنهم صدر الامة وموجهو سياستها .

آمل أن أكون وفقت في إبراز صورة عن الاستشراق ودوره في التنصير بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال الغزو الفكري الغربي والذي يعدّ أداة لتحقيق أهداف الاستشراق الموضوعة بصورة علمية وفق ايدلوجية معدة إعدادا جيدا لتحقيق معطيات السياسة الاوربية وفق المؤثرات الصلبة التي لازال الغرب يضع حدودا فاصلة لخلفياتها السابقة مع إيجاز بعض المعالجات والتي تحتاج منا للمزيد والتنفيذ حتي نحقق الأهداف المنشودة ،

وختاما الشكر موصول للقائمين بأمر هذه الحلقة الدراسية وأسأل الله للجميع التوفيق والسداد .

الحواشي :

١- محمود محمد شاكر - رسالة في الطريق إلي ثقافتنا ، ص ٥٧
٢- محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة ، ص ٥٩٧
٣- بنت الشاطي ، تراثنا في الشرق والغرب ، ص ٧ ، ص ١٠
٤- عماد الدين خليل- الموقف الغربي من السيرة ، ط ١ ، ص ١٢٨
٥- المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٩
٦- عماد الدين خليل ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ١٣٢
٧- نفسه
٨- هـ . ج . ويلز ، معالم تاريخ البشرية ، ٣٥٥

المصادر والمراجع :

١- محمود محمد شاكر - رسالة في الطريق الي ثقافتنا ، بيرو ت ، ١٩٨٧
٢- محمد قطب - مذاهب فكرية معاصرة - دار الشروق - القاهرة - ١٩٨٣م
٣- د. عائشة عبدالرحمن - تراثنا في الشرق والغرب - القاهرة - ١٩٦٧م
٤- د. عماد الدين خليل - المستشرقون والسيرة النبوية - الرياض - ١٩٨٥
٥- د. عبدالعظيم الديب - المستشرقون والتراث - دار الوفاء - مصر ١٩٨٨م
٦- د. عمادالدين خليل - فصول في المناهج والتحليل - بيروت ١٩٨١م
٧- هـ ، ج ، ويلز ، معالم تاريخ الإنسانية ، ترجمة عبدالعزيز توفيق ، مصر ١٩٧٥م
٨- موسوعة المستشرقين - دار العلم - بيروت ١٩٨٤

أفرقة الكنائس الوطنية

د. ابراهيم عكاشة علي *

إن مسألة التبشير والتأصيل محور هذا المؤتمر ، هما من الهموم الكبري في الأوساط الأكاديمية والبحثية والدعوية ، لأننا في عصر تشابكت فيه خيوط المصطلحات ، ودخلنا عالم العولمة ، وشبكة المعلومات ، التي وجد فيها المستشرقون مساحة واسعة لتخزين آرائهم ومسمياتهم ، ولهذا السبب كان هذا المدخل لإعطاء المصطلحات حقها من التدقيق ومزيد من التأصيل ، لأن المصطلح هو : الوعاء الذي يعبر عن ثقافة الأمة وتراثها . والتأصيل في مضمونه الاصطلاحي ، هو : أساس الشيء الذي يقوم عليه ومنشؤه الذي ينبت منه ، وأصّل الشيء يعني جعل له أصلا ثابتا يبني عليه ، ويتقيد بثوابت وضوابط عقيدة الأمة .

ومما يثير الانتباه ، العنوان الذي تم اختياره لهذا المؤتمر وهو : التبشير والاختراق الاستعماري في إفريقيا ، لذلك آثرت أن يكون هو المدخل لهذه الورقة ،

إن كلمة (تبشير) من الناحية اللفظية من (البشارة) ومن الاستبشار فالمسيح عليه السلام ، هو حامل البشارة بالنسبة للنصاري ، وقد استبشروا بمجيئه ولكن بالنسبة إلينا معشر المسلمين ، ولم يبشر إلا بشيء واحد : (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) .

فكلمة (تبشير) بوصفها معني اشتقاقيا هي الدعوة إلي ماجاء به الإنجيل ، وأصدق ترجمة لها باللغة الإنجليزية Evangelization وتعني بالعربية علي وجه التحديد (التنصير) ولكن النصاري استعملوا عن قصد كلمة (تبشير) عوضا عنها لأسباب منها :

أ/ لما لكلمة تنصير من أثر في نفوس المسلمين وحكوماتهم الإسلامية التي كانت تحرم ممارسة التبشير حتي بعد دخول الاستعمار بفترة .

ب / لأن كلمة (تبشير) أصلها قرآني : (فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) ، (يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلي الله بإذنه وسراجا منيرا) .

فكلمة تبشير من ألفاظ القرآن الكريم ، وهو لفظ خفيف ، يدل علي معني الخير والرحمة والبركة ، كما يدل في بعض الأحيان علي الوعيد للعاصين والمنافقين ، وعليه فقد اصطلح الباحثون علي اختيار كلمة (تنصير) بدلا من كلمة (تبشير) اصطلاحا لما يقوم به المنصرون في نشر دياناتهم ، ويكون اللفظ بذلك مشتقاً من كلمة (نصاري) التي ورد ذكرها في القرآن الكريم في مواطن كثيرة ، (ولن ترضي عنك اليهود ولا النصاري حتي تتبع ملتهم) .

---

* عميد كلية الآداب والدراسات الإنسانية جامعة جوبا

وتعريف (التنصير ، بإيجاز هو :- قيام مجموعة من المنصرين باحتلال منطقة معينة ، وتنصير سكانها ، وإنشاء كنيسة وطنية تؤول مسؤوليتها للمواطنين الذين يقومون بالتنصير في الأماكن التي لم يصل المنصرون اليها ، فإقامة كنائس وطنية في ميادين التنصير ، هو الهدف الذي تسعي إليه جميع المنظمات الكنسية المنتشرة في أصقاع البسيطة ، وقد ارتبط هذا الهدف بمسائل متعددة منها ماهو لاهوتي ، ومنها ماهو غير ذلك ، ومن الأمور التي تزعج السلطات الاكليروسية المركزية ، هو مسألة تكييف تلك الكنائس مع واقع مجتمعاتها ، ولهذا فقد أفردت تلك السلطات إدارات متخصصة لهذا الأمر ، وعقدت من أجله المؤتمرات ، وأقامت له الدورات المكثفة .

وتتناول هذه الورقة موضوع نظرية التكييف مع المقارنة في ظل السيطرة الغربية والإسلامية ويشتمل البحث علي الآتي :

* مولد الكنائس الوطنية ونظرية التكييف
* ذاكرة التاريخ ونظرية التكييف
* بعض التوصيات والمراجع

مولد الكنائس الوطنية :

مع أن هنالك كنائس وطنية إفريقية موغلة في القدم (المصرية والحبشية) إلا أن علماء اللاهوت والمؤرخين أجمعوا على أن القرن التاسع عشر الميلادي ، الذي شهد حركة الاستعمار الكبري في مختلف القارات ، كان من أعظم قرون التوسع النصراني قاطبة .

وقد كان التنافس الاستعماري والكنسي علي أشده في القارة الإفريقية ، وقد اتبع المنصرون وقتها نفس شعارات التحرر وحقوق الإنسان المتبعة حاليا ، وكانت مسألة محاربة تجارة الرقيق التي اشترك فيها الأوربيون والعرب علي السواء من أبرز تلك الوسائل .

فبعد فشل جهود الحكومة البريطانية لمنع تجارة الرقيق في إفريقيا عن طريق الدبلوماسية في أوربا والسفن الحربية في شواطيء المحيط الأطلسي ، انتقلت المسألة برمتها بعد مذكرة (بكستن) Buxton الشهيرة عام ١٨٣٨ ، إلي الكنيسة والمنصرين ، وكانت المذكرة تنادي بأن الطريقة الإيجابية للقضاء علي موارد تلك التجارة هو ، تمدين أماكن تصدير الرقيق ورفع مستوي عقول سكانها ، وتقوم النصرانية بالدور المباشر في إحداث ذلك التغيير ، ومن ثم انتقلت البرامج التي وضعت لمحاربة تلك التجارة من يد الحكومة البريطانية وحتي من جماعة محاربة الرق إلي المنصرين الذين أخذوا يوجهون نشاطهم داخل القارة .

بدأت إفريقيا تستقبل وفود المنصرين الكاثوليك الإيطاليين والفرنسيين ، من الرهبان والراهبات الفرانسسكان ، والدومنكان ، واليسوعيين ، والآباء البيض ، والكبوتشيين وآباء فيرونا وغيرهم ، كما أخذت تستقبل المنصرين والقساوسة البروتستانت من الإنجليز والألمان والأمريكان وغيرهم الذين كانت ترسلهم الجمعيات التنصيرية ، التي لا تكاد جماعة ولو صغيرة في المجتمعات الغربية إلا ولها جمعية باسمها تنفق علي المنصرين بسخاء ، وانطلقت مسيرة المخطط الكنسي عن طريق وسائل متعددة ، كان أهمها

التعليم (الأقل تكلفة) فتركته الحكومات الاستعمارية في أيدي المنصرين ، واكتفت بتقديم الدعم المادي والمعنوي إليهم .

انطلقت الإرساليات في تعليم النشيء القراءة والكتابة ، وشيدت مدارس (التلقين) في الأحياء والأحراش والقري ، وقد حظي (الدين) النصراني بالأولوية في السلم التعليمي وكان عن طريق السؤال والجواب .

س : من هو يسوع المسيح؟

ج – يسوع المسيح ابن الله تأنس من أجلنا

س : هل للكنيسة رئيس يمكن رؤيته علي الأرض ؟

ج – للكنيسة رئيس يمكن رؤيته علي الأرض ، إنه أسقف روما الحبر الأعظم قداسة البابا

وتحت ظل المستعمر الغربي ، انتشرت ، الابرشيات ، والكنائس ، والكتدرائيات في الأحراش والمدن ، وعلي ضفاف الأنهار ، وشواطيء المحيطات ، وعلت أجراس الكنائس في سماء القارة ، وحل القس محل الكجور في مراسيم الزواج ، ومواسم الأعياد ، والعلاج ، وأخذ التعليم الكنسي في التطور ، وفتحت المدارس ، الأولية والمهنية وتدريب المعلمين ، ثم الابتدائيات ، ومعاهد اللاهوت ، وقام الرهبان والراهبات والقساوسة والمفكرون والباحثون الغربيون بدراسة المجتمعات الإفريقية عقديا ، وإثنيا ولغويا وتاريخيا ، وأصبحت مؤلفاتهم المرجعية الرئيسية للدارسين والباحثين الأفارقة الذين التحقوا بالجامعات المحلية أو الذين تم ابتعاثهم إلي الغرب .

ولتسهيل مهمة المنصرين ، تم تقسيم القارة كنسيا إلي أسقفيات ونيابات رسولية ومدبرات رسولية ، ثم وحدات إرسالية ، وأصبح العاملون والعاملات من الأجانب والوطنيين ، يحيطون بكل صغيرة وكبيرة في القارة تعجز عن معرفتها الحكومات الوطنية .

والحقيقة التي لابد من ذكرها ، أنه لولا التنظيم الدقيق ، والجهد والتفاني والتضحيات لما تم تنصير أجزاء واسعة من القارة .

أفرقة الكنائس الوطنية ونظرية التكييف :

في أعقاب حركات التحرير من الاستعمار السياسي التي عمت إفريقيا منذ منتصف هذا القرن ، واجه المنصرون الطرد والإبعاد ، فلجأوا مضطرين في كثير من الأحيان إلي إنشاء كنائس وطنية قبل أن تتم مرحلة النضوج الطبيعية ، وتم ترسيم المواطنين ، قساوسة وأساقفة ومطارنة حتي وصل أحدهم إلي مرتبة كاردينال (جانين) ويشترك في اختيار الحبر الأعظم ، الذي يتولي أكبر سلطة كنسية في العالم .

خلف الاستعمار وراءه كنائس وطنية في المجتمعات الإفريقية الإسلامية والوثنية ، وهي مقسمة مابين مجتمعات كاثوليكية ، وأورثوذكسية ، وإنجليكانية وانجيلية ، ولوثرية ، وغيرها ثم شهدت مرحلة مابعد الاستقلال تطورا هائلا ، وأصبحت الإدارات المركزية للكنائس الوطنية في الغرب تمتلك وسائل اتصال متعددة وعالية التقنية ، وأصبح البث الإذاعي والتلفازي يصل عن طريق الأقمار الصناعية وبمختلف اللغات واللهجات المحلية ، إلي القري النائية والأحراش ، وبذلك دخل العمل التنصيري كما دخلت أسواق الأوراق

المالية وغيرها حلبة العولمة ، التي تستهدف جعل النصرانية الدين المعيش الوحيد في مطلع القرن القادم ، كما صرح بذلك أعلي مرجعية كنسية ، ولتحقيق ذلك درج الكنسيون على استخدام نفس السناريو القديم ، وهو الجانب الإنساني ، فاهتمت بشعارات مثل الحرية ، والمساواة ، وحقوق الإنسان واستغلت الكوارث والمنازعات القبلية .

وحينما استقلت الأقطار الإفريقية سياسيا من النفوذ الاستعماري الغربي ، وجدت مجتمعاتها النصرانية، أنها تعتنق أكثر من مذهب ، وتتبع كنسيا إلي أكثر من إدارة اكليروسية مركزية في الغرب، والمشكلة التي تواجهها الكنائس الوطنية تتمثل في كيفية أفرقتها وتكيفها مع مجتمعاتها .

وعلي الرغم من تنازلات الكنيسة المركزية العقدية المتكررة لإشباع رغبة الإفريقيين النصاري ، كمرسوم البابا يوحنا بولس الثاني ، الذي سمح فيه للأفارقة الكاثوليك بممارسة المعتقدات الوطنية الي جانب تعاليم الكنيسة وعلي الرغم من الزيارات المتكررة لإفريقيا من أكبر سلطة كنسية في الغرب ، مثلا زيارات البابا جون بول التي بلغت (٢٧) زيارة ، وزيارات البابا يوحنا الثاني ، وجون كيري رئيس أساقفة كانتربيري وغيرهم ، فإن المسألة لاتزال عالقة .

إن المواجهة بين الإدارة المركزية والكنائس الوطنية الإفريقية لم تصل بعد إلي درجة الخلاف اللاهوتي ، ولكن يمكن أن نقول إنه بين بيئتين متنافرتين فالإدارة الاكليروسية في الغرب يهمها في المقام الأول عدم تخطي الكنائس الوطنية لنفوذها وسلطانها الكنسي وفقا لمعتقداتها وشرائعها ، في حين يسعي النصاري الأفارقة إلي أن تكون كنائسهم تعبيرا عن بيئتهم فهم يريدون أن يعينوا لكل قبيلة مطرانا مثلما لكل قبيلة شيخها ، وهذا مثل بسيط وبليغ للدلالة علي مذهب التكييف أو أفرقة الكنائس الوطنية ، وهي نقطة الخلاف المهمة بين الكنائس الغربية وأتباعها من الأفارقة .

وبين هاتين الرغبتين ، رغبة الأفرقة وبين فرض سلطة الكنيسة المركزية ستتولد الاضطهادات الكنسية التي مارستها الكنائس الغربية ، وبطريقة وحشية مع مخالفيهم من نفس العقيدة ، ومع غير النصاري .

إن الأفارقة النصاري اذا وضعوا نصب أعينهم تحقيق مصالحهم ومصالح أبنائهم وحدها ، وإن سعوا أن يستخلصوا من التاريخ الدروس لحماية مستقبلهم ومستقبل أبنائهم ، ويحموا كنائسهم فما الذي يقوله التاريخ عن علاقة كل من الكنائس الغربية ، والإسلام ، بالكنائس الوطنية .

ذاكرة التاريخ والكنائس الوطنية :

يقول أحد المؤرخين : إن التاريخ للشعوب كالذاكرة للطفل ، فحين يشعل طفل عود ثقاب فتحرقه النار ، فإنما يسجل ذلك في ذاكرته ، أن عود الثقاب محرق ولايكرره ، هكذا التاريخ يحفظ في ذاكرته تجارب الشعوب ، ولا يعني هذا أن تسجيل التاريخ يحل كل المشكلات ، فمن لايقرأ تاريخه كمن لايسجله ، ومن لايتعلم من قراءة التاريخ كمن لايقرؤه .من الدروس التي تحفظها ذاكرة التاريخ ، هو أن الكنائس الغربية قامت باضطهاد الكنائس الوطنية في شمال القارة الإفريقية ثلاث مرات ، وكان الذنب الذي اقترفته ، هو نفس مبدأ التكييف الذي تسعي إليه الكنائس الإفريقية .

ففي المرة الأولي ، حين اضهد الغرب النصاري في الشمال الإفريقي وهي حقبة سبقت ظهور الإسلام ، وامتدت قرنين من الزمان علي الأقل ، كانت الدولة البيزنطية تبنت النصرانية ديناً رسمياً بعدما ورثت تاريخا طويلا من الاضطهاد الروماني للنصاري المشارقة والمغاربة .

وكان تبني الدولة البيزنطية الدين النصراني بعد قرون من الصراع أشاع اعتقادا أن هذا التبني سينهي عصور الاضطهاد ، وسرعان ما تبين أن انضمام الدولة إلي الدين الجديد إنما كانت دوافعه السياسية غالبة علي الدوافع الأخري ، وأخذت تفرض النظرية الرسمية علي شعوبها سعيا إلي تجانس سياسي كانت في حاجة إليه ، ولم يشفع للأقباط في مصر وغيرهم ، أنهم من ملة النصاري ، بل كانت بيزنطة ترغب في اختفاء كل المذاهب النصرانية التي تخالف المذهب الرسمي وكان الخروج علي الوحدة الدينية خروجا علي وحدتها السياسية ، ففي مجزرة واحدة قتلت الدولة في مصر مائتي ألف قبطي ، وعندما فتح العرب مصر كان الإكليروس القبطي مختبئا في الصحاري هربا من التصفية إلي أن ظهر الإسلام .

وفي المرة الثانية واجهت الكنيسة الوطنية في شمال القارة ، ولنفس سبب التكييف أوقاتا عصيبة ، في حقبة الحروب الصليبية ، فقد أوقع هذا الغزو النصاري العرب في حرج شديد ، حيث خيرهم بين الوقوف مع بني دينهم أو الوقوف مع بني قومهم : ويبدو أن النصاري الأقباط اختاروا الحل الثاني ، فكان الصليبي وبالا علي النصرانية العربية .

وفي المرة الثالثة وفي عصر السيطرة الأوربية التي تناوبت أوربا ثم أمريكا علي زعامتها وعلي تسنم مكان الصدارة والسيطرة فيها ، وهي حقبة بدأت علي نحو عملي مع بداية الثورة الصناعية في أوربا ، وانتهت بالوجود الاستعماري الغربي الفرنسي والبريطاني والإيطالي والألماني والنمسوي .

ففي هذه الحقبة الاستعمارية تعرضت الكنائس الوطنية الموغلة في القدم والحديثة منها ، تعرضت إلي اضطهادات واسعة النطاق ، ففي عام ١٨٦٥ ، وفي عهد البطريق ديمتريس الثاني بطريق الكنيسة القبطية شهد صعيد مصر أحداثا دامية بين البروتستانت وأتباع كنيسته .

أما في الحبشة وفي نفس الفترة الزمنية تقريبا وبالتحديد في ديسمبر ١٨٤٣ شهدت البلاد اقتتالا داميا بين الكنيسة الحبشية والكاثوليكية ، مما أدي إلي فرار الأب لويجي مونتيوري L. Montuori إلي الخرطوم وهي أقصي مكان أمن داخل القارة الإفريقية وبعد ثلاث سنوات فقط من وصول الأب لويجي إلي الخرطوم أعلن البابا جريجوري السادس إنشاء (نيابة إفريقيا الرسولية) والتي تعتبر أكبر نيابة رسولية في العالم حيث كانت تمر من مصر شمالا إلي اوغندا جنوبا ..

أما في أوغندا فقد شهدت الاضطهادات بين البروتستانت والكاثوليك ذروتها في عهد (موانجا) ملك أوغندا عام ١٨٩٨ ، وكان ذلك هو السبب الرئيسي الذي جعل الملك يوقع في (منحو) معاهدة وضعت أوغندا تحت حماية بريطانيا ، وكانت النتيجة أن لوجارد الذي نفذ تلك السياسة قام بحرق قري الكاثوليك ومراكزهم وكنائسهم ومزارعهم ، وكان لوجارد التابع للتاج البريطاني يعلم بأن محو الكاثوليكية في أوغندا يعني محو النفوذ الفرنسي .

إن خير مثال لسياسة التكييف أو الأفرقة ماتعرضت له طائفة (ملاكي) بأوغندا في نهاية عام ١٩٣٠م وتعرف هذه الجماعة باسم (جماعة الإله الواحد الأعظم) The Society of the one Almighty God

وكان يدعي زعيم هذه الجماعة(ملاكي موساجا كاوا Malaki Musajakawa وكان في الأصل معلما بروتستانتينيا وخروجه علي الكنيسة الأنجليكانية الأهلية كان في نهاية عام ١٩١٣م وأيد هذه الطائفة في باديء الأمر بعض الزعماء ممن كانوا يشغلون مناصب مهمة في الدولة ، وسرعان ما ازداد عدد أتباعها وتولي رئاستها منذ الحرب العالمية الأولي كابونجورو Kabunguru وتؤيد هذه الطائفة تعدد الزوجات وقد رفض زعيمهم أن يدفع ضريبة الأرض المستحقة عليه مما أضطر السلطات البريطانية الحاكمة إلي مقاومة أتباعه ودخلت معهم في صدامات دامية وانتهي الأمر بنفي زعيمهم إلي (كنجوم) حيث توفي عام ١٩٣٩م واستمرت الطائفة تسبب المتاعب للسلطات الحاكمة.

إن الدراسات التاريخية الحديثة لتلك الأحداث التي تعرضت لها الكيانات النصرانية الإفريقية في ظل الموجات الثلاث ، البيزنطية والصليبية والاستعمار ، ماهي إلا فوران سياسي يسعي إلي التعبير عن البيئة المحلية ومسعاها إلي التحرر والتخلص من النفوذ النصراني الغربي وهو مالم يحدث في نفس البيئة تحت ظل الوجود الإسلامي ، ولهذا كان في الإسلام متسع للنصاري ، لم يكن متاحا لهم شيء منه في عهد الاستعمار أو في دولة بيزنطة حيث انضموا . إلي دار الإسلام ، أهلا للذمة دون أن يفقدوا عقيدتهم .

ويقول الدكتور أدمون رباط علي نظام أهل الذمه في الإسلام بالحرف :

(من الممكن ، وبدون مبالغة ، القول بأن الفكرة التي أدت إلي إنتاج هذه السياسة الإنسانية الليبرالية) إذا جاز استعمال هذا الاصطلاح العصري ، إنما كانت ابتكارا عبقريا ، وذلك لأنه للمرة الأولي في التاريخ انطلقت دولة هي دينية في مبدئها ، ودينية في سبب وجودها ، ودينية في هدفها ألا وهو نشر الإسلام عن طريق الجهاد بأشكاله المختلفة من عسكرية ومثلية وتبشيرية ، إلي الاقرار في الوقت ذاته بأن من حق الشعوب الخاضعة لسلطانهم أن تحافظ علي معتقداتها وتقاليدها وتراث حياتها ، وذلك زمن كان يقضي المبدأ السائد فيه باكراه الرعايا علي اعتناق دين ملوكهم) .

وتضيف ذاكرة التاريخ إلي الفكر الإفريقي النصراني بأن عمرو بن العاص عندما فتح الاسكندرية للمرة الثانية) بعدما تمكن البيزنطيون من استردادها بعض الوقت) خالف السنن الإسلامية فوزع من بيت المال علي الأقباط أموالا طائلة ، لتعويضهم عن العقوبات التي أنزلتها بهم الحكومة البيزنطية لمعاونتهم العرب في فتح مصر .

ولانسارعّ إلي القول إن الإسلام فرش الأرض للنصاري وردا ، فمسلك العصور القديمة لم يكن يستطيع أن يتخطي مسائل الانتماء الديني ، إلي الانتماء القومي ، لأن ذلك كان منافيا لطبيعة المرحلة ، لكن المقارنة ، وهي سبيل علمي أكيد للوصول إلي صورة واضحة ، تعطي دولة الإسلام بلا شك سبقا تاريخيا مميزا علي ماعداها من الدول في ذلك العصر .

ومهما يكن فإن التاريخ الإسلامي في طوله وفي مصادره الإسلامية والكنسّية علي السواء لايروي حادثة

واحدة يمكن تشبيهها من قريب أو بعيد باضطهادات بيزنطة للنصاري اليعاقبة ، أو باضطهادات محاكم التفتيش الإسبانية للمسلمين أو العرب أو المستعربين ، فضلا عن اليهود .

إن دولة الإسلام كانت حليفا طبيعيا للنصاري الأفارقة في الحبشة ومصر ولم يكن هؤلاء في يوم من الأيام في سجل الأعداء بل العكس ، كانوا حليفا طبيعيا للإسلام في إطار الصراع التاريخي مع الغرب الذي ظل يتجاذب المنطقة قرونا عديدة .

الخاتمة :

أود في نهاية هذا البحث أن أقرر بعض الثوابت التي أطرحها علي كل من الفكر النصراني ، والفكر الدعوي الإسلامي .

{ إن معظم الكنائس الوطنية الإفريقية نشأت في ظل النظم الغربية الاستعمارية ، واذا كانت مسألة التحرر السياسي من النفوذ الغربي قد تم حسمها ، فإن مسالة الانفلات من قبضة السلطة المركزية الكنسية لاتزال في بداية الطريق ، ولكنها لامحالة آتية .

{ إن معظم الأقطار الإفريقية لم تصل بعد إلي مرحلة الوحدة القومية ولاتزال تمزقها النعرات العرقية ، فإذا ما أضيف لهذه الانتماءات الدينية ، فإن القارة ستشهد قريبا قرنا من الاضطهادات الدينية الموجعة ، خاصة وأن نظرية أفرقة الكنائس الوطنية أمام باب موصد تماما تحت قانون الإيمان والمراسيم البابوية المختلفة ، وأن الانفكاك من قبضة الكنيسة المركزية لا محالة سيؤدي إلي مواجهة بين السلطتين المركزية والمحلية .

{ إن عمر كثير من الكنائس الوطنية الإفريقية لايزال في طور الطفولة قياسا بالكنيسة المصرية أو الحبشية ، وهذا يدعو إلي القول بأن معظمها لم يصل بعد إلي مرحلة النضوج ، والدخول في مسائل لاهوتية معقدة لحسم مسألة الأفرقة ، والاستقلالية من الإدارة المركزية الصارمة .

{ إن الإسلام في القارة الإفريقية له جذور موغلة في القدم ، وفيها تكونت سلطنات وممالك ودول قبل دخول الإسلام بقرون ، وفي الإسلام متسع للنصاري أكبر مما هو متاح بين الكنائس النصرانية المتباينة .

{ إن محاولة الغرب تغريب النصاري الأفارقة في اللغة والمزاج الفني وأساليب العيش والتوجه السياسي والاجتماعي والاقتصادي ، لايمكن تفسيرها بأنها مسائل ، ومساع سياسية لا دينية ، والضمان الوحيد حتي لايكون النصاري الأفارقة من يدفعون ثمن مد النفوذ الغربي ، هو رفض هذا التغريب ، والتسمك بنظرية التكييف ، وتوسيع مساحة العيش المشترك مع المسلمين ، وقد أثبت التاريخ في كثير من أزمنته ، بأن التغريب يسوق إلي الهلاك ، وأن الأفرقة أكثر مدعاة للاطمئنان إلي المستقبل ،

{ إن نتيجة مساعي الإلحاق ، أو الالتحاق بالغرب ليست مضمونة ولايمكن التكهن بمسار المعركة علي هذا الصعيد ، فردة الفعل الإيرانية علي مشروع الحاق ايران بالغرب تؤكد ذلك .

{ وعلي الصعيد الدعوي أشير : إلي أن الفكر الغربي عموما والكنسي خاصة بالمرصاد للإسلام في إفريقيا ، ويعمل جاهدا إلي تحقيق نظرية (إعادة الحقوق التاريخية النصرانية في إفريقيا) حيث لايزال

يحمل في نفسه رواسب تاريخية قديمة ، منها السرعة المدهشة ، التي تم بها اجتثاث الإسلام للنصرانية من جذورها في الشمال الإفريقي والسودان ، خلافا لما وقع في بقية البلاد التي فتحها المسلمون في المشرق العربي مثلا ، حيث بقيت أقليات نصرانية تتمتع بحرية تامة في ممارسة عباداتها علي امتداد تعاقب الحكومات الإسلامية ، كما هو الحال في بلاد الشام ومصر ، ويؤجج هذه الرواسب العالقة في الفكر الكنسي الغربي ؛ ذكري (شهدائهم) أمثال الملك لويس ملك فرنسا المشهور (بسان لوي) St , Louis وكان قد قتل في حملته الصليبية الثامنة ، ولافيجري وكمبوني وغيرهم ، هذا فضلا عن ذكري عمالقة الكهنوتيين ، أمثال تيرتيولان Tertullan وسيبريان Cyprian الإفريقيين ، واوغسطين البربري الجزائري ، والذين لايزالون يشار بأسمائهم اللامعة في تاريخ النصرانية .

{ وعلي الفكر الدعوي أن يخطط بحسبان أن القارة الإفريقية لاتزال بكرا ، وأرضا خصبة للدعوة الإسلامية ، وأنه من الضروري علي القائمين بأمرها مواكبة وسائل التقنية الدعوية والبحثية الحديثة ، ودعم المشروع الحضاري الإسلامي في السودان ، وبدون ذلك ستكون الدعوة كالإناء المثقوب .

{ إن العولمة امتدت أذرعها نحو السياسة ، والاقتصاد و الإعلام والأمن وسوق الأوراق المالية وغيرها ، وهذا يعني أنها في اتجاهها نحو الدين رضينا أم أبينا ، وبدلا من أن نقف منها موقفا سلبيا ، فالأجدر أن ندخل المعركة حتي لاتتكرر ظاهرة الاستشراق الذي فوجئنا به بعد نوم عميق ، فوجد أبناؤنا تراثا إسلاميا ضخما من وجهة نظر غربية بحتة ، فعكفوا عليه أكثر من عكوفهم علي تراث السلف الصالح .

أفرقة الكنائس الوطنية

{ الجزء الثاني }

د. ابراهيم عكاشة علي

الكنيسة الرومانية ، الكاثوليكية ، الحقيقية ، الرسولية والأفرقة

إن اختيار هذه الكنيسة نموذجا لمعرفة مدي إمكانية وجود مخرج للكنائس الإفريقية الكاثوليكية من قبضة الإدارة الأكليروسية في الفاتيكان ، وتطبيق نظرية التكييف ، لم يكن ، اختيارا عابرا ، وإنما لأسباب منها :

أ) التشريعات التي تصدرها البابوية من حين لآخر

ب) الإدارة المركزية الصارمة لهذه الكنيسة

ج) الخبرة الطويلة لهذه الكنيسة في ميادين التنصير

د) تصدرها لقائمة الاضطهادات الدينية

فسر اللاهوتيون الرومان ، النصوص الإنجيلية الواردة في : (متي : ١٦-١٨ ، كورنثوس : ١ -٤ ، أعمال الرسل : ٩ - ١١ ، ١٦ ، ١٦ ، بأن مصطلح : كنيسة Ecclesia ، سواء بمعناه المكاني ، كمنزل للرب ، أوجد المسيح ، أو محفل ، لايجوز إطلاقه إلا علي كنيستهم وحدها ، وماسواها يدخل في زمرة المهرطقين الذين مارست ضدهم أساليب مختلفة من الاضطهادات .

لم تكتف الكنيسة الرومانية باحتكارها لمصطلح (كنيسة) بل أضفت عليه زمرة من الصفات المترادفة وأقرتها جزءا من مبادىء الإيمان (بالكثلكة) وهذه الصفات هي :

١) الكنيسة الكاثوليكية The Catholic Church

٢) الكنيسة الحقيقية The Only true Church

٣) الكنيسة الرسولية The Apostolic Church

الصفة رقم (١)

إن هذا المصطلح (كاثوليك) استخدمه الكتاب الكنسيون القدامي في مواقع كهنوتية تحمل معني (بشكل عام) In The Whole وهذا يعني أن المصطلح استخدم قديما للأشياء السائدة عالميا ، أو قابلة للتطبيق عالميا أو لها فائدة أو استخدامات عالمية وعلي سبيل المثال ، كان يطلق علي ملك فرنسا قديما The Catholic King (الملك العالمي) .

وإن كان استخدام المصطلح كنسيا قد بدأ في وقت مبكر ، لكن ليس من السهل الوصول إلي الكيفية التي انتقل بها إلي الكنيسة - وهناك من المبررات التي طرحت لإضافة صفة (العالمية) Universal علي الكنيسة الرومانية من بينها .

أ) إبراز أن الكنيسة تقوم بنشر ديانة عالمية تناسب البشرية كلها علي عكس ماتتصف به الديانة اليهودية
ب) ربما كان استخدام المصطلح للتعبير عن التوسع الحقيقي الذي شهدته النصرانية في أجزاء واسعة من الإمبراطورية الرومانية ، التي كانت تمثل أكبر وحد ة سياسية قديمة .
ج) من المحتمل أن يكون المصطلح قد استخدم للتعبير عن المجتمع النصراني ككل Christian Society ، فاطلق عليها اسم : كاثوليك أو Universal ليختلف عن الكنائس المحلية .
د) إن كلمة (كاثوليك) استعملت لتؤكد معني العقيدة الحقيقية للكنيسة The true doctorine أو The Orthodox علي نقيض مصطلح Heretic ، وقد أصبح هذا هو المعني الرئيسي للمصطلح .

ومهما كانت المبررات لربط صفة العالمية بالكنيسة الرومانية ، فإن هناك من التناقضات مايستبعد تلك المبررات :

١) يري البعض أن كلمة روماني Roman تدل علي الخصوصية ، وأن كلمة كاثوليك تدل علي الشمولية , Univesral ومن ثم فإنه من التناقض الاصطلاحي أن تدعي كنيسة روما وهي تخص شعبا بعينه وتدعي بأنها عالمية .

٢) ويضيف أصحاب ذلك الرأي ، أنه إذا كانت كلمة (كاثوليك) تعني (عالمي) ومادام أن الكلمة قصد بها الكنيسة الكاثوليكية الحقيقية ، فإنه من باب أولي أن يضم هذا المصطلح كل المؤمنين الحقيقيين الذين لايؤمنون إلا بما جاء في الإنجيل .

٣) ورأي ثالث يقول ، أنه من المنطقي أن يطلق علي البروتستانت صفة العالمية ، وليس الرومان ، لأن عقيدة البروتستانت تقوم علي الرجوع إلي الأناجيل وحدها ، أما الكنيسة الرومانية ، فإنها قد أضافت معتقدات وشعائر متعددة ، كما سيأتي ذكره .

٤) ومن العوامل التي ترجح رفض ارتباط صفة العالمية بالكنيسة الرومانية هو وجود الملايين من النصاري الذين لاتربطهم أي صلة بكنيسة روما ، هذا فضلا عن أن الكنيسة الرومانية كنيسة محلية مركز إدارتها الفاتيكان بروما في ايطاليا ، وهي تضم فقط الذين يؤمنون بسلطة البابا ، وحتي إذا ماسلمنا بدعوتها في كونها عالمية ، فإن أتباعها لايمثلون سوي ١/٨ (ثمن) سكان العالم ، وإذا نظرنا إلي عالميتها من الناحية الجغرافية ، فإنه حتي في البلاد التي تعرف بأنها بلاد كاثوليكية مثل ايطاليا ، فرنسا ، واسبانيا ، فإن روما ليس لها الآن سيطرة فعالة إلا علي نسبة ١٥٪ من سكان هذه البلاد .

وعلي ضوء تلك الأسباب ، فإن كنيسة روما لاتنطبق عليها صفة العالمية ، ولكنها من بين الكنائس المتعددة والمنتشرة في العالم ومن الأرجح أن يطلق عليها الكنيسة الرومانية فقط .

الصفة رقم (٢)

لم يكتف الرومان باحتكار مصطلح كنيسة وإضافة صفة العالمية علي كنيستهم بل زادوا عليها صفة ثالثة ، وهي صفة (الحقيقية) The Only true ، وماسواها تعد منبوذة ، وأتباعها من المهرطقين والمنشقين .

إن الكنيسة الكاثوليكية تقوم من وقت لآخر بإضافة بعض المعتقدات والطقوس لتعاليمها ، وتصبح جزءا من

مباديء الإيمان بها .

ومن بين هذه الإضافات منهج الخطايا Syllabus of Errors الذي أصدره البابا بيوس التاسع عام ١٨٦٤م ، ويشتمل علي ثمانين بندا منها :

المادة رقم ١٧ :

أن البروتستانتية لاتشكل نوعا آخر من العقيدة الحقة التي يرضي عنها الرب .

المادة رقم ٢٤ :

للكنيسة الحق في ممارسة السلطة الزمنية بطريقة مباشرة أو غير مباشرة .

المادة رقم ٣٧ :

لاينبغي إنشاء أي وظيفة منفصلة عن سلطة بابا روما علي الإطلاق .

المادة رقم ٤٢ :

لاينبغي للسلطات المدنية أن تقو م منفردة بالإشراف علي المدارس العامة لأبناء الدولة النصرانية .

المادة رقم ٤٧ :

إن الملوك والأمراء والرؤساء والوزراء يخضعون كغيرهم لسلطان الكنيسة ، ويخضعون لقانون الحرمان.

إن البابا بيوس التاسع ، الذي وضع هذه المعتقدات ، هو نفسه الذي أقر معتقد عصمة البابا The Doctrine of Popal Infallibility وذلك بعد مرور ست سنوات فقط من قانون الخطايا ، وكان الهدف منها ، تأكيد سلطة الكنيسة علي الدولة ، وتأكيد سلطة البابا علي السلطة المدنية ، هذا بالإضافة إلي أنه لايمكن اعتبار هذه اللوائح والقوانين من العهود الأولي لظهور النصرانية ، بل من الوسائل التي استحدثها البابوات ، ، ولاتزال مطبقة إلي يومنا هذا ، وتعد جزءا من القسم الذي يؤديه القساوسة عند ترسيمهم وعاظا ومن ثم فإن الصفة التي نحن بصددها (الحقيقية) لا مبرر لها لأنها لا تتفق مع التعاليم التي نادي بها يسوع المسيح .

الصفة رقم ٣ :

فسر الكنسيون الكاثوليك النص الوارد من انجيل متي : ١٣ - ١٩ بأنه إعلان صريح من يسوع المسيح ، بمنح سمعان بطرس Simion Peter الرسول ، مركز الشرف الأول ليكون علي رأس الإدارة الروحية لجميع الكنائس ، ومن ثم فإن كرسي البابوية ورثه بابوات روما عن بطرس جيلا بعد جيل .

تؤكد المعتقدات الكاثوليكية حجيتها أو ادعاءها بأن بطرس الرسول كان أول أسقف لكنيسة روما استمر في ذلك الكرسي ٢٥ سنة في الفترة من ٤٢م - ٦٧ م وأنه استشهد في روما عام ٦٧م .

دارت خلافات متشعبة حول تفسير النص الذي أورده (متي) في إنجيله حول مكانة بطرس للكنيسة الرومانية الأمر الذي ترتب عليه رفض كل ادعاءات الكنيسة الكاثوليكية وقد بني المعارضون لهذه الفكرة أراءهم علي الآتي :

١) في الوقت الذي تدعي فيه الكنيسة الكاثوليكية بأن كلمة الصخرة قصد بها بطرس الرسول ، يري

آخرون بأنه قصد بها المسيح نفسه وليس بطرس ويستدل أصحاب هذا الرأي علي ذلك بأن كلمة بطرس Peter تعني باليونانية وهي اللغة التي كتب بها انجيل (متي) تعني (Petros) وهو اسم مذكر وكلمة صخرة Rock وباليونانية Petra كلمة مؤنثة لا تنسب إلي شخص وإنما تنسب للتصريح بألوهية المسيح الذي سبق ونطق به بطرس(أنت هو المسيح ابن الله الحي)

ويستند أصحاب هذا الرأي إلي أن الإنجيل يؤكد بوضوح بأن الكنيسة لم تشيد علي اكتاف بطرس بل ساهم في ذلك جميع الرسل ، وأن المسيح هو حجر الزاوية لهذه الكنيسة مستندين في ذلك علي نصين في الإنجيل .

النص الأول الذي جاء في رسالة بولس ، الي أهالياقس (الإصحاح الثاني النص (٢٠) (ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركبا معا) .

النص الثاني فقد ورد في رسالة بولس الأولي إلي أهل كورينوس (الإصحاح رقم ١١)

(فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساسا غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح)

ويضيف أصحاب هذا الرأي حجة أخري في نفس كلمة الصخرة لم يقصد بها بطرس واستشهد هؤلاء بما جاء في انجيل مرقص عن الحوار الذي تم بين المسيح وتلاميذه في قيصرية فيليوس حيث سجل مرقص في إنجيله قوله (ثم خرج يسوع وتلاميذه إلي قيصرية فيليوس وفي الطريق سأل تلاميذه من يقول الناس أني أنا .. فأجاب بطرس وقال له أنت المسيح فانتهرهم كي لايقولو لأحد عنه) .

والواضح من هذا النص خلوه من كلمة الصخرة مما يؤكد نفي انتساب بطرس إليها خاصة وأن راوي هذا النص من المقربين إلي بطرس في عهد الكنيسة المبكر وبذلك تسقط دعوي بابوات روما بأنهم ورثة الكرسي البابوي الذي جلس عليه بطرس .

٢) من المسائل التي بني عليها المعارضون رفضهم لفكرة أن بطرس مؤسس الكنيسة البابوية في روما ماجاء في رسالته الأولي الأصحاح الأول النص رقم (١) (بطرس رسول يسوع المسيح إلي المتغربين ..)

ففي هذا النص يشير بطرس إلي نفسه بأنه (رسول يسوع المسيح) وأنه الشيخ والشاهد لآلام المسيح وشريك المجد العتيد .

إن هذه النصوص التي أوردها بطرس في رسالته لم يطلق علي نفسه إسم (بابا) فإذا كان بطرس كما تدعي الكنيسة الرومانية أنه السلطة الروحية لأعلن ذلك في رسائله ولكنه أطلق علي نفسه لقب رسول و شيخ Presbyter or Elder ويضيف أصحاب هذا الراي أن كملة بابا التي لم يلقها بطرس علي نفسه في النصوص السابقة هي كلمة لاتينية تعني Papa وتعني Father أي أب وقد جاء في انجيل متي حول هذا اللقب الإصحاح ٩ نص ٢٣ (ولاتدعوا لكم أبا علي الارض لأن أباكم واحد الذي في السموات) .

ورغم هذا التصريح الواضح من السيد المسيح بعدم استخدام هذا المصطلح إلا أنه ظل مستعملا إلي يومنا هذا وهو من الألقاب الوثنية التي كانت شائعة في الإمبراطورية الرومانية Papa ودائما مايطلق علي زعماء الطوائف الوثنية وبمرور الزمن أصبح مساويا لمصطلح Pope . أما في روما فقد استخدم مصطلح بابا ليدل علي نوع من التشريف لجميع الأساقفة وبمرور الزمن اختصر استخدامه علي أسقف روما وحده

وأول مالقب به جريجوري الأول عام ٦٠٤ م وقد أطلقه عليه الامبراطور (فوكسي) Phocas نكاية بأسقف القسطنطينية الذي سبق وأصدر قانون الحرمـان لقتله سلفه الامبراطور Maurditius ومع أن الأسقف (جريجوري) رفض اللقب إلا أن خلفه الأسقف بونفاس Boneface سنة ٦٠٧ م قبل اللقب الذي أصبح سمة لاسقف روما إلي يومنا هذا .

ومن الألقاب الشائعة المرادفة لمصطلح بابا (الكلمة) Pontiff والتي تعني (الحبر الأعظم) ومنصب الأسقف يعرف ب Pontificate وقد كان قدماء الرومان في العهد الوثني يطلقون لقب Pontiff علي الزعماء الوثنيين الذين يقومون بتقديم الطقوس الوثنية في عهد الأمبراطور (تيودسيوس) عام ٣٩٥م ثم صار هذا اللقب مرادفا للقب بابا ولايزال إلي يومنا هذا .

٣) أن بطرس لم يكن أسقف روما والمتتبع لرسائل بطرس عن رحلته إلي روما والتي وردت بإسهاب في أعمال الرسل في الفصول ٢٧: ٢٨ لايجد فيها مايثبت أن بطرس و إن كان في روما هذا فضلا عن الاثني عشر فصلا الأولي من أعمال الرسل والتي تناولت رحلة بطرس الي فلسطين وسوريا لايرد فيها شيء عن ذكر روما وهي عاصمة الإمبراطورية وإذا وضعنا في الحسبان أن الرسل قديماً لم يستقروا مدة طويلة في مكان واحد كما يفعل الأساقفة في اسقفياتهم في أزمنة لاحقة فإنه من الخطأ الاعتقاد بان البابوات الحاليين يحتلون كرسي بطرس وكل ماورد عن هذه المسألة جاء عن طريق الأساطير لأن الحفريات التي اجريت في روما لمعرفة ما اذا كان بطرس عاش فيها لم تثمر عن وجود عظام له في المدينة .

٤) أما الدليل الرابع الذي صاغه المنادون برفض وجود بطرس بروما ، هو أنه إذا كان مجرد بقاء بطرس في المدينة خول له أحقية السيادة علي كنيستها والكنائس الأخري فإن مدينة انطاكية السورية أولي من روما بهذه السيادة علي الكنائس لاسيما وأن المدن الشرقية وكنائسها في عهد الرسل وحتي في الأجيال اللاحقة للرسل كانت تحتل مكانة روحانية أكبر من روما ولها أثرها علي القرارات المهمة في المجامع النصرانية أما مدينة روما فإن أهميتها الروحية لم تبرز إلا بعد انقسام الامبراطورية إلي شرقية وغربية في القرن الرابع الميلادي ، فلو كانت هنـالك كنيسـة لها أحقيـة السـيادة علي الكنـائس الأخـري لكـانت كنيسـة القدس أحـق بذلك ، ففيـها ظهـر المسـيح ونـادي بتعـاليمه ورفع إلي السماء وفيها نشر بطرس أولي تعاليمه ومنها خرج إلي انطاكية وروما .

٥) من أقوي الأدلة التي تدحض ادعاء الكنيسة الرومانية بأن بطرس الرسول كان أول أسقف عليها هو قائمة الموسوعة الكاثوليكية للبابوات الذين اعتلوا كرسي البابوية بدءا ببطرس الي البابا رقم ٢٦٢ في (عام ١٩٨٢) فاذا وضعنا في الاعتبار :

١) عدد المرات التي تم فيهـا تنقيـح هذه القائمـة وحـذف أسمـاء البابـوات الذين صنفـوا بخروجهم عن الأنظمة البابوية Anti Popes

٢) صعوبة تدوين أسماء بابوات روما بشكل كامل في السجلات التاريخية منذ بطرس ، وإلي الآن .

٣) المعرفة البسيطة التي تكاد تكون معدومة بالنسبة للبابوات العشرة الأوائل ، لو وضعنا كل ذلك في

الحسبان ، لامكن القول ، بأن القائمة التي تتضمنها الموسوعة الكاثوليكية لايمكن الأخذ بها أو رفضها وأن المنصب البابوي في روما لم يبدأ عمليا إلا عندما اعتلي البابا جريجوري الأول كرسي البابوية في روما عام ٥٩٠م عندما كانت تتعرض روما لغزو خارجي من قبائل (اللمبارد) ، فحفظ للكنيسة هيبتها ووضع أسس النظام البابوي ، ولذلك لقب بالعظيم .

٤) من المسائل المهمة التي يؤكدها التاريخ الكنسي القديم في القرون الستة الأولي أنه لايعرف شئ عن السيادة الروحية لكنيسة روما علي بقية الكنائس ، فعلي الرغم من قلة المصادر التي تتناول التنظيمات الكنسية المبكرة ، والعلاقات بين الكنائس المختلفة ، إلا أنه توجد بعض النصوص الانجيلية التي قد توضح إلي حدما نوع التنظيمات التي تربط بين الكنائس ، فقد جاء في الإصحاح (٦) من أعمال الرسل النص ١، ٢ ، ٣ (وفي تلك الأيام ، إذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر اليونانيين علي العبرانيين أن أراملهم كن يغفل عنهن الخدمة اليومية فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا لانرضي أن نترك نحن كلمة الله ونخدم موائد فانتخبوا أيها الأخوة سبعة رجال منكم شهودا لهم وهم مملوءون من الروح القدس فنقيمهم علي هذه الحاجة) . فمن هذا النص يتضح ، أن الكنائس الإقليمية كانت تباشر إدارة نفسها دون تدخل من جانب كنيسة أخري ، وأن القرارات لم يكن بطرس يمليها أو أي شخص آخر، أو حتي مجموعة الرسل بل كانت القرارات تتخذ عن طريق إجماع التلاميذ كما كان يحدث بالنسبة لكنيسة القدس التي أشار إليها النص السابق وحتي كنيسة انطاكية كانت ترسل المنصرين دون أن تستأذن أو تطلب مشورة من أي هيئة أخري كما جاء في النص الإنجيلي الآتي :(وكان في انطاكية في الكنيسة هنالك أنبياء ومعلمون برنابا وسمعان)

أما عن العلاقة بين الكنائس الإقليمية المبكرة فإن أبرز مايوضحها هو عقد المجامع التي كان يشترك فيها مناديب عن كل كنيسة للتشاور حول الأزمات الطارئة والمشاكل العقدية ففي مجمع القدس مثلا اجتمع ممثلو الكنائس للتشاور في مسألة الختان (راجع أعمال الرسل ٢:١ ، ٢٢ ، ٢٩ :٢٠) فهذا يوضح بأنه في المجامع المبكرة كان مناديب الكنائس الإقليمية يجتمعون للتشاور فيما بينهم ولم يحدث أن ادعت كنيسة سيادتها الروحية علي بقية الكنائس كما تدعي الكنيسة الرومانية هذه السيادة .

إن الأدلة التي سبق طرحها بمختلف خصائصها الإنجيلية والتاريخية واللغوية وغيرها تعكس الصورة العامة للكنيسة الكاثوليكية ونظامها الذي تقوم عليه البابوية حاليا في جميع وجوهه ولكي تجد الكنيسة الكاثوليكية مبررات لمارستها المختلفة كانت تقوم بين فترة وأخري بعملية تحديث في تشريعاتها وطقوسها وعباداتها ويوضح الجدول الآتي بعض التشريعات وتاريخ إصدارها خلال ١٦٥٠م

تاريخ الإصدار	نوع التشريع
٢٣٠ م	إقرار وضع رمز الصليب
٣٧٥ م	تبجيل الملائكة والقديسين Vaneration of Angels
٣٩٤م	القداس كاحتفال يومي The mase as a daily celevration
٢٣١م	بداية تمجيد مريم العذراء والمصطلح أم الرب Exaltation of Mary
٥٠٠م	بداية ارتداء القساوسة ملابس تختلف عن الأشخاص العاديين
٥٢٦م	المسح بالزيت Extreme unction
٦٠٠م	استعمال اللغة اللاتينية في القداسة والتي فرضها البابا جريجوري
٦٠٧م	لقب البابا أو الأسقف Title of pope or universal Bishop
٦٠٩م	تقبيل قدم البابا بدأ بالبابا قسطنطين Kissing the Pope,s foot
٧٨٦م	عبادة الصليب والصوروالآثار المقدسة Worship of the cross images and reliks
٨٥٠م	الماء المقدس مخلوط بدرجة من الملح يباركها البابا Holy water
٨٩٠م	عبادة القديس يوسف Worship of the saint Yoseph
٩٢٧م	مجمع الكرادلة College of cardinals
٩٢٥م	تعميد الأجراس أقره البابا Babtism of bells
٩٩٨م	صوم يوم الجمعة ويوم الصيام الكبير Fasting on Friday
١٠٧٩م	عزوبة القساوسة أقرها البابا جريجوري Celibacy of the priesthood
١١٨٤م	محاكم التفتيش - أقرها مجمع فيرونا The Inquisition
١١٩٠م	بيع صكوك الغفران Said of indulgence
١٢١٥م	الاعتراف بالخطاية للقساوسة بدلا من الله Aricular confession
١٨٧٠م	عصمة البابا In Fallibillity of the pope
١٩٦٥م	اعلان مريم أم الكنيسة Mary mother of the church

من المسائل التي يمكن استنتاجها من الجدول السابق

أولا : أن كل تشريع أو عقيدة أو طقس في الجدول السابق جاء في زمن معين وبعد قرون من ظهور المسيح عليه السلام فهذا يؤكد بأن العقيدة الكاثوليكية الماثلة امامنا اليوم ، هي حصيلة لممارسات رؤساء الكنيسة السابقين .

ثانيا : أن العقيدة والطقوس المشار إليها لايوجد مايؤيدها في الأناجيل وإنها جميعها من أصول وثنية مأخوذة من العهد القديم وأن الأنجيل نفسه يؤيد هذا مثلا جاء في انجيل مرقص ٧: ٢٣ (وباطلا تعبدونني وهم يعلمون تعاليم هي وصايا الناس لأنكم تركتم وصية الله وتتمسكون بتقليد الناس مبطلين كلام الله بتقليدكم الذي سلمتموه وأمورا كثيرة مثل هذا تفعلون) .

كما جاء أيضا في أعمال الرسل ٢٠ : ٢٩ : ٣٠ (لأني أعلم هذا أنه بعد ذهابي يدخل بينكم ذئاب خاطفة لاتشفق علي الرعية ومنكم انتم سيقوم رجال يتكلمون بأمور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم) .

ثالثا : أن الذين قبلوا تعاليم المسيح في المراحل المبكرة لم يكن يطلق عليهم كاثوليك أو بروتستانت وإنما كان يطلق اسم النصاري Christians وكانوا يبنون تعاليمهم علي مادعا إليه المسيح ، ولكن مالبث أن اختلطت النصرانية بالوثنية التي كانت منتشرة في الإمبراطورية الرومانية ، وخاصة بعد اعتراف قسطنطين بها ، فتحولت المعابد الوثنية إلي كنائس ، وبدأت تظهر السلطة الكهنوتية والرهبنة ، وصارت روما تدعي انها كنيسة الرسل ، وأدخلت علي النصرانية كثيرا من التحريفات التي يؤكدها الجدول السابق .

ولو تمعنا النظر في الكنيسة الكاثوليكية لامكن القول بأنها منظمة سياسية وأن الفاتيكان أصبحت دولة كنسية تتمتع بكل مزايا الدولة فالبابا الذي يدعي أنه نائب المسيح يضع علي رأسه تاجا ويجلس علي كرسي مرصع بالجواهر يحمله علي الأكتاف اثنا عشر رجلا ، وليس كحاكم مدني في اثني عشر رجلا ويعيش كحاكم مدني في قصر محفوف بالخدم والحرس وأن الولايات البابوية التابعة له تمتد إلي ١٦٠٠ كم ويسكنها ٣ ملايين نسمة وعندما صار (غريبالدي) زعيما لإيطاليا عام ١٨٧٠ قلص نفوذ البابا في مدينة الفاتيكان التي يبلغ عدد سكانها الف نسمة وأصبحت الفاتيكان لها عملتها الخاصة بها و سفراؤها الذين بلغ عددهم سنة ١٩٦٠م واحدا وثلاثين سفيرا ويساعدهم مجلس من الكرادلة كان عددهم سبعون لعدة قرون ثم زيد العدد إلي ٨٥ ثم أصبح عدد مجلس الكرادلة عام ١٨٩٩م ١٣٤ من جنسيات مختلفة ومن هذا المركز مارس البابا سلطانه السياسي .

ويمكن أن نلخص مايتعلق بالصفة رقم ٣ ماكتبه دكتور Hrris في كتابه الصادر عام ١٩٠٩ بعنوان The Bible Presbyterian : reporter في الحقيقة آن الكنيسة المبكرة لم يكن لها زعيم في الأرض وكان المسيح هو زعيمهم أما هم فكانوا إخوة ، وقد كان لهم تنظيم يقوم ببحث المسائل العقدية في القدس وفي انطاكيا ، فلم تكن الكنائس المبكرة تقوم بإرسال رسائل إلي بطرس أو غيره من الرسل تستفسره عن رأيه في المسائل العقدية أو تقوم بإرسال رسائل إلي مجمع الرسل ، إن كنيسة انطاكية لم تكن تفعل ذلك بل كانت تدعو إلي مجمع كنسي ، وهو الذي يقرر عن طريق التصويت القرارات اللازمة ، وكانت كل كنيسة ترسل مسؤوليها من الكبار إلي هذه المجامع ، وكان هؤلاء هم الذين يتخذون القرارات ، ولم تكن هناك سيادة لبطرس أو أي شخص آخر ، وكانوا يصدرون قرارهم ، وفقا لما جاء في الإنجيل .

وفقا للطرح السابق ، فإنه من المنطقي عدم قبول المصطلحات المشار إليها ، فهي ليست حقيقية ، لأن ماجاءت به ليس هو مانادي به يسوع المسيح ، وهي ليست عالمية ، لأن غالبية النصاري لاينتمون إليها ، وليست مقدسة لأن ما قامت به من اضطهادات باسم الدين ينفي عنها هذه الصفة ، وليست رسولية لأن معظم عقائدها وطقوسها الحاضرة لم تكن تمارس في عهد الرسل وعلي ضوء ذلك يمكن أن نطلق علي هذه الكنيسة (الكنيسة الرومانية أو كنيسة روما) . والسؤال : هل هناك من فرصة لأفرقة الكنائس الوطنية من قبضة السلطة المركزية في الفاتيكان ، وهل سيتكرر مارتن لوثر إفريقي)

ملحق

الإدارة البادية

الفاتيكان

The Vatican

البابا

The Pope

الكرادلة

The Cardinals

الكيوريا

The Curia

الإدارة البابوية

The Congregations

إدارات أخري | البروبجاندا (إدارة الارساليات) | إدارة الكنائس الشرقية

الوحدات الإدارية الكنسية في ميادين التنصير

The Ecclesiastical Adiministrations

The units in mission fields the titles

المطرانية Archdiscese ....Archbishop .... المطران

الاسقفية Diocese .... Bishop الأسقف

نيابة رسولية Vicariate Apostolic .... Vicar Apostolic نائب رسولي

مديرة رسولية prefecture Apostolic .... prefect Apostolic مدير رسولي

إرسالية Mission + Catecheste.............. Missionary .... منصر

المنصرون الكاثوليك

R.C Missionaries

الطوائف الرهبانية (رهبان وراهبات)

The Religious orders (Monks & Nuns)

The Dominicans الدومنكان الفرنسسكان The Franciscans

The Jesuits اليسوعيين الاوغسطينين The Augastinions

The Verona Fathers اباء فيرونا الآباء البيض The white Fathers

الوسائل

The Methods

The tent Markers	Edu cational	Medical	Mass Media	Others
صناع الخيام	التعليم	العلاج	الإعلام	آخر

المراجع :

العربية :

{ إبراهيم عكاشة علي ، ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي ، جامعة الأمام محمد ابن سعود الإسلامية – إدارة الثقافة والنشر ١٩٨٧م

{ أدم متز ، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة محمد عبدالهادي ابوريدة بيروت

{ شارل الذري ج ، تاريخ إفريقيا الشمالية ، تعريب محمد مزالي ، البشير بن سلامة ، الدار التونسية للنشر ١٩٦٩

{ محمد عبدالمنعم يوسف ، أوغندا بين الاستعمار البريطاني والكفاح الوطني ، دار القلم

{ محمد الهادي الشريف ، تاريخ تونس ، من عصور ماقبل التاريخ إلي الاستقلال ، تعريب محمد الشارش ومحمد عجينة ، تونس ، دار سراس للنشر

{ كرم شلبي ، الإذاعات التنصيرية الموجهة إلي المسلمين العرب ، مكتبة التراث الإسلامي ١٩٩١م

{ فكتور سحاب ، من يحمي المسيحيين العرب ، دار الوحدة بيروت ١٩٨١

{ الاناجيل

الأجنبية :

* Buell , R.L. The native problem in Africa, New York, 1928

* Johnson , N , The Uganda protectorate , London , 1902

* G. Hewitt , The Problem of success , A History of the CMS London 1971

*Adrian Hastings , AHistory of African christianity , 1950 - 1975 London

*Loraine , Eoman Catholicism , 1982 U. S

* The Oxford dictionary of the Christian Church, O.U. P 1983

* Encyelopedia of Religion and Ethics 19٨٣

النقاش : الأستاذ / أحمد محجوب حاج نور

لدي ملاحظات

أولا تساءل الأخ الدكتور إبراهيم عن إمكانية أفرقة الكنائس وهل يأتي يوم يكون البابا إفريقيا ، ولكن الذي نرجوه إن شاء الله ألا يكون للنصرانية بقاء في القارة الإفريقية في ذلك الوقت .

فنحن لانتمنى للأفارقة أن يحتلوا كرسي البابوية ولكن نتمنى لإفريقيا أن تصير إلي الإسلام إن شاء الله .

الأخ الفاتح قدم ورقة طيبة جزاه الله خيرا في الاستشراق وذكر في أولها أن المستشرقين الدعاة إلي النصرانية يبنون عملهم علي أسس علمية وهذا صحيح فقد اجتهدوا في كثير من الدراسات وهذا حق ، ونحن أحق وأولي بأن تكون دعوتنا للإسلام علي علم ودراسة ودراية بأوضاع الناس لأن الله سبحانه وتعالي يقول (قل هذه سبيلي أدعو إلي الله علي بصيرة أنا ومن اتبعني) فالدعوة علي أسس علمية هي نفس الدعوة علي بصيرة التي أمرنا بها ونحن تأثرنا بهذه الدراسات كثيرا ، والنشاط الذي يقوم الآن كثير منه مبني علي دراسات ميدانية أو فكرية أو تاريخية .هذه الورقة تكلمت عن مقاصد الاستشراق وإن كنت أحسب أن التلخيص لها لم يكن بالوضوح الذي نريده ، فقد أجملها أولا في غايتين ، الحيلولة دون وصول نور الإسلام الي العقلية الأوربية ، وحقيقة هم يشوّهون الإسلام حتي لايؤثر علي الأوربيين والمسيحيين والثانية معرفة الشرق بصورة عامة ودراسته من كل الجوانب وكيفية الوصول إليه والاستفادة منه ولكن أحسب أن النصوص التي أوردها الاخ فيها أكثر من هاتين الغايتين ، جاء بنصوص أولها أن لدينا أسبابا قوية لدراسة العرب والتعرف علي طريقتهم فقد غزو الدنيا كلها من قبل وقد يفعلونها مرة ثانية ، فهم إذن يخافون نهضة جديدة للإسلام ، ومن أجل ذلك يدرسون أسباب النهضة الأولي حتي يمكن أن يغلق كل باب يقود المسلمين إلي الرجعة إلي هذه النهضة من جديد وأنا أحسب أنّ هذا واضح جدا ولذلك جعلوا البدائل لذلك نظما علمانية تناقض الدين الذي كنا عليه من تحكيم الشرع ومن الخضوع لأمر الله ومن شمول الدين ، جعلوا وسائل مخالفة لتربي الناس علي خلاف ماينبغي أن يتربوا عليه ، وأحسب أن هذه النقطة في الغايات الاستشراقية لم تكن واضحة بالدرجة الكافية وبقية النصوص تؤيد ذلك .

المسألة الثانية التي أحب أن اقف عندها هي أن الأخ تكلم كلاما طيبا عن التاريخ ولازلت أذكر وقد كنت في نيجيريا وقرأت مرة كتابا لأحد الأوربيين فقال بعد أن قدم تلخيصا للتاريخ الإسلامي إن الإسلام في شمال إفريقيا لم يدخل الشمال كله جملة واحدة وإنما دخل علي الشريط الساحلي وبقيت المناطق المتاخمة للصحراء علي النصرانية واستمرت علي ذلك أكثر من مائة وخمسين عاما ، ولكن تقصير الكنيسة الرومانية هو الذي أدي لأن يقع هؤلاء في أسر الإسلام أو أن يتحولوا إلي الإسلام ، وقال هذا ذنب لا يمحوه إلا عودة هؤلاء إلي المسيحية .

هناك كثير من المؤلفات باللغات الأوربية تردّ علي المستشرقين أغلاطهم فمثلا في الفقه الإسلامي كانوا يقولون الفقه يجعل الأهلية القانونية للرجل والمرأة سواء إلا الفقه المالكي لأنه يمنع المرأة أن تتبرأ ، ولكن هذا إجراء عمله سيدنا عمر حتي يقضي علي العادات الجاهلية التي تمنع النساء من الميراث وليس هذا أصلا فيّ الدين وأخيرا أنتهي الأخ إلي عدد من الموجهات ، وأحسب أن المهم هو الشبهات والردود ، وأعتقد أنه من الضروري أن يكون هناك بيان لهذه الشبهات ونشر لها في أطرها التخصصية وليس من الضروري أن نلقي بالشبهات في نفوس أطفالنا ثم نرد عليها .

هناك حديث عن المنظمات الطوعية والإعلام وغير ذلك وهذا يخص مستقبل الدعوة ولكن كلمتي الأخيرة أذكر أننا عندما أنشأنا منظمة الدعوة الإسلامية في سنة ١٩٨٠م أرسل إلينا أخ من هولندا قصاصة من مجلة تقول إنكم تدعون الناس لجمع أموال لصرفها في جنوب السودان لأنهم يرون أن الجنوبيين سينزحون من جنوب السودان إلي شماله طلبا للعمل وإذا سمح لهم بهذا دون احتياطات فسينوبون في المجتمع الشمالي العربي المسلم وسيسلمون ولذلك لابد من جمع أموال ووضع برامج حتي لاينوبوا في المجتمع الشمالي العربي المسلم هذه كانت قصاصة من مجلة أرسلها إلينا أخ كريم في سنة ٨٠ وأرسل معها الترجمة وقد ذكرت هذا قبل سنوات للأخ أحمد عبدالرحمن في جدة ، ولمست هنا في الخرطوم وجود برامج وأندية ودروس ليلية وغيرها حتي لايعطي الجنوبيون فرصة الإندماج في المجتمع أبدا ، فقال لي إنه قد قرأ هذا ، وفي سنة ١٩٦٤ زار هولندا ووجد هناك مركز ا للبحوث وأسس باسم الكنيسة في إفريقية مابعد الاستقلال كان هناك بحث جديد عن السودان قرأ فيه هذا الكلام سنة ١٩٦٤ ، ونحن جاءتنا الإشارة إليه ونحن نؤسس منظمة الدعوة الإسلامية سنة ٨٠ بعد ١٦ عاما ولازال هذا البرنامج مستمرا فإنهم يحولون دون الاتصال الوثيق بين أهل الشمال والجنوب حتي لاينوب أهل الجنوب في المجتمع الشمالي العربي المسلم ويظلوا كيانا منفصلا وهذا نفس الشيء في جنوب شاد وجنوب نيجيريا وجنوب توجو وجنوب غانا وجنوب بنين ، وكل هذه المناطق التي يتمتع شمالها بالإسلام وجنوبها غير مسلم .

إن هذه السياسة غزت كل إفريقيا عن دراسات وعن مراكز بحوث كما ذكر الأخ الكريم وهناك أمثلة كثيرة لايتسع الوقت لذكرها .

وجزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم والسلام عليكم

الأستاذ / عبدالله دينق نيال

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله صلي الله عليه وسلم

نأسف كثيرا للتأخير فلم تتح لنا الفرصة للاستماع للمحاضرات التي ألقيت هذا المساء ، ولكن من خلال

هذه العناوين ندرك أنها كانت محاضرات ذات موضوعات مهمة تتحدث عن التبشير في إفريقيا ومحاولة لأفرقة الكنيسة وجعلها إفريقية تبشيرا وإدارة ونذكر هنا بعض النقاط الحيوية محاولة منا للوقوف أمام هذا التنصير أو التبشير .

وإذا أردنا أن نقف أمام هذا التنصير فلابد أن نغوص داخل هذه المجتمعات المستهدفة وندرس أمزجتها ونفسياتها لنستطيع أن ندخل إليها وخاصة في إفريقيا ، لأنني أعتقد أن إفريقيا مازالت فى معظمها علي الفطرة والإسلام دين الفطرة ،

ومن ثم فإن المساحة كبيرة أمام الإسلام إذا أحسنًا استخدام مفاتيح الشعوب وتلك هي التي نستطيع الدخول بها إلي الدول أو الشعوب الإفريقية ومن أهم هذه المداخل الاهتمام باللغات المحلية . والداعية أو المسلم الذي يريد أن يقف علي قدم المساواة مع الأدوات التنصيرية إن لم يكن يريد التفوق عليها فلابد له أن يتعلم لغة القوم الذين يريد أن يبشر بدينه بينهم وهذا مفتاح مهم تنبه له المسلمون في القرون الأولي فالمصطفي صلي الله عليه وسلم قد حثنا علي تعلّم لغات الناس لاتقاء شرهم ، وأشير أيضا إلي ماذكره الشاعر صفي الدين الحلي عن أهمية اللغات حيث قال :

بقدر صفات المر ء يكثر نفعه — وتلك له عند الشدائد أعوان

فبادر إلي حفظ اللغات وفهمها — فكل لسان في الحقيقة إنسان

وأنني أذكر هذه القضية ولدي خلفية عن مبشر إيطالي جاء إلي منطقة تسمي سالم بنجا في الجنوب وكان ذلك في الستينيات وتلك المنطقة تقع جنوب مدينة الرنك ومدينة الرنك التي تعج الآن بالكنائس لم يكن بها غير كنيسة واحدة في ذلك الوقت ، لأنها منطقة إسلامية ومنطقة تداخل بين الدينكا والقبائل الرعوية العربية – فكان الطابع الإسلامي هو السائد فيها وقد اقيمت كنيسة إيطالية كاثوليكية جنوب هذه المنطقة في تلك المدينة سالم بنجا ، ذلك المبشر الإيطالي كان يجيد لغة الدينكا وهي لغة أهلي ، وكان يشرح كل شيء بهذه اللغة فيتناول كل القضايا ثقافية أو إجتاعية أو صحية ويعرضها علي شاشة صغيرة لسينما متجولة ثم يقوم بالشرح والتوجيه مثلا هذا طعام مكشوف يتجمع حوله الذباب فيأكل منه الإنسان فيصاب بالإسهال ومن ثم يقوم بتوجيههم لتغطية الطعام .

فهذا مفتاح مهم فطن له المبشرون المسيحيون في إفريقيا وبالتالي استطاعوا أن ينفذوا عن طريقه إلي هذه القارة . ولكن معظم الدعاة المسلمين يحسبون هذه اللغات رطانة وهذا غير صحيح لأن ابن جني وهو العالم النحوي عرف اللغة منذ زمن بعيد واهتدي اللغويون الأن بذلك التعريف بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم فلا مجال للحديث إذن عن هذه رطانات وليست لغات ولا مجال للاستهزاء بها وهي مفاتيح للدخول للمجتمعات ونشر الإسلام وتضييق مساحة انتشار النصرانية والمسيحية .

الأمر الثاني أمر المصاهرة والتزاوج وهذا أمو مهم جدا للداعية الذي يريد أن ينفذ إلي المجتمع ويخالط

أفراده وخاصة وجوه القوم منهم كالقيادات المحلية في هذه المجتمعات القبلية ،

فإذا حدثت المصاهرة فإنها تجعل الفرد جزءا من هذه القبيلة التي تزوج منها وبحكم هذه الصلّة يستطيع الداعية أن يتحدث بحرية وهذا أمر مهم للداعية في هذه القارة التي شهدت الإسلام منذ تاريخ قديم ، وشهدت قيام ممالك وإمبراطوريات قديمة وخاصة في الغرب الإفريقي .

ونري من الأهمية بمكان أن يتحلي الداعية بالتواضع وينزل للمجتمع البسيط الذي يدعو فيه ولايبقي في برجه العاجي بعمامته وثيابه البيضاء ، وبذلك يشعرون بأنه إنما جاءهم لينشلهم مما هم فيه من فقر ومرض وجهل ولنشر الإسلام الذي تتحقق به معالجة هذه الأمراض ، وهذه قضية مهمة في المجتمعات التي تعيش علي الفطرة وإن معظم المجتمعات الإفريقية في تقديري أقرب إلي الإسلام بفطرتها لأن كثيرا من الأفكار النصرانية والمسيحية تتعارض مع عاداتهم وثقافاتهم المحلية وخاصة الكنيسة الكاثوليكية حيث إنها تتعارض في كثير من أطروحاتها مع الفطرة السليمة وحتي في مجال التبشير نفسه ،

فقد كنت وزيرا للشئون الدينية والأوقاف وجاءني كبير أساقفة الكنيسة الكاثوليكية ومعه ثلاثة مبشرين يريد لهم تأشيرات للدخول إلي السودان للتبشير في الجنوب ، فقلت له إن الكنيسة الكاثوليكية لها تاريخ قديم في السودان يرجع إلي عشرات السنين فإين المبشرون المحليون ؟ وكان معه نصراني عربي أظنه من سوريا أو من لبنان فضحكوا ، وعندما سألتهم عن سبب ذلك قالوا إن لدينا عشرات من المبشرين في الكنيسة الكاثوليكية تركوا التبشير بل تركوا القسيسية ، ولماذا ؟ وماكنت أعرف أن القسيس في الكنيسة الكاثوليكية لايسمح له بالزواج ، وهذه قضية تتعارض مع الفطرة السليمة ومع العادات والتقاليد الإفريقية وبالتالي فإنهم قد نفروا ، وهذه نقطة كان يمكن للإسلام أن يستفيد منها ، لأننا نسمح بتعدد الزوجات ما أمكن العدل وإذا حرصنا علي إشاعة هذا المبدأ مع تحقيق العدل فإن كثيرا من أفراد هذه المجتمعات الفطرية ستري في ذلك حلا لمشاكلها . فالمجتمعات التي تعيش علي الفطرة تبتعد عن الموبقات وخاصة قبيلة الدينكا في الجنوب فليس هناك زنى ولا سرقة فهو مجتمع فطري إلا تلك المجتمعات التي اختلطت بمجتمعات المدن ومن الكبائر أن يحدث زواج مجموعة عرفت بالزنا فلا تتم مصاهرة معها .

ومن هنا نستطيع القول إن إفريقيا مازالت علي الفطرة ، فهي أقرب لذلك إلي الرسلام وإذا وفقنا نحن المسلمين إلي تقديم هذه الرسالة وهذه الدعوة عبر المفاتيح اللازمة للدخول إلي هذه المجتمعات لنشر الإسلام ، فسنحقق بذلك ما نرجوه من أسلمة إفريقيا كلها .

إن هناك إمكانات نعتقد أنها مهولة وهي في معظمها إسلامية فهذه الأموال التي تمتلكها الكنيسة ويتحدث عنها الناس هي أموال في معظمها إسلامية عربية موجودة في مؤسسات الغرب تصرف علي التبشير . وإذا استطعنا كما قال بروفيسور عون الشريف أن نوحد جهودنا ، وتكون لنا استراتيجية موحدة بحيث لايكون اهتمامنا منصبا علي التصوير والتوثيق لأن كل جهة تريد بذلك الدعاية الإعلامية ،

مثل هذه جمعية كذا وتلك اهتدي علي يديها عدد كذا فإذا اجتمعت هذه الأموال وهذه العقول التي تعمل في مجال التبشير والدعوة فنستطيع أن نحقق الكثير وأنا أزعم أننا إذا صرفنا مليارا واحدا من الدولارات فإننا نستطيع أن نجعل إفريقيا مسلمة وتتحدث باللغة العربية وكذلك آسيا وإننا نملك الكثير والدليل إننا في حرب الخليج انفقنا ما لايقل عن ٦٨٠ بليون دولار وهي نيران ومدافع وأسلحة فهناك إمكانات ضخمة يمكن أن توجه للدعوة الإسلامية ويمكن أن تنشر الإسلام في إفريقيا وأن الحق عز وجل تكفل بحماية الدين أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم .

مشاركة

بسم الله الرحمن الرحيم

شكرا لجامعة إفريقيا العالمية ، وشكرا لجمعية الدعوة الإسلامية العالمية علي تقديمها لهذا المنتدي وشكرا للأساتذة الأجلاء الذين تناولوا موضوعات علي درجة عالية من الأهمية . ولدي في الواقع مداخلة بسيطة في نقاط مختصرة .

أولا يستخدم الغرب عادة تهمة الاضطهاد الديني ويوجهها للدول الإسلامية

وأعتقد أن هذه القضية أريد بها أن تكون وسيلة لأجهزة التنصير والإرساليات لتعمل داخل الدول الإسلامية . وعندما يتحدث الغرب عن أنه يترك هامشا للحرية بحجة العلمانية فإن هذه الحرية مهما تكن تظل مقننة وتظل محدودة الأثر وإذا سمح بإقامة منتدي إسلامي في أي دولة أوربية فإن هذا المنتدي سيحاصر بكثير من وسائل الدعاية وآلياتها حتي تحد من فعاليته وتقلل من نشاطه ونفس الشيء يحدث إذا إقيم مسجد أو أي مؤسسة أخري ،

ولكن إذا ترك للإرساليات أن تعمل داخل المجتمعات الإسلامية بتلك الإمكانات الرهيبة التي تملكها والوسائل الإعلامية التي تروج لها فإنها ستكون بالتأكيد خطرا علي ذاتية هذه الأنظمة الإسلامية وعلي كيانها ووجودها في أي بقعة في العالم .

الملاحظة الثانية : اعتقد أن الغرب سكت كثيرا عما يسمي بالحضارة الإسلامية ، فالحضارة الإسلامية هي الحضارة الحية ، وأن هذا الدين هو القادر علي الاستمرار وعلي أن يعيش وأن يصارع وأن الحضارة الإسلامية أمتدت لثلاثة عشر قرنا ،

وقد كتب هنتنتون في آخر كتاب له يقول إن خطوط التماس بين الدول الإسلامية وبين العالم المسيحي ستكون هي خطوط فصال في المستقبل وقد كان واضحا ومباشرا في تناول هذه القضية ، وهذا يقودنا حقيقة - إلي خطورة انفصال جنوب السودان أو قضايا جنوب السودان ، وإذا ما استطعنا أن نعكس هذه المقولة علي جنوب السودان فعندها ستكون خطوط التماس ويكون التنصير في شمال السودان - لأنه موجود في

جنوبه حاليا ونتمنى ألا تكون خطوط التماس في النيل الأزرق أو في جنوب كردفان .

المسألة الثالثة - تتعلق بالمذهبية في الإسلام فالإسلام دين قيم ودين توحيد وأركانه معروفة وإذا أردنا أن نكون في مستوي التحدي ، فإننا نعتقد أنه لايمكن للمسلمين أن يخوضوا هذه المعركة وهم يدعون إلي المذهبية داخل الإسلام ونري أنه يجب علي المسلمين وهم يخوضون هذه التجربة أن يبتعدوا عن الدعوة إلي هذه المذهبية وأن يدعوا إلي إسلام بلا مذاهب أما إذا تركنا هامشا لهذه الصراعات فاعتقد أنه سيكون اسلوبا معوقا وغير قادر علي تحدي الغرب وتحدي الكنيسة وإرسالياتها. ومهما تحدثنا عن هذه القضية أو عن قضية الصراع فإننا نري أننا لن نصل إلي شيء مهما خلصت النيّات - ما لم تتوافر الإمكانات ولذا فاعتقد أنه مهما رصدت الجماهيرية العظمي من إمكانات لجمعية الدعوة ولغيرها من المنظمات الأخري فإن عملها سيظل محدودا وغير قادر علي قيادة عمل إسلامي حضاري يبشر بالإسلام في إفريقيا، وإفريقيا هي قارة المستقبل وهي الماء وهي البترول وهي الذهب وبالتالي فإن صراع المستقبل سيكون في إفريقيا .

ولذلك فإن ثورة الفاتح عندما أنشأت جمعية الدعوة الإسلامية لم تكن تقصد بها أي مكسب سياسي فلم تكن تقصد إلا وجه الله سبحانه وتعالي ، وإلا ما تستوجبه الإخوة الإسلامية من الدفاع عن إخوة الإسلام أين ما كانت أما المكاسب السياسية فلم تكن واردة من خلال هذه الجمعية التي اعتقد أنها قامت بدور كبير ومقدر في نشر الإسلام في إفريقيا ومازالت تواصل أداء هذه الدور ولعل إقامة هذا المنتدي خير دليل علي ماقامت به الجماهيرية العظمي .

ولايفوتني أيضا أن أشير إلي ماقام به القائد أخيرا في غرب إفريقيا حيث أم ملايين المسلمين وكان عملا أدي إلى رفع الروح المعنوية للمسلمين في القارة الإفريقية ، وقد أعطاهم بذلك إحساسا قويا بأنهم ليسوا معزولين عن إخوتهم وأنهم في تواصل مع العالم الإسلامي .

ومن خلال الجماهيرية العظمي استطاعت جمعية الدعوة أن تؤدي أدوارها ، واستطاع الإسلام أن يجد له مكانا ، وأن يتحدث القائد من خلال هذه التجمعات بقوقفي غرب إفريقيا وفي نيجيريا وفي مالي وفي النيجر وغيرها .

الملاحظة الأخيرة التي أود أن أشارك بها في هذه المناسبة وهي أننا محتاجون حقيقة لأن نظهر الإسلام علي حقيقته ، خاليا من الشوائب وخاليا من الشعوذة .

ونريد أن نعكس الإسلام بما يمكننا من توصيل رسالته بصورة تصطحب معها المستجدات العصرية واللغة التي يجب أن تعكسها والخطاب الإعلامي والخطاب التبشيري في الإسلام أما أن نبقي متأثرين ببعض الشبهات الدينية القديمة ونعكسها باعتبارها خطابا إعلاميا فأعتقد أن ذلك غير مجد ، فلابد من تجديد الخطاب الإعلامي والديني والسياسي في قضية التبشير .

أما الغرب بقيادة الولايات المتحدة فمهما كانت الصورة التي يجيء إلينا بها سواء كانت حديثا عن

العلمانيــة ، أو الصــراع الاقتصــادي من أجــل مناطق النفوذ أو حقوق الإنسان فهي صورة غير حقيقية ، فكل القرارات وكل السياسات الدولية يحركها الدين ، فالدين يقف خلف الصراع في إفريقيا والدين يقف خلف كثير من الأشياء وبالتالي فإن كل مايوصف بالعلمانية وبالصراع السياسي تقف وراءه خلفية دينية وهذا واضح في كثير من مناطق العالم سواء كان في إفريقيا أو في غيرها شكرا ، والسلام عليكم .

المشرف الثقافي لسفارة جمهورية إيران الإسلامية

بسلام عليكم ايها الاخوة ورحمة من الله تعالي وبركاته

قبل الحديث عن الاختراق الاستعماري لإفريقيا وقبل الدخول في صلب الموضوع أودّ أن أشير إلي مصطلح الاستعمار ، فبعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران استبدل مصطلح الاستعمار بمصطلح الاستكبار وهو مصطلح قرآني يشير إلي حقيقة التدخل الشامل أو اختراق الغرب لمناطق إفريقيا وآسيا .

مصطلح الإستعمار ربما يستبطن بعض الجوانب الإيجابية فيما يتعلق بإعمار المنطقة وإدخال العمران إلي المناطق المحتلة في حين أن الاستكبار وهو المصطلح القرآني يستبطن مجموعة شاملة أو منظومة متكاملة في السلبيات كما جاء في القرآن الكريم .. فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة (فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين) .

ويدور خلاف حول موضوع الاختراق الاستكباري لإفريقيا والاختراق الاستكباري لآسيا لعدة أسباب ، ومحصلة هذه الأسباب أن الاختراق الاستكباري لإفريقيا نجح في تحقيق الكثير من أهدافه في حين أن الاختراق الاستكباري لآسيا فشل في تحقيق ذلك : لأن في اسيا عددا من الأديان القوية وفي مقدمتها الإسلام ومن الصعب اختراق هذه الأديان في حين أن إفريقيا كانت قبل الاختراق الآستكباري تعيش حالة من الفراغ الروحي أو حالة من الفراغ الديني حيث المجموعات الوثنية الكبيرة وبعض الطقوس الروحية الهشة التي يمكن اختراقها بسهولة ، ولذا فإن الاستكبار استغل هذا الفراغ الروحي ودخل إلي إفريقيا من خلال الاحتلال العسكري والتنصير وهناك استثناء لمنطقة شمال إفريقيا فهي تشبه إلي حد كبير منطقة آسيا وذلك لوجود الدين الإسلامي القوي والعمق الفكري الموجود في منطقة شمال إفريقيا ، ومن ثم فقد فشل الاستكبار في شمال إفريقيا بنفس المقدار الذي نجح فيه في إفريقيا السوداء .

الاختراق الاستكباري اتخذ أربعة محاور يكمل بعضها بعضا .

المحور الأول : الإحتلال المباشر والغز و العسكري والاستيطان

المحور الثاني: التنصير والتبشير والإرساليات المسيحية النصرانية

المحور الثالث : الغزو الثقافي والفكري

المحور الرابع : تداعيات الاستشراق أو انعكاسات الاستشراق

أو مايمكن أن نصطلح علي تسميته بالفهم الغربي للمسلمين والفهم الغربي لإفريقيا والفهم الغربي لآسيا أو الشرق بشكل عام .

هذه المحاور الأربعة تكاملت فيما بينها وشكلت طبيعة الاختراق الاستكباري لإفريقيا وهذه المحاور ربما كانت متناحرة فيما بينها في داخل أوربا ، فالكنيسة مثلا فصلت عن الدولة في أوربا ولم يكن يسمح لرجل الدين أن يتدخل في الشأن السياسي أو يتدخل في كل مايتعلق بأمر الدولة .

وختاما نحن نحتاج إلي تضافر جهود جميع الجمعيات والمؤسسات ولنبدأ بالحوار وبالحلقات الدراسية كهذه الحلقة في محاولة دراسة الاختراق الاستكباري دراسة عميقة وأكاديمية بعيدة عن لغة الانفعال والتظاهر وبعيدة عن اللغة غير الموضوعية وغير الأكاديمية ومن خلال هذه الوسيلة يمكن التعرف علي حقيقة الاختراق الاستكباري وإيجاد الحلول اللازمة لمواجهته .

وأعتذر عن الإطالة وشكرا لكم والسلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته

التنصير من خلال الأدب الإفريقي الفرنسي المعاصر

أ. مهدي ساتي صالح *

التنصير وإشكالات التبشير الكنسي في إفريقيا :

نعني بالتبشير الكنسي في إفريقيا ، حملات التنصير التي استهدفت شعوب القارة الإفريقية علي اختلاف عقائدها بغية استعبادها باستنزاف مواردها الطبيعية والبشرية بصورة جعلت من تلك المشاريع التبشيرية وجها أخر للحملات الاستعمارية على القارة في تاريخها الحديث المعاصر والتي كانت استمرارا للحروب الصليبية التي شنتها أوربا المسيحية على ديار الإسلام دون مبررات في العصور الوسطي (١١ - ١٣) وكانت في مجملها مشروعا فرنسيا يسعي لاجتثاث المسلمين والتمكين للكاثوليك وبقايا الإقطاع الأوربي المتداعي باستعادة عافيته في بلاد المسلمين تاكيدا لقوله تعالي (ولايزالون يقاتلونكم حتي يردوكم عن دينكم إن استطاعوا) من الآية ٢١٧ سورة البقرة .

رأت أوربا بعد ذلك نقل مسرح الحروب الصليبية في مطلع القرن الخامس عشر الميلادي إلي إفريقيا عن طريق ما أسمته (بالكشوفات الجغرافية) تحت مباركة الكنيسة الكاثوليكية فقد صدر الأمر البابوي في ١٤٥٦م بتنظيم امتلاك الأراضي المكتشفة تفاديا للنزاع الذي بدأت بوادره في الظهور يومذاك بين القوي الأوربية المتصارعة ، ومن ثم بدأ تدفق الشركات الأوربية مختلفة الجنسيات على الشواطيء الإفريقية في صحبة عدد من المبشرين والقساوسة ، طلائع الاستعمار الحديث ، علي القارة الإفريقية وبتطور الأوضاع إلى استعمار عسكري للعمق الإفريقي ، رأي الإفريقيون (الصليب) في صحبة المدافع الرشاشة الغازية ، ولذا ارتبط التبشير الكنسي بالاستعمار والاستنزاف في وجدان إفريقيا فاستحال الفصل موضوعيا بين المشروعين خاصة بين الشعوب المسلمة التي أدركت أبعاد المؤامرة التي بدأ الإعداد لها تحت شعار (تنصير المسلمين خير من قتلهم) وباستقرار الأحوال نسبيا في المستعمرات ظهرت حمي التنافس على موارد البلاد الإفريقية وبدأت كل دولة تحمي مبشريها فيما أضحت كل إرسالية تبشيرية تساند دولتها ووضح ذلك جليا بنشوب الحرب العالمية الأولي عندما بدأت كل دولة أوربية استعمارية تعامل مبشري أعدائها معاملة المحاربين وذلك بالأسر والاعتقال ولذا كانت إنجلترا وفرنسا على سبيل المثال حريصتين علي استئصال المبشرين الألمان من المناطق التي تحت سيطرتهما (٣) . كان شمال افريقيا وغربه مؤمنا بحضارات إسلامية عريقة حيث استكمل المسلمون في هذه المناطق- وغيرها - سلطانهم السياسي في ظل الإسلام ونشأت دول وممالك قوية مكنت للإسلام أن يكون دينا قوميا فيها ، ولذلك واجهت حملات التنصير

---

* استاذ مساعد بكلية التربية جامعة إفريقيا العالمية

والاستعمار مقاومة عنيفة في تلك البقاع قادها المجاهدون من أمثال الأمير عبدالقادر الجزائري وعبدالكريم الخطابي في مراكش وعمر بن عثمان في تونس والحاج عمر الفوتي في السنغال ومحمد الأمين درامي في غامبيا وساموري توري في مرتفعات الفوتا جالون الغينية الأمر الذي جعل مهمة الغزو الاستعماري مهمة بالغة الصعوبة فقد استسلمت البلاد على أشلاء الثوار المجاهدين مما أضفي علي الوجود الاستعماري الاوربي بعد ذلك لونا مأساويا ما انفك يعاود الذاكرة الإفريقية التي شهدت مصرع أبنائها في الدفاع عن دينهم وعقيدتهم ، فيما شرعت الإدارة الاستعمارية الجديدة في تنفيذ مشروعها الاستعماري والذي تمركز في أربعة محاور رئيسية وهي بالنسبة لفرنسا :

التنصير - الفرنسة أو I assimilation (بالنسبة للفرنسيين) (٤) أو الإدماج - التفرقة بين العرب والبربر ثم بين العرب والأفارقة ، ولتفعيل هذه السياسات بدأت في شمال إفريقيا بهدم المساجد أو الاستيلاء عليها ومن ثم تحويلها إلي ثكنات عسكرية أو كنائس وبيعها للنصارى واليهود كما عمدت إلي محاربة المدارس القرآنية في بلاد الغرب الإفريقي كما في السنغال أولى المستعمرات الفرنسية في غرب إفريقيا ثم بدأت في التمكين لثقافتها بفرض اللغة الفرنسية في الجزائر والسنغال ، لغة رسمية مع تطويق اللغة العربية ووضع القيود أمام حركتها (٥) تمهيدا لتكوين جيل أسود من الفرنسيين ! عن طريق الاستيعاب والفرنسة ثم التنصير ما وجدت لذلك سبيلا ، إلا أن قناعات الفرنسيين - وغيرهم من الأوربيين - حكاما ومبشرين بتفوقهم العرقي قعد بهم عن تحقيق الكثير من غاياتهم ، فقد ورث الفرنسيون من العقلية الأوربية نظرتها في التفرقة العنصرية بين الشعوب فقديما قال الفيلسوف الفرنسي (مونتسكو) (١٧٤٨) إنه من الصعب علينا أن نعد هؤلاء المخلوقات (السود) بشرا (٦) وقد أكد ذلك الفيلسوف الألماني هيجل في فلسفة التاريخ فنفي في صراحة ودونما موارية ، إنسانية الإنسان الأسود الزنجي على ضوء الاستعلاء الأوربي الذي استصحب المبشرين عند تنفيذ مهامهم ولذلك يقول (الرجل الزنجي كما لاحظنا من قبل ، يمثل الإنسان الطبيعي في حالته الهمجية غير المروضّة تماما ولابد لنا إن أردنا أن نفهمه فهما حقيقيا سليما ، أن نضع جانبا كل فكرة عن التبجيل والأخلاق وكل مانسميه شعورا أو وجدانا فلاشيء مما يتفق مع الإنسانية يمكن أن نجده في هذا النمط من الشخصية ، <u>والروايات الغزيرة والمفصلة التي يرويها المبشرون تؤكد ذلك تماما</u> (٧) ثم يأتي بعد ذلك مفكرون أوروبيون آخرون يؤكدون نفس الاتجاه الاستعلائي القائم على دونية الإنسان الأسود من أمثال ديفيد هيوم وجوزيف دي قوبنيو الباحث الفرنسي الذي برر قسوة الهجمات الاستعمارية الأوربية على إفريقيا في مؤلفه المشهور Essai sur I,inegalite أو رسالة في اللامساواة (٨)

هكذا في ظل هذه المؤشرات المأساوية للاستعمار الأوربي نشأت الإرساليات الكنسية ووجدت حمايتها في أداء مهامها التنصيرية إلا أنها وجدت نفسها تواجه إشكالات متعددة الأطراف حالت دون تحقيق مراميها وغاياتها رغم الإمكانات الضخمة التي توافرت لديها ولعل من أبرز هذه الإشكالات :

١) الارتباط بالاستعمار : يعد من نافلة القول تأكيد هذا الارتباط بين التبشير والاستعمار وسرعان ما أصبح الإفريقيون الذين تلقوا تعليما على أيدي المبشرين كارهين للتبشير وللصلة التي أراد المبشرون أن يقيموها بين الدين والسياسة (٩) ولذلك أكد جروف Grove بأنه في كل مكان وصل إليه الوعي القومي ظهرت الكراهية للتبشير ، فيقول ، (إننا لانستطيع أن نخفي عن أنفسنا ولا عن غيرنا أن كثيرين يمثلون الجماعات الإفريقية أظهروا امتعاضا شديدا من التبشير و أخبرونا أن الصلة بين الكنائس والتبشير وبين

التعليم – في رأيهم – يجب أن تنتهي بسرعة . ومنهم من جعل يقتل المبشرين في الكنغو وغير الكنغو (١٠)

٢- التفرقة العنصرية : لما كان التبشير مشروعا أوربيا غريبا مرتبطا بالاستعمار و ينتشر تحت مظلته فقد انتهج نهجا عنصريا خفيا سرعان ما اكتشف المواطنون حقيقته فأحدث هذا صدمة قوية في نفوس المرتبطين بالكنيسة وظلت هذه الصدمة تزداد قوة كلما توثقت العلاقات بها وهكذا عاني الأفارقة من سوء المعاملة ففي كثير من المناطق أغلق المبشرون الكنائس الكبري في وجه النصارى السود وأحس معظمهم أنهم أصبحوا مسيحيين من الدرجة الثانية على أحسن الفروض ولذلك شهدت إفريقيا ميلاد ما أصبح يسمى (بالكنيسة الاثيوبية) أو السوداء تعبيرا عن الانفكاك الجزئي من المؤسسة الكنسية الكبري .

٣- التفرقة الاجتماعية : أصبح المسيحيون السود يعيشون واقعا انفصاميا في مجتمعاتهم فباستيعابهم ثقافات الغرب المسيحي أصبحوا في عزلة واضحة عن جماهير شعوبهم وقضاياهم فقد ارتبط وجدان معظمهم بعواصم الدول الاستعمارية التي عاشوا ودرسوا فيها بل وقد تزوجوا منها وحسب تعبير الكاتبة إيف ديسار (إن أناسا كثيرين في داكار وأبدجان يجدون الطريق إلى باريس بسهولة أكثر مما يجدونها إلى مسقط رؤوسهم) (١١) وقد كتب الكاتب الوجودي جون بول سارتر يقول ساخرا (سنستقبل في غضون أشهر قلائل بعض الشباب الإفريقي والآسيوي في أمستردام وباريس ولندن وسيتلقي أولئك الشباب منا آداب اللياقة و(الأوتكيت) الاجتماعي و أساليب الحوار سنفرغهم من مكتسباتهم الثقافية القديمة ثم يرجعون إلى بلادهم ليتحدثوا عنا بما يزيد من نفوذنا في إفريقيا وآسيا (١٢) .

٤- اختلال المعايير الأخلاقية : كان من أبرز إشكالات العمل التبشيري في إفريقيا على وجه الخصوص وقوف بعض الأفارقة السود على تناقضات المعايير الأخلاقية لهؤلاء المبشرين البيض حكاما ومبشرين فقد عايش هؤلاء السود البيض في حالات السلم والحرب حيث قاتلت شعوب إفريقية كثيرة لصالح الدول المستعمرة في نزاعاتها القومية داخل وخارج القارة وقد اكتشف هؤلاء ضعف الإنسان الأبيض بعد أن حسبوهم في البداية آلهة أو أنصاف آلهة (١٣) خاصة بعد الحربين كذلك عمل الكثيرون في وظائف ديوانية صغيرة كما في الإدارة والشرطة وصار بعضهم خدما في منازل الحكام والقساوسة فراعهم التناقض المريع بين (القول) و (العمل) فأصاباهم من ذلك إحباط كبير عكسته آداب المثقفين منهم .

الأدب الإفريقي الفرنسي وقضايا التبشير :

تناول الأدب الإفريقي بشتي وسائله بعض قضايا وهموم الوطن التاريخية، وارتباط الأدب بالتاريخ ارتباط معلوم محسوس ، إلا أن هذا الارتباط يبدو أكثر متانة في حالة قضايا الإنسان الإفريقي حيث يعد كل شيء في إفريقيا (تاريخا) حسب مقولة الباحث الإفريقي أحمد همباتابا والذي كان يعد مرجعا للروايات الشفهية الإفريقية فيما يعرف عند المؤرخين Oral traditions فقد اختزنت ذاكرة الإفريقي تجارب عديدة في تعامله مع الموجودات عبر عنها شعرا و أمثالا وأناشيد وأحاجي أفاد منها الأدب الإفريقي الحديث كثيرا ومع انتشار الإسلام واللغة العربية لغة القرآن الكريم والحديث الشريف والحضارة الإسلامية نما الفكر الإفريقي نموا تاريخيا واسعا مكن لشعوب القارة المشاركة الفكرية الواسعة في شتي أنواع العلوم والمعارف التي يذخر بها التراث الإسلامي ، وخلال سنوات الاستعمار ومابعدها تناول الأدب الإفريقي الحديث بعضا من قضايا الإنسان الإفريقي وهمومه وصراعه المرير مع الاستعمار بلغة الاستعمار ذاته فالأمر كما عبّر عنه سنجور لم يكن اختيارا وقد أشار إلي ذلك الكاتب الجزائري مالك حداد حين صرح والجزائر

علي ابواب الاستقلال داعيا الأدباء الجزائريين من جيله أن يتركوا المكان لرفقائهم الذين يكتبون بالعربية قائلا (فنحن كتاب منفيون في اللغة الفرنسية (١٤) وعلي الرغم من الصعوبة التي يواجهها كتاب إفريقيا في استخدام اللغات الأجنبية كما يقول جوريس سيلينكس - فإنهم يعدون محظوظين لأن في أيديهم رصيدا كبيرا من التراث الشعبي يعينهم على الاحتفاظ بهويتهم الإفريقية المميزة (١٥) برز في هذا المجال كتاب وروائيون ومسرحيون كثر وشعراء من أبرزهم في مجال الأدب الإفريقي الفرنسي الشاعر السنغالي ديفيد ديوب وسيدار ليوبولد سنجور وبرنارد راديبه من ساحل العاج والكاتب السنغالي شيخ نداو وعثمان سمبين ومونجــوبيتي من الكــمرون وكمــار لاي من غينيا والــروائي حميدو كــان ومعظم هؤلاء (الفرانكفونيين) يكتبون بالفرنسية ويبرزون في رواياتهم (مساويء الاستعمار والطرق التي يستخدمها لاستغلال الشعوب المستعمرة وطريقة حكم المستعمر التي لا تأخذ في اعتبارها مشاعر المحكومين ، ومآسي الحياة المدنية وفقدان القيم التقليدية ونفاق المبشرين بالدين المسيحي ..) (مقدمة د . جوريس سيلنكس لمختارات من المسرح الإفريقي) .. وقد انضم إليهم بأصرة الانتماء العرقي واللون كتاب آخرون سود من خارج إفريقيا من أمثال إيميه سيزر وليون داماس وفرانز فانون وغيرهم ، أما شمال إفريقيا فقد عرف كتابا كثرا بالفرنسية من أمثال مالك حداد والفيلسوف الإسلامي مالك بن نبي إضافة إلي آخرين من أشهرهم كاتب يسن ، آسيا جبار ، ومولود فرعون .

تحاول هذه الورقة إلقاء بعض الضوء علي عملين أدبيين إفريقيين صادرين بالفرنسية ، العمل الأول للكاتب الدبلوماسي الكمروني (الكاثوليكي) فرديناند اوبونو وهي رواية (الخادم) أو (une vie de Boy) والثاني رواية الكاتب الجزائري مولود فرعون بعنوان (les chemins qiu montent) أو (الطرق الوعرة) . ورواية الخادم (une vie de boy) لاويونو كانت قد ظهرت لأول مرة سنة ١٩٥٦ وقد سببت الرواية عند ظهورها كثيرا من الاستياء والضيق في أوساط الفرنسيين عكس رواية حميدو كان (المغامرة الغامضة) فالرواية إدانة صارخة للاستعمار الفرنسي والتبشير الكنسي بحيثيات من الواقع الذي عاش الكاتب جزءا منه فالكاتب سياسي مرموق يعد من أعلام الأدب في إفريقيا الغربية الفرنسية ولد في الكميرون من أم كاثوليكية دفعت به إلي دار التبشير الكاثوليكي ليصير واحدا من زمرة الخدم عند المبشرين ثم أتيحت له فرصة السفر لاحقا إلي باريس حيث درس القانون ثم انتقل بعد ذلك إلى السلك الدبلوماسي عقب استقلال بلاده وعمل وزيرا مفوضا ولم ينقطع عن الكتابة وتعد رواية (الخادم) أولي رواياته وترجمت إلي لغات كثيرة (١٨) وكما سبق فالرواية تعد إدانة واضحة صريحة لسياسات الاستعمار الوحشية وزيف المزاعم الأوربية وتناقضات المبشرين وقد عبرّ أويونو - عن كل ذلك بصورة مأساوية جعلت من عمله نوعا من (مسرحيات آلام المسيح) حسب عبارة (سلينكس) .

أما رواية مولود فرعون (الدروب الوعرة) فتشخيص للمعاناة التي يعيشها المغتربون في المدن الفرنسية والضياع الذي يحس به أولئك بين (جحيم الوطن) كما يقول و (جحيم الغربة) كما يكشف عن بعض أساليب المبشرين في زعزعة البناء الاجتماعي لشعوب المنطقة التي يغلب فيها الإسلام وقد حاول مولود فرعون عن طريق شخصيات روايته أن يصوغ في قالب درامي مأساوي أيضا مرارة الصراع والتمزق الذي يعيشــه الفــرد الجزائــري بين تناقضـــات الحيــاة فــي الوطــن الأم المســتعمر (بفتح الميم) والوطــن الأم (المستعمر) بكسر الميم بصورة تقود إلي الاحباط التام ثم الانتحار .

في رواية الخادم يصيح بطل الرواية الأساسي توندي وكذا الراوية مرات عديدة وبصوت مرتفع (أخي ... أخي .. من نكون نحن السود الذين يدعوننا فرنسيين) وفي هذه الصرخة المتكررة إدانة صريحة للخطاب الاستعماري وزيف دعاوي الاستيعاب (ASSIMI LATION) ثم يواصل الصبي (الخادم) (عندما أتي أولئك القساوسة البيض إلى قريتنا أول مرة لم أكن سوى طفل صغير يجري وراء الديكة .. وكان بينهم هذا القس الذي يدعي جلبرت الذي قمت على خدمته فيما بعد ، وكان يستطيع التحدث بلغة (نجم) الافريقية إلا أن نطقه بها كان سيئا للغاية لدرجة أن معانيها كانت تنقلب إلي معان بذيئة .. لقد أعطانا هذا القس شيئا من الحلوى وفي ذلك الوقت كنت أرتعد فرقا من والدي الذي لم يكن يكف عن ضربي بقسوة ولذلك ما إن أشار إليّ القس بأن أرافقه إلى مقر الإرسالية التبشيرية حتى أستجبت في الحال وأنا أفكر في حبات الحلوي والكلمات البذيئة ومقدار كرهي لوالدي .. وفي المساء اتت والدتي تبكي فشاركتها البكاء .. انصرفت وراء الأب جلبرت علي دراجته النارية التي كانت تسابق الريح وقد شعرت بالنشوة الفائقة على سرعتها .. وكنت أقرأ على عينيه التعرف علي المدينة وكل مافيها .. ولاسيما الرجل الأبيض الذي ساعيش على شاكلته وكنت أفكر طوال الوقت بأني كنت مثل واحد من تلك الببغاوات البرية الزاهية الألوان التي كنا نجتذبها إلي القرية بحبيبات من الذرة ،، كنا نصيدها باستغلال شراهتها .. وكثيرا ما كانت تقول لي أمي ضاحكة : إلي أين سيقودك طمعك وشراهتك يا توندي ؟ (١٩)

وفي هذا النص إشارة من — أويونو - إلي ماذكره الكثيرون من أن استجابة معظمهم للمبشرين كانت لتحقيق مكاسب مادية بحتة رمز لها المؤلف هنا بقطعة حلوي . في فقرة أخري يدخل حاكم المنطقة (الفرنسي) إلى الكنيسة ليشارك في قداس خاص ومعه خدمه السود وعند الجلوس يجلس هؤلاء السود في أماكن مخصصة لهم بعيدا عن سادتهم البيض ،، وهنا إشارة واضحة لإشكالية التفرقة العنصرية التي فشل المشروع الكنسي في تجاوزها عند ممارسة الحياة حتى داخل الكنيسة .. ثم تتحدث الرواية بعد ذلك عن مدير الشرطة الفرنسي (جوليه) الذي تقول عنه بأنه (معروف بحبه للقيام بغزواته المفاجئة على حيّنا في منتصف الليل ويقال إنه يقوم بتلك الغارات مع أفراد شرطته من الإفريقيين عندما ترفض زوجته أن ينال وطره منها) صفحة ٥٨ - وفي هذا تلميح صريح لممارسات السلطة غير الموضوعية في تعذيب المواطنين ولعل في هذا مايؤكد بعض الواقع التاريخي للتوسع الاستعماري (الفرنسي) في إفريقيا ذلك أنه لما هزمت فرنسا في الحرب الألمانية وفقدت جراء ذلك الالزاس واللورين شرعت للبحث في إفريقيا عن نصر يعوضها وينسيها تلك الهزيمة فتقدمت تفترس مزيدا من البقاع في غرب إفريقيا .

من جماليات هذا العمل الدرامي الرائع للكاتب - أويونو - العبارات التي ذكرها على لسان (الخادم) حينما تقدم كي يكون خادما أو كلبا - حسب عبارته - لذلك الحاكم الذي يعد من أعظم الأوربيين شأنا في المقاطعة فيقول علي لسانه معزيا نفسه : أليس كلب الملك .. هو ملك الكلاب ؟ !!

(٢٠) Je Seri le boy du chef des blannce le chef du roi est leroi des chiens

وثمة حوار ناقد آخر يدو ر بين خادم آخر وخادمة تنوي سرقة سيدها التي تصفه بالقذر ، كث الشعر غير المختون فيقول لها الخادم (بكلو) إننا نطلب منك فقط أن تطلبي من الله أن يبارك عملية السرقة المسيحية هنا يقاطعة الخادم (توندي) بسؤال : وماذا تقصد بسرقة مسيحية ؟ فيجيب (بكلو) ما أقصده أن الإحسان المسيحي يعني الإحسان إلى البيض والحلم المسيحي يعني التسامح مع البيض وإذا فالسرقة

المسيحية تعني أخذ الأموال من البيض .. اليس كذلك ؟ كنت أعتقد أنك قد تعلمت هذا من عملك في الكنيسة التبشيرية ..) وحوار آخر يعقده الكاتب وذلك عندما يأتي الخادم (توندي) ليتسلّم عملة الجديد مع الحاكم

الحاكم : هل أنت لص ؟

توندي : لا ياسيدي

الحاكم : ولماذا لاتكون لصا ؟

توندي : لأني لا أرغب أن أذهب إلى الجحيم ياسيدي

الحاكم : من علمك هذا ؟

توندي : (مبرزا ميدالية القديس كرستوفر التي يحملها) أنظر ياسيدي إني مسيحي

الحاكم : إذا لست لصا لأنك لا ترغب في الذهاب إلي الجحيم

توندي : نعم ياسيدي

الحاكم : وماذا تعرف عن الجحيم ؟ صفه لي

توندي : إنه مكان تتأجج فيه النيران ويعج بالأفاعي ويحكمه الشيطان الرجيم ذو القرنين

الحاكم : أما إذا ما اقترفت جريمة السرقة فلن أنتظر حتي نذهب الي الجحيم فإنه بعيد جدا..

***

وفي مشهد آخر ينزل الحاكم من عربته فيستقبله طابور من المجندين التعساء وقد اصطفوا يرددون نشيدا بلغة غريبة مكسرة يقول الراوي : كان أهل القرية يعتقدون أنها الفرنسية فيما يظن الفرنسيون أنها اللغة المحلية .. وهنا إشارة إلى إشكالية اللغة التي فرضها الاستعمار على حساب اللغات واللهجات القومية

الخادم (توندي) والآخرون في منزل الحاكم سرعان مايكتشفون سر العلاقة غير الشرعية بين زوجة الحاكم العام ومدير السجن فيصاب الجميع بشيء من الإحباط يعّبر عنه توندي بقوله : انه لأمر مقرف فيجيبه (بكلو) .. إنها طريقة حياتهم فإنهم معدومو الكرامة .. وبعدها تطلب الزوجة من الخادم – توندي – أن يوصل رسالة غرامية مكتوبة إلى عشيقها فيقرأ الخادم الرسالة فيصاب بالإحباط مرة أخري فيقول في شيء من النقد المرير (الهذا يتعلمون القراءة والكتابة ؟) وعند وصوله السجن يجد الخادم مدير السجن ومعه رجلان إفريقيان متهمان في سرقة بقال أبيض وكان مدير السجن المتورط في علاقته اللاشرعية يعطي الرجلين دروسا في الأخلاق والأمانة ثم يأمر بهما فيجلدان جلدا مميتا فتقول الرواية : النتيجة معروفة سيرسل الرجلان إلى مايسمى (بمقبرة السود) بعد أن يرسلا إلى مستشفي الملونين ثم (ويوم الأحد سيخاطب القس رعيته بقوله : إخوتي الأحباء الأعزاء .. يا أحبائي وأعزائي صلوا لإنقاذ أرواح أولئك السجناء الذين يموتون دون أن يتمكنوا من الاعتراف لكي تنزل السكينة على أرواحهم ! .

وأخيرا بعد كل هذه الممارسات المأساوية ينهي أحد آخر المشاهد بقول (بكلو) (نحن لم نعد رجالا ولكنا سنعود رجالا يوما ما .. وسيكون ذلك عما قريب) .

***

أما الكاتب الروائي الجزائري مولود فرعون فيصف في روايته (LES CHEMIS QUI MONTENT) أو (الدروب الوعرة) جانبا من تصدعات الحياة الاجتماعية في بعض مجتمعات الشمال الإفريقي وفي مناطق البربر على وجه التحديد و يكشف الكاتب عن غياب الالتزام الحقيقي بالتعاليم المسيحية ولذلك يتساءل

عن طريق بطلة روايته (ذهبية) عن (ولكن كم يبلغ في القرية عدد المسيحيين العاملين بتعاليم المسيحية ؟) ص ٢٥ - ثم تبدأ (ذهبية) المسيحية في استعراض سكان القرية واحدا تلو الأخر فيتبين لها أن الطائفة المسيحية هنالك كثيرة العدد ولكنهم فقط يأتون يوم الأحد إلى الكنيسة يستعرضون ماليهم من ملابس ومناديل ملونة فيجدون أنفسهم في هذا اليوم (الأحد) مختلفين عن الآخرين في القرية و أنهم أعلى مرتبة وأكثر حرية لأن الحواجز التقليدية بين الرجال والنساء كما تقول الرواية لاتلبث أن تزول في معبد الإله وإن كان بعض الشبان يغتنمون تلك الفرصة لمغازلة البنات وأن هذا الامر يتم بمعرفة (الخوري) ورضاه وكأنه بذلك يريد أن يشعر المسيحيين أن الله قد خصهم دون سائر المسلمين من أهالي القرية بامتياز المغازلة والحب إذا عرفوا كيف يستغلون الفرصة !) في مكان آخر تقرأ أن (ذهبية المسيحية) لاتحب المسيحيين في قريتها لأنهم في نظرها ليسوا مخلصين في اعتقادهم فالكثير منهم اعتنق المسيحية من أجل غرض في أنفسهم ، بل الأغراض المادية هي التي دفعت بهم جميعا في البداية لاعتناق المسيحية) .

هنا يلتقي مولود فرعون بأويونو - في الإشارة إلي انتفاء مصداقية الاعتقاد عند الكثيرين ممن تربطهم جهود المبشرين بالكنيسة وتذكر الرواية الجزائرية كيف أن المسيحيين يعاملون المسلمين في القرية بشيء من الازدراء ويخوضون معهم في مناقشات حادة حتى يقنعوا الناس بأنهم أرفع منهم شأنا - ص ٢٦ - ويشير الكاتب إلى ثقة المسلمين بدينهم والدفاع عن عقيدتهم بصورة لا يملك المسيحي معها في آخر الأمر إلا أن يخامره الشك - حسب تعبير مولود فرعون - في نفسه و أن يقول (إن المسلمين بالفعل على الصراط المستقيم) ص ٢٧ - تلامس رواية (الدروب الوعرة) كذلك طرفا آخر من أطراف الإشكالات التي وقعت فيها الكنيسة بفشلها في التخلص من التفرقة العنصرية حتى بين أبناء الملة الواحدة فتقول الرواية (صاروا يعتدون بأنفسهم ويميلون إلى العجرفة حتى صاروا يستهترون بالفرنسيين ويعتقدون أنهم في المنزلة مثلهم أو أدنى منهم بقليل وهذا مادعا الجيل الجديد إلى تقليد الفرنسيين في كل شيء .. و إذا لاحظوا أنهم رغم مايفعلون لايزال ينظر إليهم باحتقار من طرف الفرنسيين فإنهم يسخطون أشد السخط على المسيح والمسيحيين بسبب هذه التفرقة العنصرية) ص ٢٩ من الرواية بالنص العربي .

و أخير يفرد الكاتب لبطل روايته الثاني (عامر المولود من أم فرنسية حيزا كبيرا يعكس صراع الأجيال الشابة المهاجرة إلى سوق العمل في (المتربول) الفرنسي باريس والضياع الذي ينتظر الجميع هنالك حتي المولود من أم فرنسية كبطل الرواية فسيكون الانفصام والإحباط فلا الجزائر عادت للبطل وطنا ولا باريس صارت ملاذا آمنا له فيتمزق الإنسان ممثلا في شخص عامر - البطل - فيقرر الانتحار !

****

خاتمة :

هكذا عبر الأدب الإفريقي الصادر بالفرنسية - من خلال هذين العملين - عن طبيعة الإشكالات التي وقع فيها التبشير الكنسي في القارة الإفريقية بارتباطه بالاستعمار وبانتهاجه مبدأ التفرقة العنصرية التي حالت دون تحقيق غاياته التي كان يسعي إليها علي الرغم من إمكاناته المادية الكبيرة خاصة بعد أن تأكد لأبناء البلاد الإفريقية أن التبشير والاستعمار وجهان لعملة واحدة !

المصادر والمراجع :

١ - القرآن الكريم – من الآية ٢١٧ من سورة البقرة

٢- د. حسن عابدين – السر العراقي : معالم التاريخ الإفريقي ، الخرطوم

٣- د. مصطفي خالدي – د. عمر فروخ ، التبشير والاستعمار ص ٢٤٣ / بيروت ١٩٧٣

٤- د. نازلي معوض احمد ، التغريب والقومية العربية في المغرب العربي ص ٦٤ ، بيروت ١٩٨٦م

٥- Paul Marty , Etude Sur Iص Islam au Senegal , Paris 1917

٦- J. E. Harris , Africans and their History P. 16 - 17 New York 1972

٧- ج . ن ف هيجل : محاضرات في فلسفة التاريخ ، ترجمة د. إمام عبدالفتاح إمام صفحة ١٧٤ – بيروت سنة ١٩٨٣م

٨- J. Harris , Op. cit , P. 17

٩- د. مصطفي خالدي / د. عمر فروخ / المصدر السابق ص ٢٤١

١٠- المصدر السابق ص ٢٤٢

١١- ايف اديسار / مصير إفريقيا ، ١٤ بيروت ١٩٦٢م

١٢- Chaick , Toure , Etudes Islamiques , 18 Dakar 1983

١٣- د. محمد عبدالغني سعودي – قضايا إفريقية ، ص ١٩٧ ، الكويت ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م

١٤- د. عبدالعلي الودغيري / في الثقافة والهوية ،ص ٦ . الرباط ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م

١٥- د. جوريس سلينكس . متارات من المسرح الإفريقي ترجمة د. نايف خرما ، الكويت مايو ١٩٨٢م

١٦- رواية الخادم ، مختارات من المسرح الإفريقي ، الكويت وزارة الإعلام مايو ١٩٨٢م

١٧- مولود فرعون ، الدروب الوعرة ، ترجمة د. حنفي بن عيسي ، الجزائر

١٨- د. جوريس سلنكس ، المصدر السابق

١٩- فرديناند اويونو ، الخادم ، ص ٥٥

٢٠- F. Oyono , une vie de boy , P. 32 , 1956

جرائم الاختراقيين الثقافية في التراث والتربية الإسلاميين

د. الطيب عبدالرحيم الفلاتي *

هالتني صورة الخراب الاقتصادي والتلوث العقائدى والإفلاس الفكرى والارتباك السلوكى التي لحقت بجزء كبير من المسلمين على الرغم من الأعداد الكثيرة من الجامعات ، والكميات الهائلة من الخريجين في كل بلد بجميع تخصصاتهم بدءا بحملة الشهادة الابتدائية وانتهاء بحملة الدكتوراة ، وهذا بالإضافة إلي امتلاء العالم الإسلامي بحملة ألقاب البروفسيرات وأساتذة الكراسى من علماء الدراسات الإسلامية والطب والزراعة وغيرهم ولكن في نفس الوقت لانرى مايقابل هذا كله سوي القهقري في كل شيء إلا سوء الخلق والخضوع المستمر لمخططات أعداء المسلمين الخفية والاستعداد الدائم للعبودية .

وكثيرا ما تساءلت ، هل سبب هذه القهقرى نوعية الشهادات وكثرتها ، التي غالبا ما تعلم الإنسان الخوف من الكلمة واختيارها وتنظيمها في بحثه الورقي ، منافقة مشرفه غير الملتزم ، الذي قد يختلف معه في الرأي . فيربي فيه غريزة الخوف والمنافقة ، فيتخرج عبئا علي المجتمع الذي يحتاج إلي عالم شجاع يتصدي لإصلاح ما أفسده غيره عبر القرون ، أم هنالك خطأ في توجيه وسائل ونية الحصول علي الشهادات ؟ وهل سبب هذه القهقرى ماقدمه أسلاف المسلمين من فكر وسلوك وعمل دؤوب ومناهضة مستمرة لأعداء المسلمين قولا وعملا ؟ أم سببها ابتعادهم عن عطاء أسلافهم التربوي واعتباره تراثا يجب تحنيطه ووضعه في متحف التاريخ ، لكن . لماذا اجتهد الاستعمار في أمريكا وأوربا في دراسته وتدريسه ، إذا لم يكن وراء دراسته فائدة لمخططاتهم وما الفائدة ؟

رأيت موري لاست الإنجليزي (١) الذي حضر إلي نيجيريا علي نفقة الحكومة البريطانية ، في منتصف الستينيات من هذا القرن لنيل درجة الدكتوراة، في منهج ثورة غرب إفريقيا الإسلامية التي قادها الشيخ عثمان بن فودي (١٨٠٤ - ١٩٠٦) فدرس أوليات اللغة العربية خلال سنة كاملة في مدينة سكتو لتمكنه من فهم تاريخ سكتو الذي كتب - أصلا باللغة العربية ، ثم جاب نيجيريا قريةً قرية ومدينة مدينة لمقابلة العلماء وزعماء القبائل ، بل سكن بين الفلاحين وعمل معهم بالزراعة بجبل (غساو) الذي تسكنه مجموعة من الهوسا ومازالت علي وثنيتها ، للحصول علي المعلومات الكافية ، فأعجب به أهل تلك المنطقة لما كان يقدمه لهم من مساعدات ، فسألته عن السبب ؟ قال : لأنني توصلت من خلال بحثي واطلاعي علي منهج الشيخ

---

* جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية

عثمان بن فودي ، بأن معني العالم (هو الذي اكتشف جهل نفسه وذاب في خدمة الآخرين (فقد اكتشفت جهل نفسي فأريد أن أتعلم لأخدم بني البشر) وسكت عن الأهداف الكنسية الخفية .

فكتب رسالته التي سماها رسالة سكتو (Sokoto Caliphate) بعد أن اطلع علي ألف مرجع في نيجيريا والكمرون وجمهورية النيجير وداهومي وتوقو وشاد ، واطلع علي كتب من خمسين مكتبة داخل نيجيريا وخارجها ، فصار خبيرا بالخلافة وأسرارها الظاهرة وبنفسيات المسلمين في إفريقيا ونيجيريا .

ورأيت إستوريت الأمريكي (٢) أحد المتخصصين في تاريخ(أولاد إداو علي) (Eddaw) والطرق الصوفية في شرق موريتانيا ، الذي قطع مسافات شاسعة بحثا عن مخطوطة مكونة من خمس صفحات ، فيها توضيح وإجابة لتساؤلاته التالية :

- كيف استطاع محمد بيلو ١٨١٨ - ١٨٣٧ / ١٢٣٢ هـ - ١٢٥٣ هـ إقناع معارضيه المسلمين في كل أنحاء الخلافة المترامية الأطراف لوضع أسلحتهم والجنوح للسلام ؟

- كيف استطاع كتابة أكثر من مائة من الكتب بينما كان قائدا لأكثر من ٢٠٦ معركة كبيرة وصغيرة ومناوشات أثناء حياة والده .

ورأيت جون بيدان (٣) John Padan الذي اشتري مكتبة عمر الفلكي (١٨٩٩ - ١٩٦٥) من ورثته في مدينة كنو ، ونقلها إلي مكتبة جامعة ييل Yale University Library الأمريكية ونافسه في ذلك المستشرق هسكت (٤) Hiskett نائب مدير مدرسة كنو للعلوم العربية في منتصف هذا القرن ، الذي استطاع جمع الكثير من عطاء الأسلاف ، وترجم العديد منها ، فصار خبيرا بشعوب غرب إفريقيا المسلمة .

وتقرير تملنسون وليثم (٥) الخطير مثال آخر للاختراق الذي غطي الفترة مابين ١٨٩٨- ١٩٢٥م وعنوانه (تايخ الدعوة الإسلامية السياسية في نيجيريا) History of Islamic Political Propagnda in Nigeria , London , 1927 الذي أعد بناء علي طلب الحكومة البريطانية لمعرفة مكان تواجد أنصار المهدي في السودان ووسط وغرب إفريقيا مع تقديم اقتراحات عملية تمكن الجيش البريطاني من محو آثار المهدية ومؤيديها من السودان وغرب ووسط إفريقيا . فتوجه صوب تشاد والسودان وإريتريا والمملكة العربية السعودية ومصر ثم ليبيا وجمهورية النيجر ثم نيجيريا ، فكتب تقريره الشامل وضمنه أماكن تواجد الأنصار والفلاني ، ومراكزهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية مع اقتراحات خطيرة أترجم منها الآتي :

أولا : السيد عبدالرحمن المهدي والذين يؤيدونه(١٨٩٥ - ١٩٥٨) والاتجاهات الإسلامية في كل أنحاء العالم ، رأينا أنه من الممكن إقناع الأنصار في السودان بالعدول عن منهج المهدي الثوري ، القتالي الدموي إلي منهج سلمي سياسي ، فاذا تم ذلك نكون قد نجحنا في تحويل الحركة من حركة فعالة إلي حركة سلبية مثلها مثل غيرها من الحركات الإسلامية السلبية.

ثانيا : ضرورة نقل المهدية بوصفها كيانا يشعر كل فرد بمسئولية مباشرة في قيادته ، إلي أسرة واحدة وهي أسرة السيد/ عبدالرحمن وإخوته ، لكي يسهل حصارها اقتصاديا وعقائديا وسياسيا ، فإذا ضعفت ضعف الكيان وانتهي .

ثالثا : ضرورة فرض حصار محكم علي القيادات الأنصارية لنحول دونها وتربية أبنائها تربية إسلامية يمكن أن تبعث روح المهدية مرة أخري ، وذلك بإرسالهم إلي بريطانيا بدلا من مناطق ذات نفوذ إسلامي ، لإعدادهم إعدادا مضطربا ومنقادا لبريطانيا لا ضدها .

رابعا : ضرورة السخاء المادي مع هذه الأسر لكي تعيش حياة منعمة مترفة فاسدة بعيدة عن واقع المؤيدين والأتباع ، لكي يحبوا الحياة ويكرهوا الموت الذي يطلقون عليه الاستشهاد في سبيل الله ، وقد نفذ التقرير بدقة متناهية في أسرة السيد عبدالرحمن المهدي والأسر الإسلامية والمناهج الإسلامية ذات التأثير الجماهيري العريض في السودان خاصة وفي إفريقيا عامة وتبعتها في ذلك فرنسا وألمانيا وأمريكا

ورأيت بارث (٦) الرحالة الأوربي الذي جاب غرب إفريقيا وخاصة نيجيريا لدراسة نقاط ضعف المسلمين هناك لاقتراح خطة للقضاء عليهم (٧) . ورايت ترمنقهام (٨) في كتابه الإسلام في غرب إفريقيا الذي شكك في كل عطاء قدمه المجاهدون في نيجيريا .

ورايت بالمر (٩) في كتابه : تراجم سير السودانيين ، الذي ترجم سير سكان و أعيان علماء غرب إفريقيا ، وبالذات منطقة برنو وماكتبوه عن مباديء وآراء تشكيكية في كل قدرات الذين كتبوا عنهم .

ورايت جونسون (١٠) الذي شكك في أهداف الشيخ عثمان بن فوديو بعد مدحه ومدح آرائه مركزا علي الأهداف الاقتصادية وجمع الرقيق - التي يراها - لدي أهداف دولة سكتو الإسلامية ليخلق خلافا بين قبيلة الهوسا والفلاني .

فأعدوا جيلا أكاديميا من المسلمين رفض الربط بين مايدرسون من عطاء الأسلاف (تراث) وأهداف الذين قدموا ذلك العطاء ، بحجة أنهم يدرسون العلم للعلم) أسوة بإخوانهم في الجامعات الأخري ، حتي صارت الدراسات مجرد حشو لعقل الطالب ليتخرج مضطربا لايعرف ماذا يراد منه سوي نيل الشهادة ليأكل وليعيش ، ثم ليموت وتموت أهداف أمته وهويتها وتاريخها ، فتصير أمة تلهث وراء الخير الذي يتوفر عند المستعمرين فينقادوا لهم ، فيكون مصيرهم خزيا في الدنيا وعذابا في الآخرة .

أما فيما يتعلق بالتربية الإسلامية التي حددت مفهومها بأنها (كل مادة تدرس تحت تصور إسلامي من أجل بناء الحضارة الإسلامية لإسعاد الإنسان والإنسانية في الدنيا والآخرة ، حتي ولو كانت المادة مادة لغة إنجليزية أو فرنسية أو غيرها وكل ماعداها فهي تربية ولكنها غير إسلامية حتي ولو كانت علوما إسلامية، إذ العبرة بنية وهدف دراسة المادة لا بالمادة ذاتها لذلك أطلقت علي كليات وشعب التربية غير الإسلامية شعب التردي والانحطاط والإرتباك ، لأنها تدرس الطالب أربع سنوات موادا تربوية ، فإذا تخرج لا يستطيع الإستفادة من دراسته حتي في خطة إعداد الدرس ، ذلك لأنها تربية مبنية علي نظريات (بيتر وجون) الغربية عن مجتمعه ، فخرجت كثيرا من المغلقين فأغلقوا بلدانهم أمام التقدم والاستثمار بمفهومه الشامل .

ولأجل كل هذا رأيت ضرورة المشاركة المتواضعة في إعادة توجيه التربية الإسلامية وإعادة توجيه خدمات الاستفادة من عطاء الأسلاف (التراث) لتكون عونا في إعادة بناء الأمة المسلمة وحضارتها العريقة من أجل الإنسان والإنسانية في بحث ارتضيت له عنواناً (جرائم الاختراقيين الثقافية في التراث والتربية الإسلامية).

التربية والتراث وأهدافهما :

استطيع أن ألخص أهداف التربية والتراث الذي أتيت به فيما سبق في التالي :

١- تعريف الإنسان بنفسه وعالمه ليعرف قدرته الإنسانية ، ويعرف العالم الذي يحيط به ، ويعرف حقوقه وواجباته وغاية وجوده وعلاقته بالعالم والحياة .

٢- تعريف الإنسان بربه تعريفا يقوم علي أساس الوعي والفهم السليم لإثارة العلاقة السليمة بين الإنسان وخالقه ، ولتكوين فهم إيماني أصيل يساهم في بناء شخصية الفرد منطلقا من تصور سليم للحياة الدنيا والآخرة .

٣- تربية مشاعر الحب والانسجام مع العالم عامة ، والمحيط الإنساني خاصة بعضهم ببعض عن طريق تنمية الحس الجمالي ، وتقويم الإحساس بمفهوم الخير والشر ، لتكوين موقف إنساني مؤثر من هاتين القيمتين ، وإمداد الفرد بوعي يجعله قادرا علي التعرف الإيجابي إزاءهما .

٤- إيجاد تفكير إيجابي منظم يوصله إلي الالتزام المنهجي في كل تفكير وعمل ،

٥- إعداد شخصية إنسانية متوازنة تتفاعل في إطارها كل عناصر الإنسان المادية والفكرية والروحية علي أساس من الوحدة والانسجام .

٦- تنمية وتوجيه طاقات الإنسان المختلفة تمهيدا لتوظيفها في مجال الخير والبناء واستثمارها لصالح الإنسانية .

٧ - غرس روح التفكير العلمي في نفس الإنسان وزرع حب العلم والشوق إلي تحصيله ، وتزويد الطفل الناشيء والشباب بالعلوم والمعارف والمهارات والخبرات اللازمة والرسول محمد (صلي الله عليه وسلم) يقول (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل) .

٨- إعداد الفرد للعيش في ظل الحياة الإسلامية والمساهمة في بناء هيكل المجتمع والحياة .

٩- الحفاظ علي تراث الأمة الإسلامية وماضيها المجيد ، بدراسة تاريخ الأمة وجمع تراثها والتعريف بأمجادها وحضارتها ودورها التاريخي بشكل نزيه وخال من التعصب والدس والتشويه الذي تعرض له التاريخ ، ولكشف وجه التاريخ الناصع للأجيال للاستفادة منه في الحاضر مع إلباسه ثوبا جديدا لبناء مستقبل ناصع ومشرف .

١٠- تنمية الروح القيادية في الأطفال والناشئة والشباب .

١١- تاكيد دور الأمة الإسلامية الرسالي ، وتوضيح مسئوليتها الحضارية الكبري في الحياة وإشعارهم بمسئوليتهم الإنسانية لإنقاذ البشرية وهدايتها إلي سبل الخير والسلام لتنشأ فيهم روح الاستقلال والأصالة العقائدية وينمو في نفوسهم النزوع إلي قيادة البشرية ودعوتها إلي رسالة الحق .

١٢- تنمية روح الأخوة الإسلامية وتاكيد الإخلاص للعقيدة والوطن الإسلامي الكبير .

١٣- تنمية حب القيادة وطاعتها ، وحب الشهادة ، وحب الإبداع والتجديد .

١٤- تعميق أسلوب الدعوة الانتقالي والمرحلي بمعني أن التدريس ينبغي أن يكون فيه الأجوبة علي الأسئلة الآتية : كيف ؟ ولماذا ؟ وماذا ؟ .

فمثلا غسل اليدين ، كيف تغسل ؟ تعني الكيفية ولماذا تغسل ؟ تعني الحكمة وراء الغسل ، وماذا ؟ يعني المستقبل الذي يرجي من غسل اليدين ، التربية التي اعتبرها الاستعماريون والاستغلاليون خطرا يهدد مصالحهم في أسيا وإفريقيا وحتي أوربا وأمريكا لذلك قررت اختراقها ثقافيا ، فقد فعلوا ، ولكن ... كيف ؟

الاختراق الثقافي :

أمثل الإسلام (كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها (١) يستظل تحت ظلها كل العالم الواسع الأطراف وتزداد كل عام بل كل يوم إخضراراً بسبب التعهد والرعاية التي بدأها آدم عليه السلام وواصلها الأنبياء والعلماء بمن فيهم نبي الله محمد صلي الله عليه وسلم ، وواصلها الصحابة والعلماء ورثة الأنبياء وسيظل إخضرارها ونموها إلي يوم القيامة .

وقد قرر أعداؤها اقتلاعها من جذورها فلم يستطيعوا لعمقها وأصالتها ، فقرروا قطعها بإعدام الأنبياء والمجددين وأتباعهم من العلماء ، فكان ذلك سببا في نموها إذ أن الشجرة تحتاج في نموها إلي ماء لريها ، ودماء الشهداء تنمّي شجرة المبدأ ، فقرروا حصارها متخذين وسيلة التعطيش لكي تموت الشجرة وجذورها ، فسلكوا لذلك عدة سبل ووسائل منها :

(١) تجميع قوي الشر من مترفين وجاهليين عقائديين متعصبين وحاقدين علي الشعوب لغرس روح الإلحاد بنشر المبادىء والأيدلوجيات غير الإسلامية ، وقد سلك هذا القسم عدة سبل للوصول إلي أغراضهم منها :

أ- الفصل بين العقيدة والسلوك عند المسلمين طبقا لمنهجهم المسيحي المنحرف عن المسيحية ذاتها والمتأثر بالوثنية الرومانية ووضعت مناهج تربوية تدرس التوحيد (العقيدة) بتلك الروح الانفصالية حتي صار كثير من المسلمين في العالم الإسلامي لا يقيم وزنا للدين ، تقليدا للغرب فيسب الدين بألفاظ يعف اللسان عن ذكرها ، ويري ذلك ظاهرا في السودان وكثير من البلاد العربية ويرجع سبب ذلك إلي ضعف العاطفة الدينية بين هذه المجتمعات .

ب - حصر ودراسة مادة العقيدة (التوحيد) في بعض البلاد الإسلامية في قضايا إنصرافية وغير أساسية وغير جوهرية مثل :

- بدعة الاحتفال بمولد الرسول (صلي الله عليه وسلم)

- بدعة زيارة القبور- وإطلاق كلمة بدعة بدون تحديد بقصد صرف المسلمين عن جوهر العقيدة الذي يعني الارتباط بالله استعدادا لبناء جيل مؤمن يثق بنفسه ويؤمن بجدوي رسالته ، ومحب لغيره من بني البشر ، ومدرك لحقيقة أعدائه ، كتوحيد إبراهيم ومحمد صلوات الله عليهما وسلامه .

وقد أدي هذا المنهج إلي أضرار رئيسية ثلاثة خطيرة علي مسيرة المسلمين وهي إبعاد الناس عن :

- حب القيادة بدءا بالرسل وانتهاء بالعلماء ورثة الأنبياء ليظل المسلمون كالقطيع بدون راع .
- حب الاستشهاد ، ليسهل القضاء علي قوة المسلمين وفدائيتهم الفعالة
- حب الإبداع والتجديد في كل شيء بما في ذلك صنع وسائل الدفاع والهجوم

ج- توحيد (وعقيدة) لاتبعد الإنسان المسلم عن التطلع لغير الله من سحرة وكهنة والذين يعبّدون لهم

طريق الاختراق والاستمرار فيما يفعلون من ظلم وقهر فتري - مثلا - المسلم يدرس عقيدة التوحيد ابتداء من المرحلة الإبتدائية إلي مستوي نيل درجة الدكتوراة بما في ذلك زعماء البلدان التي تسمي بالإسلامية ولاتراهم يخرجون عن دائرة الخضوع للسحرة والعرافين في صنع القرار السياسي ولحل مشاكلهم إذا كانوا ليسوا بحكام ، وإبقائهم في كراسي الحكم إذا كانوا حكاما . والأمثلة كثيرة في البلدان الإسلامية الإفريقية منها والآسيوية بين الشعوب وحكامهم ، الذين كانوا يعتمدون علي الكهانة والسحرة في صنع قرارهم السياسي والاقتصادي والعسكري والأمني ، وتبعهم في ذلك كبار رجال حكوماتهم المتعاقبين فأشاعوا الفوضي العقائدية والذل والهوان والفحش والظلم نتيجة لذلك المعتقد المدسوس علي المسلمين .

د- إخضاع مادة التوحيد وعلم الكلام إلي تصور المنهج المادي الذي يتعامل مع العالم الموجود بأسره تعاملا ماديا بمعني الإيمان بالملموس والمجرب فيما يتعلق بحقيقة الوجود ، ووجود الخالق ، ويري ذلك واضحا في نتيجة دراسة التوحيد في الثانويات والجامعات في العالم الإسلامي بما في ذلك الجامعات الإسلامية ، مما أدي إلي فتور في علاقات الدارس بخالقه وبدينه ، وكثيرا ما خرج بصاحبه إلي ساحة الإلحاد واللامبالاة بالإسلام (١٢) .

ففي عام ١٩٦١ رفعت شكوي إلي شيخ الديباني شيخ جامعة محمد بن علي السنوسي الإسلامية بليبيا مفادها أن كثيرا من زملائنا طلاب الجامعة يصطفون للطعام في الوقت الذي يخطب فيه إمام وخطيب صلاة الجمعة ، وذلك لكثرة نسبة الشيوعيين والقوميين والبعثيين بين طلاب الجامعة الإسلامية آنذاك ، فكان رد شيخ الجامعة (بأن الجامعة تعلم ولكنها لا تتحكم في سلوك الطلاب ولاتفرض عليهم سلوكا معينا) .

هـ - منهج توحيدي لايفصل بين الجاهلية الزمنية والجاهلية السلوكية ولايفرق بين دار الحرب ودار السلام بل العكس فهو يجعل من دار الحرب داراً للسلام ، حتي اختلط علي المسلمين كل شيء يتعلق بالعقيدة والحياة ، وذلك لأنهم يدرسون توحيدا إسلاميا في اسمه ونصرانيا منحرفا في جوهره .

(٢) إزالة القيادات الإسلامية وإحلال محلها قيادات علمانية علي رأس كل جهاز اجتماعي وسياسي واقتصادي وثقافي وتربوي ، وأحيانا ديني بقصد إفساد المجتمعات الإسلامية ، قيادات لاينطبق عليها أي شرط من شروط القيادات الإسلامية ، ولا حتي الشروط الرومانية الأفلاطونية التي حددت القيادة وعرفتها بأنها فيلسوفة أو أعدت علي أيدي الفلاسفة ، ولكنه لم يدقق علي الجانب الأخلاقي تاركا ذلك لاجتهادات الحكام .قيادات قادوا شعوبهم بمباديء غريبة عنهم مواصلة للعلمانية العالمية التي تقودها القوي المتجبرة الاستعمارية الشرقية منها والغربية ، فوضعوا مناهج لتدعيم الخط العلماني بكل حماس ودقة وقسوة ، وأحيانا عن طريق الحيل والمكر والخداع وأحيانا عن طريق الشعارات الجذابة البراقة كالحرية والديمقراطية والإرادة الإنسانية والعدالة الاشتراكية والتحرر الوطني والاستقلال الذاتي ، والتقدم ، وحقوق الإنسان ، والقومية ، شعارات غريبة عن المجتمعات المسلمة ، وحتي علي الذي استوردوها من الزعماء ، مستفيدين من جميع وسائل الإعلام ،فغرسها في ضعاف النفوس من شعوبهم ، ولم يكتفوا بوسائل الإعلام المرئية والمسموعة بل تجاوزوها لوضع المناهج التربوية للمدارس والجامعات ، والسؤال الذي يطرح نفسه : هل يفعل

هؤلاء القادقفي شعوبهم خيانة أو خطأ سياسيا و جهلا بما يخطط لهم في الخفاء ؟ والجواب أنهم يقومون بهذه الأعمال وينفذون مخططات أعدائهم في شعوبهم المقهورة لأسباب عديدة منها :

أ/ جهل كثير من القيادات بما يحاك ضدهم بواسطة بعض أعوانهم ومؤيديهم الذين ينضوون تحت قوي خفية تهدف دائما إلي زعزعة استقرار المنطقة والدولة ليصطادوا في الماء العكر .

ب- ثقافة كثير من القيادات الغربية أحيانا والشرقية غير الإسلامية، الثقافة التي عمقت فيهم روح الرفض المطلق لأي شيء إسلامي ، واعتباره ضارا سياسيا ونافعا روحيا ، فيزدرون كل من سولت له نفسه التحدث عن ضرورة الإحساس بآلام الجماهير التي تشمل المناداة بالدين المرتبط بالدولة ، فتقع بينهم مصادمات قد يكون سببها المباشر تلك القوي الخفية ، وتستمر المصايمات ، وتزداد الهوة بينهم ويستمر المسلسل ليستفيد منه أعداء المسلمين المستغلون .

ج- ضعف داخلي في كثير من القيادات بسبب مآخذ مسجلة أو مصورة غير أخلاقية أوقعتهم فيها تلك القوي الخفية لضمان استمرار طاعتهم لها .

د- قيادات مزروعة - وهي قليلة - من قبل قوي خفية (سرية) تحت أسماء مستعارة مثل كوهين الذي أطلقت عليه الموساد إسم كامل أمين ثابت وتعني : كامل في السامية، وأمين علي أسرار إسرائيل والصهيونية والماسونية ، وثابت علي مبادئ إسرائيل مهما كلفه ذلك من تضحيات ، وقد تم ترشيحه لرئاسة مجلس الوزراء السوري لولا إسرائيل التي منعته خشية انكشاف أمره قبل أن يكمل مهمته في ترسيخ قواعد أحزاب خفية وانتشار قيادة قومية بالإضافة إلي إنشاء منظمات فلسطينية أخري ، واستطاع تنفيذ ما أوكل له مستفيدا من الأموال الطائلة التي ترسلها له إسرائيل تحت غطاء شركته التي أسستها له في البرازيل ، واستمر في مهمته إلي أن اكتشف أمره نتيجة لخلاف بين مصر وسوريا عام ١٩٦٠ - ١٩٦٢م .

(٣) وضعوا مناهج تربوية ، وسياسية و اجتماعية واقتصادية ولغوية وصحية وعسكرية وروحية لتعميق الفلسفة الانفصالية لضرب المناهج الإسلامية التي لاتفصل بين الإسلام وأهدافه وبين المبادئ ووسائلها ، وضعوها بعد دراسات دقيقة واضعين في اعتبارهم أن الذين يراد تغريبهم أو تشريقهم هم أصلا مسلمون لن يتخلوا عن دينهم ، لذلك قرروا التنفيذ التدريجي الذي يبدأ بتحديد المبادئ الإسلامية وتفاصيلها استعدادا للفصل الدائم الذي ورد ذكره آنفا ، فمثلا الصلاة التي تهدف إلي إعداد أمة عملية ، فسلكوا في ذلك أسلوبين ، أسلوب يري فيه تشجيع المسلمين علي إقامة شعائر الصلاة المتمثلة في الركوع والسجود والأذان متظاهرين بعدم التدخل في شئون الدين الإسلامي والمسلمين وظهرت تجسيد سياستهم هذه في نيجيريا عندما احتلها الإنجليز عام ١٩٠٢ وقرر أمير سكتو الطاهر الهجرة من دار الكفر - كما أسماها - وخافت الحكومة البريطانية من نتائج الهجرة فتعهدت لمحمد البخاري وزير سكتو آنذاك بعدم التدخل في شئون المسلمين الدينية ، ويعنون بها الأركان الخمسة مسلوبة عن أهدافها ، فقبل الوزير البقاء في سكتو بينما رفض الأمير الطاهر قائلا : أي شئون يتحدثون عنها ؟ وأي دين ذاك الذي يفصل بين الشعائر والنظام السياسي ؟ أهو الإسلام أم المسيحية المحرفة ؟ (١٣) . أما فيما يخص المسجد فهم في الغالب لايتعرضون له تعرضا

مباشرا خوفا من إثارة مشاعر المسلمين الذين خضعوا للاستعمار خضوعا مشوبا بالحذر والحيطة ولكنهم استمروا في مخطط الفصل ، فقد فصلوا المسجد عن دوره الرسالي ، فجعلوه عبارة عن حجرة واحدة له مئذنة ينطلق منها الآذان المفرغ من أهدافه ليجتمع بعد قليل المصلون لإقامة شعائر الصلاة بخشوع وهدوء ثم يعودون إلي منازلهم وأماكن أعمالهم بدون أن تري أثرا روحيا ولا اجتماعيا ولا اقتصاديا ولاعسكريا علي حياتهم اليومية ، فقد صيروه - أي المسجد - أهم وسيلة إعلامية لتوصيل ماتريد الحكومة المستعمرة توصيله للجماهير المسلمة ، فمثلا يخطط الاختراقيون خطة معينة وفي دولة معينة غير الدولة التي يراد تنفيذ المخطط فيها ، ثم يمرر القرار أو الخطة إلي رئاسة الدولة الاسمية لتمرره إلي مصلحة الإفتاء لتمرره إلي الشئون الدينية للتنفيذ عن طريق المساجد والوعاظ والأئمة . فاستطاعوا - بذلك - اختراق أهم مؤسسة إسلامية مما أفقدها مكانها واحترامها في قلوب المسلمين ، فتعاملوا معها تعاملا شبيها بالكنيسة التي لايؤمها الناس إلا يوم الأحد بأعداد وفيرة إلا يوم الجمعة كعادة اجتماعية وتنافس اجتماعي لا أكثر ولا أقل

عزلوا المسجد عن دوره النشط فأدي ذلك إلي أن ينعزل عنه الشباب ، فمثلا وصلت بشاور الباكستانية عام ١٩٦٩م التي تعد من كبريات المدن الباكستانية ونزلت فى فندق رايل ولما حان وقت الصلاة خرجت إلي المسجد مسرعا ، وكان المسجد في وسط السوق ، وفي أثناء مروري رأيت الناس يجلسون أمام متاجرهم ، والشباب والشابات يتجولون في شوارع السوق في الوقت الذي كان يؤذن فيه الآذان ، فلما وصلت إلي المسجد كان عدد المصلين إثنين وخمسين تزيد أعمارهم عن الخمسين ماعدا شابا واحدا مختل العقل ، وعرفت ذلك من صيحاته التي كان يطلقها بين اللحظة والأخري باللغة الإنجليزية .

ويظهر هذا الفتور أيضا في تركيا التي تكتظ بالمساجد الشامخة في كل مكان ، مثل أيا صوفيا ومسجد السلطان سليم وغيرها ولكنها شبه مهجورة إلا صلوات الجمع ، وياليتها هجرت فقط بل شوهت ، فمثلا مسجد أحمد شمس باشا في استانبول الذي يقع علي شاطيء البحر الأسود الذي جعل منه السواح مكانا من أماكن راحتهم واستجمامهم عندما يتعبون من السباحة ، فيتسلقون علي الجدران شبه عراة إلا مايستر عوراتهم الغليظة ، كان هذا عام ١٩٦٩ وأرجو أن يكون الحال قد تغير .

أما مسجد أيا صوفيا الذي تحول إلي متحف يدر للحكومة دخلا ماديا وعائدا غنيا من السواح ، هكذا مسجد السلطان أحمد الذي لحقه مالحق أياصوفيا . وأما في كثير من مساجد العالم الإسلامي فقد أصبحت ملجأ للمتسولين وموطنا لانتقال الأمراض المعدية ، ويري ذلك ظاهرا في المسجد الجامع في دلهي القديمة ، ومساجد في إفريقيا وآسيا فشوهوا أهداف المسجد بدعم من أعدائهم ، فلا تري حرمة وحماسا للدفاع عن المساجد علي الرغم من أداء صلوات الجمع فيها ، يستمعون إلي ترديد الآية (إن الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر) وهكذا من التاثير الذي نخر عميقا في حياة وشعور المسلمين تجاه مساجدهم ومشاعرهم ، مما شجع اليهود علي احتلال المسجد الأقصي والعمل لتحويله إلي معبد يهودي .

ولم يكتف الاختراقيون بتلك الاختراقات التي أوردتها فقد عمدوا إلي وسيلة أخري وهي تشجيع الأندية وتهيئتها لتحل محل المساجد ، وذلك بجعلها قادرة علي امتصاص نشاط الشباب من سباحة ورماية وركوب

الخيل الذي أمر به الرسول صلي الله عليه وسلم المسلمين في قوله (صلي الله عليه وسلم) (علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل) ، ولكن تحت توجيه معاكس لتوجيه الرسول (صلي الله عليه وسلم) وقد فصلوا المسجد عن السياسة وحاصروه حتي في صورته الباهتة السلبية لضمان سير خطة الفصل ليلحقوه بالكنيسة ، وأقول ظاهرا لأن البابا في روما لم تمر حادثة سياسية أو عسكرية إلا وتدخل فيها ، كالقضايا في بولندا ، نيكاراغوا ، والأسري الأمريكيين في إيران ، وزيارته للدول الإفريقية وتمثيل الفاتيكان الدبلوماسي المتبادل مع كل القوي السياسية العالمية .

فلا يحق للمسلم في كثير من مساجد العالم الإسلامي التحدث في المسجد في أي أمر يهم المسلمين إلا بإذن من الجهات المختصة التي شكلت لضمان مخطط الفصل ، وإذا تجرأ المسلم وتحدث بدون إذن فسيكون مصيره الاعتقال والتحقيق المشين يجريه من لا دين له ولا رحمة ، وقد يكون مسيحيا أو وثنيا أو مسلما متفسخا ، فهجر الصالحون كثيرا من المساجدإلي من وعظهم الدهر من الشيوخ المسنين ووعاظ السلاطين .

والخلاصة فإن المسجد قد نال نصيبه من الغزو الثقافي والسياسي وأحيانا العسكري (١٥)

اللغة العربية والاختراق الثقافي :

أما فيما يخص اللغة العربية ذات الرباط الوثيق بالإسلام ، فقد نالت نصيبها من الاختراق ويظهر ذلك في

(١) محاولة إلغائها وإحلال لغات غربية ، لاتينية مكانها مثل محاولاتهم في الجزائر ونيجيريا وغيرها من البلدان الإسلامية التي خضعت للاحتلال ، إلا أنهم فشلوا في تحقيق إلغائها بسبب مقاومة العلماء وشيوخ الطرق الصوفية وأتباعهم للمخططات العدائية .

(٢) قرروا الإبقا ء عليها وعلي اللغات المحلية ولكنها تكتب بحروف لاتينية بدلا من العربية التي تكتب بالحروف العربية مثل تركيا ونيجيريا وباكستان ودول أخري مماثلة لها ، ولكنهم واجهوا نفس المعارضة والمعارضين من العلماء فأفشلوا مخططاتهم إلي حد ما .

(٣) ثم قرروا الإبقاء علي اللغة العربية وتشجيع دارسيها ومدارسها وكلياتها ، ولكن ضرورة فصلها من الدين تنفيذا لقرارات مؤتمر (اندبرج) الذي عقد في أوائل القرن العشرين التي تقول :-

أ- ضرورة إنشاء مدرسة تبشيرية مشتركة بين كل الفرق التبشيرية البروتستانتية وتقبل النساء والرجال.

ب- تعلم فيها اللغة العربية والدراسات الإسلامية والمواد الاجتماعية التي اقتبسها المبشرون المسيحيون من بلاد الشام .

ج- إنشاء مكتبة ضخمة تحتوي علي أمهات الكتب العربية ذات الصلة بالإسلام ومفاهيم الكتاب التي لاتختلف مع مخططهم .

د- تؤسس شعب لهذه المدرسة في شتي أنحاء العالم الغربي والشرقي ، بما في ذلك من شعب اللغة العربية في الجامعات الأمريكية والأوربية والإفريقية والآسيوية .

(٤) توفير منح دراسية للطلاب المسلمين في أوربا وأمريكا لدراسة اللغة العربية والدراسا ت الإسلامية علي جميع المستويات بما في ذلك نيل الدكتوراة ، استعدادا للهجمة الكبري علي المناهج التي سوف تسير

النشيء الإسلامي في ديار المسلمين المحكومة بغير الإسلام .

ووضعوا مناهج عربية في صورتها وعلمانية في أهدافها وحقيقتها ، وذلك باختيار أمثلة شعرية ماجنة وفاسقة تثير النعرة العصبية والشهوة الجنسية والشذوذ الجنسي ، جاعلين من أبي نواس والخيام وجميل بثينة مقياسا للأدب وكأن الأدب العربي لم يكن فيه أمثال حسان بن ثابت ، ولا يعني ذلك أني أرفض تدريس الجوانب الفنية والغنية في شعر الخيام وأبي نواس ، وإنما أرفض وأعارض أسلوب المناهج الموجهة التي تهدف إلي غرس روح المجون والاستهتار بالأخلاق والفساد المطلق ، وفصل اللغة العربية عن الدين ، فلو كان تدريس المنهج يوضح الجوانب الفنية والجمالية في التصوير وينقدها أخلاقيا ، لكان منهجا مرغوبا ومحبوبا لدي كل مسلم ، أما أن توضع المناهج مع مختارات ماجنة وتدرس بصورة ترغب الدارس في سلوك المدروس ، فهذا هو المرفوض ويستحق المعارضة الجادة والمنع البات . وقد أسس الاختراقيون معاهد عديدة في العالم الإسلامي والآسيوي والإفريقي الغربي والشرقي وأطلقوا عليها اسم معاهد اللغة لغير الناطقين بها التي عادة تضم طلابا تعلموا اللغة العربية ، حتي تخرجوا من الجامعات وهم في بلدانهم ، بدءا باللوح والدهليز (مجالس العلماء في منازلهم) ليفهموا دينهم ويطوروا مجتمعاتهم تطورا يحافظ علي المبادئ الإسلامية الحضارية بل وينشروها في العالم ، وقد وضعت مناهج علي أساس ضرب كل قديم له علاقة بالدين لبناء حديث ضد الدين متخذين وسائل حديثة تحتاج إلي عشرات السنين قبل أن تطبق في إفريقيا وآسيا غير العربية ، بالإضافة إلي المناهج التي تقوم علي أساس ضرب كل وسائل الوحدة بين اللغة والدين عند الطالب ، بمعني أنه علي الطالب التخلي عنها وإدانة كل الوسائل التي أهلته بالتحدث باللغة العربية بطلاقة واعتبار منهج المعهد الذي يدرسه له الصيني ، وغيره من الذين لا علاقة لهم باللغة العربية تحدثا ولا بالدين الإسلامي اعتقادا ومنهجا ، فماذا يستفيد المسلمون من هذا النوع من الخريجين إلا من رحم الله ؟ وبالعكس فالفائدة ترجع إلي الاختراقيين الذين نجحوا في فصل الدين عن اللغة بأموال المسلمين .

٥- غرس حب الدنيا والترف المادي والتقليد الأعمي لكل ما له صلة بالاقتصاد والدراسات الاقتصادية الرأسمالية والسياسية وأسسوا لها شعبا ومناهج خرجت من ساهموا في تدمير أو إعاقة تقدم بلدانهم ، وذلك لفصلهم بين الاقتصاد والدين ، ولو تساءل القارئ : لماذا تؤسس شعب الاقتصاد الرأسمالي واليساري في جامعات وكليات في بلدان مسلمة وشعب مسلم مع إبعاد الاقتصاد والمنهج الإسلامي ؟ فهي إما أسست لمواصلة خط الدول العلمانية الكبري لضمان سيرها في فلكها ، وإما أنها تهدف لتكوين قوي رأسمالية واسعة الانتشار وتمهيدا لبناء قوي عالمية جديدة رأسمالية كانت أو اشتراكية لتسيطر علي العالم كله .

التركيز علي إفساد المجتمعات :

وقد سلكوا أساليب عديدة وطرق شتي منها :

أ- تشجيع الاطلاع علي المجلات والصحف الخليعة بما في ذلك المجلات المدرسية الحائطية والمكتبات العامة والمدرسية .

ب- تشجيع مشاهدة وسماع الإذاعات المسموعة والمرئية بما في ذ لك الإذاعات المدرسية وإمدادها ببرامج

مفسدة وأشرطة مهلكة .

ج- تشجيع المسارح والسينمات المكشوفة والمختلطة بين الرجال والنساء في بعض البلدان وفي البعض الآخر فصلوا بينهما ولكن النتيجة واحدة هي علمنة عقلية الناشئة قصدا ، وهنالك دول عديدة أخري تقوم بتأسيس هذا النوع من المسارح تقليدا بدون معرفة أضرار مثل هذه المنشآت غير الموجهة ، وقد أوردت المجلة العربية للثقافة والعلوم ، التابعة لجامعة الدول العربية عدد مارس - سبتمبر ١٩٨٤ إحصائية للمسارح في البلاد العربية فاخترت منها السودان والمملكة العربية السعودية ، فإجمالي الفرق المسرحية غير المدرسية في المملكة العربية السعودية تبلغ أربع آلاف فرقة منها ألف فرقة في الرياض وحدها وثلاث آلاف فرقة خارج العاصمة ، وذلك عام ١٩٨٥م ، أما السودان فإجمالي الفرق اثنتان وعشرون فرقة فقط منها عشرة في العاصمة والباقي خارج العاصمة وذلك عام ١٩٨٥م ، ويا حبذا لو وجهت نحو البناء بدلا من ضياع الوقت فيما لا طائل تحته .

د- تشجيع خط المراسلة بين الجنسين .

هـ- سيطرة الفاسدين أخلاقيا علي دور الرياضة الموجهة نحو الشر والبلاجات المكشوفة .

و- حماية بيوتات الدعارة والترويج لها بما في ذلك المقامرة والمخامرة .

ز- تشجيع الملاهي والمراقص في كثير من دول العالم .

(٦) تشتيت كلمة المسلمين ووحدتهم وذلك بالفصل بين الحج وأهدافه التي ذكرتها سابقا وكان أسلوب الفصل ماكرا وذلك بتشجيع الناس لأداء فريضة الحج للغفران الذي لاينفع صاحبه إلا في الآخرة فتري المسلم يتجرد من دنيا الشيطان ويعود لها بعد انتهاء الحج وليربط نفسه بالله في مكة ، ويعود منفكا عنه سبحانه وتعالي في سلوكه ، ويزور مقام إبراهيم عليه السلام بدون نية العمل بما عمله إبراهيم ، ويسعي بين الصفا والمروة بدون هدف سوي الآخرة ولايريد أن يعرف فائدتها في الدنيا ، ويعلن الحرب علي الشيطان ليعود صديقا حميما له ، تشتيت وحدة المسلمين وتعميق الفرقة وذلك بالاعتماد علي الإختلافات السياسية القديمة كالخلافات السياسية بين الشيعة والسنة ، وتصويرها وكأنها خلافات عقائدية أصلية غير خلافات علم الكلام ، ونشر كتب عديدة وتوزيع أفلام تلفزيونية وأشرطة إذاعية ومناهج تربوية ، وتدعيم ذلك الخط بتأييد من عدد كبير من العلماء ذوي الإتجاهات الواحدة في الإطلاع ، فاستفاد الاختراقيون من هذا النوع من الفراغ ، فزادوهم هوي علي هواهم ، معتمدين علي حديث رسول الله (ستتفرق أمتي في آخر الزمان .. علي اثنتين وسبعين أو ثلاث وسبعين فرقة .. (فاشاعوا فكرة استحالة الوحدة بين المسلمين ومتجاهلين نصا قرآنيا (واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا)(١٦) تحريفا للكلم عن مواضعه ، فالحديث يعني الفرق التي تختلف عن أصل الإسلام ، كالتوحيد ، ووحدة القرآن وخاتمية رسوله محمد (صلي الله عليه وسلم) والحديث لايعني أبدا الفرق بين الشيعة والإمامية والزيدية أو بين السنة أو الشيعة أو الصوفي الملتزم بخط الرسول صلي الله عليه وسلم بمعني الإحسان ، والسلفي الملتزم بخط الرسول وأصحابه ، ولابين المالكي والحنفي ، وذلك لأن الرسول قد أرسل إلي الناس كافة (وأرسلت إلي الناس كافة) وأرسلت إلي

الناس رسولا ..) بمن فيهم المسيحي واليهودي والأحمدي والبهائي والشيوعي الملتزم بعقيدة الشيوعية وغيرهم من الفرق التي تلتزم بخط الشيطان ونص اتفاقية الرسول صلي الله عليه وسلم واليهود في المدينة واضح ، فهي تقول (أن اليهود والمسلمين امة واحدة) بمعني أنهم تحت قيادة واحدة إلي أن يعمهم الإسلام ، ولم يكتف الاختراقيون بهذا بل استفادوا من تقسيم الشيخ محمد بن علي السنوسي فقسموا واقع العالم الإسلامي اليوم إلي خمسة عناصر ليسهل فهمها لضربها والعناصر هي :

١/ الطرق الصوفية وتعددها والخلافات بينها

٢/ المناهج الإصلاحية وتعددها والخلافات بينها

٣/ الاختلافات بين المناهج الإصلاحية والطرق الصوفية

٤/ الخلافات بين السنة والشيعة

٥/ جماعات الأفكار العلمانية والاختلافات بين الشرق والغرب وأثرها علي الجماعات

٦/ جماعات النزاع العصبية ذات الطابع الجاهلي الذين يشتركون مع الجماعات الصوفية والمناهج الإصلاحية المهادنة المطربة وغير المطربة وتارة أخري مع جماعات الأفكار العلمانية المذهبية ، لتوحيد جماعات النزعات العصبية والأفكار العلمانية لتوسيع الهوة بين الطرق الصوفية والإصلاحية بمن فيهم الشيعة بقصد الحفاظ علي ضعف العالم الإسلامي ليسهل استغلالهم .

٧/ تشويه التراث للفصل بين القيادات الإسلامية وجماهيرهم فقد نشط الإنجليز والفرنسيون وغيرهم من المستعمرين في الفصل بين مباديء القيادات الإسلامية الراحلة و التي مازالت علي قيد الحياة وبين أهدافها لمنع عودتها مرة أخري وقد سلكوا في ذلك عدة سبل منها : الهجوم علي شخصياتهم بقصد الإساءة لهم ليبعدوا مؤيديهم عنهم ، وسنأخذ نيجيريا مثالاً للعالم الإسلامي وألخص آراهم في الاتجاهات الآتية :

الاتجاه الأول : يقوده كلابارتون (١٧) ومن سار علي دربه أمثال يوجوكوما أياقوري وونجت باشا ، وموري لست (١٨) ويقول هذا الإتجاه ،: (بأن الجهاد في سكتو كان يهدف إلي سيادة الفلاني علي قبائل الهوسا) لتجريد أهداف الجهاد من مقاصده الإسلامية ، وخلق روح الكراهية بين الفلاني والهوسا ، وهذا الاتجاه اتجاه أكاديمي رسالي كنسي ويهودي .

الاتجاه الثاني : يقوده ترمنقهام ومن سار في دربه يقول الاتجاه(إن الجهاد كان مجرد رد فعل فلاني ضد حكم الهوسا بسبب ما عانوه من بطش وظلم وإهانة عقب سقوط دولتي مالي وصنغي الإسلاميتين (١٩) وشاركهم في ذلك جونسون وأدلي اليرباتي (Adeleyi) النيجيري وبارث (٢٠) الذي زاد عليهم بوصفه للفلاني بأنهم قوم أجانب ، وهذا الاتجاه كنسي يهودي واستعماري .

الاتجاه الثالث : ويقوده هسكت ومحمد الدريج الكمروني وأياقوري (٢١): : يقول هذا الاتجاه إن الجهاد كان لأسباب اقتصادية ، ويشاركهم في ذلك الكثيرون وزاد عليهم هسكت بقوله :(إن الجهاد كان يهدف إلي تملك الرق) وألخص أهداف الاتجاهات الثلاثة في التالي :

تهدف هذه الاتجاهات لضرب الماضي لإضعاف الحاضر والمستقبل ، وأدت هذه الاتجاهات العنيفة إلي

نتائج عكسية فقد دفعت المسلمين إلي الالتزام والتشوق لمبادىء قيادتهم ، فاضطر الغزاة إلي تغيير أسلوبهم ذي الطابع التشهيري إلي أسلوب هادىء ولكنه يجرد أهداف جهاد المصلحين من محتواه السامي الرسالي إلي مجرد رد فعل : الأسلوب الذي زاد المسلمين تمسكا بدينهم وبقيادتهم ، فقرروا التظاهر بحب المسلمين وقياداتهم ، بأسلوب ماكر يقوده هسكت وغيره لعلهم يجدوا منفذا لقلوب الدارسين والباحثين المسلمين ، ولكن في هذه المرة مزجوا تشهيرهم بشيء من المدح المشوب بالذم ، مما زاد المسلمين أيضا - حبا وتمسكا بخط قياداتهم ، مما أضطر هم إلي إعداد مسلمين باحثين علي أن يحصروا دورهم في الإكثار من مدح المجاهدين مع فصل الدارس المادح عن أهداف الممدوح الرسالية ، بحجة (الأكاديمية) الصرفة أو بمعني آخر) (العلم للعلم) وليس العلم للرسالة ويقود هذه المجموعة عدد من الأساتذة المسلمين ، واستمروا في دورهم إلي أن ظهر اتجاه أكاديمي رسالي إسلامي ، وهو الإتجاه الذي كان غائبا عن الساحة ، والذي يهدف إلي إبراز مناهج المصلحين وكتاباتهم وأفكارهم ، بأنها أفكار قادت إلي حل مشاكل الإنسان في الوقت الحاضر وعلي الدارس والباحث العمل لإحيائها ، بقصد بناء دولة إسلامية مصغرة بوصفها وسيلة لبناء الخلافة الإسلامية الكبري ، ويقود هذا المنهج العديد من المخلصين ومعهم الرساليون في العالم .

وفي الختام : أورد الحقائق التالية :

١- أن الإسلام باق وثابت ، أنزله الله ليوجه الإنسان عبر التاريخ نحو الخير والصلاح ولن تستطيع أي قوة مهما كانت قوتها زعزعته ، وإذا مانجحت القوي فإنه سيكون نجاحا جزئيا ووقتيا بسببه ضعف إيمان المسلمين وتقاعس العلماء عن دورهم القيادي وسيأتي اليوم الذي سينهضون فيه بهذا الدور وتختفي الرؤوس العميلة والجاهلة والمتخبطة إلي الأبد .

٢- أن المناهج العلمانية التي وضعوها لإفساد المجتمعات المسلمة ، قد بدأت ترتد عليهم وفي عقر دورهم ، فظهرت المساجد والمظاهر الإسلامية حتي في مدارسهم الأوربية والأنشطة الإسلامية بقوة تفوق قوة أداء المسلمين في البلدان الإسلامية ولكن الاختراقيون لن يسكتوا .

٣- أن العلماء الضالين والمناهج التي دعموها لتفرق المسلمين لم تنجح بل زادت المسلمين تمسكا علي الرغم من الأموال الطائلة التي صرفوها ومايزالون يصرفونها والمستقبل للإسلام .

ودعما للمسيرة أقترح الآتي :

١- علي العلماء المسلمين المخلصين تخطيط مناهج تهدف إلي تبصير المسلمين بحقائق دينهم وخطط أعدائهم الخفية منها والظاهرة دراسة دقيقة لإفشالها.

٢- علي الجامعات تبيين أسلوب الدراسات الرسالية الموجهة نحو إعادة بناء الأمة الإسلامية ،بمعني أن تكون كل الدراسات علي الخصوص الدراسات العليا موجهة نحو إحياء التراث وعلمائه ليساعد الأجيال القادمة والحاضرة في بناء حاضر قوي.

٣- ضرورة إلغاء فلسفة التربية الاستعمارية التي وضعت تحت تصور (تعلم لذاتك ولا تبالي بالآخرين) واعتماد فلسفة التربية الإسلامية تحت تصور (تعلم لرسالتك الإسلامية من أجل الإنسان والإنسانية) .

٤ - ضرورة الاهتمام بإنشاء مراكز لنشر عطاء الأسلاف من مخطوطات وآراء و آثار في كل الجامعات تسهيلا للباحثين ، من أجل العودة بالدارسين لجذورهم ومناهج قيادتهم المخلصة المؤمنة .

المراجع :

١- Murry last : Sokoto Caliphate , Ph. D. Thesis . ABU . 1969

٢- C.C . Stewart : Diplomatic Relation in early nineteeth century west African in Y. Usman . P. 405

٣- John Padan : Religion and political culture in Kano , Berkely , 1973

٤- Hiskelt : The sword of Truth.

٥- G. L. Lethem an Tomlison : on A Jounery from Borno , Nigeria to Anglo - Egyptian , Jedda , Cairo: History of Islamic political propaganda in Nigeria , Water loo , London 1927

٦- الطيب عبدالرحيم محمد : نيجيريا في ألف سنة - تحت الطبع وكذلك
Journal of a second expedition into interior of Africa , London , Frank cass and co. ١٩٦٦

٧- والاستعمار بمفهومه الشامل ولأجل هذا رأيت ضرورة المشاركة بهذا الموضوع لإعادة توجيه الأمة وإعادة الاستفادة من عطاء الأسلاف (التراث) ليكون عونا لأبناء الأمة الإسلامية وحضارتها العريقة من أجل الإنسانية والإنسان .
فماذا أعني بالتربية والتراث - وكيف فعل فيه الاختراقيون .

٨- S. J . Trimingham : A history of Islam in west Africa , Oxford university press , ١٩٩٣

٩- Palmer the Sudanese memoirs

١٠- H. S. Johnson : The Fulanu Empire in sokoro , London

١١- ابراهيم ، ٢٤ - ٢٥

١٢- الطيب عبدالرحيم محمد : أنصار السودان بين مطرقة العلمانية ونور المهدية ، مطبعة البيان - عابدين القاهرة ١٩٩٣م

١٣- مخطوطات جامعة بايرو - ومكتبة أبوبكر الطاهر ، مايرنو - سنار والوزير جنيد ، وزير سكتو وهي مخطوطة كتبها الوزير محمد البخاري للسلطان الطاهر مي ورنو محاولة منه لإقناعه بعدم جدوي الهجرة ، ورد عليه السلطان الطاهر.

١٤- ومنهم جون بيدان وهسكت مديراء المدرسة العربية كنو School of Arabic . Studies S.S.A. S Kano

١٥- الطيب عبدالرحيم محمد : جوانب سياسية ومادية في الصلاة الإسلامية ، رسالة ماجستير جامعة أحمد بيلو نيجيريا ، ١٩٨١م

١٦- النساء : ٩٧:

١٧- Claparton : Jounery of 2nd, expedition

١٨- M. Last Sokoto caliphate

١٩- Adeleye : Power and diplomacy , Ibadan

٢٠- Barth : Travels and disccoveries in Northern and central Africa (iii)

٢١- محمد الدريج : المؤرخ الكمروني وأياقوري : ورقة قدمها في مؤتمر سكتو عام ١٩٧٥م

دور الإرساليات في نشأة وتطور تقاليد البحث في اللغات الإفريقية

د. الأمين أبومنقة *

لقد ارتبط تاريخ نشأة وتطور تقاليد البحث في اللغات الإفريقية بالنشاط الكنسي الذي كان واحدا من أهم أسباب تغلغل الأوربيين في القارة الإفريقية (١) ، فما إن تمكن البرتغاليون في عام ١٤٨٨ من فتح الطريق إلي جزر الهند الشرقية عبر رأس الرجاء الصالح حتي شمرت الكنيسة عن ساعدها لكسب أراض جديدة للديانة المسيحية وإيصال كلمة الإنجيل إلي وجدان الشعوب الإفريقية عبر لغاتها المحلية ، هذا ولاسيما أنه قد قيل إنه قد أوحي للسيد المسيح (أن ينشر الإنجيل بجميع لغات الدنيا) ، وقد أسهمت في حركة التنصير هذه ، وبالتالي إرساء قواعد الدراسات اللغوية المرتبطة بها كل الدول الأوربية الحديثة حكومات ومؤسسات كنسية ومؤسسات أكاديمية ، وكل دولة بما اتفق مع قوتها السياسية والاقتصادية في أية حقبة من الزمن وحسب مكان الكنيسة من موقع اتخاذ القرار فيها في تلك الحقبة . وأهم هذه الدول حسب الترتيب الزمني : البرتغال ، وإسبانيا ، وإيطاليا ، وفرنسا ، وانجلترا ، وألمانيا (٢) ، وأمريكا .

وسنحاول في هذا المقال تتبع تاريخ نشأة وتطور الدراسات العلمية للغات الإفريقية عبر القرون (من القرن السابع عشر حتي بداية القرن العشرين) في البقاع المختلفة من القارة الإفريقية ، والتي بدأت بهدف خدمة الأغراض التنصيرية المتمثلة في ترجمة الكتاب المقدس وأدبيات الديانة المسيحية إلي هذه اللغات ، وقبيل نهاية المقال سوف نتطرق بإيجاز إلي مكان اللغات الإفريقية في حركة الدعوة الإسلامية ونوضح كيف ولماذا اختلف تعامل كل من المسيحية والإسلام مع هذه اللغات .

القرن السابع عشر :

يعتبر البرتغاليون أول الشعوب الأوربية التي بدأت تسجيل اللغات الإفريقية ، ويرجع اتصالهم بهذه اللغات إلي رحلات بحثهم الشهيرة عن طريق جزر الهند الشرقية عبر رأس الرجاء الصالح ، كما أسلفنا ، ففي عام ١٥٠٦ ظهرت في لشبونة أول قائمة لألفاظ وعبارات لغة إفريقية ، وهي لغة كرانغا (لغة بانتوية) (٣) . وفي عام ١٥٢٣ ظهرت قائمة أخري مشابهة ولكن هذه المرة من لغة توي المتحدثة في غانا الحالية ، وقبل نهاية القرن السادس عشر قام أحد علماء الرياضيات الايطاليين ويدعي فيليبينو بقافيتي بكتابة تقرير باللغة

---

* جامعة الخرطوم معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية

الايطالية حول مملكة الكنغو مستفيدا من مادة أمده بها البرتغالي ادوارد لوبيز الذي أبحر إلي لواندا في عام ١٥٨٧ . وقد احتوي هذا التقرير علي عدد من الكلمات والعبارات بلغة الكنغو (٤) .

لقد لوحظ عند تتبع تاريخ دراسات اللغات الإفريقية أن هذه الدراسات كانت تتوسع كالدوائر المنداحة ، إذ ما يكتشف حقل من حقولها إلا وصار نقطة جذب للآخرين يتوسعون فيه قبل الانتقال إلي غيره ، فقد ترتب علي البدء بلغة الكنغو أن أصبحت ما عرف فيما بعد بـ (اللغات البانتوية) المنتشرة من حوض الكنغو حتي رأس الرجاء الصالح ، أصبحت اليوم أكثر المجموعات اللغوية حظا في الدراسة والتطور في مجال التدوين والنشر ، تمثلها اللغة السواحيلية في شرق إفريقيا والزلو في جنوب إفريقيا .

وبعد ثلاثين عاما تقريبا من تقرير بقافيتي ، أي في عام ١٦٢٤ قام اثنان من القساوسة البرتغاليين ، وهما ماركوس جورقي واقناكيو مارتينز ، بإعداد مؤلف بعنوان (مبادىء الديانة المسيحية) قوامه ١٣٤ صفحة رتب في شكل أسئلة وأجوبة باللغة البرتغالية تقابلها ترجمة بلغة الكنغو (٥) ، ثم توالت الإصدارات حول لغات هذه المنطقة حيث أصدر قسيسان برتغاليان آخران كتابا شبيها لـ (مبادىء الديانة المسيحية) ، هذه المرة بلغة (ندونقو) مع ترجمة مقابلة باللغة البرتغالية . وفي الطبعة الثانية لهذا الكتاب أضيفت ترجمة باللغة اللاتينية (روما ١٦٦١). وفي الفترة من ١٦٤٣ - ١٦٦٠ ظهر عدد من القواميس متعددة اللغات تمثل فيها لغة الكنغو رأس الرمح ، منها : قاموس كنغولي - إسباني ، وآخر ثلاثي اللغات لاتيني - إسباني - كنغولي ، وآخر رباعي اللغات ايطالي - لاتيني - اسباني - كنغولي ، علي أن مؤلف القس الايطالي قياكنتو بروسكيتو الذي ظهر في روما عام ١٦٥٩ في قواعد اللغة الكنغولية يعتبر أرقي الأعمال في مجال دراسة اللغات الإفريقية حتي ذلك الوقت ، وذلك ليس فقط لأنه الأول من نوعه بل إضافة إلي ذلك فإن توصيف الكاتب لظاهرة أنظمة المجموعات الإسمية والتوافقية Noun class and concordial systems التي تتميز بها كلها اللغات البانتوية كان من الدقة بحيث ظل مكان إعجاب اللغويين الأوربيين إلي اليوم ، مما جعل العالم اللغوي م . س دوك يصف النصف الثاني من القرن السابع عشر بـ (حقبة بروسكيتو) (٦) .

رغم أن منطقة حوض منطقة حوض الكنغو قد نالت قصب السبق في البحوث اللغوية فإن حركة البحث اللغوي لم تكن منحصرة فيها وحدها ، بل هناك منطقة أخري جذبت انتباه الباحثين أيضا ، وهي منطقة بلاد النوبة والقرن الإفريقي ، إن البحث المبكر في لغات هذه المنطقة يعود إلي عاملين هامين : موضع بلاد النوبة بوصفه امتدادا تاريخيا للحضارات الفرعونية ، وبالتالي اندراجها ضمن الدراسات المصرية القديمة من ناحية ، وقيام الممالك المسيحية منذ وقت مبكر فيها وفي بلاد الحبشة من ناحية أخري .

من أقدم الأعمال المدونة حول لغات هذه المنطقة (قاموس اثيوبي - لاتيني) ظهر في روما عام ١٦٣٨ لمؤلفه ومرز ، وتبعه كتاب هيوب لودولف (قاموس اثيوبي - لاتيني) (١٦٦١) و (قواعد اللغة الأمهرية) (الجعزية) (١٦٩٨) ، وكلاهما نشرا في فرانكفورت ، أما في مجال اللغات النوبية فقد قام القس الإيطالي أركانغليو كراتوري دي بستويا في عام ١٦٥٠ بإعداد قاموس ايطالي- نوبي (لهجة الكنوز) قوامه ٤٢ صفحة احتوي علي أكثر من سبع الآف كلمة وعبارة .

القرن الثامن عشر :

اتصف القرن الثامن عشر بالخمول فيما يتصل بحركة البحث اللغوي في أوربا بصورة عامة وفي إفريقيا بصفة خاصة ، ففي مجال اللغات الإفريقية لانجد من إنجازات هذا القرن ما يستحق الذكر سوي عملا واحدا ، وحتي هذا العمل لم ينجز في القارة الإفريقية بل في جزر الهند الغربية ، ويأتي ذكره هنا لأن مادة الكتاب الناتج عنه جمعت من الرقيق الإفريقيين هناك ،

والكتاب بعنوان (تاريخ الإرسالية التبشيرية بجزر الهند الغربية) باللغة الالمانية قام فيه كاتبه ج . س اولديندروف بترجمة عبارة (لقد أحبنا المسيح وغسل ذنوبنا بدمه) إلي أربع وعشرين من لغات غرب إفريقيا (٧) .

لم تنتعش حركة البحث اللغوي في أوربا إلا خلال العقد الثامن من القرن وذلك عندما تم اكتشاف العلاقة الرحمية التي تربط بين اللغة السنسكريتية (الهندية القديمة) واللغات الأوربية ، وبذلك ظهر منهج علم اللغة التاريخي المقارن واستخدم للمرة الأولي في إعادة تركيب أسرة اللغات الهندو - أوربية وفي تصنيف الأسر اللغوية الأخري المتفرّعة عنها ، وقد انعكس هذا الحدث العلمي الهام علي مسار البحث اللغوي في إفريقيا ، إذ نجد أن معظم أعمال القرن التالي في اللغات الإفريقية ، وبالأخص في الجزء الجنوبي من القارة كانت ذات طابع تصنيفي ، كما سنري لاحقا .

وعلي أي حال ، وباستثناء الكتاب المذكور أعلاه ، فكل ماتم إنجازه في مجال البحث اللغوي في إفريقيا خلال هذا القرن قام به مبشرون ولغويون فرنسيون في لغات سبق أن تناولها البرتغاليون والايطاليون ، وجلها تنتمي إلي مايعرف بـ (اللغات البانتوية) .

القرن التاسع عشر :

إذا كان جل - لا كل - الأعمال اللغوية في إفريقيا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت من إنجاز الكنيسة الكاثوليكية وتم طبعها إما في لشبونة أو في روما ، فإن القرن التاسع عشر كان قرنا للكنيسة البروتستانتية ، منطلقة من لندن حيث تزامنت نهضتها مع العصر الذهبي للامبراطورية التي لاتغيب عنها الشمس .

محور جنوب إفريقيا :

شهد النصف الأول من القرن التاسع عشر نشاطا مكثفا في حركة البحث في اللغات التي عرفت فيما بعد بـ (اللغات البانتوية) وجاراتها من اللغات الكويسانية (الهوتينتوت والبشمان) كما تحول مركز البحث جغرافيا من حوض الكنغو إلي إقليم جنوب إفريقيا ، وقدأسهم المبشرون من أمثال وليم بويس وابليارد وكلارك التابعون للإرساليات البريطانية كثيرا في تطوير البحوث في لغات الزلو والخوسا (وردتا أولا باسم لغة الكافر (والهتينتوت ، ومعظم أعمالهم كانت في وصف قواعد هذه اللغات ومحاولة الاهتداء إلي الروابط الرحمية بين البعض منها ثم التفريق بينها وبين المجموعات اللغوية الأخري المخالفة لها ، الأمر الذي مهد

الطريق للأعمال المتصلة بتصنيف اللغات الإفريقية علي شاكلة ما تم إنجازه في مجال اللغات الأوربية ، وما إن انقضي النصف الأول من هذا القرن حتي بدأت الخطوط العريضة لملامح المجموعات اللغوية المختلفة السائدة في تلك المنطقة في الوضوح ، وهذا هو الحال عندما وصل عالم اللغة الالماني د. وليام هاينرش بليك إلي جنوب إفريقيا قادما من لندن للعمل في إرسالية ناتال في عام ١٨٥٥ (٨) وخلال إقامته بناتال وبحكم تاهيله العالي في اللسانيات تمكن بليك من إعداد أشمل مؤلف في لغات تلك المنطقة متمثلا في كتابه (النحو المقارن للغات جنوب إفريقيا) ظهر فيه للمرة الأولي مصطلح (بانتو) الذي استخدمه للإشارة إلي تلك الأسرة من اللغات التي تعتبر فيها لغة الكافر (الزلو أو الخوسا) أكثر أصالة من غيرها ، وبالتالي أهم عضو يمكن الرجوع إليه للأغراض الفلولوجية (٩) . علي أن الباحث اللغوي الألماني كارل ماينهوف - متخصص أيضا في علوم اللاهوت - هو أول من طبق المنهج التاريخي المقارن في دراسة اللغات الإفريقية ، حيث قام في الفترة من ١٨٩١ - ١٨٩٩ بإعادة بناء (أو تركيب) ما أسماه بـ (البانتوية الأولي (Ur-Bantu) (١٠) وهي هيئة اللغة التي يفترض أن تكون قد تفرعت منها كل اللغات البانتوية ، وقد استندت دراسته هذه علي مواد لغوية لعدد من اللغات جمعها المبشرون العاملون في منطقة جنوب إفريقيا .

تجدر الإشارة إلي أن كل هذه الأنشطة البحثية والدراسات اللغوية التي تبدو ذات طبيعة أكاديمية كان يصاحبها - بل أحيانا يتقدمها - ترجمة للإنجيل إلي اللغات موضوع هذه الدراسات .

محور ساحل غرب إفريقيا :

يرتبط نشأة وتطور الدراسات اللغوية علي ساحل غرب إفريقيا بحدث تاريخي معين ، وهو تأسيس مستوطنة سيراليون في عام ١٧٨٧ لإعادة توطين الرقيق المحررين العائدين من الأمريكتين أو أولئك الذين كانوا ينقذون من أعالي البحار قبل وصولهم إلي هناك (١١) . وقد وجدت الكنيسة في هذه المستوطنة فرصة طيبة للعمل التبشيري ، حيث توافر لها عنصر بشري مغلوب علي أمره ومقتلع تماما من جذوره الثقافية والعقائدية ، ويتوافر بها كذلك حقل بكر خصب للدراسات اللغوية نظرا للتباين العرقي واللغوي الذي يتصف به هؤلاء العائدون .

أهم المنظمات التي تولت أمر النشاط التبشيري في هذه المنطقة خلال حقبة القرن التاسع كلها (جمعية التبشير الكنسية) (Church Missionary Society (CMS التي كانت ولاتزال - تتخذ من لندن مقرا لها ، ويبدو أن هذه الجمعية كانت تعمل بالتنسيق مع بقية الجمعيات ذات الأهداف المشابهة في كل اوربا ، وأنها كانت تتلقي دعما سخيا من حكومة صاحبة الجلالة وعدد من الحكومات الأوربية الأخري ، وينعكس هذا في إمكاناتها المادية الهائلة ومقدرتها علي استقطاب أكفأ العلماء في مجال أنشطتها ، ليس فقط من بريطانيا بل من كل ركن في أوربا ، وبالأخص ألمانيا ، لقد لوحظ في الواقع أن معظم المبشرين من علماء اللغة الذين تولوا رئاسة الإرسالية الرئيسية في فريتاون كانوا من الألمان .

وفي العقد الأخير من القرن الثامن عشر أوصي القس ملفل هورن Melville Home في تقرير له

بضرورة تعلم المبشرين للغات المحلية السائدة علي سواحل سيراليون والبلاد المجاورة لها ، ومما دعاه إلي تبني هذا الفكرة عدم إحرازه لأي نجاح تبشيري يذكر وسط غير الناطقين باللغة الانجليزية ، وعلي ضوء ذلك التقرير قام أحد حكام فريتاون ويدعي زخري مكولي Zachary Macauly في عام ١٧٩٦م بفتح محطات علي امتداد الساحل يتعلم فيها المبشرون لغات تلك المنطقة ، وكان أهمها لغات صوصو وبولوم وتمني وفاي (١٢) .

وأول بعثة لجمعية التبشير الكنسية إلي ساحل غرب إفريقيا كانت في عام ١٨٠٦ وموجهة إلي بلاد صوصو إلا أن كل أفرادها لقوا حتفهم لأسباب صحية ، وفي عام ١٨١٢ قامت الجمعية بإرسال بعثة أخري إلي بلاد بولوم كان علي رأسها القس ج. ر نيلاندا التي ظل يعمل هناك إلي أن قضي نحبه ، وقد نجح قبل وفاته في ترجمة الانجيل إلي لغة بولوم ، ثم تلاه في الحقل القس ج . ريان، ولكن نتيجة لمرضه المستمر لم يتمكن من إنجاز أي شيء يستحق الذكر سوي أن أوصي بجمع ألفاظ من مختلف لغات المنطقة ،وهذا بالفعل ما قامت به السيدة / هنا كيلهام ، حيث صدر لها في عام ١٨٢٨ كتاب بعنوان (نماذج من اللغات الإفريقية المتحدثة في مستعمرة فريتاون) جمعتها بالطبع من الرقيق المحررين ، ومادة الكتاب عبارة عن أعداد (أرقام) وحوالي ستين عبارة من ثلاثين لغة .

في خطوة نحو تطوير نشاطها الكنسي وتوسيعه في غرب إفريقيا قامت جمعية التبشير الكنسية في أوائل الأربعينات بتجهيز ماعرف بـ (حملة النيجر الملكية) ، وأناطت بها مهمة دفع عجل cms العمل التبشيري والتقدم به من الساحل إلي الداخل ، وكان علي رأس هذه الحملة القس الألماني ف . ج شون . وما إن وصل شون إلي مقر عمله في سيراليون حت تولي إدارة (معهد فورابي لعلوم اللاهوت) بفريتاون حيث ركز جهوده في دراسة اللغات النيجيرية الكبري (هوسا ، أيبو ، نوبي) ، حسب استراتيجية القائمين بأمر جمعية التبشير الكنسية ، واضعين منطقة نيجيريا الحالية باعتبارها أكثر مناطق غرب إفريقيا كثافة بالسكان ووفرة في الخيرات ، نصب أعينهم ، وربما لم يكن ذلك للأغراض التنصيرية فقط بل والاستعمارية معا ، ويعتبر شون مؤسسا للدراسات الهوسية وفق المناهج الأوربية السائدة في ذلك العهد ، إذ تمكن قبل مغادرته للمنطقة من ترجمة جزء كبير من الإنجيل إلي هذه اللغة كما قام فيما بعد بنشر نصوص (قصص وأحاج) فيها .

وفي هذه الأثناء برز لأول مرة في مجال العمل اللغوي – التنصيري شاب إفريقي من قبيلة اليوربا كان من بين الرقيق المحررين عمل مخبرا بحثيا في لغته الأم للسيدة / هنا كيلهام أثناء إعدادها لكتابها المشار إليه آنفا ، وهو صموئيل أجاي كراوثر (١٨٠٦ – ١٨٩١) (١٣) ، ويبدو أن كراوثر قد أظهر مقدرة ما في مجال الأنشطة اللغوية الكنسية موضوع اهتمام المبشرين في ذلك الوقت مما أهله لنيل وظيفة مشرف Tutor بمعهد فورابي ، وبالتالي مواصلة دراساته في مجال لغته اليوربا علي قدم المساواة مع المبشرين اللغويين الأوربيين ، ومن بين إنجازاته في هذا الحقل تطويره لنظام كتابي للغة اليوربا وتوصيفه لنحوها وترجمته للانجيل وكثير من أدبيات الديانة المسيحية إليها (١٤) وقد تدرج كراوثر في السلم الوظيفي الكنسي إلي أن

وصل إلي مرتبة أسقف النيجر (Bishop) ، وهو أول إفريقي يصل إلي هذه المرتبة ، ومن تداعيات هذا الوضع أن نالت لغة اليوربا وآدابها حظا أوفر في التدوين والنشر مقارنة ببقية جميع لغات غرب إفريقيا (١٥) ، ففي عام ١٨٥٦ صدرت صحيفة في ابيكوتا (في جنوب غرب نيجيريا الحالية) بلغة اليوربا تعني بأخبار الكنيسة .

وما إن حل عام ١٨٥٠ حتي أرسي كل من شون وكراوثر عماد الدراسات اللغوية للغات النيجيرية الكبري ، أي الهوسا والايبو واليوربا ، وفق التقاليد البحثية الأوربية ، فعندما ساءت صحة شون وقرر العودة إلي بلاده أوصي في تقريره الختامي بأن يكون خلفه شخصا متخصصا في اللسانيات وذا إلمام جيد باللغة العربية ، إذا من الواضح أن الكنيسة بعد أن أمنت موقفها علي الساحل قررت تبني استراتيجية جديدة تقتحم بها نحو الداخل .

وجدت جمعية التبشير الكنسية ضالتها في الشاب الألماني ابن الأربعة والعشرين عاما ، سغسمند ولهلم كولي (١٨٢٣ – ١٩٠٢) المتخرج من المعهد الألماني للتبشير والدارس للغة العربية بأكبر مركز للاستشراق في توبنغن (١٦) فتم تجنيده بالجمعية في لندن عام ١٨٤٧ ومنها توجه فورا إلي معهد فورابي لعلوم اللاهوت في فريتاون ، قضي كولي خمسة أعوام وشهرين في سيراليون ، وتمكن خلال هذه المدة الوجيزة من إعداد ثلاثة مؤلفات (قواعد وألفاظ لغة الفاي) ، و (قواعد اللغة الكانورية) وكتاب ضخم بعنوان (بوليقوتا افريكانا) (متعدد اللغات الإفريقية) . وقد كانت أولياته عند حضوره إلي سيراليون دراسة اللغة الكانورية (البرنو (باعتبار أن منطقة برنو تمثل المحطة التالي جغرافيا في اتجاه الداخل بعد أن فرغ المبشرون السابقون من دراسة لغات اليوربا والايبو والهوسا ، إلا أنه أخيرا انصرف تماما عن هذه الفكره عندما تيقن ألا مستقبل للتبشير وسط البرنو (المتطرفين والمتشددين في إسلامهم (علي حد قوله (١٧) وبدلا عن ذلك ركز جهوده في كتابه (بوليقلوتا) الذي دون فيه حوالي ثلاثمائة كلمة وعبارة قصيرة بأكثر من مائة لغة يتكلمها الرقيق المحررون المستوطنون في فريتاون . تلي كولي في الساحة المبشر الألماني ج . كريستالا (١٨٢٧ – ١٨٩٦) الذي عمل لمدة أحد عشر عاما في إرسالية ساحل الذهب (غانا الحالية) قام خلالها بدراسة لغتي توي وغا (كبري اللغات الغانية) (١٨) ، ثم خلفه المبشر الألماني ج . أ . كروازي (١٨٥٠ – ١٩٣٨) الذي أقام أيضا في غانا لفترات متقطعة اهتم خلالها بالعلاقات الجينية أو الرحمية القائمة بين لغات غرب إفريقيا من جهة ، واللغات البانتوية من جهة أخري . وهذا النوع من البحث جعله يقف علي أبنية وتراكيب كثير من لغات هذه المنطقة (الهوسا ، والفولانية والتوي والصنغي ، والمسغو .. الخ) (١٩) .

ولايفوتنا قبل مغادرة هذا المحور أن نذكر ما قام به بعض المبشرين الفرنسيين في السنغامبيا العليا من أعمال معظمها متعلق باللغة الولفية (كبري لغات السنغال وغامبيا) مثل قاموس فرنسي – ولف وفرنسي – بمبرا متبع بقاموس ولف – فرنسي – لمعده ج . دارد (١٨٢٥) وقواعد اللغة الولفية للكاتب نفسه ، ثم هناك أيضا كتاب ج . ف روجي (١٨٢٩) بحوث فلسفية حول اللغة الولفية ، متبع بقاموس مختصر فرنسي – ولف ، وكتاب ، م . لمبرت (١٨٤٢) قواعد اللغة الولفية (٢٠) .

محور بلاد النوبة والقرن الإفريقي :

يبدو أن أولويات المجتمع المسيحي الأوربي في القرن التاسع كان التوسع الكمي (الجغرافي) وليس النوعي ، لذلك تركزت جهود الكنيسة علي المحورين الجنوبي والغربي مع إهمال لمحور بلاد النوبة والقرن الإفريقـي ، فلـم يقم في هذا المحـور بأعمال ذات قيمة علمية سوي عالمين هما الألماني ك . ر . ليبسيوس (١٨١٠ - ١٨٨٤) والنمسوي ل . راينش (١٨٣٢ - ١٩١٩) ، فقد نشر الأول كتابا حول قواعد اللغة النوبية (لهجـة فاديجـا)(١٨٨٠) بينمـا عمل الثـاني في مجـال اللغات الكوشـي (العفرية ، والبجاوية ، والباريا ، ولغة الكناما) كما أعد مؤلفا شبيها لمؤلف ليبسيوس حول قواعد اللغة النوبية قائما علي كل اللهجات النوبية في شمال السودان وجنوب مصر (٢١) .

القرن العشرين :

تزامن البحث في اللغات الإفريقية خلال النصف الأول من القرن الحالي مع دخول الاستعمار في القارة السوداء وتطور البحث العلمي في أوربا ، لذلك أخذت حركة البحث في مجال اللغات الإفريقية مسارا جديدا يقوم علي التنسيق بين الحكومات الاستعمارية والمؤسسات الكنسية والمؤسسات الاكاديمية ، ولا نود تناول المحاور الجغرافية آنفة الذكر بالتفصيل كما فعلنا بالنسبة للقرن التاسع عشر وذلك لعدم سعة المجال أولا ولتوقعنا أن تغطي بقية أوراق المؤتمر هذه الحقبة بشيء من التفصيل ثانيا ، ذلك سنكتفي هنا بإيراد مثال واحد من الواقع السوداني يعكس مدي التنسيق المشار إليه أعلاه وآلياته .

من السياسات اللغوية والتعليمية التي تبنتها حكومة الحكم الثنائي في السودان (١٨٩٨ - ١٩٥٦) أن وضعت كل مايتعلق بالعملية التعليمية في جنوب البلاد في أيدي الجمعيات الإرسالية ، وأفردت ميزانية سخية لهذه الجمعيات ، ولكن رغم ذلك كانت هناك علي الدوام ضغوط علي حكومة صاحبة الجلالة ، لا لتقدم تسهيلات كافية للجمعيات الإرسالية العاملة في السودان ، وكانت هذه الجمعيات تستخدم اللغات المحلية في نشاطها التعليمي والتنصيري ، فلكي تكون هذه السياسة اللغوية قائمة علي أسس علمية تقرر عقد مؤتمر علمي بهدف توحيد المناهج التعليمية واختيار عدد من اللغات المحلية لاستخدامها وسائل للتعليم والاتفاق علي نظام كتابي موحد لكتابتها ، وقد عقد هذا المؤتمر - الذي عرف بمؤتمر الرجاف - عام ١٩٢٨ بمبادرة وتنظيم من الجمعيات الكنسية تحت رعاية الحكومة الاستعمارية وإشراف المعهد الدولي للغات والثقافات الإفريقية في لندن ،

وقد حشد لها المؤتمر علماء اللغات وممثلو الإرساليات في السودان وفي إفريقيا ممن لهم خبرة وتجربة في كتـابة اللغـات الإفريقية (٢٢) ، ومن بين المشاركين فيه العالم اللغوي الألماني ديترش وسترمان ، أشهر علماء اللغات الإفريقية في ذلك الوقت ومديـر أكبر معهد يعنـي باللغـات والثقافـات الإفريقيـة ، وهو المعهد المشار إليه أعـلاه (٢٣) وفيما بعد تم استقدام د. تاكـار الخبير اللغـوي البريطـاني لمتابعـة تنفيذ توصيات مؤتمر الرجاف .

العرب المسلمون واللغات الإفريقية :

حاولنا فيما تقدم إلقاء الضوء علي تاريخ نشأة وتطور تقاليد البحث اللغوي علي أيدي المبشرين الأوربيين ، فكثيرا ما كنا نجابه في المنتديات الفكرية اللغوية في المانيا بأسئلة حول عدم اهتمام العرب المسلمين بدراسة اللغات الإفريقية ، ويفسر بعضهم ذلك بازدراء العرب لهذه اللغات .

حقيقة عرف العرب طريقهم إلي القارة الإفريقية قبل غيرهم من شعوب العالم الأخري بفترة طويلة من الزمن ، فقد كان التجار العرب يبحرون من الجزيرة العربية إلي سواحل شرق إفريقيا حتي قبل ظهور الإسلام ، ويظلون بها لقرابة ثلاثة أشهر في انتظار تغير اتجاه رياح رحلة العودة ، وقويت هذه الصلات بعد قيام الدولة الإسلامية ، إلي أن انتهي الأمر بنشأة مجتمع عربي إفريقي هناك ناتج عن التزاوج والتمازج الثقافي بين العرب والسكان المحليين ، وأصبحت سلطنة عمان لفترة من الزمن تدار من زنجبار ، وكذلك ظلت الاتصالات بين العرب المسلمين والمجتمعات الإفريقية في شمال وغرب ووسط القارة منذ حملة الفتح الإسلامي التي قادها الصحابي الجليل عقبة بن نافع ، ظلت تقوي يوما بعد يوم ، ويرجع الفضل إلي هذه الحملة في نشر الإسلام في تلك البقاع وقيام الممالك الإسلامية فيها (ممالك غانا ، ومالي ، وصنغي ، وكانم – برنو ، وسكتو ، ووداي ، وباقرمي ، والفور ، وتقلي ، والمسبعات وربما سنار) .

رغم كل هذه المعطيات التاريخية لم يهتم العرب المسلمون بدراسة لغات الشعوب الإسلامية الإفريقية بصورة علمية واستخدامها لأغراض الدعوة الإسلامية ، وتفسير ذلك حسب تقديرنا هو مايلي :

١- معظم المجموعات العربية التي حملت لواء الإسلام إلي سواحل شرق إفريقيا أو الذين تقدموا بها عبر الصحراء إلي بلاد السودان الغربي والأوسط كانوا تجارا في المقام الأول فلم تكن لهم المقدرة العلمية ولا الوقت الكافي لدراسة اللغات الإفريقية أو حتي القيام بأية أعمال فكرية أخري .

٢- إن هناك اختلافا كبيرا بين القرآن والإنجيل فيما يتصل بمسألة اللغة ، فقد نزلت تعاليم الانجيل علي السيد المسيح وقام أصحابه الأربعة بتدوين هذه التعاليم كل بأسلوبه ، بينما نزل القرآن وحيا متكاملا بلغته العربية ، بل إن لغته نفسها تعد جزءا من إعجازه، وعليه ربما رأي العلماء السلفيون أن لغة القرآن هذه ليست أقل قدسية من محتواه طالما هي نفسها وحي من عند الخالق جل وعلا ، لذلك لم يتحمسوا لترجمة القرآن إلي اللغات الأخري حتي لاينقصوا منه شيئا ، وفي المقابل يقال إنه قد أوحي إلي المسيح عليه السلام في فترة ما (أن انشر الأنجيل بجميع لغات الدنيا) كما أوردنا في مقدمة المقال ، إذا فإن دافع المسيحيين في دراسة اللغات الإفريقية ، أي ترجمة الإنجيل إليها ، تنتفي تماما لدي العلماء المسلمين .

علي أي حال ، فهذا لا يعني أن اللغات الإفريقية كانت بعيدة كل البعد عن حركة الدعوة الإسلامية ، فمنذ القرن السابع عشر أيضا بدأ العلماء المسلمون في كتابة لغات شعوبهم بالحرف العربي واستخدامها في نشر الثقافة الإسلامية ، وقد وصلت هذه الحركة قمة ازدهارها في غرب إفريقيا قبيل وبعد قيام الخلافة السكتية (١٨٠٤ – ١٩٠٣) في شمال نيجيريا الحالية ، وكذلك تعج المكتبات التقليدية الخاصة في زنجبار وممبسا بكم هائل من الأدب الإسلامي مكتوب باللغة السواحيلية ، إلا أن الواقع الدعوي يختلف عن الواقع

التبشيري فيما يتعلق باللغات الإفريقية في أمور ثلاثة :

أ- إن استخدام اللغات المحلية في نشر الثقافة الإسلامية كان من قبل العلماء المحليين (الأفارقة) وليس العرب .

ب - لم يفكر علماء القرن التاسع عشر في ترجمة القرآن إلي اللغات المحلية ، رغم انهم كانوا يستخدمونها في تفسيره لطلابهم في حلقات الدرس .

ج - لم يتطرق هؤلاء العلماء إلي دراسة هذه اللغات في حد ذاتها من حيث توصيف أصواتها وتصعيد نحوها .

خـــــاتمة :

لقد رأينا فيما تقدم حجم الجهد الذي بذلته المؤسسات الكنسية في العالم المسيحي الغربي في سبيل توصيل تعاليم الانجيل إلي وجدان الشعوب الإفريقية بلغاتها الإفريقية المحلية ، ورأينا كذلك حجم السند السياسي والدعم المادي الذي تلقته هذه المؤسسات الكنسية من حكومات الدول الغربية المخلفة عبر القرن ، هذا إضافة إلي إسهام المؤسسات الأكاديمية في هذه الحركة ، وعلي القاريء المسلم أن يتخيل حجم وقوة وإمكانات الجمعية التبشيرية الكنسية Church Missionary Scociety منذ النصف الأول من القرن الماضي ، واليوم لاتقارن مثل هذه الجمعية - إذا جاز لنا المقارنة - إلا بمنظمة الدعوة الإسلامية التي لايربو عمرها عن ربع قرن . ومع كل هذا الفارق الزمني ، فهل تتلقي هذه المنظمة اليوم دعما من الحكومات والمؤسسات الأكاديمية في البلاد الإسلامية الغنية بقدر ما تتلقاه جمعية التبشير الكنسية ؟ .

فيما يتعلق باستخدا اللغات الإفريقية في الحركة الدعوية ، أري أنه قد آن الآوان أن تضع منظمة الدعوة الإسلامية - بالتعاون مع منظمة المؤتمر الإسلامي - ضمن أولويات برامجها مشروعا لتفسير معاني القرآن باكبر عدد من لغات الأمم الإفريقية المسلمة ، لا سيما وقد بدأت المسيرة في هذا المنهج مع عدد قليل من لغات الشعوب الإسلامية في آسيا وإفريقيا كالاردو والهوسا ..

المصادر :

١- الأسباب الهامة الاخري تتمثل في : الكشوفات الجغرافية والحجرية وراء العلوم الطبيعية، الأستعمارية
٢- لم تساهم ألمانيا محكومة علي قدم المساواة مع البلاد المكورة أعلاه إلا أنها كانت تقوم بتزويد البلاد الأخري ، وبالأخص انجلترا ، بالعلماء المتخصصين في مجال التبشير واللغات الإفريقية .
٣- D.T . Cole (1971) : (The history of African Inguistics to 1945 Current Trends in Lingusitics , vol 7 , ed by T. S. Sebeok . Mouton , The Hague Paris p. 1
٤- Ibid p. 2
٥- Ibid P. 2
٦- C.M. Doke (1935) : Early Bantu Literature - the age of Brusciotto) B.S , V.ol 9 pp. 114
٧- P. E.H. Hair (1966) . " Collection of Vocabularies of Western Africa Before the Polyglotta Akey) Joural of Afican Languages , vol 5 .p. 211.
٨- D.T Cole , op.cit p. 9
٩- ibid p. 9
١٠- H. Jungraithmayr & W.I. G Moehlig (1983) : Lexikon dr Afrikanistik , Berlin , Reimer Verlage p. 161
١١- P. E. H. Hair (1963): The Sierra Leone settlement-The earliest attempt to stud Afican-languages " Sierra Leone Language No 2 p.5
١٢- Ibid
١٣- P. E. H. Hair (2969) : Samuel Ajayi Growther: a biographical note ". African language Review vol.8, pp. 5-6
١٤- Ibid .pp: 5-6
١٥- C.O . Taiwo (1971). Mother tongue education in Nigeria , University of lagos (unpubl).
١٦- H.Jungraithmary & W.I.G Miehlig . op. cit .p 131
١٧- P.E.H . Hair (1963) : Keolle at Freetown " (an introduction to Polyglotta Af-
١٨- ricana by s.w . Koelle Graz Akademische Drucke). pp. 7 -17
١٩- Ibid p. 137(H. Junggraithmary & W. I. G. Moehlig , op. cit p. 61
٢٠- D.T. Cole , op. cit . p. 18
٢١- H. Jungraithmary & W.I.G . Moehlig . pop.cit pp. 114-115 and 201 - 202 , rewp.
٢٢- يوسف الخليفة ابوبكر (١٩٥٥) السياسات اللغوية في السودان ، مجلة دراسات إفريقية ع ١٢ ص ١٣٠
٢٣- H. Jungraithmary & W. I. G . Moehlig , op.cit pp. 265- 68

مناقشة : البروفيسور زكريا امام رئيس الجلسة السادسة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي رسول الله الصادق الأمين وعلي آله وأصحابه الطيبين الطاهرين

« رب أشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدة من لساني »

أما بعد :

فقد كانت المعركة تدور بين الإسلام والتيارات المناوئة من خلال مؤسسات ذات صلة بالدوائر الصليبية والصهيونية وكانت هذه المنظمات تتخذ طبيعة منظمات طوعية أو منظمات غير رسمية بمعني أنها كانت منظمات لاتقف خلف دول ولا تتمتع بسند عالمي أو دولي ، ولكننا نشاهد الأن أن المسألة قد اتسعت جدا وأصبحت هناك دول عظمي تدخل معركة مايسمي بالخطر الأخضر .

وكتب صمويل هنتنتون كتابه الأخير الذي ترجم إلي الصدام بين الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي وأوضح فيه صراحة أن المعركة القادمة ستكون بين الغرب والإسلام ومهد لذلك بمقدمات خاطئة زعم فيها أن الإسلام لايمكن أن يتحضر ولكن يمكن تحديث المسلمين ولايمكن تغريبهم وأنه فى بنية الإسلام الفكري عداء مستكن للغرب وأن التحديث قد أدي إلي قوة الإسلام ولم يؤد إلي التغريب وأن الغرب لاينبغي أن ينخدع بفكرة أنه يمكن أن يحول كل الثقافات إلي ثقافات غربية وكأنه يرد علي كتاب فرنسيس فوكاياما الذي أدعي فيه أن كل الثقافات سوف تنخرط وتذوب في الثقافة الغربية وأن هذا سيكون نهاية التاريخ ، وكتابه هذا كان بعنوان نهاية التاريخ وخاتم البشر .

وكتاب هنتنتون أخطر بكثير من كتاب فرانسيس فوكاياما وإن كانت النتيجة واحدة ففرنسيس فوكاياما يريد أن يقضي علي الهوية الإسلامية بإذابتها في الهوية الغربية أما هنتنتون فبعد أن زعم أن الصراع ضمني بين الإسلام والغرب دعا إلي هدم وتدمير مقومات ما أسماه بالصحوة الإسلامية وما أسماه بالإسلام السياسي وقال ينبغي أن نبادر بتحطيم هذه الصحوة قبل أن يصبح العالمي الإسلامي خطرا ، خصوصا وأن الغرب يعاني الآن حالة من الضعف والاضمحلال .

والشاهد علي كل ما أقول هو أن الصراع الآن قد توسع جدا وأصبح مسنودا بالنظام العالمي الجديد بزعامة الولايات المتحدة التي يقودها الصهاينة ويسيطرون عليها سيطرة كاملة ، ومانشهده اليوم هو ذلك العلو الكبير الذي تنبأ به القرآن الكريم .

إن اليهود اليوم يسيطرون تماما علي الإدارة الأمريكية ، فالرئيس نفسه صناعة يهودية ووزيرة خارجيته يهودية وكذلك مساعدوها الخمسة ووزير الأمن الداخلي والأمن القومي ووزير الدفاع ونائبه كلهم يهود .

وأنني أعجب كيف يقبل الشعب الأمريكي والذي يبلغ تعداده أكثر من ثلثمائة مليون أن تسيطر عليه قلة لايتجاوز عددها ستة ملايين .

وهم الآن يستمعون هذه المعلومات من تلفزيون السودان لأول مرة ولذلك يجب أن نقوم بنشرها

إنني أدرك أن الشعب الأمريكي لايعرف عن السياسة شيئا ، لأنني قد درست هناك وأعلم هذه الحقيقة فالصراع الذي نشهده اليوم هو صراع مكشوف بين الإسلام واليهود كما تنبأ القرآن وأن هؤلاء اليهود قد غلوا غلواً كبيرا وعلينا أنْ نستبشر بذلك وأن البديل للغرب هو الإسلام ، وعلينا أن ندرك أن الغرب قد انهار تماما ولكنه لم يسقط بسبب ضعف المسلمين وتفرقهم وعدم إدراكهم بأنهم البديل لهذا الغرب المنهار ولم تتخذ العدة التي يمكن الله لنا بها في الأرض ويجعلنا خلفاء من بعد الصهيونية العالمية واستغفر الله لي ولكم

ورقة الاستاذ مهدي ساتي

تعقيب الدكتور عبداللطيف سعيد

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله

سيكون حديثي تكملة لما قامت به الورقة المطروحة وأبدأ بالإشادة بجامعة إفريقيا العالمية لأنها الجامعة الوحيدة التي تدرس الآن الأدب الإفريقي وكنت أطمع أن يكون في ورقة الأخ مهدي وصفا لهذا الأدب ، لأننا نتكلم عنه وكأنه شيء معلوم لكل الناس .

والسؤال ماهي المميزات التي يتميز بها الأدب الإفريقي . أو الأشياء التي أصبح بها الأدب الإفريقي إفريقيا ؟ هل لأنه كتب بلغة إفريقية؟؟ أعتقد أن ذلك ليس صحيحا فنحن نعلم أن الأدب الإفريقي الحديث كله قد كتب باللغات الأوربية وزعموا أن ذلك لايسبغ عليه صفة العالمية ولكن هل هذا ينطبق علي الأفارقة وحدهم فالأدب الروسي قد كتب باللغة الروسية واعتبر أدبا عالميا فلماذا ؟

الشيء الثاني : هل يجب أن يكون كاتب الأدب الإفريقي إفريقيا حتي يوصف هذا الأدب بأنه إفريقي فلماذا اعترفوا إذن ببيكون راد في الأدب الإنجليزي ونحن نعرف أنه بلغاري الأصل ؟ وجان جاك روسو المنسوب إلي الأدب الفرنسي وهو سويسري الجنسية ؟ وهل يكون الأدب إفريقيا بالموضوعات الإفريقية ؟ فماذا أذن عن كتاب (كنوز الملك سليمان) ومؤلفه بريطاني فهل هو أدب إفريقي أم أدب إنجليزي فالموضوعات التي يحتوي عليها كلها عن جنوب إفريقيا ولكن الكاتب ليس إفريقيا .

وعندما أردا الأفارقة أن يتحرروا من الاستعمار والاضطهاد استعانوا علي ذلك بنظريات أجنبية عنهم كالنظرية الماركسية وعندما نظروا إلي مسألة الذات لجئوا الي الوجودية وحينما أرادوا العالمية لجئوا إلي السريالية وكلها أفكار أوربية .

فما موقف الأدب الإفريقي من التنصير ؟ فالمبشرون أو قادة الكنائس هم الذين علموا الأفارقة ألذين يكتبون الأدب الإفريقي القراءة والكتابة فالأدب الإفريقي إذن قد خرج من عبادة الكنيسة ومواقف الأدباء الأفارقة من الكنيسة توحي بأنهم يكنون لها تقديرا واحتراما كبيرين (فيتون) Beton في كتابه Cry The Blove Centry تشعر إذا قرأته بأنه يتكلم عن الكنيسة باحترام كبير

ولكن مثلا عندنا كتاب (عندما تتبعثر الأشياء) يعد من أعظم الكتب في هذا القرن ويكفي أنه قد طبع منه مليون نسخة ، وأنه قد ترجم الي ثلاثين لغة ، وفي هذا الكتاب حديث عن البطل Okonko اوكونكو

واوكونكو هذا بطل حاز علي كل الجوائز وانتصر علي كل الناس وزرع اليام (سيد المحاصيل) ونزوج ثلاث نساء وأصبح عظيما جدا ولكن هزمه الرجل الأبيض عندما جاء وانتهي أمره بأن انتحر .

ويقول إن الرجل الأبيض هو أساس البلاء في إفريقيا وعندما وقف اوكنكو البطل الإفريقي ضد الكنيسة هزمته ويقول إن رهطا في جنوب شرق نيجيريا حينما عارضوا الكنيسة وحطموا البناء الكنسي ابيدوا عن آخرهم .

وجاء الجيل الثاني جيل حفيد اوكنكو وسموه أوبي ، وأوبي هذا قد تنصر أبوه علي عكس رغبة جده وذهب إلي بريطانيا وتعلم في جامعة اكسفورد وجاء من هناك بأفكار عظيمة جدا وظن بذلك أنه أصبح مساويا للرجل الأبيض ، ولكنه انهار تماما عندما أطاع الرجل الأبيض فحدثت له بذلك مأساة ، كان شيبي أشيبي مولف الكتاب يقول إن من أطاع الرجل الأبيض هزم ومن عاكسه هزم أيضا فكأن الرجل الأبيض هو المشكلة بالنسبة لإفريقيا .

مثلا الطيب صالح في روايته موسم الهجرة إلي الشمال ، وأسميها موسم الهجرة من الشمال لأن الناس يختلفون ماهو الشمال هل هو اوربا أم المنطقة الغنية أم هو شمال السودان؟ لأن الشمال مبهم وغير معروف فكل يفسر الشمال بالطريقة التي تروق له ، الطيب صالح يتكلم عن المبشرين فالطفل الذي كان يسمي مصطفي سعيد كان عمره اثني عشر عاما عندما أخذه المبشرون وحينما ظهر نبوغه في السودان وظهر له أن العلوم التي يتلقاها في السودان لا تكفيه ، أخذه مبشران رجل وأمراته ، مبشر ومبشرة وأمرأة عمرها حوالي ستين سنة وأردات أن تذهب بالطيب صالح إلي مصر توطئة للذهاب به إلي انجلترا وكان عمره عشر سنوات أو اثنتا عشرة سنة وحينما شم رائحة جسدها بدأ يحس نحوها بشعور الرجل نحو المرأة .

ومصطفي سعيد هذا ذهبوا به إلي انجلترا وهناك فعل الأفاعيل التي تعرفونها فالطيب صالح مدرسة تقول إن الافارقة أو أهل العالم الثالث لايمكن لهم أن يهزموا إلا بهذه الطريقة طريقة السرير

وعلي ذلك نستطيع أن نقول إن الأدب الأفريقي أدب ثر وفيه أراء وفيه أفكار ولكن المشكلة تتلخص في ماهو الأدب الإفريقي ؟

و أحسن تعريف له هو ماكتبه خريج هذه الجامعة امباي لو بانه هو الذي كتبه الأفارقة عن موضوعات إفريقية هل توافقون علي ذلك ؟

د . عبدالله برمة

الأخ عبداللطيف اثار سوآلا فحواه ماهو الأدب الإفريقي ؟

ولكن هذا يعود بنا إلي الأدب المقارن وفيه مدارس ، فالمدرسة الفرنسية تري الحدود الفاصلة بين الآداب هي اللغات ، وبذلك يعني أن الأفارقة الذين أنتجوا أدبا بالفرنسية يعد أدبهم فرنسيا ولعل الألمان لايخرجون عن هذا الإطار ، وأنهم يضيفون بعض الأسس الفارقة في الأدب المقارن ، لأن الفرنسيين عندما فصلوا بين الآداب باللغات جعلوا المقارنة بين أجناس ولكن الألمان جعلوا اللغة حدا فاصلا ولكنهم قارنوا بين الأدب

والفنون الأخري كالرسم والنحت .

أما الأمريكان فقد رفضوا أن يكون الفارق بين الآداب واللغات الأجناس لأنهم يتحدثون باللغة الإنجليزية والإنجليز يتكلمون بنفس اللغة فجعلوا الفارق مابين الآداب القوميات .

ولكن هل الإفريقية قومية فعلي أساس المدرسة الفرنسية فإن كل ماكتب بلغة إفريقية يصبح إفريقيا ، وإذا اعتبرت الإفريقية قومية فيكون الأدب الإفريقي هو الذي كتبه الأفارقة في قضاياهم ولاسيما قضايا التحرر .

أما عن اليهود فإنهم لايقبلون أن يدخل أحدهم في دينهم ، فالأدب اليهودي هو مايكتبه يهودي ملتزم مثل الأدب الإسلامي فهو مايكتبه مسلم ملتزم ومايتناول فيه قضية إسلامية ومايكتبه مسلم غير ملتزم لايكون أدبا إسلاميا فمثلا الشاعر شوقي عنده إسلاميات مثل ولد الهدي ولكن عندما يقول رمضان ولي هاتها ياساقي فلا يكون أدبه اسلاميا ، وشكرا ..

الشيخ عطية محمد سعيد

لي كلمة قصيرة عن الأدب الإفريقي والحقيقة أن الآداب المكتوبة أو المنطوقة باللغة الإنجليزية أو الفرنسية هي امتداد لآداب هاتين اللغتين ، أما الأدب الإفريقي فهو المتمثل في اللهجات والعادات واللغات سواء كانت هوسية أو عربية والآداب التي تعتبر إفريقية هي التي تتصل أيضا بالأصل والدين .

وقد سئل أحد الأفارقة المهجرين إلي أمريكا من ربكم؟ فأجاب ربنا أسود وهو التصوير الذي ينبعث من الشعور بالعنصرية ويمثل جانبا من إفريقيا وفي تقديري أحسن من مثل الأدب الإفريقي هو الفيتوري فقد تكلم بصراحة ومن الأعماق عن الأدب وعن الروح الإفريقية فيقول واصفا الرجل الإفريقي :

يسير فتسخر منه النجوم وتسخر حتي وجوه الهموم

ويصور نفسه أيضا فيقول :

وانف تحدر ثم ارتمي فبان كمقبرة لم تتم

ويتكلم :

أنا إفريقي ولي حريتي وهي أغلي ثروة من ولدي
أنا حر مستقل البلد وسأبقي مستقبل البلد

صور الاختراق الاستعماري والكنسي في إفريقيا

د. خالد سرالختم *

يري الباحث أن هنالك ثلاث صور للاختراق الكنسي والاستعماري لدول العالم الثالث ويشرف عليها جميعا ويرعاها حتي تؤتي أكلها بعد حين ، وقد يري آخرون غيرها .

يري الدكتور محمد البهي أن هنالك صورتين لوسائل الاستعمار لإضعاف المسلمين في إسلامهم :

الصورة الأولي : قيام بعض مفكري المسلمين بحركة تقدمية في الإسلام تبغي تقرير سلطة المستعمر وتثبت ولايته علي المسلمين من الوجه الإسلامية أو بعبارة أخري تبغي عدم تحديه ومعارضته ، سواء في مباشرة سلطته علي المسلمين ، أو إدخاله مايسميه بنظم الإصلاح الحديثة بينهم .

والصورة الثانية : قيام بعض الغربيين الأوربيين المسيحيين بإبراز الخلافات المذهبية : وتأكيد الفجوات والثغرات ، بين طوائف المسلمين وشعوبهم ، من الوجهة الشعوبية أو الجغرافية ، أو نظام الحكم .. مع شرح كثير من مبادىء الإسلام شرحا يشوهها وينحرف بها عن أهدافها الأصلية ، ذلك كله بالإضافة الي تمجيد القيم المسيحية والحضارة الغربية ، والنظام السياسي والسلوك الفردي للشعوب الغربية (١) . أما الصورة الثالثة : فهي التي تتقدم فيها الإرساليات الكنسية ممهدة الطريق إلي استعمار الوثنيين والمتوحشين كما تري ذلك الكنائس ثم يتبعها الاستعمار لاغتصاب ثروات المغلوبين ، أما المرحلة الثانية من التعاون بين الإرساليات والاستعمار فهو أن تساعد الإرساليات الحكومة بتطويع الأهالي وإقناعهم في الخضوع للحكومة ومقابل ذلك تدفع الحكومة إعانات للإرساليات ومنحها تسهيلات وامتيازات .

تأثير الاستعمار والصفوة النفسي علي العامة :

إن دعاوي التبشير يعد من أهم مداخل الاستعمار علي المستعمرين ، فهو يدعي بأنه المنقذ من الضلال والقائد إلي التحضر والمدنية ، يقول سلامة موسي في تفسيره اللغوي للتاريخ : (سيادة البريطانيين علي الهنود أو المتمدينين علي المتوحشين إلي حد ماسيادة لغوية) (٢) .

إذ بدعوي المدنية والتحضر يهيمن المستعمر علي البلاد التي يستعمرها ، وبدعوي التبشير تكون المبررات وطلائع الاستكشا ف وتبريرات الاستمرار في الاستكبار والاستغلال واغتصاب حقوق الضعفاء ، ومن المؤسف أن يقف مع العدو أبناء البلاد المستعمرة من المتعلمين الذين يستخفون بسلوك أهليهم ويقدسون سلوك الغالبين .

---

* جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية امدرمان

يقول محمد جلال كشك : الدكتور الطبيب مصطفي محمود كتب تحت عنوان :(شمعة تحترق) مقالا تحدث فيه عن دور الصدفة في حياة الناس ، وعلاقتها بالتخطيط وأورد مثالا للصدفة حكاية الكوليرا التي أصابت مصر قبل حادثة القرين ، فزعم أنها جاءت مع حاج طيب القلب جاء يحمل زجاجة من ماء زمزم تخاطفها أهل قريته ، فلم يجد حلا إلا أن يلقي بماء الزجاجة في بئر القرية ، وتصادف أن كانت الزجاجة ملوثة بميكروب الكوليرا فمات نتيجة ذلك ثلاثة ملايين مصري . والحكاية كما تري لا تتفق مع الواقع ، ولا مع المنهج العلمي الذي يحاول صاحبنا أن يبشر به . وأغلب الظن أنه تحدث عن وباء الكوليرا الذي وقع عام ١٩٠٢م وهو كوباء القرين ، جاء نتيجة للاحتلال البريطاني ، كوليرا القرين جاءت في بعض الأطعمة الملوثة التي وصلت إلي الأهالي من معسكرات الجيش البريطاني ، سواء عن قصد ، كما يقول البعض لتخريب المد الوطني عقب إثارة القضية المصرية في مجلس الأمن ، أو كنتيجة محتومة لوضع قوات أجنبية لا تخضع لرقابة صحية ، ونفس الشيء بالنسبة للكوليرا مطلع القرن العشرين بصرف النظر عن صحة الرقم الذي يورده الدكتور للتهويش ، والذي لايتناسب مع تعداد مصر في ذلك الحين .

جاء الوباء مع الجنود الهنود العاملين في الاحتلال ، واخترعت الدعاية الإنجليزية حكاية الزجاجة والبئر لتخفي جريمتها .. وبرغم أنه منذ أن سافر أول حاج لبيت الله الحرام من ١٤ قرنا والناس يحملون ماء زمزم ويعبون منه ، ولم تسجل حالة وباء الكوليرا بين الحجاج في سنة من السنين . .

والقاريء السطحي سيصدق الدكتور ، وسينفر من المسلمين الجهلة الذين يحملون الكوليرا في ماء زمزم ، وسينسي جريمة الإستعمار ، بل ويتسرب إلي نفسه احترام هذا المستعمر المتمدين الذي لايشرب من ماء زمزم ولايحج لآبار الكوليرا . والمسلمون الأتقياء وهم ملايين سينفرون من العلم الذي يمثله الطبيب .. ومن الصحافة التي تنشرله ، وهكذا تبقي هوة بين العلم والشعب ، وهذا مثال لما يحدثه الغزو الفكري) .

وهو تأثير نفسي قوي علي السلوك ، يظهر الاستعمار بمظهر التحضر ويظهر العامي بمظهر التخلف ، هذا الأثر النفسي يبرز بوضوح في كتاب الروائي الإنجليزي سومرست موم في كتابه لب الحقيقة) The Heart of the Matter تدور حوادثه في إفريقيا المستعرة ، ويظهر الأديب الفارق الكبير بين المباني الحكومية الضخمة والمبالغ في ضخامتها بالمقارنة مع أكواخ القرويين والأهالي ، فعندما يدخل المواطن مكتب الحكومة يشعر بالفارق النفسي الرهيب بين منزله الضيق الصغير وبين المساحات الواسعة بينه وبين المسؤول فالمكتب هنالك علي بعد عشرة أمتار أو تزيد وشكل المكتب يلمؤه هيبة ورعبا ويبعث علي الخوف وعندما يصل المواطن قريبا من صاحب المكتب تكون قد ارتعدت فرائصه واستسلم كالأرنب لكل شيء أمام الأفعي المفترسة .

الدور الاستعماري والتنصير الكنسي في إبراز الخلافات المذهبية بين المسلمين أو تخذيلهم أو تحييدهم :

يفيدنا الدكتور أحمد عبدالرحيم السايح في كتابه الغزو الفكري بأن ريمون لول يعتبر أول نصراني يتولي

التبشير بعد فشل الحروب الصليبية في مهمتها ، إذ أنه قد تعلم اللغة العربية بكل مشقة ، وأخذ يجول في بلاد الشام ، مناقشا علماء المسلمين ومنذ القرن الخامس عشر الميلادي ، وأثناء الاكتشافات البرتغالية ، دخل المبشرون الكاثوليك إلي إفريقيا ، وبعد ذلك بكثير أخذت ترد الإرساليات التبشيرية البروتستانتية ، إنجليزية ، وألمانية ، وفرنسية .

ويعبر القس صمويل زويمر عن النوايا السيئة التي يحملها التبشير للإسلام والمسلمين ، فيقول : (لا ينبغي للمبشر المسيحي أن يفشل أو ييأس ويقنط ، عندما يري أن مساعيه لم تثمر في جلب كثير من المسلمين إلى المسيحية ، ولكن يكفي جعل الإسلام يخسر مسلمين بذبذبة بعضهم ، فعندما تُذبذب مسلما ، وتجعل الإسلام يخسر ، تعتبر ناجحا ، يا أيها المبشر المسيحي ، يكفي أن تذبذبه ولو لم يصبح هذا المسلم مسيحيا) ويعد زويمر من أكبر أعمدة التنصير في العصر الحديث ، وقد وضع كتابا تحت عنوان العالم الإسلامي اليوم جاء فيه :

١) يجب إقناع المسلمين بأن النصاري ليسواأعداء لّهم .

٢) يجب نشر الكتاب المقدس بلغات المسلمين لأنه أهم عمل مسيحي

٣) تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم ومن بين صفوفهم ، لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها

٤) ينبغي للمبشرين أن لايقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة ، إذ من المحقق أن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد للأوربيين ويقول صمويل زويمر في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م :

(لكن مهمة التبشير التي ندبتكم لها الدول المسيحية في البلاد الإسلامية ليست في إدخال المسلمين في المسيحية ، فإن في هذا هداية لهم وتكريما وإنما مهمتكم هي أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالى لا صله له بالأخلاق الحميدة التي تعتمد عليها الأمم في حياتها) .

ويقول أيضا : (إنكم أعددتم نشئا لايعرف الصلة بالله ، ولايريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ، ولم تدخلوه في المسيحية وبالتالي فقد جاء النشء طبقا لما أراده الاستعمار ، لايهتم بعظائم الأمور ، ويحب الراحة والكسل ، فإذا تعلم فللشهوة ، وإذا تبوا أسمي المراكز ، ففي سبيل الشهوة ، يجود بكل شيء) . ومن أخطر المؤتمرات التي خطط لها المبشرون لاختراق مجتمعات المسلمين في دقة وخبث مؤتمر كولوراد وفي ٥ أكتوبر ١٩٧٨م تحت إسم (مؤتمر أمريكا الشمالية لتنصير المسلمين) حضره مائة وخمسون مشتركا يمثلون أنشط العناصر التنصيرية في العالم .

ومن هذا يتضح أن محاولات الاختراق للمسلمين تكون مباشرة وغير مباشرة فغير المباشرة وهي الأخطر تاتي من خلال المدارس العلمانية والتدريب في الخارج والدراسة في الخارج ، ومن خلال جميع وسائل الإعلام ووسائطه الحديثة ,وقد كان أثره علي المسلمين واضحا ، وحين يكون تاثير المستعمر علي المواطنين قويا تراهم يحجمون عن نصرة الحق ، يقول الداعية الإسلامي محمد الأمين القرشي :

(أخذت منهم كتابة – يقصد المستعمرين – من روبرتسون حاكم السودان بالتصريح لأبشر بالإسلام في

جبال النوبة ، قال : وقرأتها في جامع أمدرمان ،، كونت جمعية .. هي لجنة كونتها في أمدرمان كانت هي الأساس وكان الناس متخاذلين وخايفين).

المثقفون المتخاذلون :

من أسوأ المتخاذلين عن نصرة الحق المثقفون والمتعلمون والعلماء الذين أخلدوا إلي الأرض وغرتهم الحياة الدنيا ، فهنالك من ترقي في مناصب الدول العربية والمسلمة وهناك الآلاف من هؤلاء وممن تأثر بالثقافة الغربية حتي إننا نسمع ونقرأ من يدافع عن الاستعمار ووجوده وأهميته علي الشعوب المستضعفة ، وأنه عامل مساعد علي التحضر والتمدن ويضربون بالهند مثلا وبالدول الإفريقية ، وكنا ولا زلنا نسمع أنصاف المتعلمين في السودان وغير ه يتحدثون عن عظمة الإنجليز وعدلهم وانضباطهم وجديتهم وديمقراطيتهم ، بل إن هذه النبوة موجودة في أوساط كثير من المثقفين والمتعلمين والقياديين من موظفي الدولة حتي زمان الناس هذا ، ومن أمثال هؤلاء يسيطر القانون الوضعي والتشريع الوضعي والعرف الجاهلي للقرن العشرين .

الصورة الثالثة للاختراق الاستعماري والكنسي لإفريقيا :

المستعمر والإرساليات والاختراق الإعلامي والميداني

وهنا جملة حقائق مهمة لابد من الإشارة إليها :

١- إن النصرانية موجودة اليوم في كل البلاد الإفريقية

٢- التبشير النصراني مازال مدعوما من كل الدول الأوربية الغربية - وحتي في البلاد التي صلتها بالنصرانية ضعيفة كالدول الإسكندنافية - وخير مثال لذلك المساعدات الاجتماعية والخيرية التي تقدمها الدول الأوربية في حالات المجاعات والكوارث الطبيعية كالفيضانات وانتشار الأوبئة فمعظم هذه المساعدات تقدمها دول بواسطة الكنائس أو المؤسسات الكنسية ، وبالتالي فإن الفضل يرجع إلي المؤسسات في نظر الأهالي ، فعندما يأتي رجل الدين النصراني (الراهب) ويقوم بتوزيع الغذاء والأدوية فإن ذلك يعطيه وضعية خاصة في القرية أو المدينة ، ويؤثر بالتالي علي نشاطه التبشيري بصورة غير مباشرة .

كذلك فإن الدول الأوربية تقدم الدعم والحماية للنشاط التبشيري ، فلا يلقي القبض علي أي راهب أو راهبة في أي بلد حتي تقوم الدولة الغربية بمساعيها الجادة المتواصلة لحماية هذا الشخص ، وهذا مهم في قارة مثل إفريقيا ، القانون فيها ضعيف إلي حد ما ، وبها حركات معارضة وثورات عامة بها حالة غليان مستمرة . ومعلوم أن الكنائس العاملة في إفريقيا متعددة الجنسيات ، ورغم الاختلافات المذهبية فيما بينها فإنها تتعاون في مجال التبشير ، وتقسم فيما بينها المناطق والمقاطعات حتي لاتتضارب مصالحهم وتتصادم . وهم يتعاملون فيما بينهم بنوع من التنسيق والتعاون إلي حد بعيد ، وفي نفس الوقت لا ننسي أن للتبشير النصراني خبرة طويلة جدا تناسب وقتنا الحاضر .

كانت الإرساليات المسيحية تراقب تدرج السودانيين في الشمال في أنماط الحكم الذاتي المؤدي إلي الاستقلال بكثير من القلق والخوف علي مستقبل المسيحية والتبشير المسيحي في السودان ، لقد كان فتح

السودان في عام ١٨٩٨م فاتحة خير للإرساليات المسيحية والتي رأت في ذلك فرصة ذهبية للتبشير واستعادة الأراضي التي فقدتها باندثار مملكتي المقرة وعلوة المسيحيتين في حوالي عام ١٣٤٠/١٣٧٦م و١٥٠٢/١٥٠٤م علي التوالي أمام الغزو العربي ، وقد أمل بعض المبشرين أن يؤدي تعرض السودان للحضارة الغربية ، ممثلا في الفتح ، والطلب المتزايد لأساس جديد للحياة السودانية إلي ازدياد التعليم الدنيوي وبالتالي إلي منح المسيحية فرصة أخري للانتشار فالإفريقي – في نظرهم (يستاهل ماهو خير من الإسلام ألا وهو المسيحية التي وحدها خير مايلبي احتياجه) .

Wilson Cash , changing Sudan : church Missionary Society, 1930 ,P. 7 and page55)

وهذا ما أكده أيضا المشرف الميداني لإرسالية السودان المتحدة (Sudan United Mission (S.U.M) للسكرتير الإداري الذي هنأه بمناسبة توليه المنصب في أبريل ١٩٤٥م:(إن تغيرات كبيرة لابد أن تحدث في السودان ولكننا نثق أن خير مايمكن سيعمل من أجل هؤلاء القوم وأن المسيحية هي مصدر التنوير الوحيد الحقيقي ستنمو وتكون حية فعالة وسط هؤلاء الأجناس المتأخرين) .

الاستعمار والتبشير وقوانين المناطق المغلقة :

وجهت الإدارة البريطانية اهتمامها في الفترة بعد الفتح حتي عام ١٩١٩م إلي تركيز أساس حكمها وتوطيده بإرسال الحملات التأديبية لمن حاولوا مقاومتها وسمحت للإرساليات التبشيرية المسيحية بالعمل في الجنوب وبجبال النوبة وجبال الأنقسنا فيما بعد ، وبقيام ثورة ١٩١٩م في مصر خشيت الإدارة البريطانية من امتداد الثورة إلي السودان وفكرت في فصله إداريا وسياسيا عن مصر ، كما فكرت في نفس الوقت في فصل الجنوب (الزنجي الوثني) عن الشمال(العربي المسلم) وإلحاقه بوسط وشرق إفريقيا ،، ووضع التفكير موضع التنفيذ ، وكخطوة أولي أجيز قانون الجوازات والإقامة في عام١٩٢٢م وصارت بموجبه المديريات الجنوبية الثلاث ومنطقة الحزام الأوسط المتمثل في جنوب مديرية دارفور وجنوب مديرية النيل الأزرق وجبال النوبة ، التي تسكنها عناصر غير عربية ، مناطق مقفولة لايسمح بالدخول والإقامة فيها إلا باذن . وبإصدار هذا القانون وغيره من الأوامر الإدارية والمحلية الأخري التي تبعته ، خاصة بعد ثورة ١٩٢٤م ، تعرض الإسلام واللغة العربية لحرب اتخذت صورا شتي وصلت حد المبالغة ، واستهدفت تلك الحرب محو العربية وقلع جذورها من هذه المناطق وإحلال الديانة المسيحية واللغة الإنجليزية واللهجات المحلية المكتوبة بالحروف الرومانية مكانها ، ولقد وصلت سياسة الفصل ذروتها في الثلاثينيات رغم ما واجهها من صعوبات في التطبيق . وفي عام ١٩٢٥م عهدت الحكومة بالتعليم إلي الإرساليات المسيحية التي اقتصر دورها من قبل علي تنصير سكان تلك المناطق وتعليمهم إطاعة سلطات الحكومة والتزمت الحكومة بدفع إعانات لتلك الإرساليات نظير ما تقوم به من عمل في هذا المجال كما منحتها تسهيلات وامتيازات منها السفر بالبواخر والقطارات

وكانت الإرساليات المسيحية العاملة في السودان ست :

١) الإرسالية الكاثوليكية Roman Catholic

٢) جمعية الكنيسة التبشيرية Missionary Soceity

٣) إرسالية السودان المتحدة Sudan United Mission

٤) الإرسالية الكاثوليكية American Mission

٥) إرسالية أراضي إفريقيا American Island Mission

٦) إرسالية السودان الداخلية Sudan Interior Mission

تدين الأولي بالمذهب الكاثوليكي بينما تدين الأخريات بالمذهب البروتستانتي ، وينحصر عمل الأولي في الخرطوم ، وبحر الغزال ، وبحر الجبل ، وأعالي النيل بو رومبيك ، ومقوي بو الزاندي ، والثانية في جوبا ، ورمبيك ، وكاجا ، والثالثة في جبال النوبة، والرابعة في أعالي النيل ، والخامسة في شرق الإستوائية ، والسادسة في جنوب مديرية النيل الأزرق وفي مديرية أعالي النيل

الجهد الإعلامي الكنسي والاستعماري :

يفيد جدول باريت السنوي إلي المساحة الإعلامية والجهد والمال الذي تبذله دول الاستعمار والتنصير الكنسي في العالم ، وتشير الإحصائيات في هذا الجدول بأن المسيحيين سيكونون قرابة مليارين في منتصف عام ١٩٩٨م (٠٠٠ر٩٩٣ر٩٦٥ر١ نسمة) ويشكلون ٢٠٪ من سكان العالم ، ويبلغ دخل الكنائس ٩٧ بليون دولار أمريكي اي مايعادل ميزانية كل الدول النفطية العربية (السعودية ، العراق ، الجزائر ، ليبيا ، الكويت ، الإمارات ، قطر) وتشغل الكنيسة من الأجهزة الإعلامية وتوظف من الإعلام المقروء ، والمرئي والمسموع ورجال التنصير والإعلام حتي منتصف ١٩٩٨م كالآتي :

١- يبلغ الدعاة المتفرغين قرابة ستة مليون مبشر (٠٠٠ر٧٧٢ر٥ كنسي)

٢- وتوظف لخدمة الدين ثلاثمائة وأربعون مليون جهاز كمبيوتر (٠٠٠ر٠٠٠ر٣٤٠ جهازكمبيوتر)

٣- تصدر ٦٠٠ر٢٤ كتاب تجاري كنسي وكل عنوان تصدر منه مئات الآلاف من النسخ وأحيانا ملايين

٤- تصدر اثنتان وثلاثون ألفا وخمسمائة دورية (٥٠٠ر٣٢)

٥- تصدر سنويا ٧٠٠ر١٤ عنوان للكتب والمقالات تتناول شؤون التبشير

٦- تتم طباعة ست وستين مليون نسخة من الإنجيل سنويا (٠٠٠ر٠٠٠ر٦٦ نسخة)

٧- وتتم طباعة اثنتين ومائة مليون نسخة من العهد الجديد ، وطباعة منشورات فيها مختارات من الأناجيل في حدود بليونين من المنشورات .

أما عن الإذاعات المسيحية المرئية والمسموعة فهنالك ٦٠٠ر٣ محطة عدد المستعمين والمشاهدين لها شهريا ٠٠٠ر٢٦٧ر٩٧٧ر١) ويبث التبشير المسيحي ٤٤٧ بليون ساعة في السنة .

ويقول الدكتور حسن مكي وتعكس هذه الأرقام حجم الظاهرة التي نتكلم عنها وربما أن الإعلام العلماني والمخترق من قبل الصهيونية كثيرا ما يناصر الإعلام الكنسي في القضايا التي تتصل بالعالم الإسلامي ، فإن ذلك يبرز قوة الضغط الإعلامي المعاكس الواقع علي العالم الإسلامي . ينقل الدكتور حسن مكي من جدول إحصائيات باريت بأن عدد المسيحيين في إفريقيا يبلغ ٠٠٠ر٨٨٢ر٣٢٩ وربما يعادل ذلك ٤٠٪ من

سكان إفريقيا ، ولكن دكتور قطب مصطفي سانو ينقل تحليلا إحصائيا للدكتور علي المزروعي في كتابه (الأفارقة)يفيد بأن الأغلبية في إفريقيا هي الأغلبية المسلمة وهي تبدأ من ٥٠٪ و٦٠٪ إلي ٩٥٪ من سكان بعض دول إفريقيا كما يتفاءل دكتور علي المزروعي بأن المستقبل لهذا الدين في إفريقيا ، يقول د. قطب :

ليس ثمت مرية ، أن هذه الأحوال وتلك الظروف ، لم يمر بها قطر إفريقي في طول التاريخ وعرضه تشير إلي الصراع الذاتي بين الدين الكنسي والعلم - ولم يعش الإنسان الإفريقي أوضاعا تشابه تلك الأوضاع التي مرّ بها الإنسان الأوربي الغربي أو الشرقي ، بل يكاد كثير من المؤرخين يذهبون إلي القول : بأن الإسلام قد كان الدين القيم علي حياة جل الشعوب الإفريقية قبل مقدم قوي الاستغلال فقد كانت هنالك إمبراطوريات وممالك ، محكومة بمبادىء وقيم الإسلام الناصعة ، بل أن جحافل الجيوش التي قاومت قوي الاحتلال كانت كلها إسلامية ، وانطلقت من مبادىء الإسلام التي تأبي لأتباعه أن يكونوا تبعا لزيد أو عمرو ، ولاترضي بأن يكون لغير الإسلام أي سلطان عليها) .

لقد أكد المؤرخ الشهير علي المزروعي في كتابه (الأفارقة The Africans) وأشار إلي أن تأثير الإسلام علي الحياة الإفريقية قبل الاستعمار لم يتوقف علي وجود محاكم وممالك وإمارات إسلامية فحسب ، وإنما امتد تأثيره علي المصطلحات المستخدمة في عالم السياسة في القارة ، كما أشار إلي الهجمات الشرسة التي طالت الإسلام والمسلمين في شرقي إفريقيا غداة قدوم قوي الاحتلال والاغتصاب ، لكنها عجزت عن إيقاف المد الإسلامي في غرب إفريقيا ، إذ أن نسبة المسلمين في بعض دول غربي إفريقيا كغينيا ، والسنغال ، والنيجر ، وموريتانيا وغامبيا ، ومالي تتراوح مابين ٩٠ ٪ إلي ٩٥٪ كما أن نسبتهم في دول كتشاد ونيجيريا تتراوح مابين ٧٠ الي ٨٠٪ ونسبتهم في دول كسيراليون وليبيريا ، وغانا ٥٠ إلي ٦٠٪ الأمر الذي يؤكد أن الإسلام دين أغلبية سكان القارة .

ويؤكد الكاتب نفسه في كتاب آخر بأن القارة الإفريقية يمكن لها أن تصبح في الأمد القريب أول قارة مسلمة ، فإذا كانت أوربا ذات أغلبية نصرانية فإن إفريقيا يمكن أن تغدو القارة الإسلامية ،

وأما مؤلفو كتاب Understanding Contemporary Africa فيؤكدون أنه لم يحدث أن وقع صدام مسلح بين الإسلام وبين تلك الأديان الأمر الذي مهد لانتشار الإسلام بسرعة فائقة في أكثر أرجاء القارة ، وأما الدين الكنسي فقد ارتبط وجوده بوجود قوي الاحتلال والاستغلال فالمبشرون هم الذين مهدوا لاستعمار القارة ، ونهب ثروتها .

العمل الصهيوني الكنسي الأمريكي للإعداد للاستكبار العالمي :

التخطيط الحثيث والدؤوب الماكر لتطويع وتسخير الآخرين لتحقيق أهداف ومقاصد الاستعمار الحديث تقوم به الصهيونية العالمية والعرقية اليهودية البغيضة والتي لا تظهر عادة في الصورة ، فهنالك المصالح المشتركة والأهداف والمقاصد المشتركة بين اليهود والمشركين والمسيحيين التي عرفت في الولايات المتحدة الأمريكية تحت مسميات شتي منها (الحركة الصهيونية المسيحية الأصولية ، التي استخدمت وسائل الإعلام المختلفة وأهمها التلفاز وذلك مثل الكنيسة الإلكترونية (Electronic Church) أو الكنيسة المرئية او الديانة في

الوقت الرئيسي أو الأساسي أو المناسب (Prime Time - Religion) والتي تبث برامجها في محطات عادية أو مغلقة الدائرة مستخدمة الأجهزة السلكية (Cables) وقد عرف من هؤلاء جيمس سواغيرات الذي عرفناه من تعصبه وكراهيته للإسلام في مناظراته مع الداعية الإسلامي أحمد ديدات وجيم بيكر الذي كان أشد كراهية للإسلام ، وكانت هذه المساهمات في العقدين الأخيرين من هذا القرن نتائج تخطيط وعمل الحركة الصهيونية اليهودية السياسية في مؤتمر بال عام ١٨٩٧م برغم أن هذه الحركة تتناقض مع العقيدة الكاثوليكية بمركزها الديني في الفاتيكان ، فالحركة تدعو لتوطين اليهود في فلسطين والكنيسة لم تكن تؤيد إلي مابعد الحرب العالمية الثانية حين صمتت الكنائس – وعلي رأسها الأمريكية – عن قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨م ثم من بعد في تدويل القدس ، ويعتبر المسيحيون الأصليون قيام إسرائيل أعظم حدث في التاريخ الحديث ودليلا علي أن نبوءات التوراة صارت حقيقة ، وذلك برغم أن قادة إسرائيل المؤسسين كانوا علمانيين ولايستجيبون للتنصير ، وكانت لهم روابط وثيقة بالاشتراكية العالمية إن لم نقل بالشيوعية المرفوضتين لدي المسيحيين الأصليين . ويصعب حصر موارد الكنيسة المرئية والمسموعة ولكن رقماً اتفقت عليه تقديرات رابطة الإذاعيين الدينيين الوطنيين (National Religious Broadcasters) وجريدة نيويورك تايمز ومعهد غلوب ومجلة المسيحية اليوم في عام ١٩٨٠م يشير إلي أن مواردها السنوية في ذلك الوقت من التبرعات تصل إلي أكثر من مليار دولار ، وإذا ما أضيفت إلي هذا المبلغ قيمة موارد الإعلانات ودعم البرامج ، فإن الرقم يرتفع إلي مليارى دولار سنويا .

ولنقف علي حجم التأثير علي الراي العام المحلي والإقليمي يمكن أن نفحص المعلومة التالية : (يبث القس فولويل Jerry Fallwel أهم برامجه المتلفزة واسمه (ساعة من إنجيل زمان (Old Time Gospel Hour) بشكل يومي لمدة ساعة ويذاع من خلال ٣٩٢ محطة مرئية و ٥٠٠ محطة مسموعة، وقد بلغ دخل هذا البرنامج في عام ١٩٧٨م حوالي ٦٠ مليون دولار وارتفع هذا الدخل فيما بعد وفقا للتقديرات المحايدة ، ، فإن عدد مشاهدي هذا البرنامج يصل إلي أكثر من خمسة ملايين وستمائة ألف شخص شهريا (٥ر٦٠٠ر٠٠٠ مشاهد) بينما يزعم جيري فولويل أن برنامجه يجتذب مابين ١٧ر٢٥ مليون شخص ، أما برنامجه الأخر فاسمه (جيري فولويل علي الهواء مباشرة) (Jerry Fallwell Live) ويبث أسبوعيا في كل أمسية من أيام الآحاد ويتلقاه ٣٤ مليون منزل . وتؤكد هذه البرامج التشرب بالفكرة الاستعمارية والتي تنقل أسبوعيا لترسخ في الذاكرة لتصبح دينا للجميع يؤمن بها ولا يتنازل عنها وليس لديه فرصة الوقوف علي بدائل أو وجهة نظر أخري فهو مهيىء إذا لقبولها .

يؤكد جيري فولويل ، من خلال شبكة الكنيسة المرئية والمسموعة باستمرار أن (دعاة تأسيس إسرائيل عند المسيحيين الأصوليين ، هو إيفاء بالنبوءات ويتوجب علي كل أمريكي بذل كل الجهد الممكن لضمان الدعم الكامل لإسرائيل) ولايكتفي بالحدود الجغرافية الحالية لإسرائيل بما فيها الضفة الغربية ، وغزة والجولان ، بل يطالب بامتداد أراضيها من الفرات إلي النيل ، فهو القائل في برامجه اليومي (ساعة من إنجيل زمان) في صيف ١٩٨٢م أثناء غزو إسرائيل للبنان :(يذكر سفر التكوين من التوراة أن حدود

إسرائيل ستمتد من الفرات إلي النيل ، وستكون الأرض الموعودة هي العراق وسوريا وتركيا والسعودية ومصر والسودان وجميع لبنان والأردن والكويت) ، كما يؤكد باستمرار أن دعم والتزام الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل مبني علي (إعتبارات أخلاقية روحية وتاريخية أمنية) . ويهاجم فولويل في برامجه وخطبه الدينية الدول العربية ويري أن (لا مكان للعرب بيننا ، ولاعلاقات حسنة معهم ، لأنهم ينكرون قيم الولايات المتحدة الأمريكية ، وطريقة معيشتها ويرفضون الاعتراف بإسرائيل) .

من هذا يتضح أن الفكر الاستعماري والأطماع الاستعمارية حقيقة لايخفونها في حياتهم العادية ، بينما تقوم الدبلوماسية بالظهور بمظهر مختلف تماما وتتحدث أحيانا بموضوعية وهدوء حتي تبعد تماما حقيقة مايحدث ويتفق عليه الجميع والذي لا تظهر حقيقته إلا في الأوقات المناسبة والمواقف المناسبة ، وعندئذ يندم الثور الأسود لما أكل الثور الأبيض ووقوفه متفرجا ومحايدا في بله حينئذ .

ومهما تكن حقيقة حجم مشاهدي هذه البرامج فمن الثابت أنها نمت باستمرار طوال العقد الأخير ، وصارت نجومها ظاهرة عصرية في الحياة اليومية الأمريكية ، وقد بلغ عدد محطات شبكات التلفزيون للكنيسة المرئية في عام ١٩٨٥م حوالي ١٥٠٠ محطة ، أما محطات الإذاعة الدينية فيقدر عددها مابين ١٢٠٠/ ١٤٠٠ محطة تبث الواحدة منها حوالي ١٧ ساعة يوميا من بينها ٣٧٪ من الوقت للوعظ والإرشاد الديني و١٢٪ للأخبار والمقابلات كما ازداد اعتمادها في السنوات الأخيرة علي استخدام الأقمار الصناعية في بث برامجها ، ويقدر أن نصف هذه المحطات يستخدم الأقمار الصناعية (وقتئذ) ونقف في الجدول التالي الذي نستعرض فيه قائمة أهم عشرة برامج في الكنائس المرئية تبعا لأكثرها شعبية واجتذابا للمشاهدين في الفترة من ١٩٨٠م – ١٩٨٥م ، علما بأن هذه حقائق قد حدثت قبل عشر سنوات ، ورغم تخلفنافي المتابعة والدراسة والتمحيص إلا أنها تصلح مؤشرا للجهد الإقليمي والمحلي والذي يؤثر عالميا على مجري الأحداث في المسرح العالمي والإقليمي والذي نتأثر به ويؤثر علينا ، ومن المؤسف وفي ضوء هذه الحقائق أن يكون موقف الدول العربية والإسلامية في هذا المجال ضعيفا وسخيفا ، نحن في غفلة تامة لما يحدث حولنا ولايعصمنا مما يحدث إلا الإيمان ثم الدعاء ولا حول ولاقوة إلا بالله القائل عز وجل

(إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلي جهنم يحشرون) الأنفال ٣٦

وتتصدر قائمة المحطات المسموعة والمرئية المسيحية القس بات غوردون روبرتسون مؤسس الشبكة المسيحية المؤسسة في بورتسموث في فرجينيا ١٩٦١م والتي تملك محطات (سبعمائة ناد 700 Club وشبكة الإذاعة المسيحية المعروفة بإختصار Christian Broadcating Network والذي يذاع برامجه أربع مرات يوميا ويجذب ٤ ملايين وأربعمائة ألف يوميا وبخاصة النساء وتظهر برامجه لمدة نصف ساعة في أكثر من ١٣٠ محطة متلفزة وفي ٦٢٨٨ محطة سلكية تلفزيونية (Clable T. V) بالإضافة للمحطات الأربع التي تملكها الشبكة .

هذا علما بأن روبرتسون هذا كان ضمن الوفد الأمريكي الرسمي المرافق لنائب الرئيس بوش في زيارته

الرسمية إلي السودان في فبراير ١٩٨٥م وقد وقع علي إثرها إتفاق أمريكي - سوداني بترحيل يهود إثيوبيا (الفلاشا) إلي إسرائيل ، ولحركة روبرتسون أثر واضح علي السياسة إذ أنه يؤثر علي ٢٢ مليون مسيحي أصولي أصبحوا أعضاء في الحزب الجمهوري .

قائمة بأسماء أهم عشرة برامج في الكنائس المرئية تبعا لأكثرها شعبية واجتذابا للمشاهدين في الولايات المتحدة الأمريكية

إسم البرنامج وصاحبه	البث	المشاهدون أسبوعيا	المشاهدون شهريا
السبعمائة ناد بات روبرتسون The 700 Club Pat Robertson	يومي	٤٤٢٠٠٠٠	١٦٣٠٠٠٠٠
الحملة الصليبية الأسبوعية جيمي سواغيرت Weekly Crusade Jimmy Swaggert	أسبوعي	٣٦٤٠٠٠٠	٩٢٦٤١٠٠
ساعة من القوة (روبرت شلر) Hour Of Power Jim Bakker	أسبوعي	٢٧٢٠٠٠٠	٧٦٤١٠٠٠
مجدوا الرب جيم باكير Praise The Lord (PTL Jim Bakker	يومي	٢٤٦٢١٠٠	٥٧٧٣٢٠٠
توقع معجزة أورال ربوتس Expect a Miracle Oral Roberts	أسبوعي	٣٠٣٧٦٠٠	٥٧٧٣٢٠٠
ساعة من إنجيل زمان جيري فولويل Old Time Gospelg HourJerry Falw	يومي	١٨٧٠٠٠٠	٥٦٠٣٤٠٠
برنامج واستعراض كينيث Kenneth Coland	أسبوعي	١٧٨٢٩٠٠	٤٩٢٤٢٠٠٠
دراسة في الكلمة جيمس سواغيرت Astudu in the World Jimmy Swaggert	يومي	١٨٦٧٨٠٠	٤٥٨٤٦٠٠
يوم الاكتشاف بول فان غوردر Day of Discovery	أسبوعي	١٤٤٣٣٠٠	٤٠٧٥٢٠٠
برنامج واستعراض ركس هامبرد Rex Humbard	اسبوعي	١٦١٣١٩٩	٣٧٣٥٦١٠

المصدر :

Darid W. Clark , Religious Television Audience " Paper presented at : The Sociltyor the scientific Study of Religion
Savannah , Georgia , 25 October 1985 P. 27

أسماء البرامج الرئيسية بحسب سن المشاهدين وجنسهم (نسب مئوية)

إسم البرنامج	نسبة المشاهدين من النساء	نسبة المشاهدين من الرجال	
	الإجمالي	من سن ٢٥ – ٥٤	فوق ٥٥
السبعمائة ناد	٥٩	٤٥	٥٥
برنامج (الحملة الصليبية) الأسبوعي لجيمي سواغيرت	٤٣	٢٣	٧٤
برنامج (ساعة من قوة)	٥٢	٣١	٦٨
برنامج (توقع معجزة)	٥٣	٢٠	٧٧
برنامج (ساعة من إنجيل زمان)	٤٣	٤٤	٥٦

استغلال الاستعمار للمنظمات العالمية والإقليمية والمحلية :

استغل الاستعمار الحديث المؤسسات العالمية والمنظمات والمؤتمرات لتغيير سلوك الأفراد في جميع أنحاء العالم من خلال إقرار معاهدات ومواثيق دولية معدة بذكاء ودقة لتسيير الجميع نحو مخططات الاستعمار والصهيونية العالمية ، والاستعمار الذي يري أن موارد العالم الطبيعية هي ملك له يخطط ليمنع التزايد السكاني الذي قد يحرمه من استغلال مايراه احتياطيا لموارده في المستقبل لهذا ظل يعقد المؤتمرات المختلفة ومن أمثلة محاولته لتحديد الأسرة وكبح الانفجار السكاني لمصلحته ولمصلحة الصهيونية ولتغيير المعتقدات والقيم الدينية لتناسب أهدافه ومقاصده .

وقد يكون من المفيد الإشارة إلي أن مؤتمر السكان والتنمية الذي عقد بالقاهرة خلال الفترة من ٢٩ ربيع أول إلي ٨ ربيع الآخر ١٤١٥هـ الموافق ٥-١٣ أيلول سبتمبر ١٩٩٤م يعد حلقة في سلسلة متصلة من المؤتمرات التي اتخذت طابعا عالميا ابتداءا من عام ١٩٩٢م حيث عقد ماعرف (بقمة الأرض) في ريو دي جانيرو في البرازيل ثم (المؤتمر العالمي حول حقوق الإنسان) في فينا بالنمسا عام ١٩٩٣م ، والمؤتمر العالمي للحد من الكوارث الطبيعية) في يوكاهاما في اليابان عام ١٩٩٤م (والقمة العالمية للتنمية الاجتماعية) في كوبنهاجن في الدنمارك عام ١٩٩٥م والمؤتمر العالمي الرابع للمرأة في بكين بالصين ١٩٩٥م وأخيرا مؤتمر الأمم المتحدة للمستوطنات البشرية الذي عقد في اسطنبول مطلع حزيران يونيو في عام ١٩٩٦م .

المراجع :

١- القرآن الكريم

٢- د. أحمد عبدالرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان دراسة أولية ، وزارة التربية والتوجيه (الشؤون الدينية والأوقاف) الخرطوم الطبعة الأولي ١٣٩٩هـ /١٩٧٩م

٣- د. أحمد عبدالرحيم السايح ، في الغز الفكري ، كتاب الأمة العدد رقم ٣٨، قطر رجب ١٤١٤هـ

٤- الدكتور الحسين سليمان جاد ، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية رؤية شرعية ، كتاب الأمة ، العدد ٥٣ جمادي الأولي ١٤١٧هـ السنة السادسة

٥- حسين المحسي ، هموم الدعوة الإسلامية في إفريقيا ، منار الإسلام العدد الرابع السنة العاشرة ، ربيع الآخر ١٤٠٥هـ يناير ١٩٨٥م

٦- د. يوسف الحسن ، البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني ، مركز دراسات الوحدة العربية ، سلسلة أطروحات الدكتوراة رقم (١٥) بيروت لبنان الطبعة الاولي ١٩٩٠ محمد جلال كشك ، الغزو الفكري ، مكتبة الأمل ، رجب ١٣٨٧هـ ، أكتوبر ١٩٦٧م الطبعة الثالثة

٧- د. محمد البهي ، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، دار الفكر بيروت لبنان

٨- الطبعة السادسة ، ١٩٧٣م

د. قطب مصطفي سانو ، النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا قراءة في البديل الحضاري ، كتاب

٨- الأمة العدد ٦٣ ، المحرم ١٤١٩هـ السنة الثامنة عشر.

التنصير والاختراق الأخلاقي الاستعماري لإفريقيا
(الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية)

إعداد د. إبراهيم علي محمد أحمد *

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم نشهد أنه بلغ الرسالة وأدي الأمانة ونصح الأمة وجاهد في سبيل الله حتي أتاه اليقين ونحن علي ذلك من الشاهدين .

وبعد : يظن كثير من الناس أن المنصرين يأتون إلي إفريقيا لنشر الدين المسيحي علي أنه هدفهم الأسمي ، ولكن الحقيقة خلاف ذلك ومانشر النصرانية سوي أمر ثانوي جدا لدي جل الحركات والجمعيات التنصيرية ، وربما يكون هناك القليل والقليل جدا يأتي من أجل نشر الدين النصراني هدفا أولا ، بينما الكثر ه الغالبة من الذين يمولون الحملات التنصيرية ، والذين يأتون فيها لاصلة بين أهدافهم الحقيقية وبين الدين الذي يزعمون أنهم قد جاءوا لنشره .

فالمتأمل لحياة العالم الغربي يجده عالما ملحدا لايؤمن بدين ، وعالما ماديا لايعرف للروح معني ، فأمريكا التي تعبد الحديد والذهب والبترول – كما يقول أمين الريحاني – قد غطت نصف الأرض بمنصرين يزعمون أنهم يدعون إلي حياة روحية وسلام ديني (١) ، وفرنسا دولة علمانية في بلادها وتجدها الدولة التي تحمي رجال الدين – المنصرين – في الخارج ، إن اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم فرنسا في الداخل وأصدقاؤها الحميمون في مستعمراتها (٢) . وايطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء وحجزت البابا في الفاتيكان كانت تبني جميع سياساتها الاستعمارية علي جهود الرهبان.والمنصرين (٣) ، وكان العسكريون الانجليز يحضون حكومتهم علي بث المنصرين في العالم كما نصح الجنرال هايغ الحكومة البريطانية أن ترسل منصريها إلي شبه الجزيرة العربية (٤) . وحتي الأفراد الذين ينتشرون في الأرض للتنصير بزعمهم لم يأتوا في واقع الأمر للتنصير بل معظمهم يحب المغامرات والأسفار ، ومنهم من يطمع في السيطرة الشخصية علي من حوله ، ومنهم من يحب فرض رأيه علي الآخرين (٥) وليس ذلك فقط بل إن بعضا من المنصرين يسعون وراء أطماع شخصية بحتة (٦) وهذا بشهادة الغربيين أنفسهم .

وعليه يكون الهدف الأساسي للتنصير هو اختراق القارة الإفريقية واستعمارها ، والسيطرة عليها ، واستعباد أهلها ، واستغلال خيراتهم وتسخير سكانها لتحقيق أهداف الغرب ، مستغلة في ذلك غطاء العمل التنصيري الذي سبق الاستعمار الغربي للقارة الإفريقية .

---

* (جامعة أمدرمان الإسلامية) كلية أصول الدين

منذ اوائل القرن الثالث عشر توالت الجمعيات التنصيرية في النزوح إلي افريقيا ، وازداد ذلك النزوح في القرن الرابع عشر إلي الثامن عشر حيث كان الرهبان الدومينكان والفرنسيسكان يعملون جاهدين في مراكش والجزائر وتونس ومصر (٧) . إذن ماكانت البعثات التنصيرية سوي رحلات استكشافية سبقت الاستعمار الغربي لإفريقيا ، وقد استخدمت تلك البعثات عدة أساليب تحت مظلة العمل الاجتماعي ، والمتمثل في الإغاثة والخدمات الطبية والخدمات التعليمية ، وتحت مظلة العمل الثقافي والفكري ، المتمثل في الخطاب المباشر المرئي ، والمسموع ، والمقروء والخطابات والرسائل والوعظ الديني ، والاتصال الفكري المتجسد في المطبوعات والندوات ، وتوزيع النشرات .

وإذا كان التنصير في الماضي قد مهد للاستعمار فإنه الآن يعمل جاهدا كي تصبح القارة الإفريقية تابعة للغرب تدور في فلكه ، وتكون مصدرا هاما للمواد الخام وسوقا لمنتجات الغرب ، وفي الوقت ذاته تعمل المنظمات التنصيرية علي زرع الفرقة والشتات بين أبناء القارة السمراء ، وبث الفتن والحروب بين أبناء القطر الواحد ، حتي تنشغل القارة بمشكلاتها الداخلية ، ولاتلتفت إلي تنمية نفسها ، وتقدم أنسأنها ، فما من مشكلة ، أو قضية تعاني منها القارة الإفريقية ، إلا وكان من خلفها المنصرون ومامن كارثة حلت بارض هذه القارة وإلا تكالبت عليها المنظمات التنصيرية تحت غطاء الصليب الأحمر أو المنظمات الخيرية . ونحن الآن بصددالحديث عن جانب من وسائل تلك المنظمات التنصيرية العاملة في القارة الإفريقية ، لتحقيق أهدافها ، واختراق القارة ، وتعد هذه الوسائل من الخطورة بمكان ، وذلك لما لها من أثر بالغ علي سكان إفريقيا ، وللإمكانات الهائلة التي وضعها المنصرون لها وتدريب الكوادر للعمل عليها ، وتوجيهها الوجهة التي تخدم التنصير عبر وسائل سخر لها آخر ماتوصلت إليه التكنلوجيا وسوف نتناول في هذا البحث الوسائل المرئية ، والمسموعة ، والمقروءة ، والخطابات ، والرسائل المباشرة ، والمطبوعات ، وتوزيع النشرات .

والمادة المقدمة عبر هذه الوسائل هي مادة ثقافية فكرية تمثل محورا أساسيا من محاور التنصير ، والاختراق الاستعماري في إفريقيا ، وسوف نتناول كل وسيلة علي حدة .

أولا : الوسائل المرئية :

تعد الوسائل المرئية من أكثر الوسائل الإعلامية تأثيرا وبخاصة التلفزيون والسينما لذا فقد اهتم بها المنصرون أيما اهتمام لنشر النصرانية ، وقد صرح الجنرال شاهي بونارسيا توياغ في مؤتمر مجلس الكنائس العالمي المنعقد في مدينة جنيف ١٩٧٨م صرح قائلا :

(إنه يجب السيطرة علي وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون) (٨) وقد بلغ الإنفاق علي المجالات الإعلامية في سنة من السنوات الماضية ثلاثين مليون دولار (٩) . إن ذلك يؤكد مدي اهتمام المنصرين بهذه الوسيلة وربما يرجع هذا الاهتمام إلي الأثر الذي لمسوه من هذه الوسيلة ، وبخاصة في إفريقيا .

لذا فقد تم إنشاء مركز تنصيري عالمي للإعلام في كنشاسا الهدف منه تدريب الكتاب الأفارقة ، والناشرين ، والموزعين ، والعاملين بالإذاعة والتلفزيون لإعداد البرامج الإذاعية والتلفزيونية ، وعلي وجه الخصوص البرامج الدينية لبثها في كل إفريقيا ، يقول السيف براون مدير المركز العالمي للإعـــلام

المسيحي:(إن إفريقيا تحتاج إلي قياديين متدربين في كيفية نشر كلمة المسيح بأي طريقة ممكنة) (١٠).

وأحدث المشاريع التلفزيونية المرئية مايسمي بمشروع (لومين ٢٠٠٠) الذي يعد الأول من نوعه من حيث الحجم واتساع رقعة البث وإمكانية السيطرة إعلاميا - تلفزيونيا - علي كافة قارات العالم وبالخصوص قارتي إفريقيا وآسيا اللتين يوجد فيهما المسلمون بشكل مكثف ويتمثل هذا المشروع - الذي تقدم به الكاثوليكي جوسائي - في بناء محطة تلفزيونية كبيرة للبث في كافة أنحاء العالم للتنصير بتعاليم الأنجيل بواسطة ثلاثة أقمار صناعية ، هذا بالإضافة إلي احدي وعشرين ومائتي محطة للبث التلفزيوني التنصيري يشاهدها حوالي أربعة عشر مليون شخص بانتظام (١١) .

إن المنصرين لم يقتصروا في الوسائل المرئية علي التلفزيون بل اتجهوا إلي السينما المتجولة لبث الأفلام التنصيرية في الريف ، وسط الأميين من أبناء القارة ، وتأتي خطورة السينما المتجولة لكونها تخاطب أناسا بسطاء ليس لهم ما يحصنهم من العلم ولا الدراية التامة بتعاليم الدين الإسلامي ، الأمر الذي يجعلهم صيدا سهلا للمنصرين عبر تلك الوسيلة وهناك دور متخصصة في إنتاج هذه الأفلام وترجمتها إلي معظم لغات ولهجات القارة الإفريقية ، وهنا تكمن الخطورة التي تستوجب الانتباه والحذر من قبل المنظمات الدعوية العاملة في مجال الدعوة في قارة إفريقيا فتحاول توعية وتثقيف المسلمين وبخاصة الأميين وسكان الريف .

ثانيا : الوسائل المسموعة (الاذاعة) :

سنركز علي الإذاعة دون سواها من الوسائل المسموعة وربما يرجع ذلك إلي مدي أهمية وخطورة هذه الوسيلة ، ولعل هذا ماجعل أحد المنصرين والباحثين في مجال العمل التنصيري يقول :(يبدو أن الاذاعة هي إحدي الوسائل الرئيسية التي يمكن بواسطتها الوصول إلي المسلمين في بلدان الشرق الأوسط وشمال إفريقيا المغلقة ، حيث الإذاعة يمكنها كما نعلم أن تخترق الحواجز الحدودية ، وأن تعبر البحار وتقفز الصحاري و أن تنفذ إلي مجتمعات المسلمين المغلقة والذين لم تسنح الفرصة لأغلبيتهم لأن تسمع عن رحمة التخليص التي أودعها الرب يسوع.. اذا أردنا الوصول بصورة موثرة برسالة ربنا عيسي المسيح إلي العالم الإسلامي في هذا الجزء الأخير من القرن العشرين فالإذاعة ضرورة قصوي وجزء مهم جدا من برامجنا) (١٢) . لقد أدرك المنصرون أهمية هذه الوسيلة في إيصال المادة التنصيرية للمسلمين وبخاصة في القارة الإفريقية وقد تم إنشاء عدد كبير من محطات الإرسال الإذاعي بلغ في إحصائية قديمة ١٦٢٠ محطة إرسال (١٣) تصل إلي المسلمين عن طريق ثلاثة أشكال : عن طريق هيئات الإذاعات الحكومية أو عن طريق استئجار الإذاعات التجارية ، أو بواسطة الإذاعات التنصيرية .

وتكمن خطورة البرامج الإذاعية التنصيرية (١٤) في كونها معدة إعدادا محكما ينبني علي أسس علمية مدروسة فهم يستخدمون الموسيقي التي تناسب كل منطقة علي حدة ، وتقدم برامج بعيدة عن النصرانية كي يستمر المسلمون في الاستماع إلي البرامج النصرانية ، يقول أحد المنصرين :(لقد ألغينا فترات موسيقانا الغربية والأناشيد الدينية ، واستخدمنا أساسا الموسيقي الشعبية .. وفي هذه المرحلة لم تقدم أية رسالة نصرانية ولكنها برامج فقط تكون بمثابة (طعم) لجعل المسلمين يستمرون في الاستماع لبرامجنا وقد يسر

لنا الرب (منشدا) للنصوص المقدسة ذا صوت جميل ينشدها كما يرتل المسلمون القرآن ، إن قراءة الكتب المقدسة بهذه الطريقة غيرت الموقف تماما فقد وردت إلينا مثل هذه الاستفسارات : (أي جزء من القرآن يقرأ ذلك المرتل ؟) وقد أرسلنا إليه الإنجيل مع الإجابة بأن القراءة كانت من الإنجيل الشريف (١٥) .

كما أنهم يستخدمون المصطلحات الإسلامية في برامجهم الإذاعية يقول أحد المنصرين : (وكنا نستخدم أساسا مصطلحات إسلامية فمثلا استعملنا (عيسي بدلا من اليسوع.. (وكان الصوماليون يسألون من هو هذا الذي يدعي يسوع؟ وكنا حينئذ ننقلهم من عيسي الذي يعرفون إلي يسوع الذي يجهلونه) (١٦) .

أضف إلي ذلك أن المنصرين يستخدمون البرامج الدرامية في التنصير عبر الإذاعة يقول أحد المنصرين (وكانت البرامج الدرامية هي الأولي في قائمتنا) (١٧) .

إن المنصرين أهتموا بالقارة الإفريقية وركزوا عليها وقاموا بتوجيه برامجهم الإذاعية إليها مستخدمين في ذلك جميع لهجات ولغات القارة ، وهناك برامج إذاعية خاصة بإفريقيا شمال الصحراء تقدم باللغة العربية واللهجات المحلية المنبثقة من العربية ،أما أهل إفريقيا جنوب الصحراء فيوجهون إليهم البرامج الإذاعية بلغتهم ولهجاتهم كالهوسا والسواحيلية ونحوها . هذا في الوقت الذي لانجد فيه سوي إذاعة إسلامية واحدة كانت تقدم برامجها إلي غرب إفريقيا وتغطي ١٦ دولة إفريقية ومدة البث فيها أربع ساعات فقط .

ثالثا : الوسائل المقروءة (الصحف والمجلات) :

لقد اهتم النصاري بالمجلات علي وجه الخصوص وقد أولوها أهمية بالغة ففي مؤتمر كلورادو التنصيري أفرد بحث خاص لوسائل الإعلام بل وخصص بحث كامل لجزئية من وسائل الإعلام وهي (المجلة) وقد ورد في هذا البحث مناقشة أربع فرص إعلامية هي :

١. الحاجة الفورية إلي مجلة رئيسية رائدة في هذا المجال – أي مجال التنصير – من الإرساليات الخاصة بالمسلمين .

٢. الحاجة الآن إلي عدة مراكز إعلامية رئيسية لجمع وتنسيق المعلومات التي يمكن أن تكون في أوربا وامريكا الشمالية واستراليا وجنوب شرق آسيا والهند والشرق الأوسط وإفريقيا السوداء .

٣. الحاجة في وقت قريب جدا إلي مجلات متنوعة ومتعددة توجه بالتحديد إلي المسلمين ، وتكون مهيأة لتفي باحتياجات كل جماعة عرقية لغوية رئيسية في العالم .

٤. الحاجة في المستقبل القريب إلي مجـلات موجهة نحـــو حركـــة (المســلمين من أجل يسوع ، أو مسلمي المهدي) (١٨) .

إن هذه الاقتراحات طرحت قبل تسعة عشر عاما وربما طبقت ونفذت الآن فعلا لأنها كما يلاحظ مقرونة بالعبارات (الحاجة الفورية) و (الحاجة الآن) و (الحاجة في وقت قريب جدا) (والحاجة في المستقبل القريب) ونحن نعلم أن أولئك الناس ينفذون مايقررونه ولهم الإمكانيات التي تؤهلهم لذلك ولديهم الكوادر المؤهلة المدربة لتنفيذ ذلك .

وينفذون مايقولون بدقة ولعل هذه المجلة الآن تباشر صدورها وتؤدي دورها في مجال العمل التنصيري ،

وربما لقلة الاهتمام وعدم المتابعة للنشاط التنصيري وغياب المعلومة في عصر المعلومة ربما لذلك كله وسواه لم نستطع تحديد ما إذا رأت هذه المجلة - المشروع المطروح في عام ١٩٧٨- رأت النور أم لا ؟ وإذا رأت النور فما تقييمنا لها ؟ وما مدي أثرها ومدي خطورتها ؟

أضف إلي ذلك أنه وضع تصور لمجلة تنصيرية تصدر من عدة لغات موجهة إلي المسلمين بحيث اقترح أن يكون عدد صفحاتها مابين سبع وسبعين ومائة صفحة ، وأن يكون شكلها جذابا وتصدر مبدئيا مرتين في السنة مع أمل أن تصدر أربع مرات في السنة في شهر يناير ، وابريل ، ويونيو ، واكتوبر ، أو في كل فصل من فصول السنة الأربعة(١٩) ثم وضع تصور للموضوعات التي تحويها فذكروا علي سبيل المثال : أخبار وآراء ، وأخبار العالم الإسلامي وشهادات المسلمين المنصرين... ألخ (٢٠) .

إذن النصاري جادون في استخدام هذه الوسيلة في التنصير ، وذلك من خلال ما أشرنا إليه سابقا ، وتكمن الخطورة في أن هؤلاء قد أدركوا أهمية هذا النوع من الوسائل في العمل التنصيري ، وبذلوا الجهود الكبيرة ، وأنفقوا الأموال الطائلة لهذا الغرض فبلغ عدد الصحف والمجلات التي تخدم التنصير بشكل مباشر ، أو غير مباشر ثماني وثلاثين صحيفة ومجلة وبلغت دور النشر تسعا وعشرين داراً للنشر ، وبلغ عدد الأستديوهات النصرانية للإنتـــاج الإذاعي ، والتلفزيوني خمســـــة وثلاثين استديو ، هذا في دولة واحدة فقط هي اندونيسيا (٢١) . إن اهتمام المنصرين بهذه الوسيلة لهو دلالة واضحة علي النتيجة التي جنوها من الصحف والمجلات في مجال العمل التنصيري الأمر الذي يحتم علي المسلمين الانتباه لما يجري ويدبر للمسلم وإنسان القارة الإفريقية من جراء السيل الذي ينهال عليه من الصحف والمجلات بشتي لغات ولهجات أهل القارة ، وهذا في الوقت الذي نجد فيه غيابا شبه تام للصحف والمجلات الإسلامية التي توزع في قارة إفريقيا لأجل نشر الدعوة الإسلامية ورفع جهل الأمة المسلمة في هذه القارة ، وهذا نقص واضح لاتخطئه عين

رابعا : الخطابات والرسائل المباشرة :

أستغل المنصرون الخطابات والرسائل في العمل التنصيري بصورة واسعة وهناك ثلاثة أنوا ع من الرسائل التنصيرية :

١- الرسائل الإذاعية : هي عبارة عن رسائل بين الاذاعة والمستمعين حيث تقوم الإذاعة التنصيرية بإرسال رسائل إلي المستمعين بلغتهم ولهجتهم بناء علي رسالة من المستمع سبق أن أرسالها إليهم علي العنوان الذي تلقاه من تلك الإذاعات (٢٢) وهي كثيرة وسبق أن أشرنا إلي أن عددها يفوق ١٦٢٠ إذاعة ومحطة إرسال ، وأشهر هذه الاذاعات التي تهتم بهذا النوع من الرسائل إذاعة حول العالم ، وصوت الإنجيل وصوت النبوة وساعة الإصلاح (٢٣) وسواها .

٢- دروس المراسلة : بدأت دروس المراسلة بوصفها وسيلة من وسائل نشر النصرانية علي وجه التقريب عام ١٩٦٣م (٢٤) ، وتقوم عدة جهات منها إدارة تقديم المسيح إلي الأمم في بيروت (٢٥) والمعهد الدولي للدراسة بالمراسلة في إسبانيا (٢٦) ، والمركز اللوثري للخدمات الدينية في بيروت وغيرها من المؤسسات التنصيرية الأخري (٢٧) ، وعناوين الدروس المقدمة للرجال والنساء معا نذكر منها حياة يسوع المسيح ،

ورجاء العالم ، وسلسلة الله أكبر ، وأما الخاصة بالنساء فقط فمنها حقوق المرأة وماذا يقول عنها الكتاب المقدس ، وكيف تعيشين في الإسلام من ضغوط السحر ، وكيف تجدين حلولا لمشكلات أسرتك (٢٨) .

ترسل هذه الدروس إلي جميع قارات العالم بما فيها قارة إفريقيا وتكتب بلغات ولهجات المنطقة التي ترسل إليها ، ومن هنا تأتي الخطورة لأن هذه المادة التي تحتويها تلك الدروس معدة إعدادا محكما متقنا ، ويشرف عليها علماء مختصون ، وتصمم بطريقة جذابة ، وتختار لها الألفاظ ، والكلمات اختيارا ،

٣- رسائل المنظمات التنصيرية : هي تلك الرسائل التي تشرف عليها المنظمات التنصيرية العاملة وسط المجتمع الإفريقي والتي تقوم بتبني أطفال المسلمين بحيث تجعل لكل طفل مسلم فقير والدا يسمي (بالوالد البديل) وتقوم هذه المنظمات بمهمة الوسيط بين الأسرة الغربية التي تبنت الطفل المسلم ، فتقوم بإيصال الهدايا المادية من الوالد البديل إلي الطفل ، وتأخذ صورة من الطفل بصفة دورية ، وترسلها إلي تلك الأسرة ، وتقوم الأسرة بإرسال صور إلي الطفل ، وتبعث مع تلك الهدايا والصور رسالة تدور حول التنصير فيذكرون له مثلا أنهم احتفلوا بعيد المسيح الذي هو ابن الرب ، وهو جاء إلي الارض لينقذنا من خطايانا (٢٩) وعبارة أريد أن أخبرك عن الرب عيسي المسيح .. قد كان الطفل الوحيد للرب(٣٠) وفي رسالة اخري عبارة في يوم من الأيام كان لابد من موت الرب عيسي علي الصليب لأجل خطايانا ، ويعيش هناك مع ألرب أبيه (٣١) ، ولا ريب أن مثل هذه الرسائل ستترك أثرا علي أطفال المسلمين في هذه القارة لأنها موجهة إلي إطفال صغار ، وبأسلوب سهل مبسط يتناسب ومقدرته العقلية ، ومن هنا تأتي الخطورة .

تعمل هذه المنظمات في إفريقيا شمال الصحراء وبخاصة في السودان ومصر (٣٢) وتعمل أيضا في إفريقيا جنوب الصحراء في الصومال وكينيا ، الأمر الذي يؤكد مدي اهتمام النصاري بهذه الوسيلة ، ومعلوم سرعة تأثر الصغار بمثل تلك الرسائل التي تكون مصحوبة بصور ومناظر تحبب الأطفال في الاطلاع عليها ، أضف إلي ذلك الطريقة التي كتبت بها تناسب الطفل تماما فنجد ألفاظ (الطفل الوحيد) ، الأب ، ابن ، الرب ومن هنا تأتي الخطورة .

خامسا : المطبوعات :

نعني بالمطبوعات هنا تلك الكتيبات التي تصدرها المؤسسات التنصيرية والتي تحتوي علي مادة تنصيرية معدة إعدادا محكما ومتقنا ، وتكتب بعددٍ من لغات ولهجات القارة الإفريقية وبعض هذه الكتيبات يصدر من دور نشر داخل القارة الإفريقية في كينيا ويوغندا ولكن معظم هذه الكتيبات كان يصدر في بيروت عن مركز الشبيبة الذي كان مقره لبنان ولكن لظروف الحرب وعدم الاستقرار انتقل هذا المركز إلي المانيا و أنه الآن يباشر عمله من هناك (٣٣) ، وهو من أنشط المؤسسات التنصيرية العاملة في هذا المجال ، وهناك مؤسسات أخري (٣٤) .

تتضمن هذه الكتيبات موضوعات عديدة منها مايتعلق بتعاليم الإنجيل ، أو تفسير نصوصه ، أو يتحدث عن العقائد النصرانية من تثليث ونحوه ، وتأخذ من معان ومضامين مثل : أومن ، وبلا رجوع ، الرب يعرف المستقبل ، الصليب في الانجيل والقرآن ، وهل سيغفر الرب خطيئتي ، هل استطيع معرفة الرب ، الخطيئة

والتكفير عنها في الإسلام والنصرانية ، وكل هذه الكتيبات وغيرها تكتب وتترجم إلي عدة لغات ولهجات وتوجه إلي جميع أنحاء العالم بما فيه إفريقيا مثار حديثنا هنا .

وهناك سلسلة خاصة من هذه الكتيبات توجه إلي إفريقيا دون سواها ومنها :(سلسلة التوجه الصحيح) وهي سلسلة من تسعة كتيبات منشورة بواسطة مطبعة الارسالية الإنجيلية في جنوب إفريقيا ، وهناك ستة عشر كتابا تنصيريا من تأليف جون جلكرايست من إرسالية المسيح إلي المسلمين في جنوب إفريقيا (٣٥) .

ونظرا لأهمية المطبوعات فقد صدرت توصية من مؤتمر كلورادو التنصيري يقول نصها : (يجب تطوير المطبوعات المخصصة في مساعدة المتنصر الجديد ، وكنسية المتنصرين من عائلة مسلمة أو مجتمع مسلم مثل إعداد مواد خاصة بدراسة الإنجيل ، وكتيبات الصلاة ، والعبادة وتنظيم الكنيسة و أدلة عن المشاكل الثقافية والاجتماعية ، ولقد قامت الإرسالية التنصيرية لشمال إفريقيا بعمل استشكافي هام حول هذا الموضوع الحيوي من خلال نشرتها عن تطور الكنيسة في شمال إفريقيا وقد صدر دليل عن العقيدة والحياة النصرانية للكنائس الإنجيلية في شمال إفريقيا عام ١٩٧١) (٣٦)

أن المتأمل للنص السابق يجد مدي الاهتمام الذي يوليه النصاري للمطبوعات وذلك من دقة وقوة الألفاظ أضف إلي ذلك العناية بالمتنصرين الجدد وبخاصة من المسلمين الأمر الذي يؤكد أن هناك عدد ا من المسلمين قد تنصر فعلا ولاسيما في إفريقيا كما أن النص أشار إلي دور الإرساليات في إفريقيا شمال الصحراء في إصدار المطبوعات واصفا ذلك الدور بالعمل الاستكشافي الهام ، مما يؤكد وبصورة قاطعة مدي عناية المنصرين بهذه القارة وإنسانها وبخاصة المسلمين منهم .

سادسا : النشرات :

تمتاز بصغر حجمها وتقارب أسطرها وصغر كلماتها ومعظم النشرات تتكون من ورقة واحدة تثني عدة مرات ، وتكون الكتابة علي جانبي الورقة ، وتمثل كل ثنية صفحة صغيرة ، وتتراوح في العادة مابين أربع إلى سبع صفحات وألوانها متباينة وتمتاز بكونها هادئة ، ويختار لها أكثر الألوان شيوعا وجاذبية ، وغالبا ما يكون اللون واحدا وقليلا ماتتعدد الألوان في النشرة الواحدة ، ومداد العنوان يخالف لونها حتي يبدو واضحا وملفتا للنظر (٣٧) .

والورق الذي تكتب عليه هذه النشرات من النوع الممتاز الذي يقاوم ، ويعيش أطول مدة ممكنة فنجدها سميكة تقاوم التمزق وهي مصممة بطريقة لاتجعلها تتأثر بالماء أو العرق ، وذلك لأن هذه النشرات تحمل عادة في الأيدي ، أو الجيوب مما يعرضها لمثل تلك المؤثرات ولايخفي مافي ذلك من خطورة ، لأن هذه النشرات عادة يتم تبادلها بين الناس الأمر الذي يجعل أثرها محتملا علي الذين يتداولونها أو الذين يقتنونها (٣٨) .

ومما يزيد من اتساع خطر هذه النشرات أنها تكتب بلغات ولهجات أهل القارة وبالتالي يمكن أن توثر علي قطاع كبير من أبناء إفريقيا وبخاصة أن هذه النشرات صغيرة الحجم قصيرة الموضوع ، فهي عادة ماتقرأ في جلسة واحدة ، وربما داخل مركبة من المركبات العامة ، أو في المحطة في فترة انتظار المركبات (٣٩) .

كما أن هذه النشرات تحتوي - إلي جانب المادة التنصيرية - علي صور مطابقة للعنوان دالة عليه فتري مثلا صورة لديار درست ومساكن هجرت فهذا المشهد المصور ينم عن الخراب والدمار نجده علي نشرة عنوانها :(العزاء وسط عالم الشقاء) ونشرة أخري عنوانها (الإنسان صار عبدا للشيطان) تجد صورة للشيطان ، وهو ممسك بيد الإنسان وهو يقوده في استسلام تام ، وأحيانا تري صورة الرجل واضعا يده علي خده مستغرقا في التفكير والحزن ، وعلي رأسه علامة استفهام ، علي نشرة عنوانها (ماهي مشكلتك) ، وتنشر بجوانب الصور مربعات صغيرة يحتوي كل منها علي مشكلة مثل: الموت ، والهم ، والأعداء ، والفقر ، والمرض ، والحرب ،، الخ (٤٠) ، وحتما فإن لهذه الصور المصاحبة للنشرات أثرا في جذب القاريء إليها بدافع حب الاستطلاع ومن ثمة يتصفح عقب ذلك المادة التنصيرية ولايخفي ما في ذلك من أثر .

سادسا : الوعظ الديني :

نعني بالوعظ الديني ذلك الخطاب المباشر الذي يتم بين المنصر ومن يود تنصيرهم ، ويكون هذا الخطاب عادة في شكل خطب ومواعظ يستعمل فيها المنهج العاطفي ويسود هذا النوع وسط المجتمعات الأمية التي تعيش في مناطق نائية في القارة الإفريقية ، وعادة مايصاحب هذا الاسلوب التنصيري تقديم العون المادي أو العلاجي وبخاصة في تلك المناطق التي تكثر فيها الأمراض والفقر والحاجة ، ، ولكن هذا النوع يعد من الوسائل التي كانت مستخدمة قديما ولكنه في الآونة الأخيرة قل وندر وأصبح التركيز علي الوسائل آنفة الذكر .

جدول بأسماء الوكالات التنصيرية العاملة في إفريقيا والتي مقرها في أمريكا الشمالية (٤١)

اسم الإرسالية	مكان العمل	بلد المقر
إرسالية إفريقيا الداخلية	كل إفريقيا	كندا
إرسالية إفريقيا الداخلية	كل إفريقيا	الولايات المتحدة
قسم الكنيسة اللوثرية لبعثات العالم التنصيرية	الكمرون وافريقيا الوسطي	الولايات المتحدة
حملة المطبوعات التنصيرية	كل افريقيا	الولايات المتحدة
هيئة النصاري الوطنيين	السودان ، كينيا . نيجيريا	الولايات المتحدة
الإرسالية الإصلاحية النصرانية العالمية	السودان ونيجيريا	كندا
مجلس الإرساليات المنوناتية الشرقية	مشروع تنصير المسلمين في كل افريقيا	الولايات المتحدة
الطلبة الدوليون	مصر	كندا
الكنيسة اللوثرية والمجلس الكنسي	نيجيريا	كندا
الميسوري للإرساليات التنصيرية		
الكنيسة المسيحية المتحدة	السودان مصر كينيا اثيوبيا	الولايات المتحدة
للارساليات العالمية القسم الدولي		

تقوم هذه الوكالات التنصيرية بإعداد وتوزيع الرسائل ، والنشرات والمطبوعات ، وتمول الإذاعات المرئية والمسموعة ومقرها كما هو موضح في أمريكا الشمالية

جدول بأسماء الإرساليات التنصيرية والتي مقرها في إفريقيا وبعض دول آسيا والتي تعمل في إفريقيا (٤٢)

اسم الارسالية	المقر	مكان النشاط
١. الإرسالية التنصيرية المعمدانية	مصر	مصر
٢. الرب هو كنيستنا المضيئة	غانا	غانا وسيراليون
٣. الجمعية الإنجيلية التنصيرية	نيجيريا	نيجيريا وداهومي
٤. الجمعية التنصيرية الإنجيلية	نيجيريا	نيجيريا والنيجر
٥. زمالة كنائس المسيح في السودان	نيجيريا	نجيريا والسودان
٦. مؤتمر نيجيريا المعمداني	نيجيريا	نيجيريا وداهومي
٧. كنيسة الرب في أنحاء العالم	نيجيريا	نيجيريا وتوجو
٨. الاتحاد الفدرالي للكنائس اللوثرية	الهند	تنزانيا
٩. مجلس الكنائس الوطني	الفلبين	مصر
١٠. الكنيسة المنهجية	سيلان وسيرلانكا	نيجيريا
١١. الكنيسة الأنكليكانية	يوغندا	يوغندا والسودان

تقوم هذه الإرساليات بتلقي الرسائل والنشرات والمطبوعات من الوكالات التنصيرية في أمريكا وأوربا وتقوم بتوزيعها وترويجها في داخل القارة الإفريقية

التوصيات :

من خلال تناولنا للموضوع أود أن أنوه إلي التوصيات الآتية :

١- العمل علي إصدار كتيبات إسلامية تدعو الي الإسلام تحتوي علي عدة أنواع منها ما يكتب إلي المسلمين بغية رفع جهلهم ، وتعليمهم أمور دينهم ، وكتب توجه إلي أهل الكتاب ، والكتيبات في شكل أسئلة وأجوبة للرد علي الشبهات التي تثار حول الإسلام ، ثم كتيبات تتضمن سبب إسلام الذين يعتنقون الإسلام وتكون علي شكل سلسلة تحت عنوان (لماذا أسلمت ؟) مع كتابة قائمة تحتوي علي عناوين جميع هذه الكتيبات في آخر كل كتيب ، مع كتابة العنوان لمن أراد المزيد ، أو من له استفسار ، علي أن تكتب هذه الكتيبات في جميع لغات ولهجات القارة الإفريقية.

٢- متابعة ومراقبة المنظمات الخيرية الغربية برصد تحركاتهم ، وعلاقتهم بالآخرين وأماكن تجمعاتهم ، ورصد الأشخاص الذين تربطهم بهم علاقة اجتماعية من المواطنين .

٣- أن تكون هناك رسائل لأطفال المسلمين وغيرهم وبخاصة أولئك الذين تنفق عليهم المنظمات الإسلامية مثل منظمة الدعوة الإسلامية ، ولجنة مسلمي إفريقيا ، وجمعية الدعوة الإسلامية العالمية ، ولجنة الدعوة التابعة لجمعية الإصلاح ، بحيث تكون هيئة خاصة تسمي هيئة المراسلة تقوم بإرسال الرسائل إلي هؤلاء الأطفال ثم تستقبل رسائلهم للرد عليها لأجل توثيق صلة هؤلاء بالإسلام ولمجابهة المنظمات التنصيرية العاملة في هذا المجال في إفريقيا .

٤- ضرورة قيام إذاعات إسلامية عالمية من أجل استغلالها في مجال الدعوة إلي الله وذلك لقلة وندرة هذا النوع من الوسائل الدعوية في إفريقيا لذا يصبح قيام هذه الإذاعات ضرورة ملحة ، ويجب أن تكون هناك جهات متخصصة في مجال إعداد البرامج مادة ، وتقديما وإخراجا .. الخ ، ويمكن أن تقسم هذه الإذاعات إلي شعب فشعبة تهتم بالمراسلة الإذاعية ، و أخري بالفتوي ، وثالثة بالدراما ، ورابعة للقصص القرآني ، وخامسة لمعالجة القضايا المعاصرة بمنظور إسلامي .

٥- أن تقام معاهد إسلامية للدراسة بالمراسلة تحتوي علي دروس إسلامية ويشرف علي هذه المعاهد دعاة لهم خبرة في مجال الدعوة إلي الله وأن تكون داخل هذه المعاهد عدة أقسام بعضها يهتم بالأشكال والتصميمات لهذه الدروس ، وأخري تقوم بإعدادها ، وثالثة تشرف علي متابعتها ، ورابعة تقوم علي تصحيحها ، كما يمكن أن تكون هذه الدروس علي شكل متسلسل كل سلسلة تحتوي علي موضوع من الموضوعات الإسلامية ، فمثلا : سلسلة خاصة بالعقيدة الإسلامية وأخري خاصة بالقرآن الكريم وتفسيره وأخري خاصة بالحديث النبوي وشرحه ، وأخري خاصة بالسيرة ، وأن تترجم هذه الدروس إلي لغات ولهجات القارة الإفريقية .

٦ - أن تكون هناك رقابة علي البريد في البلاد الإفريقية عامة ، والإسلامية منها خاصة لمنع الرسائل التي ترسل إلي تلك المؤسسات التنصيرية ، ويتم ذلك وفقا لقائمة تحتوي علي جميع عناوين هذه المؤسسات ، وفي الوقت ذاته تؤخذ عناوين أصحاب تلك الرسائل لأجل تنبيههم إلي خطورة هذه الجهات مع توضيح أهدافها ومراميها لهم .

هذا وقد بذلت هذا الجهد وعشت معه من خلال المصادر والمراجع وحينها تأكد لي بما لايدع مجالا للشك أن هذه القارة مستهدفة في استقلالها ، وإنسانها وعقائدها وعلي رأس ذلك كله المسلمون والإسلام في هذه القارة ، الأمر الذي يضاعف من المسئولية علي الذين يعنيهم الأمر من هذه الأمة .

الهوامش :

١- أنظر التبشير والاستعمار في البلاد العربية : د. مصطفي خالدي وعمر فروخ ، المكتبة العصرية بيروت ١٩٨٢م ، ص ٣٤

٢- المرجع السابق ص ٣٤

٣- المرجع السابق ص ٣٤ ؟

٤- Jessup .P. 530 نقلا عن التبشير والاستعمار ص ٣٥

٥- Re. Thinking Missions P. 9 نقلا عن المرجع السابق

٦- Re . Thinking Missions P. 13

٧- التبشير والاستعمار ص ٤٧

٨- مجلة الدعوة السعودية : الرياض العدد ٧٨٢٠ ربيع أول ١٤٠١هـ

٩- مجلة الإصلاح الامارأت دبي : العدد ٨ نو الحجة ١٣٩٨هـ

١٠- المنشورات الداخلية التي تقوم بتوزيعها لجنة مسلمي إفريقيا في الكويت

١١- مجلة المجتمع الكويتية: العدد ٨٨٧ ٧ ربيع الأول ١٤٠٩هـ

١٢- التنصير وخطة لغزو العالم الإسلامي الترجمة الكاملة لمؤتمر كلورادو التنصيري ص ٥٦٣

١٣- منشورات لجنة مسلمي إفريقيا تحت عنوان (دعم برنامج اذاعي)

١٤- الإعلام الدولي أحمد طاهر

١٥- التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص ٥٧٨

١٦- المرجع السابق ص ٥٧٩

١٧- المرجع السابق ص ٥٧٩.

١٨- The Gospel and Islam . A 1978 Compendium , Missions Advanced , Research and Commion center , A ministry of World Vission Intrenational U. S. A. 1979 , By Don M. Ncurry.

١٩- المرجع السابق P. 546

٢٠- لمرجع السابق P. 546- 447

٢١- التنصير ووسائل الإعلام في أندونيسيا : سهيري الياس ص ٦٠ ومابعدها.

٢٢- الرسائل والنشرات الموجهة لتنصير المسلمين د. إبراهيم علي محمد : رسالة ماجستير لم تنشر ص ١٢

٢٣- المرجع السابق ص ١٢

٢٤- The Gospel and Islam P. 434

٢٥- لخطر التبشيري الصليبي في الكويت : أحمد عبدالعزيز الحصين ص ٣٥

٢٦- جريدة النور المصرية : العدد ٢٦٩ - ٢٢ شعبان ١٤٠٧هـ ص ٧

٢٧- الرسائل والنشرات التنصيرية الموجهة لتنصير المسلمين د. إبراهيم علي محمد ص ١٥١

٢٨- The Gospel and Islam P. 434

٢٩- الرسائل والنشرات التنصيرية الموجهة لتنصير المسلمين د. إبراهيم علي محمد ص ١٥١

٣٠- المرجع السابق ص ١٥٢

٣١- المرجع السابق ١٥٣

٣٢- جريدة المسلمون السعودية : العدد ٢١٩ ١٥ رمضان ١٤٠٩هـ

٣٣- The Gospel and Isla P. 352

٣٤- مثل : دار الثقافة المسيحية في مصر : ودار منشورات النفير ، ودار المطبوعات المسيحية: والمركز اللوثري للخدمات الدينية في الشرق الأوسط وكلها في بيروت ، لبنان

٣٥- التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص ٥٢٣ - ٥٢٤

٣٦- المرجع السابق ص ٥٣٠

٣٧- لرسائل والنشرات الموجهة لتنصير المسلمين د. إبراهيم محمد أحمد ص ١٠٥

٣٨- المرجع السابق ص ١٠٣

٣٩- المرجع السابق ص ٩٠

٤٠- الخطر التبشيري الصليبي في الكويت ص ٤٨٠

٤١- نقلا عن التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص ٧٩٩

٤٢- نقلا عن التنصير خطة لغزو العالم الإسلامي ص ٧٩٠

مناقشة ورقة الدكتور خالد سرالختم

المناقش : د. يوسف حسن سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد الله والصلاة والسلام علي رسول الله سيدنا ومولانا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين .

سيكون حديثي خواطر عما عن لي أثناء قراءتي للبحث الذي كلفت بالتعليق عليه .

وذلك من بعض التجارب التي مرت في حياتي والحكايات التي سمعتها والقراءات التي قرأتها فقد كان هناك برنامج يذاع من إذاعة امدرمان لرجل كبير السن حضر بدايات هذا القرن وكان هذا البرنامج يحتوي علي نقطة مهمة جدا وتتلخص في أنه في أول إنشاء المدارس الحكومية في السودان وتقديمها في صورة تبدو زاهية وجميلة مقارنتهابالخلاوي .

فأحضروا مرة أولاد الخلاوي في وضع مزر وفي غاية الاتساخ ووضعوهم في سطح القصر الجهوري في شارع فكتوريا ثم أحضروا طلاب المدارس وهم قلة وصغار ويرتدون ملابس نظيفة وجميلة و أوقفوهم صفا ثم جاء الحاكم العام ومعه زوجته وهما يستقلان عربة حنطور ومروا علي كل المدارس و أعطوا كلا منها كيسا من المال وكان الغرض من كل هذا هو أن يصور ا الخلوة بهذا الشكل القديم ويصوروها ، وفي هذا الشكل القبيح حتي ينفروا الناس من القرآن .

هذه صورة من الأساليب الفنية في الاختراق علي المستوي النفسي ولقد درست في عقد الثلاثينات في خمس الخلاوي ولكن كان ذلك في وقت بدأ فيه غروبها وكانت تسير نحو التلاشي فكنا ننتقل من خلوة لاخري عندما كنا نري كل شيخ يبدأ عمله في الخلوة ثم ينسحب منها وكل هذا نتيجة للصورة التي وضعت للخلوة فزهدت الناس فيها وحتي شيوخها .

ولكن نظرة إلي التاريخ ترينا أنهم أرادوا أن يمكروا بالإسلام بتدمير الخلاوي وإنشاء المدارس فجاءتهم الحركة الإسلامية من المدارس والجامعات (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وأن الله سبحانه وتعالي قال (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

ولدي تجربة أخري وأنا طالب في لندن سنة ١٩٥٤ وكنت عضوا في جميعات كثيرة ومن ضمنها الجمعية المسيحية فدعوا رجلا مشهورا جدا اسمه بروفيسور اندروسون وهو استاذ الشريعة الإسلامية في كلية لندن للدراسات الإفريقية والآسيوية وحضرنا لهم عددا من المؤتمرات فوجّه إليه هذا السؤال هل كل الديانات تؤدي إلي ربنا ؟ فأجاب إنني أقارن لكم الدين الوحيد الذي أعرفه غير المسيحية وهو الإسلام وقرأ (قل هو الله أحد اللّه الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحدا) وقال إن المسلمين لايؤمنون إلا بأن الله واحد فلا يؤمنون بالثالوث وهو عقيدة النصاري التي يتمكسون بها ويهتمون بالهوية التي تؤدي إلي الله ، وقال إن الآية في سورة النساء تقول (وماقتلوه وماصلبوه ولكنه شبه لهم) ولكن سيدنا المسيح فقد حياته لينقذ البشرية

فهل (الدين الذي لايؤمن بقتل المسيح أو الثالوث هو الدين الذي يؤدي الي الله ؟ وهذا الرجل التقينا به كثيرا واصطدمت به سنة ١٩٦١ فقد كان في أحد المؤتمرات وكانت لديه ورقة عن إصلاح الشريعة الإسلامية وهذا نوع من الاختراق وتنفيذا لكلام هذا الاستاذ قرأت كتابا اسمه نداء المئذنة ومؤلفه اسمه وليم كريج ووجدت أن الفصول الأولي من هذا الكتاب تحلل الآذان كلمة كلمة ولم أر في حياتي وأنا كثير القرأءة كتابا فسر وحلل ألآذان علي أنه توحيد كما فسره هذا الكتاب وكنت أعتقد أن هذا الرجل يدعو للإسلام ولكنه قال في النهاية هؤلاء المسلمون الذين يؤمنون بهذا الكلام ماذا نعمل لهم ؟ وابتدأ يبسط البرنامج الذي يحارب به الإسلام وحكي عن تجربته في ايران وقال إننا نأخذ أبناء الكبار نعلمهم في مدارسنا ولانقول لهم كونوا مسيحيين ولكن نخلقهم بأخلاقنا ونقدم إليهم دروسا عن الطريقة التي بها ينجون كما أن سيدنا المسيح أراد أن تنجو البشرية وهذه صورة أخري من الاختراق .

لقد تكلم الإخوة عن القناة الفضائية والتلفزيونية والإذاعية ونحن الآن في إطار العولمة والعولمة فيها كل شيء وكل شيء بيدهم .

وقد قرأت قريبا في جريدة سودانية أنهم حرفوا القرآن ونشروه بالانترنيت فما هي إجابتنا ؟ وذكر أحد الإخوة أنهم قرءوا له الانجيل بلهجة قرآنية فما هي إجابتنا نحن المسلمين علي هذا ؟ وللأسف نحن منشقون انشقاقا خطيرا جدا وبأسنا بيننا شديد وأضرب لكم مثلا هناك مجلة تنشر في أدنبرة وتضم أعظم الكتاب ممن تروق للناس كتاباتهم وهذه المجلة ملتقي كل الكنائس التي تبغض بعضها أكثر من بعضها للإسلام أما نحن - ولا أريد أن أتكلم تفصيلا - فلدينا ثلاثة أشياء .

أولها أن اسلامنا مسيس والسياسة تطغي علينا أكثر مما هو لازم وعندما تظهر مسألة سياسية تتضمن مصلحة سياسية ظاهرة وقريبة نفضلها علي المصلحة الإسلامية ؟ البعيدة وهناك أمثلة كثيرة ولا أريد أن أخوض فيها ولعلكم تعرفون ذلك .

ومن بيننا من هم متزمتون تزمتا شديدا ومغرقون في السلطة فمثلا في غرب إفريقيا هنالك مدارس تدعو ليس للإسلام عموما ولكن لمذهب معين ويكفرون غيرهم من المسلمين ، يكفرون التجانية ويدعون أن التجانية يقولون إن صلاة الفاتح أهم من القران والأكثر بشاعة من ذلك هم القاديانية .

وقد كنت في سراليون وكنت أرغب في أن أصحب أولادي معي ولكن أعظم مدرسة في سراليون هي مدرسة القاديانية وهم طبعا معروفون و نعتبرهم فرقة مارقة ولكننا في حالة شقاق فيما بيننا حتي في المذاهب الرئيسية .

لقد ذكرت الورقة أن الدعاية والإعلام للتنصير تنفق عليها أموال أكثر من أموال السعودية والكويت بل وأموال الدول العربية كلها مجتمعة . إن أمال هؤلاء تودع في بنوك الغرب ليستفيد منها اليهود فإذا أنفق جزء منها في عمل منظم ومشترك وتجردنا من خلافاتنا فإننا سننتصر والله سبحانه وتعالي يقول (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ويقول سبحانه وتعالي (فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) ولكن هذا كله لايغنينا عن الجهاد فما هو دورنا في هذا ؟

واختم بأن المستقبل للإسلام ، لكن الإسلام يعتمد علي القدوة ولايعتمد علي التبشير وفي التاريخ القديم أن الإسلام قد انتشر في إفريقيا وفي اندونيسيا ولكن ليس بالتبشير فيجب أن نعمل حسابا كبيرا للقدوة في تصرفاتنا سواء في السياسة أو في العبادة أو السلوك وشكرا جزيلا..

الدكتورة حسنات عوض ساتي

تعقيب علي ورقة الدكتور ابراهيم علي محمد محمد أحمد

بسم الله الرحمن الرحيم

شكرا للأخ ابراهيم علي جهوده المقدرة في إعداد هذه الورقة بإحصائياتها وتوصياتها. وحقيقة حينما اطلعت علي هذه الورقة هالني حجم الإعلام الرهيب الموجه نحو إفريقيا .

أولا - إن كان لي إضافة بسيطة فهي في تحديد بعض مشاكل الإعلام الإفريقي والإسلامي والعربي عموما مقارنة بالإعلام الغربي المسيحي سواء كان تنصيريا أو علمانيا فالإعلام اليوم حقيقة يعد آلية من أخطر آليات التغيير الحضاري في العالم ووظيفته في ظل استراتيجية العولمة هي تكوين حضارة ثقافية وفكرية عالمية ذات توجه معين ويستخدم لذلك تقنية عالية جدا تتيح للإعلام أن يصل عن طريقها إلي أقصي ركن في العالم ويثبت بها أفكارا متباينة تناسب جميع المجتمعات .

ثانيا هناك احتكار من جهات معينة لوسائل الإعلام والبث والنشر والتوزيع وغير ذلك .

ثالثا : هناك احتكار للمعلومة أي عدم تكافوء في تبادل المعلومات فنحن نتلقي المعلومات الآن من الانترنيت ولكننا لم نغز الانترنيت حتي الآن بمعلوماتنا فإذن فإننا لم نستطع أن نستفيد من الانترتيت الفائدة المرجوة .

رابعا : الإعلام الغربي منتج للمادة الإعلامية ولكننا مستهلكون لهذه المادة ومروجون لها.

خامسا : يتمتع الإعلام الغربي بمستوي رفيع في التصميم والإخراج الفني السريع لكل مواده سواء كانت مقروءة أو مسموعة أو مرئية وهو يعمل كذلك علي تشكيل الرأي العام العالمي ، فهل هناك من لم يسمع عن ال C N A أو ال BBC ؟ وهل هناك من لم يقرأ مقالا في الواشنطون بوست أو النيوزويك ؟ ولكن من هو الذي يسمع بإذاعة امدرمان؟ وأتساءل أين الإعلام الإفريقي من كل هذا ؟

وألخص المشكلة في نقاط محددة هي افتقارنا نحن الأفارقة والمسلمين والعرب للكادر الإعلامي المؤهل فكريا ومهنيا وافتقارنا كذلك لوسائل التقنية الرفيعة وكذلك الرتابة في البرامج والموضوعات وعدم القدرة علي الإبداع والابتكار والتجديد وروعة التصميم وهي كلها أشياء جاذبة إعلاميا .

إننا نفتقر حقيقة للمقال الرفيع في لغته والتحليل الإخباري المقنع والحوار المدهش نفتقر لهذه البرامج التي تشكل فعلا الرأي العام في النهاية ، نحن نفتقر أيضا للمعلومة إذ ليس لنا مصادر للمعلومة الحقيقية فأين إعلام النشر ؟ وأين أدب الطفل ؟ وغير ذلك كثير وأعتقد أن بعض الحل يكمن في إيجاد الكادر الإعلامي المؤهل فكريا ومهنيا ثم محاولة الانتقال بالإعلام الإفريقي وتحويله إلي إعلام رسالي ليسهم في عملية التغيير

الحضاري وذلك عن طريق طرح يقابل التحديات المعاصرة ويساهم في معالجة القضايا الإفريقية بصورة خاصة والإسلامية بصورة عامة ثم توظيف المادة الإعلامية لأداء هذه الرسالة ولإيصال هذه الفكرة المحددة لتوجيه المجتمع وأخيرا الارتقاء بمستوي الإعلام الإفريقي وذلك يمثل ماضاهت به قناة الجزيرة ال CNN فيمكننا أن نفعل هنا في إفريقيا فتكون لدينا قناة بهذا المستوي إن لم نكن نستطيع أن نغزو ال CNN

وكلمة أخيرة هي أرجو أن يعالج الإعلام الإفريقي والإسلامي معالجة تجعل له أثرا إيجابيا علي كل الأنشطة الحياتية . وشكرا جزيلا

المنظمات والجمعيات السرية اليهودية والنصرانية والاختراق الأستعماري فى افريقيا

أ. عبد الجليل ريفا *

الهدف من الدراسة :

١) التعرف علي هذه المنظمات والجمعيات اليهودية السرية والعلنية .

٢) التعرف علي طريقة عملها ومسمياتها والشرعية التي تعمل تحتها .

٣) التعرف علي هذه المنظمات والجمعيات السرية اليهودية

٤) تعتبر الحزم الاجتماعية المختلفة من أخصب الحقول لعمل هذه المنظمات.

٥) التعرف علي مناطق نفوذها وانتشارها

٦) التعرف علي أخطر هذه المنظمات والأعباء التي تقوم بها ونبذة عن تاريخها والقادة الذين تولوا قيادتها ومناطق وجودها في إفريقيا .

٧) الأطوار التي مرت بها هذه المنظمات السرية

أ) الطور الأول منذ بدء الاستيطان حتي قيام دولة اسرائيل (المقدمة)

ب) الطور الثاني منذ تأسيس الدولة الإسرائيلية (حرب ١٩٦٧) حتي ١٩٩٨م .

الطور الثالث :

بدء عمل هذه المنظمات في إفريقيا والمنطقة العربية بعد انتهاء الحرب الباردة وقيام النظام الدولي الجديد

الوجود اليهودي في إفريقيا :

إنه من العسير جدا وجود مرجعية واضحة لكل المنظمات اليهودية توضح نشاطها في إفريقيا من غير أن تقترن بأحد ي الواجهات المعروفة والتي يتدثر بها العمل اليهودي السري المنظم . مثل منظمات الروتاري والمحافل الماسونية ومايعمل تحت مظلة الهيئات الدبلوماسية والتي يوجدلها تمثيل في إفريقيا ويبلغ التمثيل الدبلوماسي الإفريقي في إفريقيا نحو ٤٨ هيئة دبلوماسية إسرائيلية حسبما أوضحه دليل الأمم المتحدة لعام ١٩٩٨ وكلها تحت مظلة المحافل الماسونية أوالهيئات الثقافية والاقتصادية أو المواعين التجارية المختلفة مثل الكازينوهات والتي ترجع ملكتها لجهاز الشين بن التابع للموساد ، والموجودة

رئيس تحرير مجلة رسالة إفريقيا جامعة إفريقيا العالمية

في مدخل قناة السويس والعقبة وميناء إيلات الأردني وهي عبارة عن كازينوهات متحركة ودور للميسر وعرض للسينما والفيديو والإنترنيت والقصد منها تجنيد الشباب العربي والإفريقي واستقطابهم ليعملوا تحت منظمة يطلق عليها (المفتاح الدولي) ولها تمثيل في الخرطوم شارع ٧ العمارات وكذلك منظمة السبتيين في شارع ١٧ الخرطوم ونادي الروتاري في الخرطوم أيضا ومنظمة الوالدية البديلة في منطقة ريفي أم شانق وريفي جبل أولياء .

والجدير بالذكر أن الماسونية كانت تمتلك أربعة دور في الخرطوم منضوية تحت محفل الخرطوم ومحفل النيلين ومحفل بورتسودان ومحفل عطبرة والتي تمت مصادرتها في عام ١٩٧٢ حيث تمت تصفيتها تماما وظهرت الواجهات المذكورة أعلاه بديلة لهذا النشاط .

نسبة للإجراءات المشددة للحفاظ علي سرية هذه المعلومات التي تتداولها المنظمات والجمعيات السرية اليهودية في المنطقة الإفريقية عمدت هذه المنظمات لإجراءات أكثر تشديدا وأكثر صرامة في حالة تعرض هذه المنظمات لمعرفة مايدور فيها أو لكشفها كما حدث لماكس بينت (فضيحة لافون في مصر) والتي تم بمقتضاها اغتيال مجموعة من رؤساء هذه المنظمة . وكذلك اغتيال مجموعة من الشباب في الخرطوم في جرائم غامضة اتضح فيما بعض أنهم أعضاء في المحافل الماسونية في الخرطوم .

الفصل الأول :

* ماذا نعني بالمنظمات السرية اليهودية ؟
* ماذا نعني بالجمعيات السرية اليهودية ؟
* ماذا نعني بالمنظمات النصرانية ؟
* ماذا نعني بالجمعيات السرية النصرانية ؟
* ماذا نعني بالاختراق ؟

الفصل الأول

المقدمة : المنظمات والجمعيات السرية اليهودية

يمكن الرجوع إلي أواخر الحرب العالمية الأولي أي الفترة الواقعة بين(١٩١٤م – ١٩١٨ حيث رأت بريطانيا (١) أن المطامع الصهيونية ، قد تعينها على مد نفوذها و الحصول علي فلسطين ولديها أكثر من سبب لتحقيق هذا المطلب وهذه الأسباب ممثلة في الآتي :

١) موقع فلسطين الجغرافي والذي تلتقي عنده ثلاث قارات

٢) السيطرة علي القوة التجارية والعسكرية ممثلة في امتلاك إحدي ضفتي (قناة) السويس والتي تعتبر أهم معبر للتجارة ولاسيما عبور تجارة الهند إلي بقية المراكز التجارية في أوربا وإفريقيا وأمريكا .

٣) الثروات المعدنية الهائلة في البحر الميت

٤) المداخل العسكرية الهائلة عند(قناة) السويس والبحر الأبيض المتوسط ومدخل إيلات ومدخل البحر الأحمر ومنها إلي الجزر الجيبولتكية علي أرخبيل المحيط الهندي .

ولهذه الأسباب مجتمعة كان وعد وزير الخارجية البريطانية اللورد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وكانت بداية هذه المؤامرة في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧م (٢) بدلا عن المقترحات الأخري والتي كان علي رأسها مقترح بديل لفلسطين وهو أرض يوغندا الحالية ، وتعتقد بريطانيا بأنها كسبت بذلك تأييد الولايات المتحدة الأمريكية والتي يسيطر عليها النفوذ اليهود ي وهذا جزء ممايناوبها من تقسيم أشلاء الإمبراطورية العثمانية

وفي تقدير بريطانيا أن مجيء اليهود إلي فلسطين سيجعل لها نفوذا كبيرا في فلسطين علي أساس أن هجرة اليهود إلي فلسطين ستخلق نزاعا مستمرا بينهم وبين أصحاب الوطن الأصلي ، مما يدفع بالطرفين للتسابق لكسب ولاء وتأييد بريطانيا ومناصرتها وطلب حمايتها ومعونتها وبالفعل فقد نالت بريطانيا هذه الميزة في أول الأمر بمساعدة أمريكا ونفوذ اليهودية العالمية حيث نصت علي ذلك في عصبة الأمم المتحدة في (صك) الانتداب الذي قررت فيه أن تحكم بريطانيا فلسطين بموجبه علي أن تلتزم بريطانيا بوضع البلاد في حالة سياسية وإقتصادية واجتماعية تساعد علي إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

لقد أحرزت الزعامة الصهيونية نصرا عظيما ساعدها في الوصول إلي تحقيق أهدافها ومن ثم نشطت في نشر دعوتها علي نطاق واسع بين أوربا وبقية العالم ، وأخذت تعمل علي تربية جيل جديد تتوافر فيه كل متطلبات القوة والقسوة ، جيل يؤمن إيمانا أعمي بالصهيونية وأهدافها وشرعية وسائلها .

وبالرغم من تعهد بريطانيا بالنسبة لمرحلة الانتداب فإنها قد أخطأت في تقدير وتصويب سياساتها بالنسبة لتلك المرحلة وذلك وفقا لبرنامج الاستعمار ، الذي رسمته لفلسطين حيث لم يعد في استطاعتها حماية فلسطين أو التحكم في اسرائيل وهو الشيء الذي كانت ترمي إليه كما أن الفلسطينيين لم يهرعوا إليها طالبين حمايتهم كما كانت تتوقع بل شنوا علي استعمارها وربيبتها اسرائيل حربا لاهوادة فيها ولازالت حية بالرغم من تطور أسلوب المقاومة واختلاف مدارسها ومناهجها وتغيير وسائلها بالقدر الذي توسعت فيه أساليب وأهداف وتكتيكات واستراتيجيات الصهيونية العالمية وعملائها في تحويل مجري هذا الصراع لصالح الأهداف الصهيونية والاستعمار الجديد في المنطقة الفلسطينية ليشمل توسيع هذا الصراع المناطق التالية (٣)

١/ المنطقة العربية والإسلامية

٢/ إفريقيا

٣/ المناطق الاستراتيجية العسكرية

٤/ المناطق الاسراتيجية الاقتصادية

٥/ المناطق الاستراتيجية التجارية

٦/ المناطق الاستراتيجية والتي تضم قوة شعوبية تسعي إسرائيل إلي كسبها والحصول علي تأييدها

ومناصرتها في المحافل الدولية

ونسبة لصغر تعداد سكان الدولة العبرية وعدم استجابة يهود العالم بصورة واضحة لبرنامج هجرة اليهود إلي فلسطين عمدت القوي اليهودية العالمية إلي إنشاء منظمات وجمعيات يهودية سرية لتتولي كل منها أهدافا محددة تسعي إلي تنفيذها وتحقيقها والمحافظة علي التمسك بها لضمان استمرار ذلك النصر الذي حظيت به .

ماذا نعني بالمنظمات اليهودية السرية :

هي مجموعات تضم في عضويتها عددا من شيوخ وشباب ونساء اليهود في العالم و لها أهداف محددة تعمل علي تحقيقها ضمن أهداف الصهيونية العالمية وعلى رأسها وطن دائم لليهود حددت خارطته لتكون في الأرض الممتدة من نهر النيل إلي دجلة والفرات والتي يطلقون عليها أرض الميعاد وهذه المنظمات تضم في عضويتها الشباب اليهودي من كل أنحاء العالم و تمتلك المال والسلاح و ، كما تمتلك أيضا نظاما إداريا يحقق لها أهدافها وتنقسم هذه الأهداف إلي قسمين قسم سري وقسم علني (٤)

أما القسم العلني فهو يعالج اسم المنظمة وشروط عضويتها وأفرعها ولوائحها وقوانينها . ومكافآتها المالية . وعادة ما تختار أسماء وهمية لإخفاء نشاطها الحقيقي مثل خطوط الطيران والبحرية ودور النشر والأنشطة الاجتماعية المختلفة و أندية القمار و أندية الرقص الليلي .. الخ كما تضم العضوية بعض المتطوعين من الجنسيات الأخري وسوف نتناول في القسم الثاني تحديد معني كل من الجمعيات والمنظمات السرية .

بدأت الجماعات اليهودية في ممارسة نشاطها على أن يكون ذلك تجربة تاريخية ودينية من خلال التشكيل الحضاري الذي وجدت فيه وتتعامل معه وتنتزع من خلال أهدافها مسمي تسمي به نفسها (يهودية) (٥) دون البحث عن خاصية جوهرية تربط كل أنواع الجماعات معا أو إطار تعريفي دقيق يربطها باعتبارها وحدة يهودية أو تعريف شامل وعالمي لليهود ، وقد يقودنا هذا المعني إلي عام ١٩٤٨م حيث إن الصهاينة اللادينيين يتحدثون بحرية شديدة عن الشعب اليهودي الواحد وبالتالي عن الهوية اليهودية الواحدة والقومية اليهودية وقد يكون التعريف أكثر وضوحا في موقف الصهاينة المتدينين وبالرغم من موقفهم وقناعتهم بدورهم الثانوي في الحركة الصهيونية فإنهم يتحينون الفرص ليفرضوا تعريفهم القومي الديني الارثوذكسي .

ويصاحب هذا الاتجاه التعريفي الاعتبارات الصهيونية العالمية بأن أرض الميعاد (الدولة العبرية) دولة يهودية ليست مقصورة علي مواطنيها وتري هذه الدولة أن مصدر شرعيتها ووجودها هو هويتها اليهودية ومن هنا أيضا يتحتم ظهور التناقضات الكامنة داخل هذه المنظمات .

ومن العسير جدا تحديد هوية اليهودي داخل هذه المنظمات لأن القوانين التي وضعتها الصهيونية العالمية لم تراع فيها تحديد الهوية اليهودية وإنما فصلت لأغراض مثل عودة اليهود إلي فلسطين وسمي بقانون العودة ١٩٥٠م وهذا القانون يعطي حق العودة فقط ثم صدر ١٩٥٢م قانون تكميلي هو قانون المواطنة

الاسرائيلية والذي يمنح الجنسية الإسرائيلية لكل المهاجرين اليهود وهذا القانون لم يعّرف من هو اليهودي وهذا ينعكس علي تعريف هوية هذه المنظمات والعلاقات التي تربط عضويتها وينعكس أيضا علي التناقض بين الدينيين واللادينيين والتناقض بين السفارد والاشكناز واليهود القوائين واليهود السامريين .

ماذا نعني بالجمعيات السرية اليهودية ؟

هي مجموعات تضم في عضويتها الشباب والشيوخ والنساء اليهود وهي تعمل لنفس الأهداف كسابقاتها من المنظمات وهي في بعض الأحيان تعمل تحت (شعار) إحدي المنظمات التابعة للأمم المتحدة وأشهرها منظمة كونسيرن ومنظمة الخزينة ومنظمة السبتيين ومنظمة الوالدية البديلة ، ومنظمة المفتاح الدولي التي تهتم بشئون الشباب ولها فروع كثيرة في كل أنحاء العالم مثل المحافل الماسونية وفي بعض الأحيان تختار مسمي من نفس المسميات الموجودة في ذلك البلد كما أن هنالك واجهات تعمل فيها مثل أندية الروتاري وأندية الكوري ومؤسسات السينما وشركات الأواني المنزلية وشركات السيارات والملابس (٦) .. الخ

يقول مناحيم بيغن إن العزل شرط أساسي في العمل السري وفي خدمتي هذه الجمعيات حرمت من سهرات الأهل و الأصدقاء والمعارف إذ كان قانون العمل السري يمنع هذه اللقاءات غير الضرورية ولذلك كان القليل من الذين قابلتهم لايتحدثون معي فى عمّل المنظمة أو في علاقتنا مع الأمم الأخري أو أيّ أمور تخص النضال .

نموذج من العمليات التي قامت بها بعض الجمعيات السرية :

كانت دار الجمعيات ضمن منطقة الحراسة البريطانية في تل أبيب وكانت تضم قيادة البوليس الحربي والمدني للمنطقة المجاورة بأكملها لذلك أصبحت هذه الدار كأي مؤسسة من هذا النوع تحت حراسة البوليس والأسلاك الشائكة وهي تمثل هدفا هاما لمنظمة مناحم بيغن ونفس الحي يقابل دار الحمضات وهو بناء صغير فيه قبو يصلح لأن يكون مستودعا وفي عام ١٩٤٧م تقدم أحد أعضاء هذه المنظمات بصفة تاجر وعرض علي صاحب القبو استئجاره بهدف تخزين البطاطا وتعبئتها ، وعن طريق الإغراء المالي كسب التاجر ثقة صاحب القبو كمستأجر مرغوب فيه ، فاتفقا ووقعا العقد (عقد الإيجار) وأتي التاجر بسيارات الشحن وانتبه الحمالون الذين كانوا يقومون بعملية تفريغ الأكياس الأولي ، بأن بعضها وضعت فيه فتحات تمت معالجتها بطريقة مقصودة فانفرط بعضها وانتثرت حبات البطاطا في الشارع حتي شاهدها أغلب سكان الحي ولكن التاجر عضو المنظمة السرية والذي يدعي (ألكس) وبخ الحمالين بعنف شديد وسمح للجيران بالتقاط البطاطا وكانت كلها أصناف ممتازة وطازجة أما محتويات بقية الأكياس فقد أدخلت إلي البيت سليمة .

وفي القبو بدأ العمل السري حيث تعبأ الأكياس وتشحن فازدهرت تجارة البطاطا بشكل ملحوظ ، فقد كانت الأكياس المشحونة تحتوي علي تراب من أرض المستودع حيث بدأ الحمالون يحفرون نفقا يؤدي إلي دار الحمضيات ، واستمرت العملية ببطء و عناية حسب الخطة الموضوعة ومضت أيام حتي وصل الرجال في حفرهم إلي الهدف ثم وضعت العبوات الناسفة وتم نسف دار الحمضيات وقتل عدد كبير من العلماء والفنيين والحراسات في دار الحمضيات .

وبالإضافة لهذا النموذج هناك أهداف كثيرة أخري مثل دفع المال الكثير لشراء الذمم كما حدث رئيس لجنة الأمم المتحدة (ساند ستورم) ومساعده الدكتور (هو) والشاعر ياكوف كوهين .

ماذا نعني بالمنظمات النصرانية ؟

هي منظمات تضم في عضويتها مجموعة من الشباب والشيوخ والنساء وهم ينضوون تحت مذهب عقائدي واحدا ويعملون علي نشر تعاليم وأهداف هذا المذهب ويركزون علي بلدان دول العالم الثالث وخاصة أمريكا اللاتينية وإفريقيا والشرق الأوسط ولهم وسائل يستخدمونها لتبرر وجودهم في تلك البلدان ومثل حقول العمل الاجتماعي ومناطق الكوارث والحرب واللاجئين – ويكون دخولهم أيضا – عن طريق التعليم ، والصحة ، والعون الغذائي ، والاستيطان وعلي سبيل المثال مجلس كنائس الشرق الأوسط والمنظمات التابعة له والتي خصصت فقط للفلسطينيين

الفصل الثاني :

* ما الهدف من الدراسة ؟
* ماهي هذه المنظمات ؟ اليهودية والنصرانية
* الأهداف التي من أجلها قامت
* وسائل هذه المنظمات والجمعيات السرية
* الأطوار التي مرت بها هذه المنظمات

الفصل الثاني

ما الهدف من الدراسة ؟

معرفة هذه المنظمات والجمعيات السرية اليهودية والنصرانية ومعرفة أهدافها ومسمياتها وطبيعة السواتر التي تعمل تحتها ومعرفة وسائلها وعضويتها وأماكن نفوذها ومعرفة استراتيجياتها وأهدافها حسب ترتيب أولوياتها ومناطق نفوذها وانتشارها و أخطار هذه المنظمات والجمعيات والمهام التي تقوم بها ونبذة عن تاريخها والقادة الذين تولوا إدارتها والأطوار التي مرت بها وهذه الأطوار هي :

الطور الأول : منذ بدأ الاستيطان حتي قيام الدولة (٧) العبرية

الطور الثاني : منذ تأسيس الدولة (١٩٠٧ – ١٩١٧ – ١٩٦٧

الطور الثالث : بدأ منذ التوسع الاحتلالي في حرب ١٩٦٧م ولايزال التطور مستمراً حتي الأن

المنظمات والجمعيات السرية اليهودية :

تقول مجلة نكودا ، الناطق باسم المستوطنين الصهاينة في الضفة الغربية ، وقطاع غزة وهضبة الجولان وتعتبر أوضح تعبير عن إرهابية المنظمات والجمعيات السرية اليهودية ، نحن نفضل تشتيت العرب في أرض إسرائيل ، وجعلهم يعانون المتاعب في الأملاك والأرواح، وعلي العرب أن يشعروا بأن الأرض تهتز تحت أقدامهم (٨) والمنظمات والجمعيات السرية اليهودية هي :

١- المنظمة الصهيونية العالمية :

وهذه المنظمة هي أم المنظمات (٩) الصهيونية أسسها ثيودور هرتزل (١٨٦٠م - ١٩٠٤م) ولأنها أم المنظمات الصهيونية فقد تميزت بكونها تيارا عريضا يؤكد أن الخلاص القومي لليهود لايمكن تحقيقه عبر عملية متقطعة لإقامة المستعمرات في فلسطين فحسب ، وإنما لابد من عمل سياسي مبرمج متكامل محمي علي الصعيد العالمي . ولهذه الأسباب كان مؤتمر بال (والذي عقد في مدينة بازل) السويسرية في ١٨٩٧/٨/٢٩ والذي وصل فيه المؤتمرون إلي قرارين هما :

١- وضع البرنامج الصهيوني الذي عرف ببرنامج بال (بازل)

٢- إقامة المنظمة الصهيونية العالمية لتنفيذ البرنامج الذي نص (أن هدف الصهيونية هو إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين يضمنه القانون العام) .

ولتنفيذ هذين القرارين كان لابد أن تكون المنظمة الصهيونية العالمية منظمة فاعلة - وقد تمثل ذلك عبر حرصهم علي جعل المنظمة مؤسسة لها أجهزتها المتكاملة وقيادتها وفروعها في دول ومدن كثيرة . وقد نمت هذه المنظمة بسرعة غريبة فبلغ عدد أعضائها في المؤتمر السادس المنعقد في عام ١٩٠٢م : ٦٠٠ عضو وازداد عدد الجمعيات الصهيونية التابعة لها نحو ٥٧٢ر١ جمعية موزعة علي بلاد مختلفة .

المنظمات والجمعيات السرية اليهودية :

إن تاريخ هذه المنظمات والجمعيات السرية اليهودية يزيد علي مائة سنة ويصعب التنبوء بانتهائه ويمكن من واقع الدراسات الكثيرة والاستطلاعات والاستقراءات والتحليل يمكن الاستنتاج بأن عمر هذه المنظمات والجمعيات قد يطول بدون تحديد(١٠) ويضاف إلي ذلك أن هذه المنظمات عريقة في الإرهاب ويظهر ذلك من طول تجربتها وماحققته علي أرض الواقع من نجاح في عملياتها وتحقيق أهدافها وهي كثيرة ومتنوعة يحتاج البحث التفصيلي فيها لموسوعة خاصة بها ولاسيما إذا كان البحث سوف يتطرق إلي فصائل تلك المنظمات والجمعيات وتنوعها وتفرعاتها ومدارسها وتياراتها الكثيرة المتباينة وعقائدها وسلوكها وممارساتها لهذا اكتفي بدراسة موجزة وعامة عن أهم وأشهر هذه المنظمات والجمعيات التي قامت بالبناء الفعلي لدولة اسرائيل الحديثة وهي تلك المنظمات والجمعيات التي قامت بوضع وتأسيس الإرهاب الصهيوني وجعلته عقيدة ومارست أعمالها من أجل بلوغ الهدف المنشود وهو : (١١)

١) إقامة دولة اسرائيل غزوا واغتصابا وإرهابا .

٢) إقتلاع الشعب العربي الفلسطيني من وطنه قتلا وإبادة وطردا وتهجيرا .

٣) توسع حدود الدولة العبرية إلي أقصي ماتسمح به ظروف وعوامل كل مرحلة من المراحل الزمنية.

٤) الهيمنة علي منطقة الشرق الأوسط لتصبح اسرائيل الدولة القائدة والرائدة فيها والمهيمنة عليها ، سياسا واقتصاديا بعد تغيير هوية المنطقة العربية وكيانها القومي

٥) توسيع نفوذ الدولة العبرية في منطقة البحار الدافئة وامتلاك القوة النووية والتقدم العسكري للسيطرة علي منابع النيل (حرب المياه) والسيطرة علي الموارد الاقتصادية - الماس والمعادن في شرق إفريقيا وقد

نجحت هذه المنظمة في تأسيس (الصندوق القومي -) في عام ١٩٠١م بهدف امتلاك الأراضي في فلسطين ، كما نجحت أيضا في نهاية العام نفسه في إنشاء بنك صهيوني عرف باسم (صندوق الائتمان اليهودي للاستعمار) والذي تفرعت عنه بنوك أخري هدفها جميعا تمويل النشاط اليهودي ضد العرب في فلسطين) . وانصب جل اهتمام هذه المنظمة في الحصول علي (براءة) تستطيع المنظمة بها ضمان أي كيان صهيوني يقام في فلسطين المطلوبة - كما نجحت في بذل جهودها في جعل المسألة اليهودية قضية عالمية كما نجحت في حصولها علي تميز ضمني أدي للاعتراف بالمنظمة الصهيونية العالمية ، كما قامت بالتحضير لانعقاد المؤتمر الصهيوني السابع والعشرين في إسرائيل (١٩٦٨م) والذي صدر عنه برنامج أورشليم والذي تحدث عن أهدافها الصهيونية وليس مهامها فحسب وقد نص ذلك البرنامج علي أن (أهداف الصهيونية هي وحدة الشعب اليهودي ، ومركزية أرض إسرائيل وجمع الشعب اليهودي في وطنه التاريخي عن طريق الهجرة من كل بقاع العالم وتقوية دولة إسرائيل القائمة علي مثل الأنبياء في العدالة والسلام والمحافظة علي أصالة الشعب اليهودي بتنمية التعليم اليهودي واللغة العبرية وبث القيم الروحية والثقافة اليهودية (١٢)

ولعل أبرز وأهم ما انتهي إليه هذا المؤتمر هو قراره بتأسيس (حركة الهجرة لإنجاز هجرة اليهود إلي الوطن التاريخي)

٢- منظمة هاشومير :

هي منظمة تعني بالعبرية (الحارس) وهي تعتبر اللبنة الأساسية التي تشكلت عليها منظمة الهاغاناة السرية فيما بعد وأمدتها بالعناصر المدربة علي السلاح واستخدامه وهي أصلا انبثقت عن الجمعية السرية اليهودية المسماة بالحارس اليهودي والتي أسست في عام ١٩٠٩م من مجموعة هاجرت إلي فلسطين .

كانت مهمة هاشومير (١٣) منذ تأسيسها هي أعمال الحراسة ثم تحولت الي قوة سرية محاربة حيث وجهت كل أعمالها ضد المستعمرات ، وقد عملت هذه المنظمة خارج فلسطين في اتجاهات عديدة منها التجسس علي المجموعات الإسلامية في تركيا حيث تم ضبط أحد أعضائها يتجسس علي المنظمات الإسلامية في تركيا ويدعي (تيلي) وكشفه أسرار منظمة الهاشومير التي تعمل ضد العرب والإسلام ، ولها أفرع في كل بلدان العالم وعندما توسعت دائرة اتهامها وكشفت أسرارها تم حلها وتمّ تكوين مجموعة إرهابية مستقلة مكانها أطلقوا عليها إسم (كتائب العمل) (١٤) .

٣- كتيبة البغالة الصهيونية :

أسسها الصهيوني فلاديمير جابونسكي والذي كان يعمل مراسلا صحفيا في مصر لصحيفة روسية تعمل في تغطية الأحداث في الشرق الاوسط وتعتبر هذه الكتيبة مرتكزا أساسيا للأنشطة الإرهابية في التنظيمات الاسرائيلية

٤- الفيلق اليهودي :

كونها جابونسكي كقوة عسكرية إرهابية تعمل في آسيا

٥- كتائب حملة البنادق الملكية :

تم تكوين هذه الكتائب باعتبارها قوة ضاغطة علي جيش الاحتلال البريطاني في فلسطين وقد بلغ عدد المتطوعين اليهود الصهيونيين في هذه الكتائب حوالي خمسة آلاف جندي يهودي صهيوني وهو مايوازي سدس الجيش البريطاني (١٥) .

٦- اللواء اليهودي :

تنظيم يهودي عسكري صرف انتظم تشكيلا عسكريا في عام ١٩٣٩م وتم ذلك بمساعدة الحلفاء وتم تسليحه عن طريق الحكومة البريطانية تمهيدا لاستخدامه لأغراض الصهيونية في فلسطين بعد أن تنتهي الحرب العالمية الثانية ، وتألف هذا اللواء من تجمع خمس عشرة سرية يهودية خالصة ، وفي عام ١٩٤٤ قاتل هذا اللواء بجانب الجيش البريطاني ولكن لم يطل الأمر حتي اكتشفت الحكومة البريطانية أن اللواء اليهودي ضالع ونشط في مجال تنظيم هجرة اليهود إلي فلسطين من ألمانيا والنمسا وغيرها من الدول الأوربية إلي فلسطين ويمارس أنشطة معارضة للسياسة البريطانية - فأصدرت بريطانيا في عام ١٩٤٦م قرارا بحله إلا أنه نظم مسالة انضمامه إلي المنظمات والجمعيات السرية الإرهابية الصهيونية القائمة يوم ذاك في فلسطين .

٧- الهاغاناة :

هي منظمة يهودية إرهابية سرية تأسست عام ١٩٢١م في القدس بإشراف الهتدروت (نقابة العمال العبريين) وتولت الهاغاناة الصراع المسلح الإرهابي لإنشاء دولة إسرائيل منذ ١٩٢١ حتي ١٩٤٨ ، حيت تحوّلت مساهمتها في تشكيل المنظمات العسكرية الإرهابية المعروفة ب (جيش الدفاع الإسرائيلي) وهي منظمة مفتوحة لكل عبري وعبرية يبلغان من العمر سبع عشرة سنة فما فوق ، وتشكل في باديء الأمر تحت عنوان (فرقة الدفاع والعمل) ثم انشقت هذه المنظمة إلي منظمتين وفي عام ١٩٤٥م كونت مع حركة بيتار تنظيما جديدا أطلق عليه اسم الأرغون وتميز بتنفيذ عمليات إجرامية وسياسية مستمرة حتي الآن ضد العرب وهو بقيادة مناحيم بيغن (١٦) وتتفرع منه جمعيتا (سرايا النار ونوطريم) وفي عام ١٩٤٨م تحول الهاغاناة إلي جيش الدفاع الإسرائيلي العامل الآن وهذا مافعله بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل ووزير الدفاع آنذاك .

٨- البالماخ :

البالماخ كلمة عبرية مركبة من لفظين عبريين ومعناهما معا (جند العاصفة والبالما هو تنظيم سري عسكري إرهابي أنشيء في عام ١٩٤١ واشتهر أعضاؤه بالقتل والنسف والتخريب والهجوم الصاعق بالإضافة لتمتع أفراده بدرجة عالية من التثقيف السياسي الذي يركز علي أهداف الصهيونية العالمية ومبادئها (١٧) . وأهم المصادر التي نقلت أسرار البالماخ هو كتاب (سفر البالماح) والذي نشر بالعبرية في مجلدين وتم توزيعه في تل ابيب (١٩٥٣) ثم أعيد نشره مرة أخري في عام ١٩٩١م (١٨) ويرجع تأسيس المنظمة إلي الإرهابي إسحاق سادة وهو الذي تولي قيادته وأثبت لها

ايدولوجيتيها السياسية الإرهابية إلي جانب نظامها الدقيق و أهدافها العسكرية وهي التي خططت لمذبحة دير ياسين وشاركتها في التنفيذ منظمة الارغون وشتيرن ، ومما يجدر الإشارة إليه بأنه ورد في سفر البالماخ إشارات عديدة إلي العرب بوصفهم العدو ومما تجدر الإشارة إليه أيضا وجود عشرات الخرائط للبلدان العربية والإسلامية خارج قارة آسيا وهي تحدد مناطق بعينها لها جولات مع البالماخ ومنها خطة وضعتها البالماخ لاحتلال سوريا ولبنان والأردن ومداخل البحر الأحمر حتي مداخل الجزر عند أرخبيل المحيط الهندي وسيناء . ومن أشهر قادة البالماخ- الذين يرجع لهم نجاح عملياتها التوسعية موشي دايان (١٩٥٣ - ١٩٥٧م) وإسحاق رابين (١٩٦٣- ١٩٦٧) وحاييم بارليف (١٩٦٨م - ١٩٧١)

٩- منظمة بيتار :

هي منظمة يهودية سرية إرهابية تشكلت في باديء الأمر في بولونيا سنة ١٩٢٣م (١٩) وتم إعداد أعضائها علي نمط الحياة الفلسطينية والتكيف علي المناخ والحياة الشاقة وتدريبهم علي العمل الزراعي وتعليمهم العبرية والتدريب العسكري وتلقينهم أيديولوجية واضحة التاثر بالأيديولوجيات الفاشية التي كانت سائدة في أوربا وكانت المنظمة تلقن أعضاءها أن أمام اليهود بديلين لا ثالث لهما (الغزو أو الموت) وأن كل الدول التي لها رسالة قامت علي حد السيف وعلي السيف وحده وتدين بيتار عقائديا بافكار جابونيسكي زعيم الصهيونية التنقيحية.

١٠- منظمة عصبة الأشداء :

تشكلت هذه العصبة في ١٩٣٢م منشقة عن الحركة الصهيونية التصحيحية (٢٠) وقوامها المثقفون وجمعت حولها مجموعة من العناصر الإرهابية والأكثر تطرفا في هذه العصبة وأقامت لها خلايا عديدة في مناطق خارج آسيا لخدمة أهدافها وكانت تدعو إلي قيام دولة عبرية في فلسطين بالحديد والنار ومن أهم أهدافها وأعمالها منع إبراز أي كيان يميز الفلسطينيين ومن أعمالها أيضا منع الإحصاء السكاني للفلسطينيين عام ١٩٣١م وذلك لتفادي إظهار حجم الإسرائيليين مقارنة بحجم الفلسطينيين في ذلك التاريخ كما نشطت في تهريب اليهود إلي فلسطين .

١١- الأرغون :

منظمة صهيونية إرهابية واسمها بالعبرية (أرغون تسفائي لتومي باترس يسرائيل) أي المنظمة العسكرية القومية في الأرض الإسرائيلية ويتم اختصارها ب (ايتس) وشعارها يد تمسك بندقية مكتوب تحتها (هكذا فقط) تم تأسيسها في عام ١٩٣٦م منشقة عن الهاغاناة - والأسباب هي أن الأرغون تري في نهج وأسلوب الهاغاناة ضعفا وتساهلا ضد العرب وتري أن علي الهاغاناة أن تكون أكثر قساوة منذ البداية . قتل بلا هوادة ولا فرق بين ذكر أو أنثي وبين كبير أو صغير قتل - دمار - إرهاب ويرجع إنشاؤها الي جابونسكي الأب المفكر لهذه المنظمة والتي سارت علي هديه حتي الآن وقد وضع لها كتابا صور فيه اليهود غزاة أوربيين عليهم أن يحتلوا فلسطين بالقوة ويطهروها لكي تتسع رقعة أوربا حتي نهر الفرات ، والمصدر الثاني لدراسة هذه المنظمة كتاب زعيمها الأكبر مناحيم بيغن والمُضمّنة في قصة الأرغون

(٢١) ويقول بيغن في هذا الكتاب والذي وجهه لغير اليهود يذكرهم فيه حتي لاينسوا ما عاشه اليهود من دمار ودماء وخوف وتشرد ومالا قوه من الدموع والرماد والجوع ، وهذا العناء خلق جيلا جديدا من البشر لم يعرف العالم مثله لأكثر من ألف وثمانمائة سنة وهو المحارب اليهودي .

والكتاب ينضح بالحقد ويتوعد بالوعيد والواقع الذي استمد منه فلسفته هذه ومنطقة هو ماقاله ديكارت (أنا أفكر فانا إذن موجود) ويقول بيغن (أنا أحارب فانا إذن موجود)

لقد ارتكز مناحيم بيغن في مراراته الإرهابية وفكره المعجون بالدم إلي مقدمة نستنتج منها مواقفه وعداواته للعر ب وخلاصتها أنه يدفع برأيه بأنه لا وجود للعرب وماهو شرعي للأكثرية العربية هو مجرد لا شرعية للعرب ، وأنه يجتهد مع منظمة بيتار ومع حزب جابونسكي بأن يأتوا بآلاف اليهود غير الشرعيين إلي البلاد رغم معارضة العرب لهم والثورة التي اختارها بيغن لكتابه عنوانا وأسلوب عمل لحركته هي التي تجعل اللاشرعية شرعية ويقول بيغن (لقد نجحنا في المراحل الأولي من الثورة أن نحقق هدفا استراتيجيا هاما هو نجاحنا في تعطيل العامل العربي الموضوعي)

فاخرجناهم من مساكنهم بالحيلة والمال والقوة والإرهاب ، ونكتفي بمثال واحد فقط هو مذبحة دير ياسين التي وقعت في ١٠/٤/١٩٤٨.

١٢- منظمة شتيرن :

يطلق عليها بالعبرية (لحمي حيروت إسرائيل) ومعناها بالعربية (المحاربون من أجل حرية إسرائيل) واختصارها (لحي) ولكنها عرفت أكثر باسم مؤسسها (إبراهام شتيرن) وشتيرن انشقت من الأرغون عام ١٩٤٠م (٢٢) وتهدف شتيرن إلي قيام جيش مستقل لليهود ولجنة وطنية للأغراض الدولية العبرية وتبنت هجرة اليهود إليها وإقامة وجود لها في ضفتي الأردن بقوة السلاح كما قامت شتيرن بقتل اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط عندما نهج البريطانيون منهجا أضر بمصالح اليهود وكان ذلك في عام ١٩٤٤م كما قامت شتيرن بتوسيع كبير في المناطق العربية الفلسطينية وصعدت عملياتها فنسفت سرايا يافا في الثاني من نوفمبر عام ١٩٤٧م . وإن محطة الإذاعة المسماة (صوت إسرائيل) هي عمل مشترك بين ستيرن والوكالة اليهودية وهي تعمل حتي الآن مع الارغون .

١٣- الوحدة ١٠١

الهدف من هذه الوحدة هو تجسيد حي لإرهاب الدولة فقد أنيط بها أن تتولي الضربات الإرهابية الخاطفة ذات الطابع المعين ، كالقتل الجماعي والإرهاب والتدمير الجماعي المفاجيء وتم تشكيل هذه الوحدة في إطار الجيش الإسرائيلي في عام ١٩٥٣م (٢٣) بقيادة زعيمها أرييل شارون وكلفت بمهامها وأسلوب عملها وعقيدتها القتالية والأسلحة التي تحتاج إليها والمنظمات التي تعمل وتنسق معها مثال الهاغاناة والبالماخ والأرغون وشتيرن ونسبة للمذابح الجماعية التي قامت بها واشتهرت بها فقد تم تطويرها لتصبح لواء مظليين بأمر القائد نفسه أرئييل شارون ومنها قسم يقوم بعمليات جمع المعلومات عن الجيوش العربية وقسم يعمل في الملحقيات العسكرية في جميع مناطق تمثيل إسرائيل الدبلوماسي حتي الآن.

١٤- منظمة : غوش إيمونيم :

قد يلاحظ المهتم بمعرفة المنظمات والجمعيات السرية اليهودية تنوع المؤسسات والأحزاب السياسية والشخصيات والجماعات المتطوعة والمعاهد التي تتكون في إسرائيل ومايطلق عليه اســم (الأصولية اليهودية) فإن التبصير الأوضح والأقوي والأكثر تعبيرا عن هذه الأصولية ولأبعد معاني التطرف الإسرائيلي يتركز في منظمة غوش إيمونيم وهي منظمة تضم خليطا من العناصر اليهودية وتضم أكثر من ٢٠٫٠٠٠ داعية منتشرين في كل البلدان العربية والإسلامية وتحت مسميات محلية همها مراقبةالعقيدة الإسلامية والأجناس العربية وتأثيرها في تلك المجتمعات ومراقبة الدعاة الإسلاميين ونشاطهم وأسلوب عملهم ومصادر دخلهم والجهات والواجهات والمنظمات التي تدعمهم بالمال والمطبوعات وحركة هذه البلدان وتقاربها الثقافي .

أما شعارها فهو (أرض اسرائيل لشعب اسرائيل بحسب توراة إسرائيل) التوراة يقول (أينما تضعون حوافر خيولكم فهي أرض لكم)

وتعتبر هذه المنظمة أنجح منظمة أو حركة غير برلمانية نشأت في إسرائيل منذ عام ١٩٤٨م . وينظر قادة هذه الحركة ودعاتها علي بسط سيادة الدولة العبرية اليهودية علي أرض اسرائيل الكاملة وفق ماجاء وصفها في التوراة والاستعاضة عن أشكال الحكم الليبرالية والديمقراطية الغربية النمط بأشكال يهودية أصيلة وإعادة بناء الهيكل في القدس تنفيذا للخلاص المسيحاتي الذي قضاه الله وإن جاء هذا التنفيذ بعد تأخير بعيد (٢٤) وتسيطر غوش ايمونيم علي كل المستعمرات الآن في الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان وجنوب لبنان ويمتد نفوذها ومناط ق انتشار أفرادها في الخليج العربي ، وشرق إفريقيا وذلك منذ عام ١٩٦٧ وظهر التوسع والحركة الدؤوبة في عام ١٩٩٤م بالإضافة إلي الروافد التي تمد هذه الحركة بالمعلومات والبحوث ومعاهد التدريب ومصادر التسلح والمال أكثر وأوسع بكثير مما يتصور البعض فهي تضم حركة الشبيبية الدينية (أبناء عكيفا) وشبكة من المعاهد الميدانية شبه العسكرية والمعروفة(يشيفوت هسدر) ..

وكذلك منوط بها تنفيذ خطة النظام التربوي الديني والاهتمام بأبناء الطبقة الوسطي الإسرائيلية من ذوي الالتزام السياسي الشديد بالصيغ التوسيعة للصهيونية وبالرغم من أن المنظمة غير حزبية إلا أنها تحظي بدعم العديد من الوزراء البارزين والمؤثرين في السياسة الإسرائيلية وكذلك من أعضاء بارزين في الكنيست الإسرائيلي معروفين بأنهم من قادة(غوش) وذلك لنجاحها الكبير في تحقيق أهداف الدولة العبرية وتم تشكيل وتحالف برلماني في عام ١٩٨٥م عرف بإسم اللوبي لممارسة الضغط لمصلحة أهداف غوش وضم أعضاء من خمسة أحزاب مختلفة واشتمل هذا التحالف علي ٣٨ عضوا أي أنه صار يمثل ٣٢٪ من مجموع أعضاء الكنيست ويعمل اللوبي بدعم ثابت من خمسين من الوزراء وأعضاء الكنيست (٢٥) وللمنظمة مجموعات سرية تتفرع منها – وهي تهتم بالآتي : (٢٦)

١- منها الدعاية الإسرائيلية

٢- التوظيفات الاقتصادية

٣- منظمة البناء

٤- الاتصالات السياسية

٥- الأمن

٦- البحوث

٧- النشر

٨- التنمية

كما بدأت الحركة تصعد نشاطها منذ عام ١٩٨٠م ، حيث بلغ عدد العمليات التي نفذتها حتي عام ١٩٨٤ حوالي ١٥٠ عملية إرهابية واتخذت هذه العمليات عدة أشكال منها : (٢٧)

١/ مهاجمة العرب في أماكن سكنهم وعلي الطرقات وإطلاق النار عليهم بهدف القتل .

٢/ الاعتداء علي المدارس العربية والمساجد وانتهاك حرمة الأماكن المقدسة .

٣/ زرع العبوات الناسفة في الأماكن العامة والساحات الرئيسية والمساجد والكنائس .

٤/ تدمير مئات العربات التي يمتلكها العرب وإضرام النار فيها .

كما أن هذه المنظمة وفروعها تقوم علي الأيديلوجية الصهيونية العنصرية والتي تهدد وتستهدف الوجود العربي وهي تضم في عضويتها أكثر من ٢٥ ألف عضو من الشباب اليهودي المدرب علي حمل السلاح وهم خليط من الشباب والنساء ومن أهم المشاريع التي سبق أن حاولت غوش تنفيذها هدم المسجد الأقصي (٢٨) وسبق لها أن نفذت خطة لهدمه وهدم قبة الصخرة واشترك فيها ضابط من الجيش متقدم في معرفة المتفجرات وقد اجهضت العملية لعدم حصول الجماعة علي موافقة صريحة من حاخامي غوش وحددت للمحاولة الثانية الفترة الواقعة بين ٢٠٠٢ م - ٢٠٢٠ (٢٩)

١٥- حركة أرض اسرائيل الكاملة :

تكونت هذه الحركة بعد حرب ١٩٦٧م أسسها الجنرال المتقاعد إبراهام يوقة وإسرائيل إلداء أحد القادة السابقين لحركة شتيرن الإرهابية وحظيت هذه المنظمة بإقبال كبير من الشباب أيّدها في برنامجها وأهدافها وضمت في صفوفها مجموعة من قادة الأحزاب وأول أعمالها هو وقوفها ضد قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ والذي قالت فيه إن تحرير اسرائيل للأراضي العربية سنة ١٩٦٧م هو استرداد لها ودعا البيان الإسرائيليين للوقوف ضد القرار واستنفر اليهود في كل اوربا وامريكا وكل المؤسسات الدولية والإقليمية لإسقاطه .

١٦- حركة كاخ :

هي منظمة يمينية إرهابية ممثلة في الكنيست الإسرائيلي وتستمد مواقفها من مفهوم ديني يستهدف العرب بشكل عام وعرب فلسطين بشكل خاص وتري الحكومة معالجة الشئون العربية في فلسطين بالعنف واضطهادهم وطردهم ومعظم أعضائها من الشباب والنساء وهي منظمة خارجة عن القانون وتؤكد المصادر المالية لحركة كاخ بأنها لم تجف قط وهذه المنظمة جمعت بين العمل السري والعلني (٣٠)

وتركز نشاط أعضائها في مدينة القدس ، والبنية التنظيمية لحركة كاخ بنية سرية ولها قيادة في قمة الهرم قيادة سياسية ذات جناح عسكري فعال وهيئات مالية وايديولوجية وتعليمية ويعمل تحت مظلة الحركة جها ز عسكري جد فعال يعمل في جمع المعلومات عن كل الجيوش في المنطقة العربية ، عن أسلحتها وتدريبها وتشكيلها وعقيدتها القتالية ومناوراتها ومواقعها العسكرية الاستراتيجية ومداخلها ومنافذها السرية وتقدمها من حيث مصادر التسليح وتنويعها – وقاداتها وساسة الدول العربية والمنظمات التي تجمعهم (٣١) .. الخ ويسمي هذا الجهاز باسم (لجنة الأمن علي الطرقات) ومؤسس هذه الحركة هو مائير كاهنا وهو إرهابي متطرف ، ولد في الولايات المتحدة الامريكية ، حيث اسس في بروكلين نيويورك منظمة سرية هي منظمة (رابطة الدفاع اليهودي) وفي مواجهة صوت له من قبل الشرطة الفدرالية (F. B. I) غادر الولايات الامريكية المتحدة إلي إسرائيل في عام ١٩٧١م حيث أنشأ حركة كاخ سنة ١٩٨٠م وتم القبض عليه وسجن لمدة ستة اشهر لاتهامه بتدبير خطة لهدم المقدسات الإسلامية في المسجد الأقصي في القدس . وهو وراء تدبير جماعة (ت ن ت) الإرهاب ضد الإرهاب تم اختياره في عام ١٩٨٤م عضوا في الكنيست الاسرائيلي لاعتبارات سياسية وحاجة الخريطة السياسية الاسرائيلية إلي حركة جديدة لتنفيذ الأفكار والمنطلقات الصهيونية العالمية لأرض الواقع ولقد تمثلت تلك الأفكار في : (٣٢)

١- توجيه تهديدات لكل العرب في فلسطين واختيار مناف لهم في الدول العربية وأقطارها وراء البحار وتعجيل الرحيل لتلك الأماكن

٢- المساهمة في عملية الاستيطان وتوسيعها

٣- تدبير سلسلة من حوادث الاعتداء علي المسجد الأقصي والأماكن المقدسة الأخري عند المسيحيين والمسلمين بدعاوي إعادة بناء الهيكل وحائط المبكي .

٤- تنظيم خلايا سرية مسلحة مهمتها مهاجمة العرب وقتلهم وخطفهم لإرهابهم سعيا وراء تهجيرهم وتفريغ المناطق العربية من سكانها العرب ودخلت معها عناصر أكثر تطرفا عندما دخل مائير كاهنا في عضوية الكنيست وبدأت ممارسات الحركة تتخذ منعطفا خطيرا ومنظما خارج إسرائيل وبعثت أعضاءها إلي جنوب السودان وإريتريا وإثيوبيا ويوغندا ومنطقة البحيرات وذلك سعيا لتغيير الخارطة السياسية القديمة في شرق إفريقيا – كما تقوم هذه الحركة بجلب حجارة الماس من هذه المنطقة (٣٣)

١٧- منظمة جبل الهيكل :

المشهور في التوراة عن الهضبة الصغيرة ، الواقعة خلف الحائط الغربي من مدينة القدس القديمة ، إنها جبل موريا التوراتي الذي ضحي فيه سيدنا إبراهيم بابنه إسحاق حسبما جاء في سفر التكوين وهو الموقع التاريخي الذي يتمسك به اليهود وهو موقع بناء هيكل سليمان وقد بنيت الصخرة علي الموقع والمسجد الأقصي القائم علي الهضبة أيضا وهو ثالث الحرمين في الإسلام بعد الحرمين الشريفين في مكة والمدينة ومنذ عام ١٩٦٧ سعت مجموعة من المنظمات لتفجير الوضع في هذه المناطق وتراوحت أهدافها بين بناء محفل يهودي وبين ممارسة السيادة اليهودية الكاملة مع حظر دخول العرب والمسلمين إلي الموقع تمهيداً لبناء

الهيكل في مكان المقدسات الإسلامية وقامت هذه الجماعات بالقتل والحرق والإرهاب في جبل الهيكل علي أيدي أعضائها العاملين في الفترة مابين ١٩٦٩م - ١٩٨٢م كما قامت بعدد من المحاولات العدوانية لتغيير الوضع القائم في موقع المسجد الأقصي وقبة الصخرة في سنة ١٩٨٣م وكان هنالك مؤامراة يهودية بنسف المسجد الأقصي وذلك باكتشاف كمية من المتفجرات مخبأة في مدينة القدس جمعت لهذا الغرض .

وفي عام ١٩٨٤م اعترض أحد الحراس العرب جماعة من الدخلاء لم تحدد هويتهم في جوار الحرم الشريف وما إن وصلت تعزيزات الشرطة انفض الدخلاء وغادروا المكان وخلفوا وراءهم ٣٠ كيلوغراما من المتفجرات والصواعق وأجهزة التفجيرات وعدد ٢٢ فتيلة يدوية و كانت القنابل قد أعدت بدراية فائقة توحي بمشاركة عدد من خبراء التدمير وذلك لنسف المسجد الأقصي (٣٤)

١٨- منظمة موليدت :

تمارس هذه الحركة نشاطا علنيا ومن مبادئها المعلنة طرد العرب من النيل ودجلة والفرات لأن اعتقادهم بأن وجود العرب في أي مكان يهدد أمن اليهود (٣٥)

١٩- منظمة هتحيا (النهضة) :

هي من أكثر المنظمات الفاشية الإسرائيلية تطرفا وعنصرية وهي حركة سياسية يمينية من أهم مبادئها وبكل تشدد إقامة مستعمرات جديدة في فلسطين ويتزعمها يوقال نئمان وغيئولا كوهين وحضان بوراث وتؤمن حركة هتحيا بأيديولوجية معينة وهي لاتقبل في صفها أعضاء لايؤيدون فكرة أرض إسرائيل الكاملة .

٢٠- منظمة كهاناجي :

مثل حركة كاخ ولیس هنالك أي فوارق بينها وبين منظمة كاخ في أيديولوجيتها باستثناء الخلافات الشخصية عند قيادات الحركتين ويقيم معظم أعضاء الحركة في منطقة شمال الضفة مع زعيمهم بنيامين كهانا (نجل الحاخام ، كهانا) وله سجل حافل بالإرهاب وبمجموعة من الاتهامات الجنائية ضد العرب وممتلكاتهم (٣٦) .

٢١- مجلس المستعمرات :

تأسس هذا المجلس عام ١٩٨٠ وهو عبارة عن هيئة غايتها حل الشئون العملية وتشكيل مجموعةللضغط السياسي عند الحاجة وأن أهداف المجلس هي العمل من أجل تطبيق السيادة الإسرائيلية علي كل المناطق اليهودية والسامرة وقطاع غزة ومن خلال الاعتراف العلني بأن هذه المناطق جزء لايتجزأ من أرض إسرائيل الكاملة وتجنيد الإمكانيات لتحقيق هذه الأهداف (٣٧)

٢٢- رابطة بيشا :

هي رابطة استيطانية أيديولوجية أقيمت سنة ١٩٧٩ وتنتشر في كل الأرض المحتلة بمعزل عن انتماءاتها السياسية والأيديلوجية .

٢٣- حركة حي فاكيام :

تأسست في منتصف الثمانينات ومن زعمائها يهودا عنسيون الذي كان عضوا سريا في التنظيم السري

اليهودي والذي وضع المتفجرات لتفجير المسجد الأقصي في أواخر الثمانينات وسجله حافل بالنشاطات الإجرامية والتخطيط لنسف المسجد الأقصي .

٢٤- حركة السيكريكيم :

حركة إرهابية متطرفة جدا يقوم نشاطها بتنفيذ العمليات الإرهابية الإجرامية باحتراف كبير ولايتركون أي آثار تدل عليهم ولازال هنالك تكتم كبير في أوساط الحكومة والتي نفت وجود هذه الحركة وعتمت علي أمرها (٣٨)

٢٥- منظمة حيرب دأيفد :

ومعناها (سيف داود) هذه المنظمة سرية وتمارس نشاطاتها بسرية تامة ولها سجل إجرامي مليىء بعمليات القتل والاختطاف وأكدت هذه المنظمة استمرارها علي قتل العرب أينما وجدتهم وأنها تضم بعض الضباط من الجيش الإسرائيلي (٣٩)

٢٦- حركة موكيد ياهف :

مجموعة إرهابية يرتكب أعضاؤها أعمالا إجرامية متوحشة في عنصريتها وهذا ما أثبت حينما التقطت صور لأعمالهم الإرهابية ويتزعمها الإرهابي يهود مائير (٤٠)

٢٧- منظمة ماعتس :

منظمة إرهابية سرية في تحركاتها ونشاطها ويؤيد هذه الحركة يوسف عانو وهو زعيم منظمة (إرهاب ضد الإرهاب) في تل أبيب (٤١) وقد ظل أمر هذه المنظمة مخفيا حتي اعتقال زعيمها وهذه المنظمة أقرب للمنظمات الإجرامية منها إلى المنظمات السياسية .

٢٨- حركة تسفيا :

بعد كشف الحركة السرية اليهودية في ١٩٨٤م قام حاخام مستعمرة (أرئيل) بتشكيل مجموعة سرية صغيرة أطلق عليها اسم تسفيا وهي المجموعة الوحيدة في المعسكر الديني القومي والتي تقدم دعما كبيرا للحركة السرية اليهودية (٤٢) ويقول الحاخام بأن حدود إبراهام أبينا من البحر المتوسط حتي العراق وتشمل جزءا من لبنان والأردن وسورية (٤٣)

٢٩- رابطة أمن التحرك علي الطرقات :

شكلتها مجموعة من العناصر الإرهابية عام ١٩٧٩م وتقودها عناصر أكثر تطرفا وعنصرية ضد العرب

٣٠- حركة الحشمو نائيم :

هي أحدي بالمجموعات الإرهابية الفاشية المؤسسة حديثا في اسرائيل وهي متأثرة بحركة كاخ وزعيمها ومؤسسها يوئيل لرنر وكل عملياتها تقوم علي العنف والارهاب المدعومين بخبرة أعضائها العسكرية العالمية ومن أهم أهدافها السيطرة علي بيت المقدس وطرد العرب من القدس كلها ومن كل مايدعونه أرض إسرائيل (٤٤)

٣١- حركة حيرف حدعون :

هي منظمة إرهابية اعتمدت أسلوب المنشورات التي تدعو فيها الجمهور والجنود إلي الإضرار بالعرب وجاء فى أحد المنشورات (الكل مدعو لرجم كل سيارة تحمل لوحة زرقاء أي طرد العرب من الأراضي اليهودية (٤٥) .

٣٢- منظمة دوفي (قمع الخونة) :

هي منظمة يهودية إرهابية سرية ، اعتمدت أسلوب المنشورات ، التي تمتلىء بالعنصرية والإرهاب حتي ضد اليهود الذين ينتقدون الممارسات الإرهابية الصهيونية وتدعو إلي التشديد والقمع ضد العرب وإلحاق الأذي بهم إينما وجدوا وفعلا نفذت الحركة عدة عمليات إرهابية ذهب ضحيتها عدد كبير من العرب (٤٦)

٣٣- منظمة غال (إنقاذ إسرائيل) :

وهي منظمة سياسية نشطت منذ عام ١٩٧٧م وتعتمد هذه المنظمة علي الإرهاب ومن أهم نشاط عناصرها ومن أهم العمليات التي قامت بها محاولتها السيطرة علي المسجد الأقصي وتدميره بطريقة سرية بدعوي تحرير حائط المبكي و أرض الهيكل ويترأس المنظمة مدرس في إحدي المدارس الدينية اليهودية يدعي بوال لينير ويساعده في إدارة الحركة أرمد عذران وهو ضابط في سلاح المدرعات (٤٧)

٣٤- منظمة الإرهاب ضد الارهاب (ت . ب ت) :

تضم هذه الحركة الإرهابية عناصر صهيونية معروفة بأنها من أرباب السوابق وعناصر عسكرية وهذه المنظمة شكلت لمقابلة الإرهاب العربي كما تدعي واتسمت عملياتها بالعنف والقسوة والإجرام وقامت بعمليات ضد المدارس العربية والجامعات ومهاجمة المساجد ووسائل النقل العربية (٤٨)

الفصل الثالث

١/ ماذا نعني بالمنظمات النصرانية ؟

٢/ ماذا نعني بالمنظمات النصرانية السرية ؟

٣/ ماذا نعني بالهيئات النصرانية ؟

٤/ ماذا نعني بالوكالة النصرانية ؟

ماذا نعني بالمنظمات النصرانية ؟

الفصل الثالث

هي مجموعات مسيحية المذهب تضم بعض المتطوعين من الشباب والنساء والشيوخ بهدف خدمة البرامج الدعوية لأهداف محددة وبرنامج محدد وبوسائل محددة وجل نشاطهم خارج أوربا والأمريكتين وأغلب هذه المجموعات من الشباب من الذكور والإناث وأن لهذه المجموعات هيئات ومنظمات ووكالات تنضوي تحتها وتتحرك بأوامرها وتقوم بدعمها لإنجاح هذه الأهداف وهي أي المنظمات والهيئات والوكالات النصرانية علي الوجه الآتي :

١- مجلس كنائس الشرق الأوسط :

هذا المجلس يهتم فقط بقضايا الفلسطينيين وهو يتكون من مجموعة طوائف غير متجانسة ويغلب بينها الصتراع المذهبي ورؤية الدعوة بينها ففي مؤتمر نيقوسيا ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٨٠م طلب الأقباط من بقية الأساقفة الإنجيليين أن يصفوا الخلافات لأنها أثرت علي القاعدة والقمة ثم باعدت بينهما .

* المنظمات والهيئات العاملة في مجال التبشير عن طريق تقديم الخدمات في إفريقيا ، وآسيا ، والهـــند ، وجزر شرقي آسيا وباكستان وأمريكا اللاتينية و أهم هذه الواجهات هي :

١) مجلس الكنائس العالمي World Council & Churches

مقر هذه المنظمة جنيف وتضم كل الطوائف الكنسية ماعدا الكاثيوليك وتمتاز بالعمل الإداري الدقيق ولاسيما في مجالات التخصص ولها خبرات واسعة ونفوذ كبير في أوربا ولها وكالة متخصصة في عمليات غوث اللاجئين . Inter Church Aid Refugees World Service وهي تقدم المساعدات لكل دول الحركات التحريرية في إفريقيا وغيرها وكذلك مساعدات اللاجئين .

٢) خدمات الإغاثة الكاثوليكية Catholic Relief Services وهي مؤسسة كاثوليكية ، تعمل في معظم الدول الغربية والولايات المتحدة الأمريكية وفي دول العالم الثالث ومجال عملها في الأغذية والعلاج والملابس وبرامج تنمية الخدمات الصحية والتعليمية والإسكان ويكثر نشاطها في أوساط اللاجئين .

٣) الوكالة الامريكية للتنمية العالمية : The U. S Agency For Inter development وهي منظمة تابعة للحكومة الأمريكية وتعمل في مجال الإغاثة الدولية وفي مجال الأغذية والمعونات الصحية ويكثر وجودها في شرق آسيا والهند وباكستان وأمريكا اللاتينية وإفريقيا .

٤) البرنامج الاقتصادي للإغاثة في إفريقيا : Econ Prog ForEner Action in Africa وهو تابع لمجلس عموم كنائس إفريقيا ومركزه بنيروبي في كينيا ويقوم بتنظيم وتمويل عمليات الإغاثة والبرامج الاقتصادية في دول العالم الثالث حيث يتركز ثقلها في دول شرق ووسط وغرب إفريقيا .

٥) المجلس القومي للكنائس بالولايات المتحدة الامريكية Nati Council of Churches of U. S. A وهي منظمة بروتستانتية وتقدم مساعدات كبيرة للاجئين في مجال العون الصحي والغذائي كما أنها تمد الحركات المناوئة للأنظمة الحاكمة في دول العالم الثالث وإفريقيا علي وجه الخصوص بالمساعدات العسكرية ، ولها مناطق نفوذ وانتشار في شرق إفريقيا .

٦) رابطة جمعية الصليب الأحمر الدولية : The league of Red Cross World Societies ومقرها في جنيف تعمل في الإغاثة وتقديم الخدمات في مناطق اللاجئين والكوارث الطبيعية لها جناح سري يقدم العون لحركات التحرر التي تنضوي تحت أهدافها

٧) منظمة كيريتاس العالمية Caritas Internationals هيئة فرنسية تتبع الكنيسة الكاثوليكية وتعمل في مجال تقديم المساعدات للاجئين وخدمات الطلاب ولها جناح سـري يعمل في تقديم المساعدات لحركات التحرر في إفريقيا ولها نحـو ١٣٢ منظمـة في إفريقيا يبدأ اسمها بالحرف (A) مثل Acglon

m و Akross الخ

٨) منظمة الأبوية العالمية : Actlon Medico وهي منظمة ألمانية تقدم العون لحركات التحرر في إفريقيا ودول شرق آسيا

٩) جمعية مساعدة إفريقيا : Society for Support In Africa وهي منظمة كاثوليكية مقرها فرانكفورت تعمل في بث الدعاية عن الأنظمة الحاكمة في إفريقيا علي وجه الخصوص عن طريق الصحف الألمانية وبالتالي تستدر عطف المؤسسات الألمانية لتقديم العون والمساعدة للاجئين في إفريقيا.

١٠) جمعية الكنيسة السودانية : The Sudan Church Association وهي هيئة دينية تضم أرباب المعاشات من البريطانيين الذين كانوا يعملون بالسودان كما تضم بعض القساوسة البروتستانت والأساقفة والكنيسة الرسولية الجديدة ومن منظمة الطفولة والأمومة البريطانية ومقر رئاسة هذه الجمعية مدينة شلس في بريطانيا وتقوم هذه المنظمة بالإضافة لأعمالها بإصدار نشرة تعريفية عن جنوب السودان

* لجنة الإنقاذ العالية: International Rescue Committe وهي تقوم بالتعاون مع المنظمة التي يراسها الدكتور مالكوم وهو مقيم الآن بإثيوبيا واسم المنظمة N. L. ch . usa ذات انتشار واسع في إفريقيا .

* لجنة مجلس الكنائس : مقرها أديس ابابا وهي ترعي شئون الطلاب السودانيين الجنوبيين كما تقوم برعاية شئون اللاجئين الأفارقة

* منظمة الآباء فيرونرا : Veronal Fathers وهي تعمل برئاسة المطران الذي تم إبعاده من السودان دومينكو رارا الذي كان مطرانا بالاستوائية وقام بأعبائه المطران أرينو نون وتقوم هذه المنظمة بالعمل في جمع المعلومات السياسية والاقتصادية في منطقة شرق آسيا ، ، والأسباب التي طرد بها دومنيكوزارا هي تدخله المباشر في تحريض المواطنين علي العرب المسلمين ومساعداته للانفصاليين في جنوب السودان .

* Oxfam : ومقرها ببريطانيا وتعمل في مجال إغاثة اللاجئين ومساعدات المبشرين في شرق إفريقيا وجنوب السودان علي وجه الخصوص كما تقدم لطلاب الجنوب السودانيين البعثات التعليمية

* المنظمة الخيرية الكنغولية الخيرية البروتستانية Conogoleze Progres Welfare و تعمل وسط حركات التحرر واللاجئين وجمع المعلومات والإغاثة والاستيطان في شرق إفريقيا

* أما منظمات التمويل فهي تتبع للتجمعات الكنسية حسب مشاربها : فمثلا بالنسبة للكاثوليك فهي : ثلاث منظمات رئيسية :

ميزيريور Miseriol - ميسيو Missio - كاريتاس Cartas

منظمة ميزيريور ، تقدم هذه المنظمة عطاء أو مساعدة للمحتاجين ومقرها في مدينة آخن في ألمانيا وتقع في الحدود بين بلجيكا وهولندا ومديرها التنفيذي السنيتو ليو سوارتس وهو في رتبة راهب ومجموعة أعضائها العاملين نحو ٧١٦ عضوا متخصصا يعملون في المجالات التابعة لها وهم يعملون في (أتيام بنظام الكوادر) ومصادر دخل المنظمة :

- الضريبة الكنسية وهي ضريبة تفرضها الدولة الألمانية علي كل المسيحيين في ألمانيا
- التبرعـات وتجمـع من المحسنين وتعرف بتبرعـات الأحـد (بلغـت جملة تبرعات الأحد في عام ١٩٩٦م نحو ٣٥٠ مليون دولار)
- دعم الحكومة الالمانية
- الأفلام التي تقوم بتصويرها في إفريقيا والأوضاع المتخلفة هي مصدر ثابت يدعم هذا العمل .

عمل المنظمة في إفريقيا :-

- تعقد هذه المنظمة سنويا مؤتمرا جامعا لكل المطارنـــة الكاثوليك في إفريقيا - وتعرض المشاكل التنظيمية - المال - مشاكل التنصير في إفريقيا .

- هذه المنظمة لا تتعامل مع الأفراد أو الحكومات وإنما تتعامل مع مجالس المطارنة الكاثوليك عن طريق مكتب المعونة التابع للمجلس في تلك البلدان وهذا المكتب في السودان يعرف ب Sudabk Aid وأي مشروع لا تؤيده الكنيسة في ذلك البلد لا تدعمه المنظمة .

منظمة ميسيه : وهي أيضا في مدينة آخن وفي نفس موقع ميزيريور وهي كذلك متخصصة في عمل التبشير في إفريقيا ، مصادر دخلها :

- الضريبة الكنسية
- التبرعات .
- دعم الحكومة
- مدارس الأحد

عملها في إفريقيا عبر منظمة الصليب الأحمر الدولية وهي منظمة تبشيرية تتعامل مع مجالس المطارنة - ومتطرفة وتتحرك بتوجيهات الفاتيكان ولها فروع كثيرة في إفريقيا وتهتم بالتنصير

منظمة كاريتاس : لهذه المنظمة أربعة فروع الأول خاص بايطاليا والثاني بألمانيا والثالث بهولندا والرابع بإفريقيا وتقع رئاسة هذه المنظمة مجتمعة بايطاليا ويرأسها المسيور د . جورج هوسلر . عمل المنظمة تعمل نحو ٤٦٠ شفخانة في شرق إفريقيا - نيروبي - يوغندا زائير وكينيا واثيوبيا- الصومال - السودان - جيبوبتي وتعمل في أعمال الإغاثة ولها مراكز لتصوير أحداث إفريقيا ويتم بثها من المانيا (اللوثريون - الملحق ٢) مرفق

* البروتستانت : تعمل من خلال الكنائس التابعة لها في إفريقيا و من خلال مراكز البحوث وهي :

- مراكز بحوث الشباب
- مراكز بحوث الإنجيليين
- مراكز بحوث شئون البروتستانت

لها وجود كبير في إفريقيا

تتجنب العمل السياسي

تدعم الحوار بين المسلمين والمسيحيين

لها مركزان في السودان

* الأساقفة : لهم منظمتان : بخلاف الأعمال الدعوية والكنسية والمنظمتان هما ·

- كافود
- سيدس

عملهما :

- اللاجئون
- العمل الإنساني
- درء الكوارث
- الاستيطان
- الصحة - والتعليم - والملابس القديمة

لهما وجود كبير في شرق إفريقيا

وثلاثة مراكز إدارية في كل من - كينيا - نيجيريا - إثيوبيا

الوسائل اليهودية في المنطقة العربية والإفريقية :

١) الإرهاب

٢) التشريد

٣) الاستيلاء علي الأراضي

٤) العمل المضاد ضد التراث الإسلامي

أ- التحريف عن طريق الإنترنيت

ب - التشكيك

ج- طمس الهوية الإسلامية عن طريق الإعلام - الصحافة - النشر المختلف

د- الاغتيال

الأهداف اليهودية :

١) قيام دولة إسرائيل من النيل إلي الفرات

٢) التأثير العالمي

٣) القوة الاقتصادية

٤) السلطة والقوة الضاربة (التقدم في مجال التسليح)

٥) إثبات أن الشعب اليهودي هو شعب الله المختار

٦) مسح و إلغاء المشاعر الإسلامية من الأرض المحتلة وذلك بهدم هذه المشاعر

وسائل النصرانية :

إثبات أن رسالة المسيح هي رسالة عالمية ولم يحدث لها أي تحريف وقد عملوا لإثبات ذلك عن طريق بث أكبر قدر من المعلومات عن طريق الإعلام ووسائلهم في ذلك .

١) الإذاعات النصرانية وهي ٩ إذاعات عالمية

٢) بواسطة توزيع أكبر قدر من المكتبة النصرانية مثل :

- الإنجيل في عرف القرآن - لعبد المسيح وإخوانه
- الإنجيل والتوراة في القرآن - عبدالفادي
- الباكورة الشهية
- تنوير الأفهام في مصادر الإسلام
- الحوار لسليمان عدي أبو حبيب (مرتد) من سوريا
- كيف نرسل الإنجيل للمسلمين

٣) عن طريق توزيع أحدث البحوث المضادة للإسلام (مركز الشبيبة الدولي بازل - سويسرا) وكذلك مطبوعات الصديق في أستراليا - مركز طباعة الإنجيل في القاهرة - مركز القس بسام شيكاغو أمريكا - مركز برج المراقبة - شهود يهوا امريكا - مجمعات الهرلدتيربيون الفرنسية - فرنسا - دار الإشعاع المسيحي كينيا - حملة المسيح التبشيرية وطباعة اللهجات واللغات المحلية - مكرم عبدالمسيح - السودان)

٤) عن طريق توزيع أكبر قدر من البحوث المضادة للإسلام مثل :

الحوار - المؤتمرات - الانترنيت

٥) عن طريق التعليم والصحة والعون الغذائي

- درء الكوارث الطبيعية
- الحروب الأهلية
- الاستيطان

٦) عن طريق الاستقطاب مثل :

استقطاب جماعة محمد الدابة في منطقة الجوغان ريفي بارا ومجموعة شاع الدين ودمدني سوق الخضار في مناطق العرب الرحل الآن - بتقديم الدواء للماشية وهذه تدخل أول مرة في السودان

أما بالنسبة للوثريين وشهود يهوا والكنيسة المعمدانية : والكنيسة الرسولية الجديدة وجماعة اومو والتي لها نشاط في جامعة الخرطوم - وكذلك جماعة البهائية والقديانية ونانداماركا وإخوان الصفا تعمل كلها الآن في إفريقيا و في مجموعات صغيرة وهي في أكثر الأوقات غير مؤثرة .

الفصل الرابع

١/ الاختراق الاستعماري في إفريقيا

أ. - الاختراق

ب - وسائله

ج - مشاكله

الاختراق الاستعماري في إفريقيا :

يتمثل الاختراق في إفريقيا قديما في الآتي :

١- الاستشراق - الاستعمار - الكنيسة - الأنشطة اليهودية ممثلة في المحافل الماسونية - دور النشر اليهودية - الدبلوماسية اليهودية - وأثرها منذ عام ١٩٠٧م حتي ١٩٩٨

٢- الاختراق الحديث ويمثل الأعمال الكنسية والواجهات الكنسية الحديثة وأهمها :

* إعادة النظر في الأسلوب والوسائل والوسائط التي كان يستخدمها التنصير في إفريقيا واستعاض عنها أو جعلها امتدادا لأشياء أخري مع تغيير الأسلوب وجزء من الوسائل والوسائط مثلا :

* الرؤية الجديدة لتربية الأطفال (النظام المعمول بها الآن عند الكاثوليك)

* تقسيم الأطفال إلي أعمار تتفاوت حسب الغرض وحسب قاعدة التنصير وهي : الأطفال قبل التعليم المدرسي (روضة وحضانة) وتسمي بمرحلة التلقين المبكر (مثال ذلك في إفريقيا) :

- نظام مدارس دانيال كمبوني (مدرسة فيلا جيلدا السوق العربي الخرطوم)

- مدرسة سان بولس العمارات . الخرطوم

- مدرسة سان فرانسيس - الخرطوم ولها أمثلة كثيرة تعمل من داخل الكنائس العشوائية في الخرطوم وبعض المدن والغرض منها احتواء القبائل التي ارتحلت إلي الخرطوم بسبب الإكراه أو بسبب حرب لجنوب أو السيول والأمطار أو الجفاف والتصحر وهي الآن تكون حلقة دائرية محكمة حول الخرطوم . وهذه المدارس وخاصة مرحلة الأساس يتم التركيز فيها علي المباديء الأساسية للمسيحية مثل التعرف علي المسيح (يسوع بربط مجموعة أسماء أوربية علي التلاميذ حديثي الالتحاق بالروضة أو مرحلة الأساس حيث يغلب التلقين في مرحلة الروضة والحضانة بعرض صور للمسيح بألوان زاهية مموجة وفي مواضع مختلفة محببة لاستمالة الأطفال ومتابعتها ورسوخها في ذاكرتهم .

بالنسبة إلي مرحلة الأساس التي تبدأ دائما وأبدا من سن الخامسة خلافا للنظام المعمول به في وزارة التربية والتعليم في السودان والذي يبدأ دائما من سن السابعة .

* التركيز علي أبناء الأسر التي تسكن في المناطق العشوائية والتي بلغت بها الكنائس حول الخرطوم وعرفت بالكنائس العشوائية نحو ٢٤٦ كنيسة عشوائية مبنية بالمواد غير الثابتة و١٤٨ كنيسة عشوائية بنيت بالمواد الثابتة كما تتحول هذه الكنائس بعد انتهاء الفترة الدراسية اليومية بالنسبة لدور الرياض والحضانة ومرحلة الأساس إلي مدارس تكميلية ودور للعبادة ومحو الأمية والتدبير المنزلي

بالنسبة للمسنين ورعاية للأطفال والأمومة بالنسبة للإشراف علي هذا القطاع ويتم فيه حضور مجموعة من (الأتيام) تقوم بالكشف علي الأطفال والحوامل وتحويلهم في بعض الحالات إلي المستشفيات مثل مستشفي الراهبات في الحاج يوسف - أوأبوروف أو مستشفي الدايات في الخرطوم السوق العربي ثم إلي بعض المجمعات التي قامت عشوائيا في أطراف العاصمة أو العيادات المحددة لعدد من الأطباء ينتسبون للمذاهب المسيحية المختلفة أو المنظمات المسيحية مثل عيادات الأمومة والطفولة البريطانية ولها ٦ مراكز بالخرطوم أو أطباء بلا حدود ولها مراكز بالخرطوم وهنالك منظمات كثيرة تقوم بالدعم في مجال الدواء بالنسبة لهذه المراكز ومجموعة من المشاريع في إطار العون الخدمي .

* تهتم هذه المدارس بإبراز التراث القديم وتحويله ومزجه في بعض الأحيان بالتراث الإفريقي (الزنجي) مثل تحويل الموسيقي عند الباريا والبادينقا واللاتوكا والتباينة والدينكا إلخ ... إلي ترانيم غيرت موسيقاها ولحنها إلي الترانيم المسيحية وهذه تنتشر عند الكاثوليك وعند الأساقفة وعند الإنجيليين في السودان إلا أن الأرثوذكس بدأوا يعالجون في استخدام مثل هذه المناشط داخل الكنيسة الشرقية .

* وضع برنامج متكامل للشباب الثانوي والجامعي وفوق الجامعة في برامج يتداولون فيها هموم الكنيسة في السودان - ومشاكلها ودور الشباب فيها ويقوم بالتنسيق لمثل هذه الأعمال والمؤتمرات مجمع كنائس عموم السودان بمساعدة المشيخية الإنجيلية في الجريف غرب في الخرطوم كما تقوم جمعية حملة المسيح التبشيرية والتي يشرف عليها مكرم عبدالمسيح وهو المدير العام لجمعية الكتاب المقدس في الخرطوم وتقوم هذه الجمعية بطباعة ونشر ومعالجة اللغات المحلية في السودان وفي خدمة نقل الإنجيل وثقافاته إلي مناطق جبال النوبة وجنوب السودا ن - ومنطقة الأنقسنا والبحر الأحمر ودارفور وتركز كثيرا في منطقة التداخل بين تشاد والسودان والكميرون والسودان ويوغندا السودان وكينيا والسودان والصومال و السودان وإريتريا وكل هذه المجمعات يشرف عليها المنسيور دون مير المقيم في نيروبي (يهودي الجنسية) كما أن هنالك برامج تقيمها هذه الجمعية ممثلة في تعاونها مع جمعية الكتاب المقدس في الخرطوم وهذه الأعمال هي :

ربط الشباب ببرامج الرحلات النيلية (شبابا ونساء) وهذه الرحلات تقدم فيها المناشط المختلفة للشباب في ضروب الثقافة المختلفة وتقديم المحاضرات الخاصة بالإنجيل وطرح البرامج الصيفية للشباب وتقديم مأكولات وكتب بأسعار رمزية مع فتح باب التعارف بين الشباب والنساء كما يتم اختيار برنامج خاص لطلاب الثانوي والجامعة وفوق الجامعة ويهتم هذا البرنامج بمعالجة الجانب التأهيلي مثل المحاضرات والكتب والمراجع والبحوث والمساعدات في تكوين مجموعات مختلفة تضم هؤلاء الشباب وتعالج هموم كل مجموعة علي حدة ويتم اختيارهم وذلك للراغبين للحاق بالباخرة الكبيرة التابعة لمنظمة الشباب والأطفال ببازل بسويسرا وهي التي تقوم بإدراج هؤلاء الشباب في رحلة حول العالم لمدة سنة وتتكفل منظمة الشبيبة الدولية بنفقات هؤلاء الطلاب وإعادتهم لأوطانهم بعد صقلهم وتدريبهم في المجالات التي ترغب فيها الكنيسة أو المنظمات الكنسية العاملة في السودان .

الإذاعات التنصيرية الموجهة نحو تنصير المسلمين في العالم :

يقول د. وليم رابيرن في بحثه (الوضع الراهن لترجمات الإنجيل إلي لغات المسلمين)(إذا كانت الاذاعات وسيطا مربحا لبيع وترويج السلع مثل مسحوق الغسيل والكوكاكولا ، فإنها ليست كذلك فيما يتعلق بالمبادئ والأفكار والأشياء غير المحسوسة كالدين ، وبينما لا نستطيع أن نقول إن الوعظ الدائم علي المنابر والكنائس لايأتي بنتائج أبدا ، ويمكننا أن نقول إنه من غير المحتمل أن يأتي بنتائج أكثر من الإقناع الذكي الذي يهمل في كثير من الأحيان أن البث الإذاعي يجب أن يكون ملائما ملاءمة تامة للمستمعين من خلال هويتهم وتحديد أعمارهم ومساراتهم الحياتية وبلدانهم وثقافات بلدانهم ومتي عرفنا مستمعينا استطعنا أن نضع البرامج الملائمة لهم وهذا يعني :

١) أن النتائج التي يحققها البث الإذاعي أكثر كثيرا من الوسائل الأخري فالإذاعة والتلفزيون والسينما والفيديو والكاسيت أكدت نجاحا كبيرا وتقدما عظيما في هذا الاتجاه .

٢) أن الوسائل الأخري عالية التكاليف ومستهلكة للوقت ومضيعة للزمن فالقرارات بعد إصدارها تستغرق وقتا كبيرا ونتائجها دائما غير مضمونة النجاح .

٣) النصرانية تقول بأنها ومن خلال تراكم العديد من التجارب والبحوث في طريق تجويد أسلوب ووسائل التنصير في مشروع تنصير المسلمين وصلت لنتائج ثلاث

أ- ضرورة وجود البذرة

ب- السعي الجاد في تولي رعايتها

ج- حصادها .

هنالك تسع محطات إذاعية وستة أستديوهات تقوم حاليا بالإرسال الاذاعي للمناطق الإسلامية والتركيز علي إفريقيا بصورة مكثفة :

(منروفيا) (ليبيريا) - (مانيلا) (الفلبين) - (جولوا) (الفلبين) (كوييو) (الاكوادور) - (نيو جرسي الولايات المتحدة الامريكية) - (مونت كارلو) .

المحطات الإذاعية :

(بيروت) (لندن) (نيوجرسي الولايات المتحدة الامريكية) - (البعثة التنصيرية لشمال إفريقيا) (المعمدانيون الجنوبيون) - (مالاكا اسبانيا) - (اللوثريون) (بيروت لبنان) - (الانجيليون منروفيا)- (الانجيليون جنوب إفريقيا) - (استديوهات صوت الإنجيل استراليا) (اثيوبيا) .

وسائل جديدة للتنصير في مناطق المسلمين :

١) إصدار مناشير لجعل يوم الجمعة وبصورة مستديمة وفي مناطق المسلمين بأنه يوم صلاة وعلي كل المسيحيين حضوره مثل صلاة الأحد تماما بالنسبة للمسيحيين (نظام كاثوليكي) كما حددت لهذه الصلاة مجمعات كبيرة مثل الكتدرائية (رئاسة مجلس المطارنة الكاثوليك الخرطوم) ومجمع بيويو كوان شمال الحاج يوسف ومجمع القديس بطرس أمدرمان ومجمع الحزام الأخضر الخرطوم .

٢) علي الأم المسيحية إحضار أطفالها أو كل الأسرة وعند نهاية الصلاة يقدم لهذه الأسر اللبن والأرز والعدس والملابس القديمة . (نظام كاثوليكي - أساقفة لوثريون و مارنيون).

٣) بالنسبة للسودان فإن المجموعات التي دفعت بها الحرب (حرب الجنوب من أسر جنوبية نحو الشمال العربي المسلم) سببت إزعاجا كبيرا لقادة الحملة التنصيرية في السودان ورأوا بأن نزوح هذه المجموعات الكبيرة لسكان جنوب السودان وبشقيها الوثني والمسيحي هي في الواقع هدية ثمينة قدمها جون قرنق للمسلمين في السودان فمن خلال التعامل المفتوح في السودان وفي كل المناسبات فإن الثقة بين الشمال والجنوب يعززها هذا التعامل فينكسر بذلك طوق العزلة والشكوك والغبن الذي زرعه الاستعما ر في نفوس الإخوة الجنوبيين ويصبح التعامل مع إخوانهم المسلمين بروح الثقة والمحبة وبالتالي يتعرفون علي الإسلام من قرب وكذلك اللغة العربية وهذا مايخافه قادة البعثات التنصيرية لأنهم يرون أن ذلك يفتح علاقات واسعة بلا حدود وتعرف سهل علي الإسلام و لهذه الأسباب تمّ قيام مجموعة منظمة من الجمعيات السرية المهتمة بالتنصير في السودان وهي :

* مجموعة مكرم ماكس وهذه مهتمة بولاية كردفان - غرب كردفان - جنوب كردفان - وولايات دارفور
* مجموعة جمعية القديسة تريزا الدمازين - القضارف - النيل الأزرق والجزيرة
* مجموعة الخرطوم مجموعة القديس منصور - ويشرف عليها مجموعة من الدكاترة والأطباء المسيحيين في الخرطوم (نتحفظ علي الأسماء)

أما المجموعات الثانية فهي تتبع لمجلس المطارنة الكاثوليك والذي يفتح تعاونا كبيرا مع مجمع كنائس عموم السودان وهذا المجلس ينقسم إلي قسمين : قسم يهتم بكل العمل الكنسي الكاثوليكي في الجنوب والقسم الآخر يهتم بالعمل الكنسي في شمال السودان (لزوم السرية) لأن مجلس المطارنة الكاثوليك يدخل شريحة سياسية كبيرة في عمله الرعوي . لذلك قاموا بالإجراءات الآتية

- فتح باب الزواج للعناصر العربية علي أن تفهم الأم ضرورة محافظتها علي طفلها وضرورة تعلمه لغة الأم وديانة الأم حتي ولو أدي ذلك لأن تهرب بابنها وسوف تذلل أمامها كل الصعاب و يقدّم لها الدعم المادي والأدبي والقانوني إن استدعي الأمر .
- تجميع المشردين من أبناء مناطق الجفاف والحرب ويتم تسريبهم إلي الخارج
- مراجعة وزارة التخطيط الاجتماعي للوقوف علي ذلك لأن هنالك كثيراً من التقارير رفعت بخصوص هذا العمل .
- تشجيع العلاقات غير الشرعية بالنسبة للوثنيين وغير الوثنيين عند بعض القبائل التي لا ترفض مثل هذا الإنجاب بهذه الطريقة حيث تقوم هذه المنظمات بتولي تربية الطفل ونشأته علي اللغة العربية ومحافظة أمه علي ضرورة تعلم لغتها وإبقائه علي المسيحية (حتي يكون في المستقبل لون وشكل الولد عربيًا ولكنه يرطن وهو مسيحي او وثني) وتقوم بالدعم في هذا المجال منظمة الوالدية البديلة ولها انتشار واسع في شرق الجزيرة وجبل أولياء . وتقوم الآن بعض الكنائس وفي مناطق التجمعات مثل الكنيسة الإنجيلية ببحري

والتي تفتح علي أكبر تجمع للمواصلات بشرق النيل وتعرض أفلاما سينمائية بطريقة واضحة ومستمرة وملفتة للنظر و يؤمها عدد كبير من الرواد يوميا لمشاهدة الأفلام المسيحية والتي لاتخلو من المقارنات العلنية والواضحة في تقديم عروضها من نقد لاذع للمسلمين وطريقة حياتهم وقد وضعت هذه الأفلام وتم إخراجها بعناية فائقة لاستمالة المسلمين إلي النصرانية حيث توجد مجموعة من الشباب تسعي للتعارف برواد السينما وتقديم الدعوات إليهم للتعرف علي هذه الأفلام وهناك كتب توجد في مكتبة ضخمة تم إنشاؤها عقب إلغاء قانون التبشير الكنسي في السودان (قانون رقم ١٠ الصادر في عام ١٩٦٢) .

تبذل منظمة (سمر) مع منظمة السبتيين اليهودية في شارع ١٧ الخرطوم مجهودا لجعل لغة الدينكا هي لغة التخاطب في الجنوب في المستقبل كتابة ونطقا وذلك بعد أن ضعفت اللغة الإنجليزية في الجنوب .

- نماذج من وسائل يستخدمها التنصير كعمل مضاد ضد المسلمين :

الدين الشعبي – الدين الحكومي – الدين الرسمي (المشروع الإسلامي)

* نماذج من وسائل يستخدمها التنصير كعمل مضاد ضد المسلمين :

– واقع اللغة العربية والخلافات الواقعة فيها

– لغة القرآن

– لغة الفصل (المدرسة)

–لغة الشارع العربي

* مشاكل تواجه التنصير ، الوسائل لتنصير المسيحيين :

– الردة وعقوبتها في الإسلام

– وضع المنصر بعد التنصير

– وضع نموذج الكنيسة بالنسبة للمسلمين (عامل اللغة) في التعرف علي المسيحية والأناجيل

– عامل الثقافة والتحول الجديد

– مسألة التحول الاجتماعي

الملحقات

١- وعود بلفورد (النسخة الأصلية)

٢- كشف بتوزيع المنظمات اللوثرية في افريقيا

٣- كروكي لأوضاع مختلفة في إفريقيا كأهداف تنصيرية

المراجع :

١- محمد عبدالعزيز منصور- كتاب يا مسلمون اليهود قادمون مطبعة دار الاعتصام

٢- د. هيثم الكيلاني - كتاب الإرهاب مؤسس دولة اسرائيل دار الشروق

٣- هيكل سليمان

٤- مناحم بيغن - كتاب يوميات قادة العدو - مكتبة مدبولي - دار المسيرة

٥- محمد داود أي جوليات (المؤسسة العسكرية الإسرائيلية) الفكر والتنظيم للمؤلفين - نادية عزالدين رفعت - عمرو كمال حمودة - دار سيناء للنشر

٦- لإرهاب - مناحيم بيغن

٧- المفاجاة صلاح نصر - المخابرات المصرية العامة

٨- مذكرات (ريال) بنت وزير الدفاع السابق للجيش الاسرائيلي ووزير خارجيتها الأسبق موشي ديان

٩- الإرهاب مؤسس دولة اسرائيل // نموذج اسرائيل ص ١١٨ د. هيثم الكيلاني دار الشروق

١٠- د. عبدالوهاب المسيري - كتاب من هو اليهودي - دار الشروق

١١- د. شلش - اليهودية والماسونية

١٢- صفوت السقا - الماسونية - دار رابطة العالم الإسلامي

١٣- جنرال جلوب - الماسونية ومنظمة الأمم المتحدة

١٤- د. عبدالوهاب المسيري - مرجع سابق

١٥- د. هيثم الكيلاني - نموذج إسرائيل ص ١١٢ - دار الشروق

١٦- الموسوعة الفلسطينية - هيئة الموسوعة الفلسطينية دمشق ١٩٨٤

١٧- الموسوعة الفلسطينية - هيئة الموسوعة الفلسطينية ، دمشق ١٩٨٤ - المجلد الأول ص ١٨٨ وكذلك مجلة نكودا ١٩٩٥/١١/١٠

١٨- المصدر السابق المجلد الرابع

١٩- المصدر السابق المصدر السابق المجلد ٤ ص ٣٢٨ - ص ٣٧٥

٢٠- د. هيم الكيلاني - المصدر السابق

٢١- المناضلون في خدمة الموساد : باتريك سيل - الزهراء للإعلام العربي

٢٢- د. هيثم الكيلاني الإرهاب - دار الشروق

٢٣- د . ياسين سويد - مؤامرة الغرب علي العرب - المركز العربي للأبحاث والتوثيق

٢٤- د هيثم الكيلاني - مصدر سابق

٢٥- الدكتور يهوشيع اوربا خ - المؤتمر الصهيوني السابع والعشرون (١٩٦٨ - المجلد الثاني - الترجمة العربية - ص ٩٠٣ (ورقة)
٢٦- من هو اليهودي - د، عبدالوهاب المسيري
٢٧- الموسوعة الفلسطينية - مرجع سابق - المجلد الرابع ص ٥١٤
٢٨- بندقية للإيجار - باتريك سيل
٢٩- مجلة الأرض- يناير وفبراير سنة ١٩٩٥
٣٠- عبدالحفيظ محارب (نشأة التنظيمات الصهيونية المسلحة المجلة شئون فلسطينية العدد ١٠٥ / ١٩٨٠ ص ٧٦
٣١- د. عبدالوهاب المسيري - مرجع سابق ص ٣٠٨ ٣٠٩
٣٢- الموسوعة الفلسطينية - مرجع سابق المجلد ٤ ص ٥١٥
٣٣- د. عبدالوهاب المسيري مرجع سابق ص ٩٧
٣٤- الموسوعة الفلسطينية المجلد الأول ص ١٨٩
٣٥- الإرهاب - د. هيثم الكيلاني مصدر سابق
٣٦- د. عبدالوهاب المسيري (مرجع سابق ص ١١٤)
٣٧- مجلة الادب ، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطنية فبراير ١٩٩٥
٣٨- المسيري - مرجع سابق ص ٦٥
٣٩- Begin Mena Him : The Revolt Story of Irun , Henry Schuman New York 1951 (٣٩
٤٠- د. عبالوهاب المسيري مرجع سابق ص ٢٢٧
٤١- صلاح نصر - المفاجأة ص ١٢١
٤٢- الارهاب د. هيثم الكيلاني مصدر سابق ص ١٢٥
٤٣- ابان لو ستيك : الأصولية اليهودية في إسرائيل ترجمة : حسين زينة ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت ١٩٩١م - ص ١٦
٤٤- نفس المصدر ص ١٧
٤٥- د. هيثم الكيلاني - نفس المصدر السابق ص ١٢٧
٤٦- السياسة والنبوءات - كتاب لهايل غارسيا ص ٨٦ - ص ٩٢
٤٧- اياكو ستك المرجع السابق ص ٨٢
٤٨- صحيفة يديعون احرونوت ١٩٩٤/٩/١٢
٤٩- صحيفة يديعون احرونوت ١٩٩٧/٣/٤م
٥٠- صحيفة علي همشمار ١٩٩٨/١/٢٥م
٥١- صحيفة علي همشمار نفس المصدر السابق
٥٢- صحيفة احرونوت نفس المصدر السابق
٥٣- مجلة الارض يناير سنة ١٩٩٥ ص ٤١
٥٤- صحيفة علي همشمار ١٩٨٤/١١/٧

٥٥- د. هيثم الكيلاني - مصدر سابق ص ١٣٢
٥٦- د. هيثم الكيلاني - مصدر سابق ص ١٣٣
٥٧- صحيفة يديعون احرونوت ١٩٩٤/٣/٤م
٥٨- مجلة نكورا ١٩٨٦/٦/٥
٥٩- صحيفة هاتسوفيه ١٩٩٠/٦/٢٩م
٦٠- صحيفة يدعوت احرونوت ١٩٩٤/٩/٩م
٦١- صحيفة هارتس ١٩٩١/١٠/١٥م
٦٢- صحيفة هارتس ١٩٩٤/٩/٥م
٦٣- صحيفة يدعوت احرونوت ١٩٩٤/٣/١٨م
٦٤- نفس المصدر أعلاه
٦٥- صحيفةيدعوت احرونوت ١٩٧٩/٦/١٨
٦٦- صحيفة معولام هزيه ١٩٨٤/١/١٨
٦٧- مجلة الارض ، كانون الثاني ./ يناير ١٩٩٥م

NAME	ADDRESS	CHURCH / ORGANISATION	STATUS
d' ALESSANDRI Lino	*LWF/Geneva*	*Lutheran world Federtion*	*Technician*
ANDRIAMIHANTA Emilson	*Box 1061.Ivory-Avatra, Fiaranantsoa Madagascar*	*Malagasy luth. Ch.*	*Eastern Res. and St. team*
ARKKILA Reijo	*Malmink 12B, Helsinki, Finland*	*Luth. Fuang. Assn. Finland*	*Delegate*
ATAKPO Atim	*obot Idim A, Ugo Cross River state, Nigeria*	*Luth. Ch. Niergia*	*Delegate*
AZIZ Fahim	*8 sekah El Bedah, Abbasiah, Cairo, Egypt*	*Ev.Theol, Seminary, Cairo*	*Speaker*
BAIER Karin	*57 Route de Mategnin, 1212 Meyrin / GE, Switzerland*	*Lutheran World Federation*	*Interpreter*
BEGA Marc	*Evang. Luth. Ch. CAR Baboua via Bouar. CAR.*	*Evang. Luth. Ch. Cent. AF. Rep.*	*Delegate*
BELA Suzanne	*Box 5, Yoko, Cameroon*	*Evang. Luth. Ch, Cameroon*	*Delegate*
BELL Frederick	*Box 31190 Braamfontein 2017, Johannesburg, Rep. South Africa*	*Fed. Ev. Luth. Ch. S. Africa*	*Delegate*
BENA - SILU	*Box 7069, Kinshasa, Zaire*	*Kimbanguist Ch . Zaire*	*Speaker*
BENASOLO Christopher	*Box 173, Morondava, Madagascar*	*Malagasy Luth. Ch.*	*Delegate*
BENGU Sibusiso	*LWF/Geneva*	*Lutheran World Federation*	*Staff LWF/WS*
BERNTFSN Karen	*Strandagervej 24, Hellerup, Denmark*	*Danish Missionary Society*	*Delegate*
BONGI Michal	*Govt. Girls Secondary School, Yola, Gongola State, Nigeria*	*Luth. Ch. christ Nigeria*	*Delegate*

ORGANISATION

BUTHELEZI Manas	*Box 34213, Braamfontein 2017, Johannesburg, Rep. South Africa*	*Ev. Luth. Ch. S. Africa*	*Bible Study Leader*
BYEPU Benjamin	*Box 1046, Monrovia, Liberia*	*Luth. Ch. Liberia*	*Eastern Res. and St. team*
OLLINS A. E.	*Monrovia, Liberia*	*Episcopal Ch. Liberia*	*Observer*
CHIU Andrew	*68 Begonja Rd, Kowloon, Hong Kong*	*Chinese Luth. ch. Hong Kong Assn.*	*Delegate*
CURNENS Gerald	*231 Madison Ave, 10016 New York, USA*	*Luth. Ch. America*	*Delegate*
DABA Yadesa	*Box 2087, Addis Ababa Ethiopia*	*Ethiopian Evang. Ch. Mekane Yesus*	*Delegate*
DARMAN Paul	*Box 6, Ngaoundere Cameroon*	*Evang. Luth. Ch. Cameroon*	*LWF/CCC Commissioner*
DERESSA Yonas	*Box 2087, Addis Ababa, Ethiopia*	*Ethiopian Evang. Ch. Ch. Mekane Yesus*	*Delegate*
Diggz Roland	*Box 1046, Monrovia, Liberia*	*Luth. Ch. Liberia*	*Delegate Resident Chaplain*
DOMDINGNUS Stephen	*Lamurde Bible School, Box 21, Numan, Gongola*	*Luth. Ch. Christ Nigeria*	*Delegate*
DRETKE James	*Box 42941, Nairobi, Kenya*	*Islam in Africa Project*	*Speaker*
DURST Friedrich	*Box 68, 8806 Neuendettelsau, FRG*	*German National Committee/VELKD*	*Delegate*
ETEFIA Okon	*Box 642, Calabar, Cross River State, Nigeria*	*Luth Ch. Nigeria*	*Delegate*
FISCHER Nicole	*21 ch. F. Lehmann, 1218 Gd. Saconnex/GE Switzerland*	*Lutheran World Federation*	*Interpreter*
FYNN Paul	*P. O. Box 197, Kaneshie, GHANA*	*Evang. Luth. Ch. Ghana*	*Delegate*

NAME	ADDRESS	CHURCH/ ORGANISATION	STATUS
GE[illegible]HIWET [illegible]	*Box 905 Asmara, Eritrea, Ethiopia*	*Evang. Ch. Eritrea*	*Delegate*
GERBA Benti	*Box 2087, Addis Ababa, Ethiopia*	*Ethiopian Evang. Ch. Mekane Yesus*	*Delegate*
GREEF Ruth	*Box 3119 Braamfontein 2017 Johannesburg, Rep. South Africa*	*Evang. Luth. ch. S. Africa*	*Delegate*
HAFENSCHER Karoly	*Deak Ter, 1052 Budapest V, Hungary*	*Luth. Ch. Hungary*	*Delegate*
HOLT Bradley	*TCCN, Box 64, Bukuru, Plateau State, Nigeria*	*American Luth. Church*	*Delegate*
HUCORNE Martial	*c/o French Embassy, Monrovia, Liberia*	*Lutheran World Federation*	*Interpreter*
SHIDA Yoshiro	*LWF/Geneva*	*Lutheran World Federation*	*Staff LWF/DS*
JOHNSON Marlayne	*Box 1046, Monrovia Liberia*	*Luth. Ch. Liberia*	*Secretary/ Host church*
JONSSON Stig	*Hakegrand 2, 163 57 Spanga, Sweden*	*Swedish Evang. Mission*	*Delegate*
JUASEMAI Mathew	*Box 1046, Monrovia Liberia*	*Luth. Ch. Liberia*	*Delegate*
KADIA Mathew	*Galim, Box 3, Tignere, Cameroon*	*Evang. Luth. Ch. Cameroon*	*Western Res. and St. team*
KALU Ogbu	*University of Nigeria, Nsukka, Nigeria*	*Presbyterian*	*Speaker*
KALUGILA Leonidas	*Luthagsesplananden 14, 725 25 Uppsala, Sweden*	*Evang. Luth. Ch. Tanzania*	*Speaker*
KAMEETA Zephaniah	*Box 79, Ludertizbucht, SW AFRICA/NAMIBIA*	*Evang. Luth. Ch. SWA/Namibia*	*Speaker*
KASSA Tadesse	*Box 1247, Addis Ababa, Ethiopia*	*Ethiopian Evang. Ch. Mekane Yesus*	*Eastern Res. and St. team*

NAME	ADDRESS	CHURCH / ORGANISATION	STATUS
KALJIUTWA Metarere	*Box 1046, Monrovia Liberia*	*Luth. Ch. Liberia*	*Steward/ Host church*
KELLEMU John	*Box 1046, Monrovia. Lideria*	*Luth. Ch. Lideria*	*Speaker*
KIBIRA Josiah	*Box 98, Bukoba, Tanzania*	*Evang. Luth. Ch. Tanzania*	*LWF/President Exec. committee*
KLEDRON Vladislav	*CS 73601 Havirovz, Na Nivach 7,737 01, Cesky Tesin, Czechoslovakia*	*Silecian Evang. Ch. of the AC.*	*LWF/CCC Commissioner*
KILEVO Mesiali	*Box 519, Arusha, Tanzania*	*Evang. Luth. Ch. of Tanzania*	*Delegate*
KINZE Michael	*Neugersdorfer Str. 21, 8501 Drseden, GDR*	*Evang. Luth. Ch. of Saxony*	*WFL/CCC Commissioner*
OLOW, Sedastian	*Box 10, Lushoto Tanzania*	*Evang. Luth. Ch. Tazania*	*WFL/CCC Commissioner*
KRAUSE Chrisitan	*Richard Wagner Str. 26. 3000 Hannover, FRG*	*German National Committee/VELKD*	*Delegate*
KULUNGUDI-KAYIDI	*Box 70, Limete, Kinshasa, Zaire*	*Evang. Luth. Community-Zaire West*	*Delegate*
KURURIA John	*Box 45, Sondo, 237 Kisii, Kenya*	*Luth. Ch. Kenya*	*Delegate*
LASSERRE Nelly	*Textorstrasse 69 6000 Frankfurt/Main. FRG*	*Lutheran World Federation*	*Translator*
LEHTONEN Risto	*LWF/Geneva*	*Lutheran World Federation*	*Staff LWF/DCC*
LEMA Anza	*LWF/Geneva*	*Lutheran World Federation*	*Staff LWF/DS*
MAASDORP Albertus	*Namibia Council of Churches, Box 41, 9100 Windhoek, SW AFRICA/NAMIBIA*	*Lutheran World Federation*	*Staff LWF/Associate Gen.Secretary*

No 4.

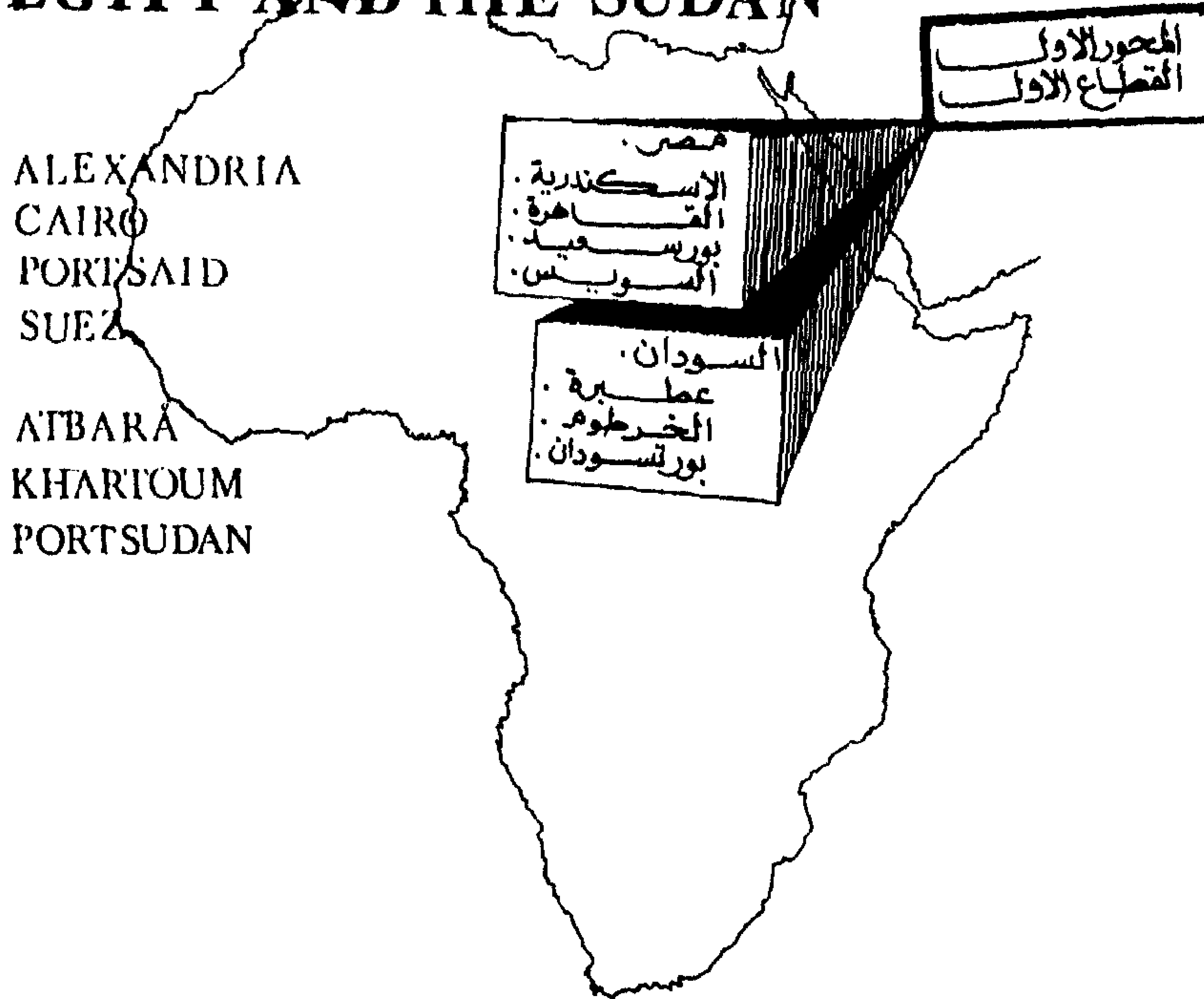
NAME	ADDRESS	CHURCH/ ORGANISATION	STATUS
MADZIBA Ammon	*157 Sheridan Ave, Waterfalls, Salisbury, Zimbabwe*	*Evang. Luth. Ch. Zimbabwe*	*Delegate*
MAGHIYA Shedrak	*Box 100, Singida, Tanzania*	*Evang. Luth. Ch. Tanzania*	*Delegate*
MAJIKIJELA Mpati	*P/Bag 524 Cedarville 4720, Rep. S. Africa*	*Moravian Ch. S. Africa*	*Southern Res and Sttean*
MAKHUBU P.	*Box 189, Orlando 1804 Rep. S. Africa*	*African Independent*	*Speaker*
MAKUN[illegible] [illegible]aneali	*Box 837, Dar es Salaam Tanzania*	*Evang. Luth. Ch. Tanzania*	*LWF/WS Commissioner*
de MAL[illegible]ADO Martha Arbogast	*IELCH. Casilla 15167, Santiago, Chile*	*Evang. Luth. Ch. Chile*	*Delegate*
MALIK Alexander	*Christ Church, Iftikhar Khan Rd. Rawalpindi Pakistan*	*Ch. of Pakistan*	*Speaker*
MARQUARDT Dian	*Box 1046, Monrovia, Liberia*	*Luth. Ch. Liberia*	*Secretary Host church*
MATTHIESEN Maren	*LWF/Geneva*	*Lutheran World Federation*	*Staff LWF/DS*
MAYER Anne-Marie	*Im Salzweg 33, 7000 Struttgart 40, FRG*	*German National Committee/Evang. Luth. Ch. Wutrttemberg*	*Guest*
MAYER Rudolf	*Im Salzweg 33, 7000 Struttgafrt 40, FRG*	*German National Committee/Evang. Luth.Ch. Wurttemberg*	*Delegate*
MBITI John	*Ecumenical Institute Bossey, 1298 Celigny Switzerland*	*Anglican*	*Consultant*
MKHWANAZI Mbukeni	*Kampacker Str 9, 2850 Bremerhaven, FRG*	*Evang. Luth. Ch. Tanzania*	*Speaker*
MOLEFE Clifford	*Box 203, Pietersburg 0700, Rep. S. Africa*	*Evang. Luth. Ch. S. Africa*	*Speaker*

No 5.

أهم مناطق التبشير في أفريقيا

وهى ممثلة في محاور و قطاعات تعتبر في
نفس الوقت واهم الركائز الفرعيه ضد المد
الاسلامى في القارة .

EGYPT AND THE SUDAN



١. المحور الاول القطاع الاول ، ويشمل مصر والسودان

٢. المحور الثانى ، الكروكى صفحة "

٣. المحور الثالث ، الكروكى صفحة "

٤. المحور الرابع ، الكروكى صفحة "

المحور الثاني.
القطاع الأول.

EAST AFRICA

ARUSHA
MBALE
DAR ESSALAM
ELDORET
ENTEBBE
JINZA
KAMPALA
KERICHO
KISUMU
KITALE
MOMBASA
MOSHI
MWANZA
NAIROBI
NAIVASHA
NAKORA
NYERI
RUIRU
TANGA

وهو يوضح أهم المناطق ارتباطا بالتبشير المسيحي داخل افريقيا ويهتم بالعمل الاجتماعي دونه سواه وتشترك فيه المنظمات والهيئات الدولية المهمة بجانب التبشير وفيه مراكز التبشير ويبلغ عدد المبشرين المتفرغين في هذه المنطقة في حدود سبعة الف وخمسمائة مبشر يمثلون مختلف المذاهب وهو المعروف بقطاع شرق افريقيا.

وثيقة رقم (٤)

«وعد بلفور»
بلغته الأصلية

Foreign Office,
November 2nd, 1917

Dear Lord Rothschild,

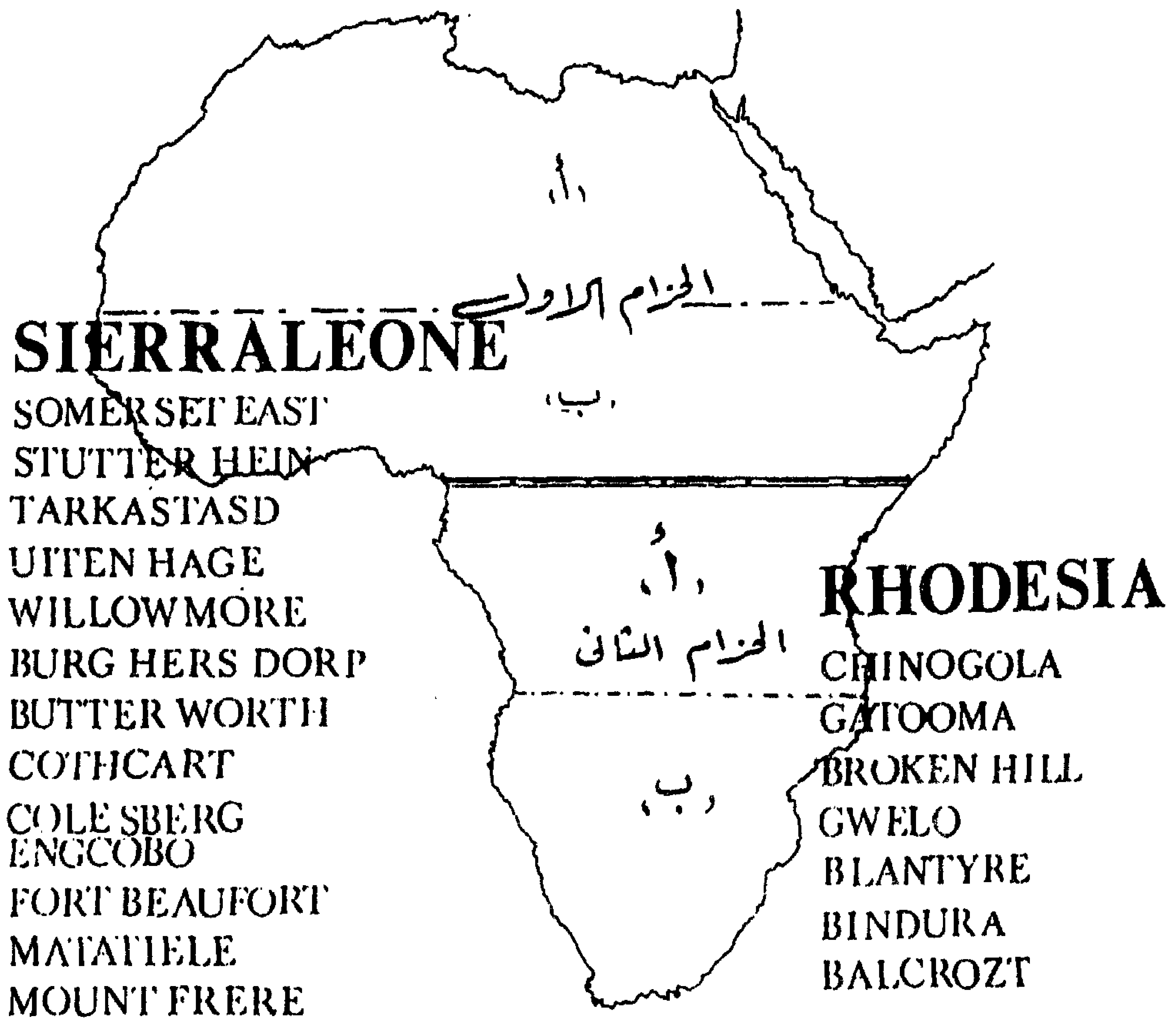
I have much pleasure in conveying to you, on behalf of His Majesty's Government, the following declaration of sympathy with Jewish Zionist aspirations which has been submitted to, and approved by, the Cabinet

"His Majesty's Government view with favour the establishment in Palestine of a national home for the Jewish people, and will use their best endeavours to facilitate the achievement of this object, it being clearly understood that nothing shall be done which may prejudice the civil and religious rights of existing non-Jewish communities in Palestine, or the rights and political status enjoyed by Jews in any other country"

I should be grateful if you would bring this declaration to the knowledge of the Zionist Federation.

Y. sy

Arthur James Balfour



القطاع الرابع ويقع داخل الحزام الواقى للمصالح التبشيرية فى القارة وهنا اوضح بأنه التبشير الكنسى قام بتقسيم القارة الى حزامين كما هو موضح بالكروكى الاول صفحة (   ) وهو يشمل السودان ومصر والصومال واثيوبيا وليبيا والجزائر وموريتانيا والمغرب وتونس وشمال نيجيريا وشمال تشاد .

اما الحزام الثانى يشمل الدول الافريقية التى تقع تحت خط الاستواء جنوبا وغربا بما فيها جنوب السودان وجنوب تشاد واهم مراكز القطاع الرابع الحزام الاول .

القطاع الرابع
المحور الثالث



المحور الثاني .
القطاع الثاني .



اهداف المسيحية في منطقة زنزبار والمقصود به محو اثر الوجود
الاسلامي الذي اوجده الكباكا في منطقه زنزبار وتتم محاربته باحياء
الحضارة او الاعراف الافريقية القديمه المتعارف عليها تاريخيا في
المنطقه مع وجود ضمانات مدروسة تتماشى مع العادات والتقاليد
البيئية لمحاربة المد الاسلامي لغته وعقيدته .

القطاع الثالث

هو المحور الثاني للقطاع الأول   راجع الكروكي صفحة .....



وهذا القطاع يعتبر المحور الثاني لمحور شرق افريقيا الاول من حيث الاهمية الدفاعية « الاستراتيجية » ويتخصص في مواجهة التيار الاسلامي القادم من شمال افريقيا.

التربية المسيحية في السودان

د. حسن عبدالرحمن الحسن *

ساعدت عدة عوامل د خول المسيحية في السودان أهمها اعتناق الدولة الرومانية للدين المسيحي واعتباره الدين الرسمي للدولة ، وكان ذلك في أوائل القرن الرابع الميلادي ، وفي ذلك الوقت كانت مصر جزءا من الإمبراطورية الرومانية مما سهل للمبشرين الدخول إلي السودان لنشر الدين المسيحي مع أن السودان كان خارج السيطرة الرومانية .

كذلك عندما انهارت دولة مروي القديمة التي سيطرت علي أواسط وشمال السودان ، شجعت الدولة الرومانية قيام دولة موالية لها ألا وهي دولة النوباط الوثنية والتي اعتنقت المسيحية فى أواسط القرن السادس الميلادي مما أدي إلي توثيق العلاقة بينها وبين الدولة الرومانية

وفي عام ٥٦٨ ميلادية ذهب وفد من قبائل شمال السودان للقسطنطينية لمقابلة الإمبراطور البيزنطي وطلبوا منه إرسال مبشرين ليعلموهم مباديء الديانة المسيحية ، فوافق علي طلبهم و أرسل معهم بعض المبشرين وتوالت هذه البعثات التعليمية التبشيرية إلي أن عمت شمال السودان ووسطه ، وتكونت ثلاث ممالك مسيحية في السودان هي مملكة النوباط بين الشلال الأول والثالث ، ومملكة المقرة وعاصمتها دنقلا العجوز وتمتد جنوبا حتي مروي القديمة ومملكة علوة في وسط السودان وعاصمتها سوبا ، (ومن هذا العهد (٥٤٥ م) أخذت النصرانية تمتد جنوبا في وادي النيل حتي عمت كل بلاد النوبة (١) وكان هذا نتيجة مباشرة للرسل المبشرين (القساوسة والرهبان) الذين أتوا من مصر إلي هذه البلاد التي اعتنق أهلها المسيحية وتركوا عبادة الأوثان .

مما تقدم يظهر أن خضوع التبشير المسيحي في شمال السودان للنصاري المصريين لم يؤد إلي نمو الثقافة المستقلة في البلاد . مما أدي إلي عجز الكنيسة عن تغيير حياة الناس إلي الأفضل ، كما عجزت عن إنشاء حركة ثقافية تعليمية في الشمال حتي ذلك الوقت .

النشاط التعليمي المسيحي في السودان :

التعليم المسيحي في السودان بصورة واضحة بدأ بعد الاستعمار التركي للسودان ، وأثناء فترة حكم الأتراك للسودان فكر المبشرون المسيحيون في شرق إفريقيا فى أن يجعلوا من السودان ميدانا لنشاطهم التبشيري فهرعت جميع البعثات التبشيرية بجنسياتها الأوربية المختلفة والتي كانت هنالك إلي السودان

---

* عميد كلية التربية جامعة امدرمان الإسلامية

لإنشاء قواعد تبشيرية وأهم هذه البعثات التي أتت إلي السودان هي الإنجليزية والفرنسية .

فقد بدأ نشاط هذه الإرساليات أولا في الخرطوم ومنها إلي أنحاء السودان المختلفة

أهم أهداف هذه الإرساليات هي اعتناق أهل السودان للمسيحية وإعلاء شأنهم لإغراء الآخرين للدخول فيها ، فبدأت البعثة اليسوعية الكاثوليكية ببناء كنيسة ومدرسة في الخرطوم لتعليم أبناء الأقباط وغيرهم من الراغبين ، وبعدها انتشر النشاط التبشيري في السودان في الشمال والغرب والجنوب ، ولكن لم ينشط بصورة كبيرة إلا بعد وصول الأب دانيال كمبوني إلي السودان ، فقد قام بمجهودات كبيرة مما أعطي التبشير المسيحي دفعة قوية إلي الإمام ، وقد رأي الأب دانيال كمبوني أن المواطنين لن يعتنقوا المسيحية إلا إذا دعوهم أبناء جلدتهم للدخول فيها ، لهذا اختار بعضهم لتعليمهم وتدريبهم وأرسلهم إلي إيطاليا لهذا الغرض ، وقد أسس معهدين للتدريب والتعليم في فيرونا بايطاليا حتي يستطيع المدربون القساوسة الخريجون التبشير وسط أهلهم .

وقد كان اسم المعهد الأول (ملاذ السود) لتدريب وتعليم الطلاب ليصبحوا قساوسة معلمين، والثاني اسمه (معهد الأمهات الصالحات لأرض السود) لتخريج راهبات لتعليم النساء الدين المسيحي .

تخرجت أول دفعة إفريقية من هذين المعهدين عام ١٨٧١م وبها بدأت طلائع مشروع الأب كمبوني في النشاط والتعليم التبشيري في السودان .

مما ساعد الأب كمبوني في نشاطه التبشيري والتعليمي في السودان هو أنه منح الصلاحية الكاملة من الكنيسة الإيطالية في أن يقوم بفتح مراكز للتبشير في شرق ووسط إفريقيا ليعلم الأفارقة الطرق المناسبة التي تمكنهم من نشر الإنجيل بين مواطنيهم وفي إطار تقاليدهم وعاداتهم . وعندما جاء كمبوني إلي الخرطوم جاء رئيسا للإرسالية ومعه كل الصلاحيات لاختيار مناطق التبشير كما ذكرنا سابقا ، فاختار أولا كردفان وأرسل لها بعض القساوسة الذين أسسوا مدرسة وكنيسة في الأبيض ، كما بدأوا عملهم التبشيري في مناطق جبال النوبة ، وشجعوا الأهالي الذين دخلوا الدين المسيحي للإقامة في مزرعة كبيرة تحت إشرافهم لتحسين مستوي معيشتهم .

أما الأسباب الرئيسية في اختيار كردفان أول منطقة تبشيرية وتعليمية في الدين المسيحي خارج الخرطوم ، فهي سهولة المواصلات بينها وبين الخرطوم والقاهرة ، وكذلك قرب المنطقة من مناطق الإرساليات الرومانية الكاثوليكية التي كانت تقوم بالنشاط التبشيري المسيحي في غرب إفريقيا خاصة في النيجر وماحولها .

واستمر الحال علي ذلك حتي بدأت الفترة المهدية في عام ١٨٨٥م وقضت علي النشاط التعليمي والتبشيري بأسره في السودان بمنع التبشير وإغلاق المدارس الإرسالية في كل المناطق التي سيطرت عليها المهدية حتي عام ١٨٩٨م .

وعند انتهاء المهدية عاد النشاط المسيحي إلي السودان لمواصلة عمل الأب كمبوني ، ومن تجربة المطران كمبوني نلاحظ الآتي:

١) كانت مدة العمل للأب كمبوني لاتزيد عن عشر سنوات ،لكنها كانت عظيمة الفائدة للتبشير المسيحي وتعليمه لاختيار الطريقة السليمة التي أوجدها وطبقها كمبوني لتربية الأفارقة عامة والسودانيين خاصة ، عن طريق نشر الدين المسيحي بواسطة أبنائهم الذين تعلموا في المدارس الكنسية .

٢) أسس الأب كمبوني مؤسستين رهبانيتين ليضمن مواصلة العمل في أواسط إفريقيا والسودان بعد وفاته .

٣) إن الأسر السودانية التي دخلت المسيحية التي رباها كمبوني وزملاؤه قد أصبحت النواة الأولي والأساس الثابت للكنيسة الكاثوليكية بالسودان .

وفي عام ١٨٥٣م أنشأت إرسالية إفريقيا الوسطي مدرسة جديدة في الخرطوم وكان المنهج يشتمل علي تعليم اللغات العربية والفرنسية والإيطالية والحساب والموسيقي بجانب التربية المسيحية وكان معظم المدرسين من رعايا النمسا المتطوعين .

التعليم المسيحي بعد عام ١٨٩٨م

ما أن تم احتلال السودان بواسطة الجيش الانجليزي المصري عام ١٨٩٨م حتي بادرت كل الإرساليات التي كانت في السودان قبل المهدية بالاتصال بالمستعمر الجديد . للسماح لها بالنشاط التبشيري المسيحي مرة أخري وقد دخل هذا التبشير هذه المرة بطريقة منظمة أكثر من ذي قبل ، ووضعت الإرساليات المختلفة بعض الخطط والمشروعات لدفع النشاط التبشيري عن طريق تكثيف بناء الكنائس والمدارس التابعة لها ، وبهذا اتسع نشاط التبشير خاصة وقد اعتمدت اللغة العربية لغة الإرسالية المسيحية .

أثار رجوع الإرساليات إلي الخرطوم مشكلة للإدارة الجديدة في الخرطوم ، إذ كان السؤال : هل يمكن أن يسمح بالنشاط التبشيري أم لا ؟

إذ كان اهتمام الإدارة حفظ القانون والنظام في المقام الأول وليس كسب ثقة الخريجين من الإرساليات ، ولذلك كانت سياسة الحكومة ضد السماح للإرساليات بممارسة العمل التبشيري دون قيد أو شرط ، لكن هذه السياسة لم ترض الدوائر البريطانية بعد أن كتب رئيس أساقفة كنتربري مذكرة وجه فيها النقد لسياسة الحكومة في السودان بادعاء أن تصرفها مناقض لسياسة الحكومة البريطانية بالنسبة للحرية الدينية وحيادها بشأنها (٣) .

كانت نتائج هذه الضغوط علي حكومة السودان آنذاك هي الوصول إلي أن تباشر الإرساليات نشاطها في الجنو ب فقط خوفا من غضب الشماليين المسلمين ، أما هدف تحديد الجنوب فقط لهذا النشاط فهو أن الحكومة والإرساليات التبشيرية أرادتا استئصال الإسلام ونفوذه في الجنوب ، وقد خصصت لكل إرسالية من الجنسيات الأوربية منطقة من مناطق الجنوب لممارسة نشاطها فيها .

أما في الشمال فقد سمح فقط بفتح مدارس تتبع للكنائس القائمة لتعليم أبناء المسيحيين فقط في الخرطوم ليسهل مراقبتها ، وكان ذلك في عام ١٩٠٠م . ولكن في عام ١٩٠١م سمح للإرساليات بفتح مدارس خارج الخرطوم مثل عطبرة وبورتسودان والأبيض وغيرها ، كما سمح لمن يرغب من أبناء المسلمين بالالتحاق

بهذه المدارس شريطة أن يعي الآباء ويلتزموا بالشروط التي علي أساسها سمح لأبنائهم بالدراسة في المدارس المسيحية .

واضطرت الحكومة في عام ١٩٠٥م – نتيجة الرغبة في تهدئة مخاوف السودانيين المرتابين في سياستها إزاء تعليم الإرساليات ، وللتأكد من أن المقصود هو ليس تنصير أبنائهم- أن تسمح بقيام قسم للتفتيش علي مدارس الإرساليات التي التحق بها أبناء المسلمين (٤) .

وقد كانت للمسيحية بعد الفتح ثلاثة أهداف تعليمية وتبشيرية ، وطبية ، وكان التبشير هو أهم هذه الأهداف وهو الذي يلتقي عنده الهدفان الأخران ، (٥) وبهذا أصبح التعاون مع الإرساليات في ميدان التعليم يقود إلي الحد من انتشار الإسلام في مناطق جبال النوبة والجنوب ، لهذا فقد كان التعليم في هاتين المنطقتين من السودان تشرف عليه وتنظمه الجمعيات الإرسالية التبشيرية ولا تشرف عليه الحكومة ، فقد تم فتح أول مدرسة في الجنوب عام ١٩٠٣م في واو لتدريس أبناء الجنوب والإداريين وتنفق عليها الحكومة حتي ضمتها الكنيسة الكاثوليكية (حسب القرار أعلاه) في عام عام ١٩٠٥م خوفا من أنها ستكون أداة لإسلام الطلاب الجنوبيين .

من آثار احتكار الكنيسة للتعليم في جبال النوبة والجنوب :

هنالك عدة آثار تحدث عنها محمد عمر بشير منها (٦) .

١) حرمان أبناء المسلمين من التعليم ، وذلك لتخوف الآباء من تنصير أبنائهم

٢) كان القائمون علي المؤسسات التبشيرية أساسا من الألمان والإيطاليين والنمساويين والإنجليز ولغة التعليم هي اللغة الإنجليزية التي كان يعزف عن تعلمها الأهالي .

وقد عقد مؤتمر لرؤساء البعثات التبشيرية في عام ١٩١٠م وكانت أهم قراراته هي: ٧:

١) منع انتشار اللغة العربية

٢) أن يكون التعامل للإدارة باللغة الإنجليزية

٣) توظيف كل من يتعلم الإنجليزية من الجنوبيين حافزاً تشجيعيا لهم

وكانت هذه هي بداية فصل الجنوب عن الشمال كما أخذ التعليم ينمو في الجنوب علي أساس كنسي مع إبعاد اللغة العربية وتشجيع تعلم اللغة الإنجليزية.

يمكن أن نخلص إلي أن النشاط التعليمي المسيحي منذ الفتح كان مبنيا علي مناهج غير واضحة المعالم ، فقد أنشأ المستعمر كلية غردون لتخريج موظفين يعملون في المصالح الحكومية ، وترك التعليم العام والمهني للإرساليات ، ففتحت هذه الإرساليات عدة مدارس للبنين والبنات في العاصمة ثم امتدت إلي مناطق أخري في مدن السودان المختلفة ولكن تركزت نشاطات الإرساليات في جبال النوبة والجنوب فأقامت منشآت صحية وأخري تعليمية فيهما .

ولكن رغما عن ذلك عزف الآباء عن إحضار أولادهم الي هذه المؤسسات التعليمية خاصة في الجنوب لعدم الثقة وخوفا من تنصير أبنائهم ، رغما عما ذكرته الحكومة بأن الهدف الأساس للإرساليات هو ليس

التبشير بالدين المسيحي ولكن لرفع مستوي المعيشة وإقامة بعض الخدمات الصحية والتعليمية الضرورية حتي يتقدم الأهالي اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا حتي تسهل إدارتهم . وفي أوائل عام ١٩١٩م حث مدير مديرية جبال النوبة الحكومة في الخرطوم علي استدعاء جمعية تبشيرية مسيحية للعمل في جبال النوبة خوفا من المسلمين الذين يزورون الجبال التي سيصبغونها بالصبغة الإسلامية فدعت الحكومة إرسالية السودان المتحدة نتيجة لهذا الطلب ، وأسست محطة للتبشير في عام ١٩٢٠م في هيبان(٨) .

عندما وجدت الحكومة أن عليها أن تكون لغة التدريس هي اللغة العربية دعت ممثلا لجمعية الكنيسة التبشيرية لإخطاره بالقرار ، ولكنه اعترض علي استعمال الحروف العربية لتعليم اللغة العربية متعللا بسببين : ديني وثقافي ، فقا ل إن استعمال الحروف العربية يساعد في انتشار الإسلام بين أهل الجبال ، أما من الناحية الثقافية فقد قال أن تعلم اللغة العربية بالحروف العربية سيؤدي إلي أفكار ثقافية إسلامية ، وقد ذكر هذا الممثل بأن هناك فوائد يمكن أن تجني من تعلم اللغة العربية بحروف رومانية تتمثل في أن المبشرين يستطيعون أن يدرسوها حتي ولو لم يعرفوا العربي ، كما أن النوبة سيشعرون أن لهم لغة متميزة ويمكن تطويرها بأساليب محلية وأخيرا ستكون هذه اللغة لغة تخاطب بين النوبة والعرب وبين المجموعات النوبية نفسها ، ولن تكون أداة لانتشار الإسلام لأنها ستحول بين النوبة والأدب العربي هذا ماكان من سياسة التبشير في جبال النوبة التي يراد بها عزل الجبال وتنصيرها بغير تأثير من الإسلام علي النوبة .

أما سياسة التعليم في الجنوب فقد أخذت منحي آخر مختلفا وأكثر حدة ففي يوم ٢٥ يناير سنة ١٩٣٠م أصدر السكرتير الإداري هارولد منشورا ينص علي أن سياسة الحكومة في جنوب السودان هي إنشاء سلسلة من الوحدات القبلية علي أن يكون النظام فيها مرتكزا علي العادات والتقاليد المحلية والمعتقدات .

تبع هذا القرار إجراءات سياسية وإدارية أهمها :

١) نقل جميع الموظفين الشماليين من الجنوب .

٢) حرمان الشماليين من الرخص التجارية

٣) إجلاء المسلمين الشماليين من الجنوب.

٤) إلغاء تدريس اللغة العربية في المدارس

٥) منع استعمال اللغة العربية في المخاطبة ، وتحريم لبس الزي العربي والتسمي بالأسماء العربية.

٦) استخدام اللغة الإنجليزية واللهجات المحلية في الإدارة ، وتوظيف من يتعلمونها حتي يكون حافزا لتعليم اللغة الإنجليزية (١٠) .

جاءت قرارات هارولد هذه عقب فشل قانون المناطق المقفولة الذي وضع عام ١٩٢٥م والذي بموجبه منع أي شخص غير جنوبي من ممارسة التجارة كما نادي بأن تدرس اللغة العربية بالحروف اللاتينية كما كان في مناطق جبال النوبة ، وقد كان الهدف من ذلك كله عزل من يتعلم العربية باللاتينية من مصادر الثقافة العربية المكتوبة بالحرف العربي واللغة العربية .

وعلي هذا يمكن القول بأن الأعوام مابين ١٩٣٣م و١٩٣٨م كانت للبحث وتقصي الحقائق بشأن دور ومكان

وأهـداف العمـل التبشيـــري بالنسـبة للتعليم بالجنوب من وجهتي النظـر السـياسية والإداريـة ، حيث عقدت عدة اجتماعات بهدف إعادة تنظـيم أعمال البعثات التبشـيرية التربوية والتعليمية لكي تتلاءم مع أهداف السياسة الجديدة ..

في عام ١٩٣٤ فكر المعنيون بالتعليم في إعادة تنظيم التعليم في الجنوب وقيامه علي أسس جديدة تخدم أغراض المستعمر مع أنه قد سبقت هذا العام مؤتمرات عدة بغرض وضع خطط جديدة للتعليم في الجنوب ، كان أهمها مؤتمر التعليم في جوبا عام ١٩٣٢م والذي كان من أهم قراراته أن يتعلم مدرسو الإرساليات من الجنسيات الأوربية المختلفة اللهجات القبلية المحلية والتقاليد والعادات في تلك القبائل بهدف تدريس تاريخ القبائل في المدارس وكذلك اهتمام المناهج بالنواحي القبلية والزراعية والرعوية والبُعد عن النواحي الأدبية في اللغة العربية خوفا من تأثيرها علي الطلاب وقبائلهم ، كما نادي المؤتمر بتطوير مدارس الأحراش والغابات كما كان ضمن القرارات أن يرحل الطلاب المتخرجون إلي قبائلهم حتي يقوموا بالتبشير بينهم وتعليمهم .

لتنفيذ هذه السياسة وجدت الكنيسة دعما كبيرا جدا من الحكومة في عام ١٩٢٨م ، مع العلم أن كل إرسالية كانت تبشر في الجنوب حسب ماترغب فقد اهتمت الكنيسة الكاثوليكية بالتعليم المهني في شرق الاستوائية وأجزاء من بحر الغزال وأعـالي النيـل ، والأمريكيـة اهتمـت بالتعليم الصحـي ، والأكـاديمي في غرب الاسـتوائية وبقية بحر الغـزال ، أما الكنيسـة الإنجليزيـة فقـد اهتمت بتعليـم التلاميـذ اللاهوت ليصبحوا رهبانا وقساوسة .

من الواضح مما سبق أن الإسلام واللغة العربية قد تعرضا لحرب من المستعمر لقلع جنور اللغة العربية من المناطق التي تسمي مناطق مقفولة لايسمح للشماليين بدخولها أو الإقامة فيها إلا بتصريح من المستعمر، وكانت هذه هـي المديريات الجنوبية وجبال النوبة وجنوب النيل الأزرق وجنوب دارفور وهي المناطق التي اعتبرها المستعمر مناطق تسكنها قبائل غير عربية ، والهدف من هذا الفصل هو محو الإسلام واللغة العربية من هذه المناطق وإحلال الدين المسيحي واللغة الإنجليزية واللهجات المحلية مكانهما .

وفي أواسط العشرينيات أعطت الحكومة صلاحيات بدون حدود للإرساليات لأن تشرف المسيحية علي التعليم حتي تعمل علي تنصير الذين يسكنون هذه المناطق علي أن تقوم الحكومة بدفع إعانات لهذه الارساليات حتي تقوم بدورها كاملا وحسب الخطة الموضوعة . ولكن هذه السياسة وجدت معارضة من مؤتمر الخريجين بعد قيامه في عام ١٩٣٦م والذي نادي بإلغاء قوانين المناطق المقفولة هذه ووقف الإعانات التي تمنحها الحكومة لهذه الإرساليات التبشيرية وتوحيد مناهج التعليم في شمال السودان وجنوبه (١٣) . استشعر المؤتمر واجبه الديني والوطني والاجتماعي تجاه سكان المناطق المقفوله ، ورأي أن الوحدة بين الشمال والجنوب هامة خاصة في الدين ، وأن الدين الإسلامي هو الذي يمكن أن يوحد بين معتنقيه شمالا وجنوبا ، لهذا طالب المؤتمر بإرسال دعاة إلي تلك المناطق لدعوة إخوتهم في الدخول للدين الإسلامي ، ولكن الحكومة لم تقبل هذه التوصيات علي أساس أن المؤتمر هو مؤتمر سياسي وليس دينيا .

إصلاحات عبدالرحمن علي طه

استمر الحال علي هذا المنوال إلي أن تسلم الوزير عبدالرحمن علي طه في أواخر الأربعينيات شئون التعليم في السودان ، فقام ببعض الإصلاحات التي كانت فاتحة عهد جديد في مجال التربية والتعليم في الجنوب ، فقد تبني الوزير سياسة توحيد السياسة التعليمية شمالا وجنوبا ودعا لأن تكون اللغة العربية مادة دراسية في كل مدارس الجنوب كما نادي بتوحيد مناهج تدريب المعلمين شمالا وجنوبا وكذلك أقر ضرورة توحيد كتب المناهج وأن يكون المنهج هو المنهج القومي المنفذ في معهد بخت الرضا وايضا أقر إرسال طلاب أعالي النيل الذين يودون أن يكونوا معلمين للتدريب بمعهد تربية الدلنج ، وتدريب معلمي المرحلة المتوسطة في بخت الرضا وقد أقر كذلك مضاعفة عدد المدارس المتوسطة في الجنوب وإنشاء مدارس ثانوية حتي تتساوي مدارس الحكومة مع مدارس الكنائس . (١٤)

ولكن لم تتم معظم هذه القرارات ، ففي عام ١٩٥٠م كان هنالك ست مدارس وسطي حكومية فقط في كل من التونج وأويل ومريدي ورمبيك وملكال وملوط ، ونخلص من كل هذا أنه حتي عام ١٩٥٤م لم تستطع الحكومة مجاراة ازدياد عدد الكنائس ومدارسها في الجنوب ، فحتي عام ١٩٥٤م كانت هنالك اثنتان وعشرون مدرسة حكومية متوسطة ، بينما الزيادة ، فقط في مدارس الكنيسة كانت سبع عشرة مدرسة إضافية في غضون أربعة أعوام (١٩٥٠ - ١٩٥٤م) ولكن قد تم القرار الذي نادي بأن تدرس اللغة العربية في كل مدارس الجنوب الحكومية والكنسية أما التربية الإسلامية فكانت تدرس في كل المدارس الحكوميةفي الجنوب والشمال .

كانت هذه الفترة التي تتمثل في اواخر الأربعينات ومابعدها تتصف بحركة تعليمية شاملة في الجنوب ، فقد ازدادت رغبة أولياء الأمور في تعليم أبنائهم ولهذا إزداد عدد المدارس الحكومية والمسيحية الإرسالية في الجنوب وجبال النوبة خاصة بعد أن زادت الحكومة من إعانات هذه المدارس .

عندها انبري الشيخ محمد الأمين القرشي يحتج علي عدم السماح للمسلمين بالتبشير بالدين الإسلامي في الجنوب بيد أن التبشير المسيحي قائم علي قدم وساق بتشجيع وإعانة من الحكومة ، فكتب الشيخ محمد الأمين للسكرتير الدائم لوزارة الداخلية طلبا بالسماح للمسلمين بالتبشير في الجنوب أسوة بالإرساليات وبعد مماطلات من وزا رة الداخلية صدقت أخيرا للشيخ بالدعوة في مناطق الإرساليات ، فجمع التبرعات وابتدأ الدعوة الإسلامية في منطقة جبال النوبة ، فأقام ثلاث سنوات يدعو إلي الإسلام في تلك المناطق تساعده لجان كونت لهذا الغرض في أمدرمان والأبيض والدلنج فأسلم علي يدي الشيخ كثير من الناس ، كبارا وصغارا خاصة طلاب المدارس .

كانت الإرساليات المسيحية تترقب بخوف وقلق التحركات الشمالية للمطالبة بنيل الاستقلال وكان خوفهم وقلقهم علي مستقبل المسيحية والتبشير المسيحي في السودان (١٥) خاصة أن التقسيم الإداري الذي أقرته الحكومة لمناطق التبشير وضع إداريين مسلمين علي بعض مناطق التبشير في جبال النوبة مثل الك مجمد رحال في كادقلي .

(وكانت الإدارة البريطانية حريصة كل الحرص علي توضيح أن التطور السياسي لم ولن يتدخل في حرية التبشير المسيحي وفي معاملة الإرساليات المسيحية (١٦) ولكن رغما عن هذه التطمينات رأت الإرساليات مواجهة هذا التطور السياسي وتقوية التبشير المسيحي ودعمه مادامت هنالك إمكانيات للدعم من الكنائس المسيحية في اوربا والتي ترعي هذا التبشير في السودان وبهذا كونت الإرساليات في الجنوب وجبال النوبة والانقسنا جبهة متحدة لمقاومة أي تقدم للإسلام من الشمال إلي مناطقهم كما لجأت هذه الإرساليات إلي سودنة الكنيسة وهو كان هدف الأب كمبوني سابقا وذلك لأن المبشرين المحليين اكثر فهما لمجتمعهم وأكثر قدرة علي إقناعهم في الدخول إلي المسيحية كما سعت هذه الجبهة لتكوين أكبر حاجز لتسرب الإسلام إلي المناطق المذكورة ، فقد دعمت العمل في المدارس الحكومية لتخريج أكبر عدد ممكن من الطلاب ليشغلوا الوظائف الحكومية في مناطقهم . كما ضاعفت الجبهة عدد المحطات التبشيرية بتلك المناطق بحيث لاتبقي أي قرية لايبشر فيها بالمسيحية (١٧) .

التعليم المسيحي بعد الاستقلال

عند الاستقلال في عام ١٩٥٦م كان التعليم في الجنوب تسيطر عليه الإرساليات كما ذكرنا سابقا وتوسعت فيه بصورة كبيرة ولكن أعلنت الحكومة الوطنية سيطرتها علي التعليم بكل أنواعه في الشمال والجنوب .

الخاتمـــــة :

مما سبق نجد أن المستعمر كان غير جاد في السماح للدعوة الإسلامية في الجنوب وجبال النوبة والأنقسنا ، بل كان مساندا ومشجعا ومعينا للإرساليات للتبشير بالمسيحية في تلك المناطق ، ولكن لم تجهر الحكومة بذلك مع أن كل أفعالها كانت ضد توسع الدين الإسلامي ، وعملت بطريقة دبلوماسية علي عدم السماح بتقدم الدين الإسلامي ووضعها شروطا صعبة لايمكن أن تنفذ مثل عدم الدعوة علانية أو عدم الهجوم علي الإرساليات المسيحية أو ذكرها .

في حين تسمح لكل الإرساليات أن تعمل ماتشاء مع تهيئة الجو المناسب للتبشير وإعانتها ماديا حتي تقوم برسالتها .

الهوامش :

١- نعوم شقير ، تاريخ السودان (تحقيق وتقديم محمد إبراهيم أبوسليم) بيروت : دار الجيل، ١٩٨١م ، ص ٤٤.

٢- ج ، فانتـــــين، تاريخ المسيـــحية في الممالك النوبية القديمة والســـودان الحديث (الخرطوم:١٩٧٨) ص ٨

٣- محمد عمر بشير – تاريخ التعليم في السودان ، بدون تاريخ ص٣٨ .

٤- المصدر السابق ص ٤٠

٥- أحمد عبدالرحيم ، الإدارة البريطانية ، والتبشير الإسلامي والمسيحي في السودان (الخرطوم – وزارة التربية والتوجيه ، ١٩٧٩ ص ٩

٦- محمد عمر بشير ، مصدر سابق ص٤٨

٧- المصدر السابق، ص ٥١

٨- أحمد عبدالرحيم ، مصدر سابق ص ١٠

٩- المرجع السابق ، ص ٥

١٠- محمد عمر بشير ، مرجع سابق ، ص ٥٤

١١- لمصدر السابق ، ص ٥٥

١٢- المصدر ، السابق ، ص ٥٨

١٣- أحمد عبدالرحميم ، مصدر سابق ، ص ٤١

١٤- محمد عمر بشير ، مصدر سابق ، ٦١

١٥- أحمد عبدالرحيم ، مصدر سابق ، ص ٤٧

١٦- المصدر السابق ، ٤٩

١٧- المصدر السابق ، ص ٥١

المراجع والمصادر

١- أحمد عبدالرحيم نصر ، الإدارة البريطانية والتبشير الإسلامي والمسيحي في الســـودان (الخرطوم: وزارة التربية والتوجيه ، ١٩٧٩م).

٢- محمد عمر بشير ، تاريخ التعليم في السودان ، بدون تاريخ

٣- ج. فانتين ، تاريخ المسيحية في الممالك النوبية القديمة والسودان الحديثة (الخرطوم : ١٩٧٨م)

٤- نعوم شقير ، تاريخ السودان (تحقيق وتقديم محمد إبراهيم أبوسليم) بيروت ، دار الجيل ،١٩٨١م)

التعليف علي أوراق النظم الادارية المسيحية د. عبدالله حاكم المنظمات السرية واليهودية والنصرانية أ. عبدالجليل ريفا دور التعليم في نشر المسيحية د. حسن عبدالرحمن

(أ) محجوب محمد الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله

لدي نقطتان بالنسبة للورقة المطلوب مني مناقشتها ونقطة تعتبر عامة لقد لاحظت أن الورقة تكلمت عن ناحية تاريخية ولاحظت كذلك أن المراجع كلها كانت قديمة ولعل الأخ مقدم الورقة لم يجد متسعا من الوقت ليعرض الأفكار الخاصة بالاستراتيجية الجديدة للتبشير في إفريقيا ؟ فهل تغيرت هذه الاستراتيجية أم ظلت علي حالها ؟ ولعله يستطيع أن يرد علي هذه النقطة .

النقطة الثانية هي أن الاستعمار حاول أن يضع التعليم كله بين يدي الكنيسة وكانت النتيجة أنه عندما خرج كان الشمال متقدما تعليما وتنمية وفي المقابل كان الجنوب متأخرا في كل شيء وهذا ليس عيبا في الجنوب وإنما هي ذريعة استعمارية هدفها فصل الجنوب عن الشمال وكانت النتيجة الواضحة لذلك هي التمرد الذي حدث في عام ١٩٥٥ لأن الإخوة الجنوبيين لاحظوا أن كل الوظائف القيادية أصبحت في يد الشماليين سواء كان ذلك في الجيش أم في التعليم أم في غيرهما وفي الحقيقة لم يكن ثمة سبب لذلك سوي أن الشماليين كانوا الأكثر تعليما والأكثر تجريبا

أما النقطة العامة فهي أنني لاحظت أن الأرقام التي عرضت لنا في بعض الأوراق كانت أرقاما مخيفة مثلا هناك سبعون مليار دولار موظفة للتنصير وهناك ميزانية مرصودة لذلك تفوق ميزانية السعودية وميزانية الخليج هذه أرقام محبطة وأعتقد أنها تضعف العزائم وتجعل الناس في حيرة من أمرهم وفي رأيي أنه يجب عدم ذكر مثل هذه الأرقام وإذا اضطررنا لذكرها فيجب أن نتأكد أولا من صحتها لأن الأخ الدكتور حسن مكي ارتاب أمس فى هذه الإحصائيات وبعض هذه الإحصائيات تعطي أرقاما كبيرة لعدد المسلمين وبعضها تعطي أرقاما أقل .

وأعتقد أن هذه الندوات يجب أن توجه لبحث إجرائي وبحث تطبيقي. وقد لاحظت أيضا أن كل الإحصائيات قد أخذت من بحوث قام بها الأوربيون وأخري قام بها الكينيون ونحن نأخذها ونتعامل بها واعتقد أنه قد حان الوقت لتكون لنا بحوثنا الخاصة ونعتمد عليها وأظن أن هذا ليس صعبا علينا ونكثر كذلك من مؤسساتنا .

ولاحظت كذلك ماذكر من أن هناك ٣٣٠٠ إذاعة تعمل لخدمة التنصير ولم يرد ذكر لأي نشاطات خاصة بالمسلمين وأعتقد أن هناك إذاعات كثيرة تبث لصالح الإسلام.

بل إن هناك جامعات قامت لخدمة الإسلام مثل هذه الجامعة وجامعة أقامتها جمعية الدعوة الإسلامية وجامعة في النيجر فالوضع ليس بالسوء الذي يظهر للناس وكأنه ليس لدينا عمل .

واعتقد أنه يجب أن تقام ندوة أخري تبرز مجهودات المسلمين في محاربة التنصير المسيحي والاختراق المسيحي في إفريقيا . وشكرا جزيلا

مداخلة من إحدي الطالبات

بسم الله والصلاة والسلام علي رسول الله

لقد قدم المؤتمرون أوراقا قيمة أضاءت الطريق أمام أعيننا وفتحت أذهاننا لكي ندرك مايحيط بنا ولكن أيكفي أن نجتمع ونتدارس مايفعله بنا المنصرون ؟ فقد يكون هناك الكثيرون من المسلمين يدركون ذلك تماما ومع ذلك هم عاجزون عن فعل شيء .

ونحن إذ نبصر الناس بذلك نكون قد أوضحنا جانبا واحدا من جانبين ، أحدهما أن نبصر الناس بما يفعله لهم النصاري والثاني أن نقدم الحلول والمعالجات التي يجب أن نتبعها فلابد إذن أن نقدم الحلول والمقترحات العلمية والعملية التي نغيظ بها جماعات المسيحيين ولا نقف عند هذا الحد بل نهاجمهم في عقر دارهم فلا نقف منهم موقف المدافع دائما لأنه موقف يوحي بالضعف والوهن مهما تسلح بالأدلة والبراهين فليكن موقفنا رجوليا وقويا وماأكثر الثغرات التي تمكننا من الهجوم ومن هدم العقيدة المسيحية . لقد أكثر المتحدثون عن دور الإعلام ولقد خلصنا من ذلك إلي أن الإعلام كان له الدور الفعال في العمليات التنصيرية ففي حين أن الإعلام المسيحي يبدو دائما منتصرا ويبذل كل جهده في العمل التنصيري نفتقد – نحن المسلمين – ذلك الإعلامي الدعوي الذي يحقق لنا مانريد وقد بدأت بعض المؤسسات تسعي لوجود الإعلامي الدعوي وهذا واضح في جامعة أمدرمان الإسلامية حين فصلت الدعوة عن الإعلام . ويبقي بعد ذلك سؤال أهذه القضية قضية فصل الدعوة عن الإعلام هل تفيد المؤسسات الدعوية ؟ إذ أنه بعد فصل الدعوة عن الإعلام يتخرج الإعلامي وهو مليء بالنظريات الغربية ويتخرج الدعوي وهو لايفقه شيئا عن الإعلام .

أ. عوض الكريم عوض الله

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله

لقد استمعت امس إلي بحث الدكتورة حسنات عوض ساتي وقد راجعت اليوم بحث الاستاذ عبدالجليل محمد ريفا وأعتقد أنه ليس هناك فرق بين البحثين ومن ثم فإنني أقترح أن يدمج هذان البحثان ليكونا بحثا واحدا ثم يودع في المكتبة .

لقد قرأت بحث الاستاذ عبدالجليل ووجدت فيه كثيرا من الحقائق وأعجبت به جدا باعتباره بحثا متكاملا ومفيدا . ذهبت يوما إلي قرية تسمي SOS وهي قرية للقطاء وتقرب من هذا الجامعة وجلست إلي بعض

الأطفال. أسائلهم فسألت أحدهم من أنت ؟ فقال أحمد ومن أبوك ؟ فأجاب أبى الروحي أم ابي الذي ولدني فقلت كيف يكون لك أبوان فقال نعم أنا عندي أبوان أحدهما فى بريطانيا والثاني في السودان وهذا لا أراه ولكن ذلك الذي في بريطانيا يرسل لي في أعياد الكريسماس الهدايا ويرسل لي خطابات وملابس وهذا هو أبي الروحي واسمه جون هذا الكلام مثبت ويمكن لأي إنسان أن يطلع عليه وهي حقيقة مؤلمة ومن أجل ذلك بعثنا بعض الطلاب من هذه الجامعة ليكونوا أئمة بالمسجد الموجود داخل تلك القرية وأنشأنا حلقات لإلقاء الدروس لأولئك الأطفال .

وجزاكم الله خيرا وبارك الله فيكم

أبوبكر الصديق آدم أبوزيد جامعة أمدرمان الإسلامية كلية الإعلام دعوة - رابعة

لقد عانينا كثيرا في دراستنا في الكلية عن التنصير والنصاري

وقد أحسنا أن ثمة إشكالية كبيرة عندما جئنا إلي هذه الندوة وهي أننا قد عرفنا أبعاد التنصير وعرفنا مخططاته تجاهنا ولكن بأي شيء نقابل ذلك (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) فمعرفتنا لكل شيء عنهم هذه حقيقة ، ولكن ماذا بعد هذه المعرفة ؟ ماذا أعددنا لهم ؟ فكل الدراسات الآن قائمة علي أعمال النصاري ولكن ماهي الردود الفعلية أو التطبيق العملي لذلك ؟

ومرة ذهبت من أجل قضية معينة إلي التخطيط الاجتماعي سابقا.وكانت هناك شئون دينية فسألت عنها فعلمت أنها أدمجت لأن الدولة أصبح توجهها دينيا فلا يصح أن يحصر الدين في حدود معينة فلذلك نري أنه قد تم الفصل الآن بين كلية الدعوة وكلية الإعلام نسبة لأن الدين أصبح منتشرا في كل الجهات .

وأي أنه لايجب أن تقصر الدعوة أو تحدد في أشخاص معينين وأتساءل لماذا لايفتح المجال أمام الخريجين حتي يكون الخريج مواكبا لكل مايستجد في شئون الدعوة ولماذا لاتكون هناك صلة دائمة بين الخريج والجهة التي تخرج منها فالخريج يبدو أنه لم يتخرج في الكلية فحسب بل كأنه تخرج من الدراسة والعمل الدعوي فأصبح بعيدا عن المجتمع فلا ينفعل بقضاياه ولا يهتم بها ، وفي تجربتنا العملية قمنا في جمعية الشفاء بتنفيذ الدور العلاجي مثل مايفعل النصاري حيث يقدمون وسائلهم العلاجية مغلفة في دعوتهم التنصيرية وقد أعطينا مرضانا جرعات من التحصين وقراءة أيات حتي يكون في صلة وارتباط والتجاء بربه والرجوع إليه .

إحدي الطالبات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله

لقد قدمت في اليوم الثاني من أيام هذه الندوة المباركة ورقة تتناول الوسائل التي يستخدمها المنصرون وكانت المرأة من بين هذه الوسائل .

فإذا استخدمت المرأة سلاحا ضد دينها كما فعلوا فإننا يمكننا أن نستخدمها سلاحا ضدهم وإذا بحثنا

أوضاع المرأة في الغرب لوجدنا أنها مهيأة تماما لتكون سلاحا في أيدينا نحن الدعاة - فالمرأة في الغرب رغم ادعاء مساواتها بالرجل ورغم الحقوق التي أعطيت لها نجد أنها تتوق للحقوق التي تتمتع بها المرأة المسلمة وربما أنكم قد سمعتم بالتظاهرات التي حدثت في الغرب من بعض النسوة مطالبات بأن تكون لهن نفس حقوق المرأة المسلمة وذلك لأن التشريع الإسلامي تشريع يساوق الفطرة البشرية ويناسبها .

وتحدثت الورقة أيضا عن وسيلة التعليم وهي شيء أجاد المسيحيون استخدامه أما في معظم الدول الإسلامية فنجده علمانيا بمعني أنه منفصل تماما عن الدين ولاتكفي أسلمة مرحلة الأساس والمرحلة الثانوية كما هو حاصل عندنا في السودان بل لابد من أسلمة كل المناهج التعليمية في كل مراحل التعليم سواء في الجامعات أم في المعاهد العليا ، وإدخال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة مادة تدرس في الكليات العلمية خاصة وإنني أدرس في كلية الصيدلة ولم أجد أي ربط بين الصيدلة والإسلام فمثلا مادة الفيزياء منفصلة تماما عن الدين رغم أن هناك الكثير من الآيات والأحاديث تتحدث عن الإعجاز العلمي ، فلماذا لاتكون هناك أسلمة للمناهج ؟ وقال تعالي (مافرطنا في الكتاب من شيء) وقضية ربط العلوم التجريبية بالقرآن والسنة قضية لها وزنها ويجب أن تجد مكانها في مناهج التعليم .

مداخلة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين نيابة عن زملائي الباحثين والدارسين في مجال علم التنصير أتقدم بالشكر الجزيل لجمعية الدعوة الإسلامية والشكر أيضا موصول لإدارة جامعة إفريقيا العالمية ممثلة في مركز البحوث والدراسات الإفريقية فقد أتاحوا لنا مساحة واسعة من الزمن حيث قضينا ثلاثة أيام لم نبارح فيها هذه القاعة نستمع إلي إخواننا باحثين وطلابا ودارسين فنشكرهم جميعا . وما أود أن أشير إليه هنا أن هذه الأوراق التي استمعنا إليها تطرح كلها سؤالا واحدا في رأيي وهذا السؤال هو أننا نواجه عولمة لجميع مناحي الحياة سياسية واقتصادية وأمنية ورياضية ونتساءل إذا كانت العولمة قد طرقت كل الأبواب ألا يمكن أن نطرق باب الدين ؟ وكانت الأوراق كلها تجيب وتؤكد أن العولمة قادمة لا محالة في ذلك وأري أن الإجابة علي السؤال تتعلق بالتوصيات التي يقدمها هذا المؤتمر وأرجو أن تكون قوية ، وأن تتضمن إجابة واضحة وصريحة علي السؤال الذي طرحناه وهو عولمة الدين ،، وشكرا ..

تعقيب

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد النبي العربي الأمين زملائي الأساتذة أبنائي الطلاب والطالبات أحييكم بتحية الإسلام السلام عليكم ورحمة الله تعالي وبركاته

ليس لي تعليق علي هذه الحلقة لأنني لم أتمكن من حضور المحاضرات التي ألقاها زملائي الأساتذة ولكنني اطلعت علي بعض البحوث واسمحوا لي في هذا اللقاء الطيب الذي يجمعنا في هذه الجامعة وفي هذه الندوة التي يشرف عليها مركز البحوث والدراسات الإفريقية فيها ، لقد زرت هذه الجامعة سنة ١٩٨٦ عندما كانت مركز إسلاميا وكانت هناك سبع دول حسبما أتذكر تساهم في دعم هذا المركز ، ولكن تخلت كل هذه الدول عن تقديم دعمها وبقي شعب السودان المجاهد البطل الذي يتعرض وحيدا في شرق القارة الإفريقية إلي الرد علي الحملات الصليبية والتبشيرية ومجمع الكنائس العالمي .

اسمحوا لي أن اتقدم بالشكر والتقدير إلي جامعة إفريقيا وإلي مركز الدراسات والبحوث الذي ساهم مساهمة فعالة في إقامة هذه الندوة التي تتولي كثيرا من الدراسات وأرجو من زملائي المشرفين علي هذه الحلقة الدراسية أن يقوموا بطباعة هذه البحوث حتي تكون بين أيدي طلابنا وباحثينا في جميع أنحاء العالم . كما لايفوتني أيها الإخوة وقد اطلعت علي بعض الأوراق أن أذكر أنني شعرت بكثير من الخوف مما يتعرض له شعب السودان سواء من الاستعمار بجميع أشكاله أو من التنظيمات التبشيرية التي تريد أن تقضي علي العروبة والإسلام في السودان ولذلك فإننا نريد من هذه القاعة أن نوجه نداءنا للرؤساء العرب ولأصحاب الجمعيات والتنظيمات الإسلامية بدعم كل الجامعات ومراكز البحوث ومراكز الدعوة الإسلامية في هذا البلد حتي يتحمل شعب السودان رسالته في الرد علي كل الحملات التبشيرية ، وأقول لكم بكل صدق عندما احتلت ليبيا من الاستعمار الإيطالي أنشأ الايطاليون أربعا وعشرين كنيسة وبعد قيام الثورة مباشرة ألغيت جميع هذه الكنائس ليس بغضا في الدين بل لأن مجتمع الجماهيرية ليس فيه مسيحي واحد فليس لدينا مشكلة في هذا الجانب مثلما لإخواننا في السودان أو في مصر فنحن نختلف عن كل العرب تقريبا فشعب ليبيا كله مسلم وعندما قامت الثورة تخلصت من كل تلك الأشياء ولقد كانت في مدينة طرابلس كنيسة من أكبر الكنائس الكاتدرائية ولكنها تحولت الآن بعد الثورة إلي جامعة عبدالناصر وتحولت إلي كلية الدعوة الإسلامية التي تستقبل طلاب العلم من مختلف مناطق العالم الإسلامي .

إنني كما ذكرت أولا اكرر الشكر والتقدير لزملائي الاساتذة الذين أفادونا كثيرا ولكنهم أيضا خوفونا وأرجو أن يتصدوا بأفكارهم وبجهودهم لحملات التنصير التي توجه نحو العالم الإسلامي .

وتحمل شعب السوداني وتحمل العلماء والباحثون والدارسون وخاصة في مجال الدعوة الإسلامية مثل جامعة أمدرمان الإسلامية التي تستقبل الطلاب من غرب إفريقيا وشرقها أيضا أن تتحمل هذه الرسالة وجامعة إفريقيا العالمية ولي شخصيا عظيم الشرف بصفتي استاذا معارا في جامعة أم درمان الإسلامية أن أساهم مع زملائي الأساتذة في رفع مستوي طلابنا وأبنائنا ومحاربة الاستعمار والتنصير .

وأقول لكم إن هناك حملات مركزة تركيزا شديدا من قبل التنصير ، وأحكي لكم قصة تبين مدي مايقوم به هؤلاء النصاري في سبيل دعوتهم فقد كنت مرة في مالي وزرت منطقة تمبكتو في الشمال وهي مدينة معروفة وقد كانت قديما تستقبل طلابا من مختلف أنحاء العالم الإسلامي يبلغ عددهم حوالي خمسة وعشرين ألفا كما أخبرني كثير من العلماء هناك، وأصل أهلها عرب ويتكلمون باللغة العربية وهي تبعد عن باماكو

بحوالي الفي كيلومتر (٢٠٠٠) فالتقيت بداعية شباب من الكنيسة فذكرني هذا بموقفنا نحن المسلمين والعرب إذ لدينا رسالة كلفنا بها رسول الله صلي الله عليه وسلم ولكننا لم نتحمل هذه الرسالة وظللنا قابعين في بيوتنا وفي مناطقنا حتي لا نتعرض لمشقة الدخول إلي أدغال إفريقيا لمساعدة الناس هناك وتعليمهم خوفا من تلك الأدغال وخوفا من المرض سواء كنا أساتذة أو دعاة أو طلابا بينما نجد الأوربي يدخل هذه الأدغال لايخشي شيئا لمساعدة الفقراء من المسلمين وبالتالي يستطيع تحويلهم إلي دينه وتنصيرهم في يسر وسهولة التقيت بذلك الشاب المسيحي الداعية وهو لم يبلغ الأربعين من عمره فسألته ماذا يفعل هنا فذكر أنه تابع للكنيسة البجليكية وجاء إلي تمبكتو وأنشأ كنيسة لدعوة أهلها للدخول في المسيحية فسألته عن عدد الذين دخلوا من المسلمين إلي الكنيسة فقال كلما حاولنا وقدمنا من مساعدات إلي هؤلاء الناس وإلي هؤلاء الفقراء لم نستطع تحويل شخص واحد حتي الآن.

وفي نهاية حديثي أقدم شكري وتقديري للأخ فرح عزو المشرف علي جمعية الدعوة الإسلامية بالسودان وإلي زميلي الدكتور عبدالرحيم علي مدير جامعة إفريقيا العالمية وإلي مركز البحوث والدراسات الإفريقية وشكرا وتقديرا للأساتذة العظماء الذين ساهموا مساهمة فعالة في هذه البحوث ولكم منا الشكر والتقدير .

العرض العام

د. عبدالرحمن أحمد عثمان

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله محمد بن عبدالله وعلي اله وصحبه وسلم

وبعد فلعله من حسن الطالع أن سفينتنا قد وصلت إلي مرساها بعد جولة دامت قرابة شهر من الاستنفار والمتابعة والطباعة

وليس لدي ما اقوله لأن الإخوة قد كفوني ذلك والبرامج أمامكم والأوراق في أيديكم وهناك توصية بان تطبع أوراق هذه الندوة وتسلم إلي المراكز المختصة ولكل الأفراد المختصين .

ولكني أريد أن أوجه شكرا حارا لجميع الأساتذة الذين استجابوا لدعوتنا من جامعة القرآن الكريم وجامعة الخرطوم وجامعة أمدرمان الإسلامية وجامعة السودان وجامعة إفريقيا العالمية .

كما أود أن أوجه الشكر الجزيل لجميع الطلاب الذين ساهموا معنا بالنقاش والمداخلات متفاعلين مع كل ماقيل في هذه الندوة وخاصة طلاب جامعة أمدرمان الإسلامية فقد كان لوجودهم ومساهماتهم أثر واضح في إحياء هذه الندوة

وأشكر كذلك جمعية الدعوة الإسلامية العالمية علي إثارتها للفكرة ووقوفها بجانبها وعلي سخائها ودعمها لكثير من جوانبها.

والشكر أيضا لجامعة إفريقيا العالمية علي شجاعتها وتصديها للعمل وقبولها للفكرة وإتاحتها الفرصة لأساتذتها وللأساتذة من الجامعات الأخري للمشاركة والكتابة والمناقشة وهذا أمر في تقديري ليس سهلا

فكما أشار بعض الأساتذة فإن كثيرا من الجامعات ما كانت لتقبل وتوافق علي قيام مثل هذه الفكرة لأن فيها مافيها ولأن وراءها ما وراءها والشكر للجميع وللأساتذة من جامعة إفريقيا فقد وقفوا خلف الفكرة وساندوها وأمدوا إدارة البحوث والدراسات الإفريقية بمدد من الإقدام ومدد من المثابرة لتخرج هذه الندوة علي هذه الصورة المشرقة.

وأشكر الحضور الآن الذين أتوا لسماع التوصيات ولما يمكن أن يتقدموا به من مداخلات تثري هذه التوصيات التي تخرج بها الندوة.

ونأمل كثيرا في إدارة جامعة إفريقيا العالمية وفي إدارة جمعية الدعوة الإسلامية العالية لمتابعة هذه التوصيات وتنفيذها . والسلام عليكم

العرض العام

الأستاذ سعد فلاح

بسم الله الرحمن الرحيم

أسمحوا لي أن آخذ من وقتكم شيئا لأتحدث عن جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فهذه الجمعية مثلها مثل الجمعيات العربية المنتشرة في كل مكان لا تألوا جهدا في أن تقوم ولو بالحد الأدني من واجبها مع شعورها دائما بالقصور والتقصير .

هذه الجمعية بها اثنتا عشرة إدارة عامة منها إدارة الدعوة والمراكز الإسلامية ولنا بذلك اتصال وثيق بما يجري في كثير من دول العالم وخاصة في قارتنا إفريقيا من جهود تنصيرية ومن تشويه للثقافة الإسلامية وأذكر علي سبيل المثال ما حدث في يوغندا وسمعنا به قريبا وهو أن هناك شخصا ارتد عن الإسلام بعد أن كان مسلما ويتبع للجمعية السلفية التي انفصلت عن الجمعية السلفية الأم لأن هناك في يوغندا جمعية سلفية نشيطة جدا قوامها شباب متحمس وقف في وجه الحكومة وأعلن آراءه بكل جرأة وشجاعة ولكن هناك من انفصل عن هذه الجمعية ومنهم ذلك الشخص الذي ارتد عن الإسلام وتسمي باسم محمد وأعلن في الصحف أنه سيفتح متجرا لبيع لحم الخنزير وسيكتب هذا نكاية في المسلمين و ذكر أن هذا أكل عيش ولا يقصد بذلك إهانة الإسلام ولكنه مع ذلك تمسك باسم محمد وهو مسيحي ويبيع لحم الخنزير وقال إنني الآن أشعر بشخصيتي وبوجودي بعد أن كنت تافها لسنوات طويلة من عمري .

ونحن في هذه الجمعية وفي هذه الإدارة بالذات في أمس الحاجة إلي آرائكم وأفكاركم وتجاربكم وكان هذا المقترح لإقامة حلقات التنصير وكان مفترضا أن تكون هناك ثلاث حلقات إحداها في النيجر بالتعاون مع المؤسسات الأكاديمية والمختصين والثانية هنا في جمهورية السودان والثالثة في اندونيسيا ولقد أجلت حلقة أندونيسيا للسنة القادمة إن شاء الله وذلك للظروف الخاصة التي تعيشها اندونيسيا وعندنا في الجانب الإعلامي جريدة ولعلكم قد رأيتهم عددا منها وتصدر أسبوعيا فنحن لدينا من الجرأة ما نستطيع معه نشر كل ماترسلون به إلينا سواء في مجال التنصير أو في مجال البحوث التي تخدم قضية الإسلام وأعدكم

مقدمــا بأننــا سننشــر كل ماترســلونه غير الموضوعــات السياسيــة طبعا لأننا جمعــية خيريــة ولا علاقة لها بالسياسة .

وأود أن أشير من هذا المنبر - وهو أعلي منبر - في اعتقادي - فكري وثقافي وعلمي بأن علينا في الوطن العربي مسئولية مضاعفة ونفتقر إلي شيء مهم جدا وهو الثقة المتبادلة والبعد عن الأنانية وعن الإقليمية بصفة خاصة فلنزرع الثقة فيما بيننا وليكن عملنا مشتركا - لقد ذكر ذلك أحد الإخوة وتناول ذلك أكثر من واحد في البحوث وناقشناه ، إن العداء الذي يكنه المسيحيون لليهود واليهود للمسيحيين عداء تاريخي منذ أن نزلت الديانة المسيحية علي الأرض لأن الاعتراف بالمسيحية يتعارض مع مبادىء اليهود ويقولون في فلسفتهم لو اعترفنا برسالة عيسي لوصفنا الله بأنه عاجز عن الكمال لأنه نسي الرسالة السابقة ، وبالتالي لا يعترفون برسالة عيسي أما الأن فقد اعترفوا ببعضهم اعترافا متبادلا يمثله البابا من جانب واليهود من جانب أخر ، وصداقة حميمة موجهة ضد الإسلام الذي أصبح الأن بعد تفكك الشيوعية هو العدو الوحيد ، وأعتقد أن الأساتذة الذين تناولوا في بحوثهم جهود المنصرين يذكرون كل المؤتمرات التي عقدت بنهاية القرن التاسع عشر تلك المؤتمرات التي قام بها هرتزل وزويمر ومؤتمرات القدس ونحن نحفظ عن ظهر قلب كل مايقوله زويمر ومايقول غيره من المنصرين في هذه المؤتمرات .

لماذا لايكون لنا الحد الأدني في هذه المنظمات الإسلامية العربية وغير العربية فنحتفظ بصفاتنا الشخصية وبصفاتنا المحلية ، ويكون لدينا قاسم مشترك للعمل الإسلامي فنزرع الثقة فيما بيننا ونعمل بصدق ، ونبتعد قليلا عن العمل السياسي إذ أن العمل السياسي لابد منه ولا نستطيع أن نتخلص منه ولانستطيع أن نتخلص من المحلية ، ولكن لماذا لايكون هناك حد أدنــي وقاســم مشترك بيننا فهذه ملاحظة يجب أن نفكر فيها جيدا وبإخلاص .

هناك كلام كثير في هذا الموضوع ولا أريد أن أتناوله وهناك صراع بين المنظمات العربية فكل واحدة منها تكيل التهم للأخري وكل واحدة تحاول أن تحطم الأخري وهناك أمثلة لا حصر لها لقد كنا نحسد إخواننا البعيدين سكنا وموضعا عن شواطيء البحر الأبيض المتوسط لقد كنا نحسدهم ونحن في ليبيا بصفة خاصة وفي شمال إفريقيا بصفة عامة وذلك لأنهم بعيدون نسبيا عن التأثر المباشر بسموم الغرب سواء مايكون بالرحلات أم بما يأتي من الإذاعات المرئية ، أم بما يسرب من مواد تخريبية للوطن العربي ، أما الأن وفي ظل العولمة فنحن في خطر داهم جميعا أينما كنا وحيثما وجدنا ولابد إذن أن نفكر كيف نواجه هذا المد ، وأعتقد أنه ليس في استطاعتنا جميعا أن نوقف زحف العولمة ونوقف البرامج التي يبثها الإعلام الغربي القوي الذي تسنده مادة اقتصادية قوية لسنا قادرين علي منافستها ولكننا نستطيع أن نحصّن أنفسنا ونحصّن شبابنا بثقافة أصيلة بعيدة عن الجمود وبعيدة عن المحلية ثقافة إسلامية صافية ندافع بها عن أنفسنا لأن ربنا تكفل بحفظ الإسلام فما يحتاج إليه منا هو مجهود بسيط يمثل الحد الأدني من واجبنا الديني الذي ينبغي أن نقوم به

أما الملاحظة العامة علي البحوث وهي التهويل في الأرقام التي سمعناها وبعضها ليس جديدا علينا فهي

ارقام متداولة في كل المؤتمرات وكل اللقاءات ومصدرها جماعة التنصير كما ذكر أحد الأساتذة الذين لاحظوا ذلك ومصدرها الغرب وقد يكون الهدف منها هو إرعابنا وإرهابنا حتي نخضع للأمر الواقع فحينما يقال إن واحدا وسبعين مليارا صرفت من أجل التنصير فإن هذا يصير مبعث شك وارتياب عندي إلا إذا قيل إنها صرفت للحكومات لأننا قد عشنا في إفريقيا كثيرا فالنيجر مثلا وهو موطن مستهدف لأن نسبة المسلمين فيه ٩٧٪ و٣٪ فقط مسيحيون وجهود المنصرين فيها مكثفة وبشكل رهيب لتخدم قضايا سياسية أنتم تعرفونها فتنصير النيجر والقضاء علي الشخصية الإسلامية فيها يعني النيل من ليبيا ومن شاد ومن السودان بطريق غير مباشر .

فمبلغ الواحد والسبعين مليارا مبالغ فيه بالتأكيد والدليل علي هذا أنه لو صرف في إفريقيا لتغير وجه القارة وهذه ملاحظة للتأمل حتي لانرهب بهذه الأعداد لأننا في أعماقنا مؤمنون بأننا علي الحق وغيرنا علي الباطل ويكفينا الحد الأدني من الإمكانات .

هناك ملاحظة أخري وكان موعدها أمس حينما قال أحد المتحدثين بأن إفريقيا لم تصمد في وجه الاستعمار وفي وجه التنصير وإن الضرر علي الإسلام كان في إفريقيا فهذا غير صحيح، فالضرر وقع علي الاسلام في آسيا قبل جميع القارات والمصائب التي جاءتنا من آسيا الحمد لله لم تحدث في إفريقيا بالرغم من الظروف التي تعانيها فالفرق الهدامة لم تنبت في إفريقيا فالأحمدية والقاديانية والبهائية كلها لم تنبت في إفريقيا بل إن البهائية نبتت في دولة الإسلام متأصل فيها منذ العشرات الأولي للرسالة .

والإستعمار والحروب والمشاكل والقتال والسيطرة الفكرية كلها كانت موجودة في آسيا بصورة أكثر من وجودها في إفريقيا .

ونحن نحمد الله سبحانه وتعالي أن استطعنا بوصفنا أفارقة وعربا أفارقة أن نقف في وجه التنصير وفي وجه الاستعمار بصورة نحن أفضل فيها من غيرنا في جميع القارات وهذا يرجع إلي أن الإنسان الإفريقي مسلم بفطرته والإسلام دين الفطرة ودفاعه عن الإسلام مرتبط بمصالحه الاقتصادية والاجتماعية والحياة اليومية وأريد أن يكون عملنا في هذا المجال موصولا بأعمال وبخطوات أخري ولايتوقف علي انتهاء هذه الحلقة .

أولا . إننا نعد- كما ذكرت - إن شاء الله بنشر كل ما أردتم نشره في مجال التنصير فأي معلومة تريدون نشرها ستنشر منسوبة لأصحابها مع المحافظة علي حقوق التأليف والإعداد والأشياء الأخري ، ثانيا نحن ننظر إليكم مثلا أعلي في الثقافة الإسلامية الأصيلة ولا أقول هذا مجاملة أو نفاقا ولكن ذلك مانؤمن به في داخل أنفسنا فنحن نمد ايدينا لكم لمساعدتنا في عملنا لأن العمل بيننا متكامل وخاصة من الناحية الفكرية والناحية الثقافية والآن المطروح هو عروبة دول الساحل والدكتور الطيب يؤكد أن الفلاتة عرب في الأصل ولايشك في ذلك أحد فمثل هذه المعلومات نحن في حاجة إليها لتأكيد وأثبات هذه المقولة .

وفي النهاية أعرض موضوعا آخر وهو ضرورة التركيز علي الحلول العملية التي تتواءم مع القرن الحادي والعشرين . أما الحلول الاقتصادية والزراعية والأشياء التي تحدثنا فيها مع بعضنا وعرفناها فقد تجاوزها

الزمن ، فهناك الآن غزو ثقافي وفكري وعلمي فكيف نصل إلي حلول تخدم قضيتنا في القرن الحادي والعشرين ولو فكرتم في هذا المجال وتوصلتم إلي حلول إذن لقدمتم خدمة لن تنسى للإسلام والمسلمين .

وفي النهاية أتقدم باسم جمعية الدعوة الإسلامية وباسم إدارة الدعوة والمراكز الإسلامية فيها علي وجه الخصوص بالشكر والتقدير والعرفان لكل الأساتذة والباحثين والعلماء الذين أثروا هذه الحلقة التي وصفها الدكتور مبروك بأنها ليست حلقة وإنما هي حلقات متواصلة في وقت واحد ومكان واحد وأنصح أبناءنا الطلبة في هذه الجامعة أن يتابعوا هذه البحوث الجادة المثمرة بكل دقة لأنها قد اختزلت لهم الزمن فهؤلاء الأساتذة الباحثون لم يأتوا بهذه البحوث من فراغ بل هي عصارة فكر وتجربة عمر فيجب أن تفيدوا منها قدر المستطاع وتلحوا علي أساتذتكم بالسؤال دائما عما ذا تمَّ في بحوث حلقة التنصير وهذا السؤال يجب أن يتكرر حتي يضطر هؤلاء الأساتذة للمتابعة .

وأشكر الدكتور مدير جامعة إفريقيا العالمية والدكتور مدير جامعة امدرمان الإسلامية ومدير جامعة القرآن الكريم والدكتور عميد مركز البحوث والدراسات الإفريقية والأساتذة والدكاترة الأفاضل الذين شاركوا في هذه الحلقة سواء بتقديم البحوث أو المناقشات الجادة وأعطونا من وقتهم الكثير والشكر أيضا للذين تعبوا في إعداد هذه البحوث وأوصلوها إلي نهايتها بحوثا مكتملة علما وثقافة وخبرة ووضعوها لنا في هذه الأوراق وماعلينا إلا أن ندرسها ونفكر فيها وأن نبحث عن أسهل الطرق لتطبيقها ونأمل ألا تكون هذه الحلقة هي الاولي والأخيرة ونأمل أن تتكرر وأن تكون موصولة بالقراء نشيطة في هذا المجال وتخدم قضيتنا ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) .

بارك لله فيكم واسمحوا لي علي التطويل فهذه نفسات إنسان يشعر بالألم ولايشعر بالخوف كما قال الدكتور مبروك نحن لانشعر بالخوف بالرغم من هذا الكم من المنصرين .

وقبل الختام اوضح معلومة وهي أن هناك مركزا من أكبر المراكز التنصيرية في ضواحي مدينة طليلة وهي اول مدينة إسلامية سقطت في الأندلس كما تعرفون .

وهذا المركز أنشيء لاقتناص الشباب فقد قرأت منذ عشر سنوات بحثا أو تقريرا عن الأساليب التي يتبعها المنصرون في اقتناص الشباب في هذا المركز ، والشباب بالذات من الدول العربية فإنهم يركزون علي الذكي المتفوق ويحاولون إغراءه بالإمكانات المادية وهو في فترة الفوران وفترة الشباب المتطلع إلي استشكاف العالم ويتطلع إلي الرحلات فيستغلون هذه الظروف ويستغلون الفراغ الذي خلقناه بأنفسنا لشبابنا في فترة العطلات الصيفية في الوطن العربي وحتي إن كانت فترات عمل لبعض الشباب فهي فترات مؤقتة وهي نقاط مضيئة لكن في بحر مظلم ويستقلون هذا الظرف فيأخذون الشباب ويهيئون له الوسائل المريحة للارتحال وأؤكد لك أن كل أوربي يأتي للوطن العربي فهو منصر ومسيس ومعد إعدادا تخصصيا ليدعوا إلي النصرانية وعندما يثقون في هؤلاء الشباب بعد أن يكونوا قد أنشأوا معهم صداقة في بلادهم يرسلونهم إلي هذا المركز في طليطلة ليقضوا فيه اسبوعين تهيأ لهم فيها كل سبل الراحة من أكل وشرب مجانا ويضعون تحت تصرفهم كل الوسائل ترفيهية وثقافية واجتماعية ثم يعيدونه بعد ذلك مكرما معززا

ويعدونه بالمزيد من العطلات الأخري وبذلك يصبح جزءا من الأسرة لتبدأ عملية غسيل الدماغ فيخضعونه لمحاضرات ودروس بالإضافة إلي إشباع رغباته الذاتية ثم يصبح أسيرا لديهم وجزءا من عملية التنصير وهذا التقرير وضع منذ عشر سنوات قائمة بأسماء الأسر التي ارتدت عن الإسلام في دول عربية لاتصدق أن يصل إليها التنصير وأن يؤثر فيها . وفي عائلات عربية عريقة في إسلامها وعريقة في سيرتها الثقافة استطاع التنصير أن يأخذها من بين أهليها ويجلعها جزءا من عملية التنصير وهذا التقرير عندي وليس في الأمر تزيد فإذن نحن أمام عمل رهيب وعمل كبير أثني عليه كل هؤلاء الأساتذة الأفاضل باعتباره خطوة جريئة في وقت نجد أن كل الناس فيه يراهنون علي الحوار ، حوار الأديان ومعذرة إذا قلت إنني لا أعرف لهذا الحوار معني إذ ليس هناك أديان وإنما هو دين واحد يشمل الأديان كلها (مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) (كان التعايش السلمي بين معتنقي الأديان وهذه طريقة بعيدة عن الدين وهي سياسة الدولة ، سياسة إجتماعية لا علاقة لها بالدين ، ولكن من ناحية الدين فانا لا أقر إنسانا علي الكفر والإقرار علي الكفر كفر . و أكرر شكري وتقديري لأساتذتنا الأفاضل ولجامعة إفريقيا التي اتخذت هذه الخطوة الجريئة وأرجو أن يأتي يوم يتذكر فيه أبناؤنا هذه الحلقة ويقولون لقد عقدت حلقة لدراسة التنصير وطرحت توصيات كان لها أثر كبير في صد عمليات التنصير في إفريقيا.

كما تكرر الآن ماقاله زويمر منذ مايزيد عن سبعين سنة

اشكركم وبارك الله فيكم وأتمني لكم من كل قلبي التوفيق والعافية في الدنيا والآخرة .

عرض عام

الدكتور حسن مكي مدير مركز البحوث والدراسات الإفريقية

السلام عليكم

ليس عندي ما أقوله غير أن أشكر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية علي تصديها لإقامة هذه الندوة الحقيقة إن كان هناك بطل لهذه الندوة فهو الأخ نوري والذي لم يأل جهدا في حثنا على إقامة هذه الندوة وكنا نستمهله ونطلب منه أن يعطينا وقتا لذلك ولكنه كان يصر ويلح ويتابع والحقيقة لقد أصبحت الندوة حقيقة وبعد قليل ستتلي التوصيات وهناك سؤال يقع في خاطري دائما وهو لمن ستتلي هذه التوصيات وأعتقد أننا أكثر الناس مسئولية عن هذه التوصيات وإذا اعتقدنا أن ثمة جهة أخري غيرنا ستتولي تنفيذ هذه التوصيات أو تعني بها فاننا نكون عندئذ من أصحاب الظن الحسن وذلك أمر طيب ولكن يجب أن نعلم أننا هنا المعنون بهذه التصويات ، وهناك امر آخر وهو أن هذه التوصيات كالوقف فالإنسان عندما يبني مسجدا أو يقيم متكئا يجعله للناس فكل شخص يستطيع استخدامه أو يستظل بظله أو يتعبد فيه وهي أيضا وقف لكل من يريد أن يخدم الدعوة الإسلامية .

المسألة الثالثة وقبل أن يفتر حماس هؤلاء الشباب الذين وقفوا وراء هذه الندوة وتابعوها وعملوا من أجلها وساهروا ونرجو من الاخوة في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والأخ نوري أن يتابعوا معهم عملية

إصدار الكتاب لأنهم إذا فتروا ستحدث فجوة زمانية تفتر فيها الهمم ويضيع فيها الحماس ومسألة إخراج الكتاب تحتاج لتفريغ الشرائط والقراءة والتصحيح فنرجو أن يتابعوا مع رئيس الحلقة ومع هؤلاء الشباب عملية إخراج هذا الكتاب منذ اليوم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بروفيسور عبدالرحيم علي مدير جامعة إفريقيا العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام علي رسول الله وعلي آله وأصحابه – بعد

أولا : أشكركم جميعا علي صبركم وعلي مثابرتكم وعلي حضور هذه الجلسات في هذه القاعة التي تحتاج إلي كثير من الصبر لقلة التبريد فيها ولكن لتحسبوا ذلك جزءمن الصبر المطلوب في سبيل الله سبحانه وتعالي والله سبحانه وتعالي يقول (ذلك بأنه لايصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولايطئون موطئا يغيظ الكفار ولاينالون من عدو نيلا إلا كيف لهم به عمل صالح) فأرجو أن يكون قد كتب لكم عمل صالح بحضوركم هذه الجلسات ومثابرتكم عليها وقد فاتني منها الكثير ولكني علمت أنها كانت علي مستوي علمي ممتاز . ولئن كان لها فضل في المستقبل فليكن ذلك في فتح العيون علي ما يحدث حولنا حتي لايكون المسلمون جميعا في غفلة تامة عما يحدث في بلدانهم وإني سعيد بأن هذه الندوة قد انعقدت في ربوع جامعة إفريقيا لأنها ليست جامعة للسودان وإنما هي جامعة لكل أبناء إفريقيا وعقد الندوة يعني تعاونا إسلاميا إفريقيا همه الأول هو التنبيه والابتعاد عن الغفلة علي أسس علمية ، فيجب أن نعرف الحقائق من غير تهويل ومن غير تقليل وتخدير وأعتقد أن هذه هي بداية العمل وليست نهايته لأن هذه الندوة لو شئنا لحضرها كثير ممن هم مشغولون بمواجهة التنصير والإختراق الاستعماري في مواقع عمله في جنوب السودان وفي جبال النوبة وفي كل المواقع الي يركز فيها عمله .

هذه بداية لعمل نرجو أن يتصل وإنني سعيد جدا بالتعاون الذي أثمر هذه الندوة والذي يقوده الأخ نوري عزو وسعيد جدا للاهتمام الليبي بإفريقيا الذي نشهده في هذه السنوات وهو مبشر إن شاء الله وأصبحت له ثمرات نرجو أن تتوسع وتزداد في المستقبل فإفريقيا قارة واحدة وهمومها واحدة ويجب أن يشد بعضها بعضا ويجب أن تشعر بثقافتها الإسلامية ولذلك فإن هذا الاتجاه من الجماهيرية اتجاه حميد جدا ومبشر وأنا متفائل باسم أستاذنا الأستاذ سعد وهو طالع سعد وبفلاحه وهو إن شاء الله فلاح لهذه الندوة ولهذا العمل الذي بدأ صغيراً وإن شاء الله يكون كبيرا . أكرر الشكر للإخوة الأساتذة الذين قدموا بحوثهم لهذه الندوة من كل الجامعات وقد كان لمركز البحوث بجامعة إفريقيا شرف استضافتها ولكن العمل عمل مشترك ومتضافر وهم لذلك يستحقون الشكر والثناء . أما بالنسبة لإخواننا في جمعية الدعوة الإسلامية العالمية فنحن نشد علي أيديهم ونرجو لهم توفيقا واسعا ونتقبل بكل سرور دعوتهم للتعاون في مجال النشر والتأليف وفي مجال عقد مثل هذه الندوات وإن شاء الله سيجدوننا معهم دائما في هذا المجال ولهم الشكر مرة اخري

الاستاذ نوري علي

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام علي أشرف المرسلين

سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين

أساتذتي الأعزاء الكرام أرجو أولا أن اتقدم بالشكر إلي البروفيسور عبدالرحيم علي مدير جامعة إفريقيا العالمية والدكتور حسن مكي مدير البحوث والدراسات الإفريقية ولجميع الإخوة الذين شاركونا في إعداد هذه الحلقة . وفي الحقيقة كان توقعنا أقل مما حققته هذه الندوة وتعتبر هذه البحوث ذات قيمة كبيرة وإطارا مرجعيا يمكن للجميع الاستفادة منه في هذا المجال خاصة وأن الأساتذة الذين شاركوا جميعهم متخصصون .

إن قضية التنصير حقيقة قضية ذات خطر عظيم والمستهدف بها المسلمون بالدرجة الأولي .

إنني أعلم أن العالم مقسم من الناحية الاستعمارية إلي خطوط ، فبعد انهيار الخط الأحمر وهو الاتحاد السوفيتي أصبح الخطر بالنسبة للاوربيين هو الإسلام باعتباره الخطر الأخضر وصرحوا علنا أنه لابد من القضاء علي الخط الأخضر وهو الإسلام ويجب علينا أن نتصدي لهذه المحاولات وذلك بإعداد البحوث والدراسات لمعرفة مخططاتهم ثم باعداد الاستراتيجية المناسبة لمواجهة هذه المخططات .

وبكثير من الأسف التقيت هنا في السودان بعدد من الإخوة الجنوبيين النازحين وهم يأتون إلينا كثيرا في المركز ونحاول أن نضع برنامجا مشتركا معهم وهم يوجدون في مناطق الكلاكلة والحاج يوسف ودار السلام وجبل الأولياء وفي الكلاكلة وحدها اشتري مجمع الكنائس خمسة عشر بيتا وحولها إلي كنيسة بينما لايوجد بيت واحد تم تحويله إلي مسجد واستطعنا بحمد الله أن نساعد الإخوة الجنوبيين في شراء بيتين وتحويلهما إلي خلوات أو مؤسسات تعليمية ليكون ذلك علي الأقل نواة وخطوة أولي لمواجهة التنصير .

إن وضع المسلمين الجنوبيين في السودان خطير جدا وهم مستهدفون وهناك مخطط فعلي لفصل جنوب السودان فلابد أن نفعل شيئا ونرمي بكل ثقلنا لإفشال هذا المخطط .

وهذه الدراسة كانت جريئة من بعض الإخوة وكانت صريحة في توضيح الأرقام وتوضيح مايحاك ضد السودان لا أريد أن أطيل وأكرر شكري وتقديري لكل من ساهم في إنجاح هذه الندوة وشكرا .

التوصيـــــات

١) الاهتمام ببناء المراكز الإسلامية متعددة الأغراض .

٢) إنشاء مدارس نموذجية لأبناء المسلمين حتي لا يضطروا لإدخال أبنائهم في مدارس الإرساليات.

٣) دعم المنظمات الإسلامية العاملة مثل جمعية الدعوة الإسلامية العالمية ومنظمة الدعوة الإسلامية وغيرها حتي تتمكن من إنشاء الجامعات والكليات والمستشفيات في الدول الإفريقية وتنسيق العمل بين هذه المنظمات ..

٤) إيجاد كراسي في الجامعات للدراسات الإسلامية واللغة العربية في الجامعات الإفريقية

٥) تقوية شعب التربية الإسلامية في المدارس الإفريقية وتيسير أداء الطلاب للشعائر الدينية وتوفير الكتب المدرسية المكتوبة بالحرف العربي وكتب الثقافة الإسلامية

٦) العناية بالبحوث الميدانية وتشجيع مؤسسات التعليم العالي بارتياد حركة البحث الميداني في إفريقيا وتوفير التمويل اللازم لذلك وبالأخص معاهد الدراسات الإفريقية في ليبيا ومعاهد الدراسات والبحوث الإفريقية في السودان . وتبادل المعلومات والخبرات بينها .

٧) تشجيع إصدار الدوريات والصحف والمجلات باللغات الإفريقية واللغة العربية في جميع أنحاء إفريقيا .

٨) ربط المراكز الإسلامية في إفريقيا بشبكة الانترنت وال E.mail تسهيلا للاتصالات

٩) تكثيف المؤتمرات واللقاءات المتصلة بالعمل الإسلامي في إفريقيا .

١٠) توعية الشباب المسلم بالثقافة الإسلامية المعاصرة حتي يستطيع الشباب مجابهة ثورة العولمة والغزو الثقافي والتبشيري .

١١) تخصيص منح دراسية للشباب المبدع في مجالات البحث العلمي والمتعمق علي مستوي الدكتوراه في مسائل الدراسات الإفريقية والإسلامية والاستشراقية.

١٢) تنسيق العمل بين الجمعيات الإسلامية العاملة في إفريقيا وذلك من خلال التخصص في الوسائل بحيث تقوم بعض الجمعيات بالدعوة عبر وسائل الإعلام المختلفة ويتخصص البعض في التعليم والبعض الآخر في العون الإنساني .

١٣) يقوم التنسيق بين الجمعيات الإسلامية علي أساس جغرافي بحيث تتخصص الجمعيات في أجزاء إفريقيا المختلفة.

١٤) إقامة فرع لكلية الدعوة الإسلامية في السودان لتدريب كوادر من الدعاة والمبشرين للانتشار في إفريقيا.

١٥) إقامة مركز للدراسات الاستشراقية والتبشيرية لكشف البرامج والخطط التنصيرية في

إفريقيا .

١٦) الاهتمام بكليات المجتمع الجامعية التي تؤهل الدعاة المسلمين للتغلغل في المجتمعات الإفريقية بحسب تخصصاتهم

١٧) دعم العلماء المتخصصين في الدراسات الإفريقية ليعملوا في رسم خطط مكافحة التبشير المسيحي وبرامج نشر الدعوة الإسلامية.

١٨) الاهتمام باستخدام وسائل الإعلام المعاصرة في تقوية وتأصيل الثقافة الإسلامية بالمجتمعات الإفريقيةلاسيما ذات الانتشار الواسع مثل الصحف والإذاعات .

١٩) طباعة الأبحاث والمداولات التي تم تدوينها في هذه الحلقات الدراسية.

٢٠) تبادل الزيارات والخبرات بين جمعية الدعوة الإسلامية العالمية والجامعات السودانية.

٢١) تود الندوة أن تشير إلي أهمية الاهتمام بالعلاقة الخطرة بين النظام الصهيوني وأذرعه من الجمعيات السرية والجمعيات المسيحية .

٢٢) إنشاء مؤسسة إسلامية إعلامية دعوية تشرف علي تنسيق العمل الدعوي والإعلامي بين المؤسسات والجامعات .

٢٣) صياغة استراتيجية أو سياسة عامة واضحة لتنظيم العمل الطوعي وترشيده ومراقبة عملياته.

٢٤) عمل سجل عام بكل المنظمات الطوعية العاملة في البلاد بجنسياتها المختلفة والحزام كل منها بتقديم معلومات كافية عن نشاطها وعضويتها ومصادر تمويلها ورئاساتها الخارجية.

٢٥) تحديد دائرة اختصاص كل منظمة طوعية وتحديد دائرة ونوع ونطاق ومدة الامتياز الممنوح لها .

٢٦) إنشاء بنك معلومات مركزي إفريقي تتبع له بنوك فرعية توزع علي جميع الجهات ذات الاختصاص تغذي قنواته بالمعلومات المتعلقة بنشاط الجمعيات الطوعية التنصيرية أولا بأول علي أن يكون هذا الجهاز وفروعه تحت إشراف وزارة التخطيط الاجتماعي .

٢٧) إنشاء أجهزة لمتابعة ورصد سلوكيات هذه المنظمات وتحديد أي انحرافات تقع فيها خارج إطار الموجهات والقواعد المحددة لها.

٢٨) تشجيع العمل الطوعي المحلي وتركيزه وتوفير الدعم والتسهيلات المناسبة له وإعداد البرامج التدريبية لتاهيل كوادره في إطار خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

٢٩) مساهمة جمعية الدعوة الإسلامية العالمية - فرع السودان وجميع الفروع الإفريقية في مشاريع محاربة الفقر والتنمية البشرية إذ أن الفقر مدخل للمنصرين وجميع الانحرافات السلوكية والأخلاقية وذلك من خلال إعانة الأيتام وتبني عدد منهم لاسيما الذين تقدموا في المراحل الدراسية حتي لايكون ذلك مدخلا لتعاملهم مع الجمعيات المشبوهة .

٣٠) تشجيع المنظمات الطوعية المحلية علي القيام بالدور الذي تقوم به المنظمات التبشيرية الاختراقية ومدها بالسند الذاتي والعون الشعبي وإذا كان للمنظمات الخارجية رغبة في المساندة

يجب أن تتم مواءمة ومشاركة في التمويل وبذلك نكون أتحنا الفرصة للجمعيات الطوعية للمساهمة في العون الإنساني وحجبنا دورها السالب المرتبط بالتنصير والاستعمار وساهمنا في انتشار الدعوة الإسلامية.

٣١) يرحب المشاركون في الحلقة الدراسية بقرار منظمة الوحدة الإفريقية الجريئ القاضي. برفع الحظر الجائر عن الجماهيرية الليبية ابتداء من الفاتح من سبتمبر ١٩٩٨م .

٣٢) إرسال برقية شكر وتقدير للأخ القائد الأممي معمر القذافي لمساندته الشجاعة للسودان ضد الهجمة الإمبريالية الأخيرة المتمثلة في ضرب مصنع الدواء في الخرطوم بحري .. وكذلك لتحمله قيادة حركة اليقظة الإسلامية في دول جنوب الصحراء بإمامته صلوات الجمع في جمهورية النيجر ونيجيريا وتشاد بهدف توحيد مسلمي دول جنوب الصحراء بداية لوحدة العالم الإسلامي

٣٣) يوصي المشاركون في الحلقة بإرسال برقية شكر وتقدير لرئيس جمهورية السودان الفريق عمر حسن أحمد البشير لمساندته المطلقة لقضايا المسلمين في إفريقيا خاصة والعالم الإسلامي عامة .

والله ولي التوفيق

الفهـــــرس

التصدير
مقدمة
جلسة الافتتاح .... ٥ – ١٠
الكنيسة السودانية في مفترق الطرق والتعقيب عليها ١١
التبشير المسيحي في شمال نيجيريا ٣٣
المواجهة بين المسيحيين والإسلام عبر القرون ٤١
التعقيب ٦٩
حقوق الإنسان بين المبدئية والتوظيف السياسي ٧٥
وسائل تنصير المسلمين وموقف الدعوة إلي الإسلام منها ٨٤
الإعلام الإسلامي والتحدي الحضاري ٩٣
الإذاعات التنصيرية في إفريقيا ١٠٤
التعقيب ١١٩
النشاط الكنسي في إفريقيا ١٢٥
التنصير الحديث في إفريقيا ١٣٣
المنظمات والجمعيات السرية اليهودية ١٤٩
التبشير والاستشراق أداتان استعماريتان ١٦١
التعقيب ١٦٧
التبشير المسيحي في إفريقيا ١٧٢
الصراع الإسلامي المسيحي في إفريقيا ١٩٩
مابين الاستشراق والتنصير في إفريقيا ٢٠٧
أفرقة الكنائس الوطنية (١) ٢١٥
أفرقة الكنائس الوطنية (٢) ٢٢٣
التعقيب ٢٣٣
التنصير من خلال الأدب الإفريقي الفرنسي المعاصر ٢٤١
جرائم الإختراقيين في التراث والتربية ٢٤٩
دور الإرساليات في نشأة وتطور تقاليد البحث في اللغات الإفريقية ٢٦٣
التعقيب ٢٧٣
صور الاختراق الاستعماري والكنسي في إفريقيا ٢٧٧
التنصير والاختراق الأخلاقي ٢٨٩
التعقيب ٣٠١
المنظمات والجمعيات السرية اليهودية والنصراوية ٣٠٥
التربية المسيحية في السودان ٣٤٦
التعقيب ٣٥٥

يضم هذا الكتاب أوراق الندوة الفكرية عن التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا التي نظمتها إدارة مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية مع جمعية الدعوة الإسلامية العالمية الليبية فرع الخرطوم في الفترة الممتدة مابين ١٩ - ٢١ سبتمبر ١٩٩٨م وعقدت الجلسة الافتتاحية في مركز الشهيد الزبير محمد صالح للمؤتمرات وبقية الجلسات في قاعات مركز الدعوة بجامعة إفريقيا العالمية .

أصدارة رقم (٣٣)

تصميم الغلاف عادة مبارك

التصميم الداخلي الوليد دينار

الطابعون : دار جامعة أفرقيا العالمية للطباعة

